موسوعة
الرسول المصطفى صلى الله عليه وآله
باهتمام: محسن أحمد الهاتمي

زيارة الرسول المصطفى صلى الله عليه وآله عليهم السلام

بدعة أو شرع؟

عبد المجيد ميرزا مادي



زيارة

الرسول المصطفى

وآله عليهم السلام

بدعة أو شرع

ميردامادي، عبد المجيد، ١٣٣٦ -
زيارة الرسول المصطفى صلى الله عليه وآله عليه السلام بدعة أو شرع؟ عبد المجيد ميردامادي. به اهتمام محسن احمد الخاتمي
تهران: ژرف، ١٤٢٤ ق = ٢٠٠٤ = ١٣٨٢.
ج١٧ (موسوعة الرسول المصطفى صلى الله عليه وآله).
ISBN 964 – 6536 – 80 – 8
عربي.
فهرست نويسى بر اساس اطلاعات فيپا.
كتابنامه: ص. [٥٧٣] - ٥٩٨، همچنين به صورت زير نويس.
١. محمد صلى الله عليه وآله، پيامبر اسلام، ٥٣ قبل از هجرت - ١١ق – آرامگاه – زيارت – دفاعيه ها ورديه ها.
٢. چهارده معصوم – آرامگاه – زيارت – دفاعيه ها و رديه ها.
٣. زيارة – دفاعيه ها و رديه ها.
الف. عنوان.
BP ٣٦٢ / ٦ / ٩ز ٩م ٢٩٧ / ٧٦٣٢
كتابخانه ملى ايران ٨٢ - ٢٠٠٧٦م

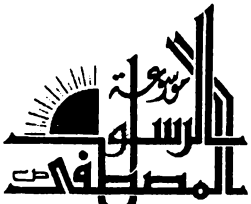
زيارة الرسول المصطفى صلى الله عليه وآله عليه السلام بدعة أو شرع؟
سيّد عبد المجيد ميردامادي
چاپ اول ١٣٨٢
تيراژ: ١٠٠٠ نسخه
چاپ و صحافى: سيّد الشهداء عليه السلام.
شابك: ٨ - ٨٠ - ٦٥٣٦ - ٩٦٤
قيمت: ٣٧٠٠ تومان
www.nikapub.com
نشر ژرف - تهران - خيابان فخر رازي شماره ١١١ - تلفن: ٦٤٠١٧٢٧

شبكة الفكر
alfeker.net

موسوعة
الرسول المصطفى (ص)
باهتمام: محسن أحمد الخاتمي

زيارة
الرسول المصطفى صلى الله عليه وآله
وآله عليهم السلام
بدعة أو شرع؟

عبد المجيد ميرزا مادي



(١٧)

العنوان البريدي في لبنان:
بيروت- الغبيري ص.ب. ٢٥/١٣٨

العنوان البريدي في إيران:
مشهد - ص.ب. ٩١٣٧٥/٤٤٣٦

الفاكس: ٢٢٢٢٤٨٣ (٥١١ - ٠٠٩٨)

البريد الإلكتروني: emails
almawsouah@hotmail.com
almawsouah@yahoo.com

الموقع في الإنترنت:
www.almawsouah.org

كافة الحقوق محفوظة و مسجلة للناشر
الطبعة الأولى: بيروت ١٤٢٤ ـ ٢٠٠٤
الطبعة الثانية: قم ١٤٢٤ - ٢٠٠٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا
وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ
بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ۝

صَدَقَ اللَّهُ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ
الأحزاب ٤٥ - ٤٦

كلمة الموسوعة

المشكلة كلُّ المشكلة هي أن البعض لايريد أن يفهم الحقيقة ولايحاول ذلك.

والحل كلُّ الحل هو محاولة فهم الحقيقة والانصياع لها.

أمّا أنه يُطلِق كلٌّ منا على الآخر عناوين وصفاتٍ لاتليق بمجتمع متحضّر واعٍ، فهذا سوف لايؤدي إلا إلى التمزق الأكثر والتفرّق الأوسع حيث التيه والتقهقر والضياع.

كافر.. مشرك.. زنديق.. ملحد.. مبدع.. كلُّ هذه العبارات التي نسمعها بين الحين والآخر ـ ومع الأسف الشديد ـ من بعض من يلصق نفسه بالدين، نسمعها تُطلق منهم على أحدٍ من إخوانهم في الدين، لا لشيء إلا لأنه وقف أمام ضريح الرسول المصطفى ﷺ في المدينة المنورة وقال بقلب ملؤه الحب لحبيب الله: السلام عليك يارسول الله.

أو مدَّ يده إلى ذلك الضريح المنوّر الذي تقدسه ملائكة السماء يتبرّك به كما لو كان يلثم يدي رسول الله ﷺ في حياته.

أو استشفع بنبيٍ من أنبياء الله، أو بولي من أولياء الله وجعله الحبل بينه وبين الله كما أمر به القرآن.

والعجيب في أمر بعض هؤلاء شيئان، **الأول**: هو الجرأة في إطلاق هذه العبارات الشنيعة القاسية التي ترعد من صداها الجبال على المؤمنين.

والثاني: هو عدم الخضوع للاستدلال والبحث كأنّ في أسماعهم

الوقر وفي قلوبهم الغشاوة.

ونحن أمام هذه النزعة الجاهلية، لاطريق لنا إلا الاحتكام إلى العقل والقرآن والسنة الشريفة وسيرة المسلمين المستمرة من زمن الرسول ﷺ إلى يومنا هذا.

هذا الكتاب: **زيارة الرسول المصطفى ﷺ وآله عليهم السلام بدعة أوشرع؟** لمؤلفه الأخ الفاضل السيد الميردامادي، يجعلك أمام حقائق إسلامية ثابتة لاتقبل الشك، حيث ينصاع القارئ المنصف لما يحتويه من الإستدلال والبرهان في هذا المجال.

وفي هذه العجالة أودّ أن أشير إلى حقيقة عقلية دينية يتغافل عنها الكثيرون من أصحاب التشدد الديني، وهي أن الخيط الرفيع بين الفكر الديني والفكر المادي، هو أن الفكر الديني يلتزم بأن الموت ماهو الا نقلة نوعية من حياةٍ سُفلى إلى حياة أكثر حيوية وفاعلية وديناميكية، كما يشير إليه القرآن في الآية ٦٤ من سورة العنكبوت بقوله: ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾.

وبناءً على هذا، فإنني أستغرب ممن يلتزم بالدين، كيف لا يتعامل مع هذه الحقيقة القرآنية الواضحة التي ترسم معالم عالَم الآخر، بأنّها النسخة المتطورة الفاعلة المتحركة، وإن كانت الحياة الحقيقيّة تتجسّد في ذلك العالَم، فلابد لنا ونحن نعيش هذه الحياة الدنيوية القاصرة أن نتفاعل مع تلك الحياة ونصنع جسوراً بيننا وبينها، وهل هناك جسر أقوى يمكن أن يتصوّره المؤمن إلا في اعتبار أقطاب تلك الحياة وزعمائها أحياءً يروننا ويسمعوننا ويتحاورون معنا ويتفاعلون مع آلامنا وآمالنا، وهل هناك أقطاب في الكون كله ـ في هذه الحياة وتلك الحياة ـ أكثر فاعلية وتأثيراً من الرسول المصطفى ﷺ وأهل بيته الكرام عليهم السلام حيث جعلهم الله الحبل

المتين بين الغيب والشهود؟

وهل هناك وسيلة للتعامل مع تلك الأنوار القدسية إلا زيارة قبورهم والتحاور مع أرواحهم والتفاعل مع مبادئهم التي ضحّوا في سبيل تحقيقها بكل غالٍ ورخيص؟

أسأل الله تعالى أن يوفقنا لكل ذلك، ويفتح صدورنا لقبول كلمة الحق ويبعدنا عن العصبية والغرور إنه سميع مجيب.

محسن أحمد الخاتمي

مشهد المقدسة: ١٨ ربيع الثاني ١٤٢٤هـ

١٧ حزيران ٢٠٠٣ م

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير خلقه الرسول الأمين والبشير النذير الذي بعثه الله رحمة للعالمين وعلى أهل بيته الميامين الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا وجعلهم من بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه وفرض مودتهم وطاعتهم والبراءة من أعدائهم.

أما بعد:

فقد تكالبت الاعداء على محاربة الإسلام وتخريب أركانه وتزييف بنيانه، بنشر الأكاذيب وزرع الفتن والاختلافات وايجاد التفرقة بين صفوف المسلمين وإلقاء الشبهات حول الأصول الإسلامية وفروعها بهدف تشويش أذهان المسلمين عامة والشباب خاصة.

وما كان من الاصول والفروع الإسلامية أعظم أثراً وفائدة في تشييد حضارتهم وتقدمهم كانوا أكثر محاربة له، ومن الأمور التي لها أثر أساسي في تقدم المسلمين واعتقاداتهم وثقافتهم هي مسألة زيارة القبور عامة وقبور الأنبياء والأولياء خاصة.

فعندما يتأمل الإنسان ويتعمق في كنه المسألة وأثارها العميقة في المجتمع الإسلامي يرى أن الزيارة والحضور في مشاهد الأنبياء والأولياء لها سهم كبير في بقاء الدين ودوامه وحفظه من الاندراس، ولها دور فعال في الحضارة الإسلامية والأمور التربوية والاجتماعية، ونفس هذه الآثار أحسن دليل على مشروعيتها ورجحانها لو لم يكن في البين دليل غيرها، والحال أن الأدلة على مشروعيتها كثيرة جداً. فينبغي قبل البحث عن أدلة الزيارة الخوض في آثارها إجمالاً.

فنقول: إن أثر الزيارة يتجلّى في أمور:

الأول: العقيدة والإيمان بالله جل جلاله، فكلما يحضر الإنسان عند قبور الأنبياء والأولياء خاصة خاتم الأنبياء وأوصيائه المعصومون الذين انقضت أيامهم في دعوة الناس إلى التوحيد وبذلوا مهجهم في سبيل تنامي عقولهم وتربيتهم وتزكيتهم، تتراءى عند الزائر تلك الخصوصيات ويذكر كلماتهم وتوصياتهم ويذكر عبادتهم وقيامهم وقعودهم لله تعالى وجهادهم في سبيل إعلاء كلمته وكأنهم أحياء يسمع كلامهم ويرى حالهم ويرونه ويسمعون كلامه، فيرتكز عنده الإيمان بالله وتتقوى عنده فكرة التوحيد وعبادته وحده لا شريك له والبراءة من أعداءه والابتعاد عن كل ما ينسيه ذكر الله ويشغله عن عبادته.

ولا يزال هذا الأثر يحصل لكل من يزورهم ويحضر في مشاهدهم مدى الزمان ويصير سبباً لبقاء واستمرار ذلك التراث الإسلامي الأصيل وصونه من الإندراس.

وهذا الأثر هو السبب الأصيل في مخالفة الأعداء لزيارة قبر النبي ﷺ والأئمة عليهم السلام وسائر من تبعهم من الصلحاء.

الثاني: وبموازاة تحكيم الفكرة التوحيدية خلال حضور المؤمن عندهم

يتقوى عنده الاعتقاد برسالتهم وإمامتهم واتبّاعهم ونصرتهم والعمل بما أمروا به وحثّوا عليه والاجتناب عما نهوا عنه.

الثالث: وبموازاة تحكيم تلك الأصول الثلاثة (التوحيد ـ النبوة ـ الإمامة) يتقوى عنده أصل آخر وهو الاعتقاد بيوم الجزاء وعالم البرزخ، وهذه الخصيصة عامة تشمل زيارة جميع القبور.

فإن الزائر لما يحضر عند القبور يذكر الموت وفناء العالم وعالم البرزخ وما فيه من بشارة وسرور للمؤمن ومحنة وعذاب للمنافق والكافر ويتذكر يوم الحساب وسائر مواقف القيامة، فيصير في صدد إصلاح نفسه وترك الذنوب والاستعداد للرحيل وترك الحرص على الدنيا ويتزهد فيها ويترك الظلم والعدوان ويتخذ العدل والإحسان.

ولذا ورد في الأحاديث: زوروا القبور فإنها تذكركم الآخرة، أو الموت أو تزهدكم في الدنيا[1] و....

الرابع: إن في زيارة الأنبياء والأولياء ومن تكون لهم أرواح ملكوتية وأنوار قدسية أثراً عجيباً في روح الزائرين لهم، لأن نفس الحضور عند هؤلاء ومجالستهم ـ حيث إنا نعتقد بحياتهم وأنه لا فرق بين الحياة والممات بالنسبة إليهم ـ فيه آثار وضعية وهي ترشح وانتقال تلك الأنوار والمعنويات والصفات وما عندهم من الخصوصيات إلى شخص الزائر وهذا يتبع مراتب المعرفة والاستعداد في كسب الكمالات في زوارهم، فقد حصل لبعض زوارهم العارفين بحقهم العاملين بأوامرهم كثير من الترقيات المعنوية والروحية والعلمية ووصلوا إلى درجات الكمال من أثر الارتباط بهم والتردد إليهم والحضور عندهم حياً وميتاً، وحصل لبعض من كان أقل معرفة وأقل عملاً منهم آثار أقل وبحسب أرضيته واستعداده.

---

(١) ستوافيك مصادرها في الأدلة العامة.

وما تعرضت له من الآثار ليس صرف ادعاء، بل هو ثابت عند علماء النفس والأخلاق فضلاً عما ورد من الروايات الصحيحة في باب المجالسة وغيرها وفضلاً عما ورد في نفس أحاديث زيارة النبي ﷺ والمعصومين المتضمنة لذكر فوائد جمة لزوار قبورهم وسيأتي التعرض لها إن شاء الله تعالى وهكذا الأحاديث الواردة في الحث على مودتهم ومحبتهم وآثار محبتهم، فإن محبتهم ومودتهم هو الإكسير الأعظم والكبريت الأحمر، فكما أن الإكسير إذا وضع على الشيء الداني يصلحه ويغير ماهيته ويجعله دُراً ثميناً، هكذا حب النبي وآله صلوات عليهم أجمعين فإنه يوصل الإنسان إلى أرقى مراتب الكمال وأعلى الدرجات.

ومن أجل هذا الأمر نرى بعض علماء النفس والأخلاق يأمرون من أراد أقرب الطرق وسرعة الوصول إلى معرفة الله والكمال والغلبة على النفس والشيطان وقهرهما، بكثرة الارتباط مع المعصومين عليهم السلام ومحبتهم، والحضور عند قبورهم، فإن مشاهدهم محال نزول النسمات الرحمانية والبركات الآلهية وهبوط الملائكة وأرواح الأنبياء، وحيث إن معنى الزيارة هو نفس الحضور عند المزور وزيارتهم حياً وميتاً من أظهر مصاديق المحبة فما يثبت للمحبة من الآثار العظيمة فهي ثابتة لزيارة قبورهم عليهم السلام قطعاً.

وهذه الفضائل والآثار هي التي أشار إليها سبحانه في كتابه بعد فرض المودة على المسلمين بقوله: ﴿وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا﴾ [1] وبقوله: ﴿مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ﴾ [2].

وفي ذيلها روي في المناقب عن محمد الباقر عليه السلام أنه قال: يقول الأجر الذي هو المودة في القربى التي لم أسألكم غيرها فهو لكم تهتدون بها

---

(١) الشورى: ٢٣.

(٢) سباء: ٤٧.

وتنجون من عذاب الله يوم القيامة[١].

وعن أيوب السختياني عن نافع، عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: **«من أراد التوكل على الله فليحب أهل بيتي، ومن أراد أن ينجو من عذاب القبر فليحب أهل بيتي، ومن أراد الحكمة فليحب أهل بيتي، ومن أراد دخول الجنة بغير حساب فليحب أهل بيتي، فو الله ما أحبهم أحد إلا ربح في الدنيا والآخرة»**[٢].

وورد في الروايات الصحيحة عنه ﷺ: **«من أحبنا أهل البيت فقد أصاب خير الدنيا والآخرة، فلا يشكنّ أحد أنه في الجنة»**.

الخامس: الآثار الدنيوية

ومن الآثار المترتبة على زيارة القبور هو استجابة الدعاء وقضاء الحاجات ورفع الكربات ونيل الغايات وشفاء الآلام والأمراض، وهي آثار لا حاجة في إثباتها إلى دليل وبرهان فإن وقوعها الخارجي وإذعان الناس عليها وكثرة ترددهم إلى تلك المزارات والازدحام عليها، أحسن علامة على ما في تلك المشاهد من البركات الإلهية والفيوضات الربانية والنسمات الرحمانية، وإلا لما ازدحموا عليها وما أكثروا زيارتها وما تحملوا تلك المشاق والزحمات من أجل الوصول إليها، وقد كتبت الكتب الكثيرة في ما حصل من الكرامات المعتبرة التي حصلت للزائرين في تلك المشاهد.

على أن في ما ورد من أحاديث زيارة القبور صراحة على تلك الآثار، وهي ثابتة في الجملة في زيارة قبور سائر المؤمنين أيضاً[٣].

---

(١) ينابيع المودة للقندوزي: ١٠٥ ط مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ـ بيروت.

(٢) مقتل الحسين للخوارزمي: ٩٧ ط دار أنوار الهدى ـ بيروت.

(٣) كما ورد عن الإمام علي عليه السلام: زوروا موتاكم، فإنهم يفرحون بزيارتكم، وليطلب الرجل حاجته عند قبر أبيه وأمه، بعد ما يدعو لهما. البحار ١٠: ٩٧.

فما ظنك بقبور أهل بيت العصمة عليهم السلام الذين جعلهم الله عزوجل أبواباً لرحمته وسفناً لنجاة خلقه وأماناً لأهل الأرض كما أن النجوم أمان لأهل السماء[1].

السادس: أثر الزيارة للمزور

إذا كان المزور من أحد المؤمنين فإنه ينتفع بزيارة الأحياء له وحضورهم عند قبره، حيث إن الإحياء عندما يحضرون على قبور آباءهم أو أقربائهم أو أحبائهم. يتفقدونهم بإهداء ثواب قراءة القرآن وذكر الصلواة على محمد وأهل بيته عليهم السلام، ويستغفرون لهم ويدعون لهم فينتفع المزور بهذه الأمور ويفرح بها ويدعو لزائره ويستأنس به مادام عند قبره وقد وردت في هذه الآثار أيضاً روايات كثيرة ذكرها الأعلام في باب زيارة القبور وما ذكرته لك أيها القارئ من الآثار هي إشارات ملخصة، وإلا فالبحث عن كل واحد منها يحتاج إلى فصل مستقل وشرح طويل.

بيد أن هدفنا من ذكرها هو تمهيد وتوطئة لما هو الغرض الأصلي من تأليف الكتاب وهو إثبات مشروعية زيارة القبور عامة وقبر النبي ﷺ والأولياء والأوصياء عليهم السلام خاصة، فقد كان عملي القاصر في هذا الكتاب هو:

منهجنا:

أولاً: إثبات مشروعية زيارة عامة القبور من طريق الفطرة والكتاب والسنة والإجماع وسيرة المسلمين، وفي ضمن إثبات المشروعية بنحو عام تثبت مشروعية زيارة قبر النبي ﷺ وقبور الأئمة عليهم السلام بالأولوية، حيث إنّ قبورهم صلوات الله عليهم أجمعين من أشرف القبور وأعظمها شأناً عند الله.

ثانياً: إثبات مشروعية زيارة قبر النبي ﷺ بالأدلة الخاصة ومن طرق

---

(١) قد ثبتت هذه الخصائص لأهل بيت النبوة بالأحاديث المتواترة التي رواها جمع كثير من أعلام المذاهب فراجع في مظانها.

العامة وفي ضمن إثبات الرجحان لزيارة قبر النبي أثبتنا رجحان الزيارة لقبور أهل بيته عليهم السلام بدليل عدم الفصل بينهم وأنه كلما ثبت له صلى الله عليه وآله من الفضائل والخصائص ثابت لهم عليهم السلام إلا النبوة.

وكان ترتيب الأدلة كالتالي:

١ ـ دليل الكتاب على زيارة قبر النبي صلى الله عليه وآله وقد تعرضنا لكلمات المخالفين في الرد على الاستدلال بهذه الآية والجواب عنها.

٢ ـ دليل السنة على زيارة قبر النبي صلى الله عليه وآله وقبور الأئمة عليهم السلام، فقد تعرضت أولاً لسرد الأحاديث النبوية المروية من طرق المذاهب الأربعة مع البحث عن سندها صحة وسقماً بنحوٍ لا يبقى مجال للمخالف على ردها وعدم الاستدلال بها.

ومضافاً إلى إثبات صحة تلك الروايات ألحقت وأعضدت بها الروايات المروية عن طرق الإمامية تأييداً وتقوية لما ورد عن العامة.

وضمن سرد تلك الروايات من طرق الإمامية تعرضت لذكر الأحاديث المشتركة في الحث والتأكيد على زيارة النبي وفاطمة الزهراء والأئمة عليهم السلام. ومن بعدها ولأجل تكملة الباب أوردنا الروايات الخاصة المرغبة في زيارة قبور الأئمة عليهم السلام، عقبناها بالروايات الواردة في زيارة أبناء الأئمة التي ورد بعضها من طرق العامة أيضاً.

٣ ـ إجماع علماء الأمة الإسلامية على استحباب الزيارة وقد ذكرنا كلمات أعلام المذاهب الإسلامية حول الزيارة.

٤ ـ حكم العقل على رجحان زيارة قبر النبي والأئمة عليهم السلام.

٥ ـ سيرة المسلمين في زيارة قبر النبي صلى الله عليه وآله وقبور الأولياء والصلحاء، وفي ضمنها تعرضنا لبعض الاتهامات الشنيعة التي صدرت ضد الشيعة في زيارتهم لقبور الأئمة عليهم السلام، وإثبات أنها كلمات عدوانية وافتراءات شيطانية، حيث إن زيارة القبور ليست من مختصات الشيعة، بل هي مسألة مشتركة

بين جميع المذاهب الإسلامية ومتفق عليها.

٦ ـ لم نكتف بهذه الأدلة على كثرتها، فقد أضفنا إليها شواهد أُخر تعطي درس التسالم وتؤكد مشروعية الزيارة وهي:

ألف: المسائل الشرعية مثل مسألة تقديم الحج على الزيارة أو العكس وجواز الإستنابة في الزيارة والنذر، فقد وقع البحث فيها عند العلماء، وهي دليل آخر على جوازها وإلا لما وقع البحث في فروعها..

ب: الآداب الواردة من طرق العامة والإمامية في زيارة قبر النبي والأئمة عليهم السلام.

وبعد الفراغ من إقامة الدليل والبرهان تعرضنا لأدلة المخالفين وكلماتهم وذرائعهم في المنع من زيارة القبور والجواب عنها مفصلاً.

وكان مناسباً أن نبحث في مسائل أخرى تشبث بها الخصم من أجل إيذاء المسلمين والمنع عن زيارة خير النبيين ﷺ والأئمة عليهم السلام وهي:

١ ـ التبرك بالقبور.

٢ ـ الطواف حول القبور والنذور لأهل القبور.

٣ ـ تعمير القبور وبناء المساجد حول القبور والصلاة عندها.

وأثبتنا بطلان ما ادعاه الخصم في المنع منها وتكفير المسلمين عليها.

وختاماً اعتذاري من القارئ الكريم على إطالة الكلام أو النقص في البيان فإني مع بذل جهدي واجتهادي في الاستقصاء اعترف بقلة البضاعة وكوني في معرض الخطأ والنسيان.

وما توفيقي إلا بالله العلي العظيم وأُفوض أمري إلى الله إن الله بصير العباد.

سيد عبد المجيد ميردامادي

الفصل الأول

الأدلة على مشروعيّة زيارة القبور

الأدلة على
مشروعية زيارة القبور

فإذا سألت: ما الدليل على مشروعية زيارة القبور؟ خاصة زيارة قبر الرسول ﷺ والأئمة وسائر الأولياء والصلحاء؟

نقول في الجواب: إن مسألة زيارة القبور عموماً وزيارة قبر النبي ﷺ وسائر الأولياء خصوصاً، من المسائل المتفق عليها بين جميع الفرق والمذاهب الإسلامية، وقد اتفقت آراء علماء المذاهب الإسلامية على استحبابها، بل قال بعض علماء الظاهرية بوجوبها أخذاً بظاهر الأمر الوارد فيها، وحتى أن ابن عبد الوهاب وأتباعه لم يتظاهروا بالمنع عن أصل الزيارة،غير أن الباحث يفهم من خلال كلماتهم وتناقضاتهم وتكذيبهم للروايات، عدم اعتقادهم بمشروعية الزيارة مطلقا.

ولأجل عدم الاختلاف ووجود التسالم لا نتعمق كثيراً في البحث عن أصل مشروعية زيارة القبور، بل نكتفي بذكر نبذة من الأدلة على المشروعية التي منها دليل الفطرة ودليل الكتاب والروايات الواردة في زيارة القبور واجماع العلماء وسيرة المسلمين، مضافاً إلى ما ورد في الكتاب من الآيات المرغبة في التفكر في الآخرة والدالة على فناء الدنيا وأنها لهو ولعب، ومن المعلوم أن زيارة القبور من أهم موجبات ذلك التفكّر، فتكون راجحة لذلك.

وإذا ثبت رجحانها بتلك الأدلة العامة ثبت رجحان زيارة قبر النبي

والأئمة عليهم السلام بنفس الأدلة لأنّ قبورهم منها، بل أعظمها وأشرفها، ومن المعلوم أن الغرض الأهم من البحث في جواز زيارة القبور هو إثبات رجحان زيارة قبر النبي ﷺ وأهل بيته عليهم السلام.

١ ـ الفطرة

من البديهي أنّ الإسلام دين الفطرة حيث إنّ أحكامه الكلية في مجالي العقائد والشريعة موافقة لفطرة الإنسان السليم، وتلك الأحكام والتعاليم التي جاءت بها الأنبياء وفي مقدمهم خاتمهم نبينا محمد ﷺ توحي إلى الفطرة البشرية وتنسجم معها وتبرزها بعدما كانت مكنونة، ولذا فالأنبياء والأوصياء قبل أن يكونوا معلمين للأمم كانوا مذكرين بما أودع الله سبحانه في فطرتهم من الميل إلى عبادة من خلقهم وخلق السماوات والأرضين والتوجه والالتفات إلى ما وراء هذا العالم، ومذكرين بما في فطرتهم من الجنوح إلى العدل والإنصاف ومكارم الأخلاق والنفرة من الظلم ورذائل العادات.

فكأنك ترى أنّ الله سبحانه جعل الفطرة أول مدرسة يتعلم فيها الإنسان أصول المعارف ومكارم الأخلاق قبل أن يجعل لهم معلماً يعلمهم تلك الأمور ويهديهم إليها، وجعلها أحسن معين ومؤيد لما جاءت به أنبياؤه ورسله من التعاليم الإلهية التي لولاها لعسرت عليهم هداية الخلق وتربيتهم وإنقاذهم من ظلمة الجهل والشرك، وهذه منة ولطف منه سبحانه وتعالى على الخلق.

ويؤيّد ما ذكرنا ما ورد في كتابه جل جلاله من قوله: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ذَلِكَ الدِّينُ

﴿الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾[١] فإن المراد من (الدين) كما ورد في التفاسير هو الاعتقاد بالله تعالى وبما أتى رسوله ﷺ من القوانين والتعاليم الإلهية، الخالصة من الشرك والوثنية. والمراد من (فطرة الله) هو الإسلام والتوحيد، فالدين قد وافق فطرة الإنسان التي أودعها الله فيه حين خلقه في الأصول.

ونظيرها ما ورد من قوله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾[٢] فتلاحظ أن الله سبحانه وتعالى قد ألهم الإنسان معرفة حسن العدل والإحسان وهكذا قبح الظلم والطغيان وجعل الميل إلى مكارم الأخلاق والانزجار من رذائل العادات مكنوناً في فطرته، حتى أن الإنسان السليم الذي لم يتأثر بالمناهج الشيطانية يدرك المحاسن والمساوي والخير والشر بسبب فطرته، وعندما تأتيه تعاليم الأنبياء تراه مستعداً لقبولها وتطبيقها بوَلَهٍ واشتياق، لمطابقتها فطرته.

ويؤيده أيضاً ما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام في هذا المجال بقوله: (فبعث الله فيهم رسله، وواتر إليهم أنبياءه، ليستأدوهم ميثاق فطرته ويذكروهم منسي نعمته، ويحتجوا عليهم بالتبليغ، ويثيروا لهم دفائن العقول)[٣].

فتبين أن الشرائع السماوية قد استنطقت فطرة الأمم وذكرتهم بتلك النعمة المنسية بسبب اتباع الأهواء، وأبرزت لهم دفائن العقول التي جعلها الله في ذاتهم، فالشريعة الإلهية بموافقتها للفطرة البشرية هي بمثابة المصابيح الموضوعة في الطرق التي هدفها إزالة الطريق وإضاءته لكل من

---

(١) الروم: ٣٠.

(٢) الشمس: ٨.

(٣) نهج البلاغة الخطبة الأولى.

مشى وسعى في طلب الحق،فكل فكرة وميل توحي إليه الفكرة السليمة وتؤيّده حق، وكل فكرة وميل ترفضه الفطرة باطل.

فمن المثال تلاحظ أن الإنسان يميل ويهوى إلى الزواج والحياة الزوجية وينفر من التعزب والحياة الإنفرادية وذلك لأن الزواج مقتضى فطرته والعزوبة تناقض فطرته، وهكذا في كثير من الأمور الاجتماعية.

لا نطيل الكلام حول الفطرة، لأن الهدف كان إثبات كون الشريعة الإلهية توافق الفطرة، بل نفسها شريعة فطرية، ونستنتج منه ما نريد إثباته من مشروعية الزيارة.

فنقول: إن زيارة الإنسان لقبر أُمه وأبيه، وقرابته وصديقه وكل من كان له حق عليه، ومن كان له صلة روحية وعلاقة قلبية أو مادية به، هي مما تميل إليه وترغب فيه النفوس السليمة في جميع الأمم ولا تخص ملة دون ملة ومذهباً دون مذهب، فإن كل إنسان سوي إذا فارق أعزاءه وأحباءه يتأثر، وتراه يحاول في عدم قطع علاقته ومراودته بمن أحبه، بل يجسّد محبته وشوقه لمحبوبه بأي صورة من الصور، فتارة يحتفظ بآثاره وكل ما فيه تذكار له،وتارة ينصب صوره على الحيطان ويجعلها أمام عينه، وتارة من كثرة شوقه ومحبته أو من أجل إظهار وفائه ووده له يذهب إلى قبره ومزاره ويجلس عنده ويداوم على هذا العمل ما أمكنه حيث يتعاهد آخر مشهد له.

وليس هذا كله إلا من جهة الباعث الذاتي الفطري الموجود بين أفراد البشر ممايميل إليه جميع أفراد الأمم، وبما أن الشريعة توحي إلى الفطرة، فلا مجال للقول بمخالفة الشارع لتلك الأمور الفطرية، بل من المعلوم تأييدها وتثبيتها وترغيب الناس عليها.

نعم للشريعة الإلهية تحديدها وتنزيهها من الخرافات، وتعليم الناس بالآداب الصحيحة، وعلى هذا الصعيد ترى السنة النبوية حثت على زيارة

القبور وذكرت آثارها وفوائدها الدنيوية والأخروية، ولو فرض وجود المنع في فترة من الزمن فهو من جهة وجود بعض الموانع التي سنتعرض لها في الكلام عن حديث (نهي النبي عن زيارة القبور).

فتحصل أن زيارة القبور عموماً أمر شرعي فطري ولا محذور فيه عقلاً ولا شرعاً، وإذا ثبت رجحان الزيارة بالنسبة إلى سائر القبور بالفطرة، فما بالك بقبور الأنبياء والأولياء، خاصة خاتم الأنبياء وأهل بيته النجباء صلوات الله عليهم أجمعين؟

وهل يمكن أن يقاس أحد من أفراد البشر بهم؟فإن الفطرة البشرية تحكم بأولوية زيارتهم وتعظيمهم وتجليلهم وحفظ آثارهم لما لهم من الفضل والكرامة والحق الجزيل على البشرية، بل كل الكائنات.

٢ ـ الكتاب العزيز

الدليل الثاني على مشروعية زيارة القبور، قوله تعالى: ﴿ولا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا ولا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾[1]. فقد نهى سبحانه وتعالى النبي ﷺ من الصلاة على المنافقين والحضور عندهم والوقوف على قبورهم وفيه تخذيل وتحقيرٌ لهم، وهذا النهي لا يكون خاصاً بالنبي ﷺ بل لجميع المسلمين، ومن الآية يظهر أن الصلاة على موتى المسلمين والوقوف على قبورهم والحضور عندهم بالدعاء وتلاوة القرآن والاستغفار كان أمراً مشروعاً فورد النهي للنبي وسائر المسلمين عن هذا العمل بالنسبة إلى المنافقين فقط، وبقي سائر المسلمين تحت أصل الجواز، وبها تثبت مشروعية زيارة قبور المسلمين

---

(١) التوبة: ٨٤.

ورجحانها.

ويؤيد ما استظهرناه من المعنى قول أكابر المفسرين من العامة منهم البيضاوي في أنوار التنزيل،قال في ذيل قوله تعالى: ﴿ولا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ﴾ ولا تقف عند قبره للدفن أو الزيارة[١].

والسيوطي في تفسير الجلالين، قال في ذيل قوله: ﴿ولا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ﴾: لدفن أو زيارة[٢].

والآلوسي في تفسير روح المعاني، قال في ذيل قوله: ﴿ولا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ﴾: ويفهم من كلام بعضهم أن على بمعنى عند، والمراد: لا تقف عند قبره للدفن أو الزيارة والدعاء[٣].

وقال البروسي في تفسير روح البيان في ذيل قوله تعالى: ﴿ولا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ﴾: أي ولا تقف عند قبره للدفن أو للزيارة والدعاء[٤].

ونظيره قول غيرهم من مفسري العامة، وهكذا ورد في تفاسير الإمامية.

وإن خص بعض العامة القيام نفياً وإثباتاً بوقت الدفن، لكن الحق مع من أخذ بالإطلاق.

والدليل على ذلك أن الآية بما أنها مركبة من جملتين:

الجملة الأولى: ﴿ولا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا﴾ وبما أن أحداً

---

(١) أنوار التنزيل للبيضاوي ـ تفسير سورة التوبة

(٢) تفسير الجلالين للسيوطي في تفسير سورة التوبة.

(٣) روح المعاني للآلوسي ١٠: ١٥٥.

(٤) روح البيان للبروسي ٣: ٣٧٨

نكرة وردت في سياق النفي فهي تفيد العموم والاستغراق لجميع الأفراد، ولفظ أبداً أيضاً تفيد الاستغراق الزماني، فيكون معناها:

لا تصل على أحد منهم في أي وقت كان.

فمع الالتفات إلى هذين اللفظين يتضح أن المراد من النهي عن الصلاة على المنافق ليس منحصراً في وقت الدفن، بل شامل لسائر الأزمنة من بعد موته، وبما أن صلاة الميت غير قابلة للتكرار في سائر الأزمنة، يعلم أن المراد من الصلاة في الآية هو مطلق الدعاء والترحم سواءً كان عند الدفن أو بعده.

مضافاً إلى أنه لو كان المراد هو الصلاة عند الدفن فقط لما كانت هناك حاجة إلى التأكيد بما يدل على الاستغراق الزماني وهو كلمة أبداً.

ويؤيد كون أبداً للاستغراق الزماني لا الأفرادي أمران.

الأول: إن أبداً قد استعملت في العربية للاستغراق الزماني، كما ورد في قوله تعالى: ﴿ولا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْواجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَداً﴾[1]

الثاني: بما أن كلمة أحد في الآية قد أفادت الاستغراق الافرادي، فلا موجب للتأكيد بكلمة أبداً ويكون وجودها لغواً،فيتبين أن الاتيان بكلمة أبداً لبيان غرض آخر وهو الاستغراق الزماني، فثبت أن المراد هو النهي عن الترحم على المنافق وعن الاستغفار له، بالصلاة عليه عند الدفن أو بغيرها في سائر الأوقات.

الجملة الثانية: ﴿ ولا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ﴾فقد عطفت هذه الجملة على الأولى، وكل ما يثبت للمعطوف عليه من الحكم والقيد فهو ثابت للمعطوف أيضاً، وعليه فكما ثبت العموم الاستغراقي في الجملة السابقة فهو ثابت أيضاً

---

(١) الأحزاب: ٥٣.

لهذه الجملة، وعليه فلا يصح أن يقال بأن المقصود من القيام على القبر هو القيام وقت الدفن فقط، بل يشمل سائر الأوقات أيضاً، لأن القيام عند القبر وقت الدفن غير قابل للتكرار كما في الصلاة على الميت.

ومن جانب آخر أن لفظ أبداً المقدر في الجملة الثانية يفيد إمكان تكرار هذا العمل فلا محيص من الخضوع إلى القول بأن القيام على القبر لا يختص بوقت الدفن بل هو شامل لجميع الأزمنة.

فمع ما قدمنا من الدليل ثبت ما بيناه من المعنى في الآية الشريفة وهو: إن الله سبحانه نهى نبيه ﷺ عن مطلق الاستغفار والترحم على المنافق سواء كان بالصلاة أو مطلق الدعاء، ونهى عن مطلق القيام على القبر، سواء كان عند الدفن أو بعده، ومفهومه أن هذا العمل مشروع بالنسبة إلى المؤمن، وبه يثبت مشروعية زيارة قبر المؤمن في جميع الأزمنة والدعاء له وقراءة القرآن وإهداء ثوابه له، لأن الزيارة ليست إلا الحضور عند المزور والسلام والدعاء والصلاة من آدابها ولا دخالة لها في حقيقتها وسيأتي الكلام عن مفهوم الزيارة إن شاء الله.

فإذا ثبت بهذه الآية مشروعية زيارة قبور المؤمنين عامة يثبت أيضاً بالأولوية زيارة قبره ﷺ وقبور أهل بيته عليهم السلام، ومن أعز شأناً وأقرب منزلة عند الله منهم صلوات الله عليهم أجمعين؟

٣ ـ السنة المطهرة

١ ـ عن أنس بن مالك مرفوعاً، قال النبي ﷺ: **«نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها؛ فإنها تذكّركم الموت»**[1].

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ١: ٣٧٥ وصحّحه، ولنا كلام حول نهي رسول الله ﷺ عن الزيارة سيأتي قريبا.

٢ ـ عن أنس بن مالك مرفوعاً عنه ﷺ: «**إني نهيتكم عن زيارة القبور، فمن شاء أن يزور قبراً فليزر، فإنه يُرقّ القلب، ويدمع العين، ويذكّر الآخرة، ولا تقولوا هجراً**»(١).

٣ ـ عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إني كنت نهيتكم عن زيارة القبور، فزوروها فإنها تذكر الآخرة، ونهيتكم عن نبيذ الجرّ فانتبذوا في كل وعاء، واجتنبوا كل مسكر، ونهيتكم عن أكل لحوم الأضاحي بعد ثلاث فكلوا وتزودوا وادخروا**»(٢).

٤ ـ عن ابن أبي مليكة، أنّ النبي ﷺ قال: «**إئتوا موتاكم فسلموا عليهم وصلوا عليهم، فإن لكم فيه عبرة**».

قال ابن أبي مليكة: ورأيت عائشة تزور قبر أخيها عبد الرحمن ابن أبي بكر، ومات بالحبشي وقبر بمكة(٣).

٥ ـ عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: «**ما من عبد يمرّ على قبر رجل مسلم يعرفه في الدينا، فيسلم عليه إلا عرفه، ورد عليه السلام**»(٤).

٦ ـ عن عائشة عن النبي ﷺ قال: «**ما من رجل يزور قبر أخيه، ويجلس عنده، إلا استأنس وردّ عليه حتى يقوم**»(٥).

٧ ـ عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً عنه ﷺ: «**إني نهيتكم عن زيارة**

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده ٣: ٢٣٧، ٢٥٠ والحاكم في المستدرك ١: ٣٧٦ وصححه هو، وأقره الذهبي، والبيهقي في سننه الكبرى ٤: ٧٧.

(٢) المصنف لعبد الرزاق بن همام الصنعاني ١: ٥٦٩ ط توزيع المكتب الإسلامي.

(٣) المصنف لعبد الرزاق ٣: ٥٧ ط توزيع المكتب الإسلامي

(٤) أهوال القبور ـ ابن رجب الحنبلي الدمشقي: ١٤٢.

(٥) أهوال القبور ابن رجب الحنبلي البغدادي الدمشقي: ١٤٣.

القبور فزوروها فإنّ فيها عبرة »[1].

هذه نبذة من أحاديث زيارة القبور وقد لاحظت ما فيها من الآثار والفوائد للزائر والمزور، وستوافيك أحاديث أخرى ذكرتها في ضمن أقوال العلماء في زيارة القبور.

٤ ـ الإجماع

وقد اتفقت أقوال العلماء من جميع المذاهب الإسلامية على استحباب زيارة قبور المسلمين وخاصة قبور الأنبياء والمرسلين والأولياء المقربين، بل قال بعض الظاهرية بوجوبها عملا بظاهر الأمر، نعم قال بعضهم بكراهة زيارة النساء لسائر القبور، ولا حاجه لتطويل الكلام في الاجماع، بل نكتفي بذكر كلمات بعضهم.

قال القسطلاني في المواهب اللدنية: قد أجمع المسلمون على استحباب زيارة القبور، كما حكاه النووي، وأوجبها الظاهرية، فزيارته مطلوبة بالعموم والخصوص، لما سبق ـ أي لما سبق من الروايات ـ ولأن زيارة القبور تعظيم، وتعظيمه ﷺ واجب، ولهذا قال بعض العلماء: لا فرق في زيارته ﷺ بين الرجال والنساء وإن كان محل الإجماع على استحباب زيارة القبور للرجال، وفي النساء خلاف، والأشهر في مذهب الشافعي الكراهة[2].

وقال السبكي في شفاء السقام: واعلم أن العلماء مجمعون على أنّه يستحب للرجال زيارة القبور، بل قال بعض الظاهرية بوجوبها، للحديث

---

(١) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ٣: ٥٨ وقال: رجاله رجال الصحيح.

(٢) المواهب اللدنية بالمنح المحمدية للقسطلاني ٣: ٤٠٥.

المذكور، وممن حكى إجماع المسلمين على الاستحباب أبو زكريا النووي[1].

وقال السمهودي في وفاء الوفا: وأجمع العلماء على استحباب زيارة القبور للرجال، كما حكاه النووي، بل قال بعض الظاهرية بوجوبها وقد اختلفوا في النساء وقد امتاز القبر الشريف بالأدلة الخاصة.

ثم ذكر أن السبكي قال: ولهذا أقول: إنه لا فرق في زيارته ﷺ بين الرجال والنساء.

وذكر السمهودي أقوال بعض أُخر من العلماء في أولوية زيارة قبره ﷺ وأنه لا خلاف في زيارته ﷺ بالنسبة إلى النساء.

فقال: والزيارة باعتبار القصد تنقسم إلى أربعة أقسام:

فقد تكون لمجرد تذكّر الآخرة وهو مستحب لحديث: «**زوروا القبور فإنها تذكركم الآخرة**». فمن لا يزور القبور أويمنع منها لا يريد تذكر الموت والآخرة لان الدنيا قد غرته واطمأن بها.

وقد تكون لأجل الدعاء لأهل القبور كما ثبت في زيارة أهل البقيع.

وقد تكون للتبرك بأهلها إذا كانوا من أهل الصلاح، وفي هذا القسم قال الشارمساحي المالكي: إن قصد الإنتفاع بالميت بدعة إلا في زيارة المصطفى ﷺ وقبور الأنبياء والمرسلين.

وقال السُبكي: هذا الاستثناء صحيح، وحكمه في غيرهم بالبدعة،

---

(١) شفاء السقام: ١٨٤ ط الرابع. وقد ناقش السبكي حول ادعاء كراهة الزيارة للنساء لغير قبر النبي، وأثبت عدمها ،ثم قال: ولكن مقصودنا إثبات الاستحباب به بخصوصه، للأدلة الخاصة، بخلاف غيره ممن لا يستحب زيارة قبره بخصوصه، بل لعموم زيارة القبور، وبين المعنيين فرق كما لا يخفى، فزيارته ﷺ مطلوبة بالعموم والخصوص.

فيه نظر.

ولا ضرورة هنا لتحقيق الكلام فيه؛ لأنّ مقصودنا أن زيارة قبر المصطفى ﷺ وغيره من الأنبياء والمرسلين للتبرك بهم مشروعة، وقد صرّح به[١].

وقال الدمياطي: إن زيارة قبور الأنبياء والصحابة والتابعين والعلماء وسائر المرسلين للبركة أثر معروف[٢].

وقال الغزالي: كل من تبرك بمشاهدته في حياته يتبرك بزيارته بعد موته، ويجوز شدّ الرحال لهذا الغرض.

وقد تكون الزيارة لأداء حق أهل القبور، فقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: **«آنس مايكون الميت في قبره إذا زاره من كان يحبه في دار الدنيا»**.

وعن ابن عباس مرفوعاً عنه ﷺ: **«ما من أحد يمرّ بقبر أخيه المؤمن يعرفه من الدنيا فسلّم عليه إلا عرفه وردّ عليه السلام»**[٣].

---

(١) شفاء السقام ١٩٠ ط الرابعة.

(٢) لا يخفى أن السمهودي ذكر كلام الدمياطي والغزالي تأييداً لما قاله في القسم الثالث (قد تكون للبركة).

(٣) وفي موضع آخر حول هذا الحديث، قال السمهودي: ورواه ابن عبد البر وصححه، كما نقله ابن تيمية، لكن بلفظ **«ما من رجل يمر بقبر الرجل كان يعرفه في الدنيا فيسلم عليه إلاّ ردّ الله عليه روحه حتى يرد عليه السلام»** وفاء الوفا ٤: ١٣٥١.

وحكى عن عبد الحق في كتاب العاقبة من حديث عائشة عنه ﷺ **«ما من رجل يزور قبر أخيه فيجلس عنده إلا استأنس به حتى يقوم»** وعن أبن أبي الدنيا، عن أبي هريرة عنه ﷺ **«إذا مر الرجل بقبر يعرفه فسلم عليه رد عليه**

وروي عنه ﷺ: «**من زار قبر أبويه في كل جمعة أو أحدهما كتب باراً وإن كان في الدنيا قبل ذلك بهما عاقاً**».

وقال السبكي: وزيارة قبره ﷺ فيها هذه المعاني الأربعة، فلا يقوم غيرها مقامها[1].

انتهى كلام السمهودي حول زيارة القبور وقد ذكرته لما يشتمل من الأبعاد المختلفة.

والحاصل: أنه إذا كانت زيارة القبور مشروعة ومستحبة بجميع أنحاء القصد منها؛ فإنها مترتبة بنحوٍ أكمل على زيارة قبر النبي وأهل بيته الأطهار عليهم السلام، ولا يُفرّق بينه وبينَ أهل بيته؛ لأنهم من نوره، ولحمهم من لحمه، ودمهم من دمه، وورثة علمه وجميع صفاته وفضائله إلا النبوة، فما ثبت له ثبت لهم أيضاً.

وهناك أقوال أُخر للأعلام حول زيارة القبور ذكرتها في مسألة زيارة النساء للقبور ستوافيك عن قريب.

السلام وعرفه وإذا مر بقبر لا يعرفه فسلم عليه رد عليه السلام ·

ثم قال السمهودي: والآثار في هذا المعنى كثيرة، وقد ذكر ابن تيمية في اقتضاء الصراط المستقيم ج٢ : ١٧٨ كما نقله ابن عبد الهادي أن الشهداء، بل كل المؤمنين إذا زارهم المسلم وسلّم عليهم عرفوا به، وردوا عليه السلام. فإذا كان هذا في آحاد المؤمنين فكيف بسيد المرسلين ﷺ انتهى كلامه. وفاء الوفا ٤: ١٣٥١.

ولاحظت أنه أراد في ضمن ذكر أحاديث زيارة قبور المسلمين وإثبات أنهم يعلمون بمن يزورهم ويستأنسون به ويردون عليه إثبات مشروعية زيارة قبره ﷺ وثبوت هذه الخصائص له ﷺ بألاولوية، وهذا هو غرضنا من ذكر الأدلة العامة.

(١) وفاء الوفا ٤: ١٣٦٣.

٥ ـ السيرة

زيارة النبي ﷺ للقبور

عن عائشة: كان ﷺ يخرج إلى البقيع فيقول: «**السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وآتاكم ما توعدون غداً مؤجلّون، وإنا بكم إن شاء الله لاحقون، اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد**»[١].

وعن أبي هريرة: أنّ رسول الله أتى المقبرة فقال: «**السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، ووددت إنا قد رأينا إخواننا**».

قالوا أو لسنا إخوانك يا رسول الله؟

قال: «**بل أنتم أصحابي وإخواني الذين لم يأتوا بعد**»، قالوا: كيف تعرف من لم يأت بعد من أمتك يا رسول الله! قال: «**أرأيت لو أن رجلا له خيل غر محجلون بين ظهري خيل دهم بهم، ألا يعرف خيله**»! قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «**فإنهم يأتون غراً محجلين من الوضوء وأنا فرطهم على الحوض، ألا ليذادن رجال عن حوضي كما يذاد البعير الضال أناديهم ألا هلم، فيقال إنهم بدلوا بعدك، فأقول سحقاً سحقاً**»[٢].

وفي هذا الحديث إشارة إلى الفتنة التي وقعت بعده ﷺ وكان يحذر الناس كرارا من الوقوع فيها ومخالفة أمره ووصيته.

وعن ابن جريج قال: حدثت أن النبي ﷺ كان ينطلق بطوائف من

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، والبيهقي في السنن ٤: ٧٩ وج ٥: ٢٤٩ والشربيني في المغني ٢: ٣٥٧ وغيرهم.

(٢) مسند ابن حنبل ٢: ٤٠٨، السنن الكبرى للبيهقي ٤: ٧٨ ط دار المعرفة بيروت، شعب الايمان ٣: ١٦.

أصحابه إلى دفنى البقيع، فيقول: «**السلام عليكم يا أهل القبور، لو تعلمون مما نجاكم الله مما هو كائن بعدكم**»، ثم يلتفت إلى أصحابه، وفيهم يؤمئذ الأفاضل، فيقول: «**أنتم خير أم هؤلاء؟**» فيقولون: نرجوا أن لا يكونوا خيراً منا هاجرنا كما هاجروا وجاهدنا كما جاهدوا، فيقول: «**بل هم خير منكم، قد مضوا ولم يأكلوا من أجورهم شيئا، وإنكم تأكلون من أجوركم، فإن هؤلاء قد مضوا، وقد شهدت لهم، وإني لا أدري ما تحدثون بعدي**»[١].

هذا الحديث وما قبله فضلاً على ما فيه من مشروعية زيارة القبور، فيه دلالة أيضاً على وقوع الفتنة بعد النبي ﷺ وتنبيهه لأصحابه بأن الفضل والفخر لمن وقع في الفتنة وثبت فيها على دينه وإيمانه والعمل بوصية نبيه، وليس الفضل في مصاحبته أو المهاجرة معه وإن كان فيهم شيء من النفاق.

ثم إن قوله ﷺ: «**لا أدري**» ليس معناه عدم علمه ﷺ بمن يسقط في الفتنة، بل معناه التشكيك في إيمانهم حتى يكونوا في حذرٍ ويؤيده تصريحه ﷺ لبعضهم وتحذيرهم من التخلف.

وروي أن النبي ﷺ زار قبر أمّه آمنة عند رجوعه من الحديبية فى طريقه إلى الأبواء فأصلحه وبكى عنده وبكى المسلمون لبكائه[٢].

وورد هذا الحديث بإضافة مردودة لعدم تناسبها مع شأن النبي ﷺ ووالديه، ومخالفتها لقوله تعالى: ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾[٣] وطائفة من الروايات المصرحة بطهارة آباء النبي ﷺ وإيمانهم.

---

(١) المصنف لعبد الرزاق ٣: ٥٧٥.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد: ١ / ١١٦.

(٣) الشعراء: ٢١٩.

أما مخالفتها للآية الشريفة، فلما قاله أكثر مفسري العامة والإمامية من أنّ أحد الوجوه في الآية الكريمة: هو أنّ الله تعالى نقل روحه الشريفة من صلب ساجد إلى ساجد. وفي بعضها: يعني تقلبه من صلب نبي إلى صلب نبي آخر حتى أخرجه نبياً، رواه البزار وابن أبي حاتم من طريقين عن ابن عباس[١]، وهذا الوجه لا ينافي سائر ما ذكر من الوجوه، بل ويؤيده قوله ﷺ: «**لم أزل أُنقل من أصلاب الطاهرين إلى أرحام المطهرات**»[٢] وبما أن الكافر نجس لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ [٣] فلا بدّ أن يكون آباؤه عليهم السلام مؤمنين بالله جل جلاله.

ويؤيده أيضاً الروايات التي تدل على أنّ أباء وأجداد النبي المصطفى ﷺ من أشرف الآباء إلى آدم، وقد أوردها البخاري في صحيحه والبيهقي في دلائل النبوة وغيرها.

ومن طرق الإمامية:

قال الإمام الباقر عليه السلام في ذيل الآية: في أصلاب النبيين صلوات الله عليهم أجمعين، وقال الباقر والصادق عليهما السلام في توضيح هذه الجملة: في أصلاب النبيين نبي بعد نبي حتى أخرجه من صلب أبيه عن نكاح غير سفاح من لدن آدم[٤].

وقال النبي ﷺ: «**لم يزل ينقلني الله من أصلاب الطاهرين إلى أرحام**

---

(١) تفسير ابن كثيرالدمشقي ٦:١٥٥ ط دار الكتب العلمية بيروت، معالم التنزيل للبغوي ٤:٢٨٠

(٢) تفسير الفخر الرازي ٢٤: ١٧٤

(٣) التوبة:٢٨.

(٤) مجمع البيان ٧: ٣٢٤.

المطهرات حتى أخرجني في عالمكم هذا، لم يدنسني بدنس الجاهلية»[١].

ولا ينبغي الإشكال على ضرورة كون آبائه ﷺ مؤمنين، بقوله تعالى: ﴿وإذْ قَالَ إبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ آزَرَ﴾[٢]، لأنّ الجواب أنّ آزر لم يكن أباه، بل كان عمه والأب قد يطلق على العم، كما قال أبناء يعقوب له: ﴿نَعْبُدُ إلَهَكَ وإلَهَ آبَائِكَ إبْرَاهِيمَ وإسْمَاعِيلَ وإسْحَاقَ﴾[٣] فسموا إسماعيل أباً له مع أنه كان عماً له وأمثال هذه المؤيدات كثيرة.

هذا وقد أُلِّفت في هذه المسألة كتب كثيرة لأئمة المذاهب، وأثبتوا ما ذهبنا إليه، منها ما ألفه السيوطي وسماه مسالك الحنفاء في إسلام والدي المصطفى فراجع.

والحاصل: أنّ الذيل المذكور في الرواية مردود من جميع الجهات، فالذي يهمنا كدليل من هذه الرواية، هو نفس الزيارة المتفق عليها.

زيارة وصي الرسول المصطفى عليه السلام للقبور

قد ورد في الروايات الكثيرة ما يدل على أنّ وصي الرسول المصطفى أمير المؤمنين عليه السلام قد زار القبور وكلّم الموتى،بل يظهر من بعضها أنّ الموتى قد أجابوه، منها: ما جاء في مختصر تاريخ دمشق لابن منظور، عن كميل بن زياد، قال: خرجت مع علي بن أبي طالب فقال: يا أهل القبور يا أهل الوحشة ما الخبر عندكم.... ثم التفت إلي فقال: يا كميل لو أذن

---

(١) مجمع البيان ٤ : ٩٠ ، بحار الأنوار ١٥ : ١١٧ ح٦٣ ، تفسير نور الثقلين ٤/ ٦٩.

(٢) الأنعام: ٧٤.

(٣) البقرة: ١٣٣.

لهم في الجواب لقالوا: إن خير الزاد التقوى[١].

وفي أمالي الطوسي مسنداً عن صهيب بن عباد بن صهيب عن جعفر بن محمد عليه السلام قال: مر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بالمقبرة ـ ويروى بالمقابر ـ فسلم، ثم قال: السلام عليكم يا أهل المقبرة والتربة، اعلموا أنّ المنازل بعدكم قد سكنت، وأنّ الأموال بعدكم قد قُسّمت، وأن الأزواج بعدكم قد نكحت، فهذا خبر ما عندنا، فما خبر ما عندكم؟

فأجابه هاتف من المقابر يُسمع صوته ولا يُرى شخصه: عليك السلام يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، أما خبر ما عندنا، فقد وجدنا ما عملنا، وربحنا ما قدمنا، وخسرنا ما خلفنا، فالتفت إلى أصحابه فقال: أسمعتم؟

قالوا: نعم يا أمير المؤمنين، قال: فتزودوا فإن خير الزاد التقوى[٢].

وهذا الحديث فيه تنبيه ودرس وتوعية للإنسان من جهة ترك الانهماك والحرص على الدنيا الدنية الفانية وترك المعاصي والتعدي على حقوق الآخرين.

فللإنسان الذي يرى عاقبة أعزائه وأصدقائه إلى أين كانت وإنهم قد سكنوا البيوت الموحشة المظلمة المملوة من الدود والعقارب، وصارت أيديهم خالية مما كانوا يملكونه في دار الدنيا، ولم يبق لهم إلاّ عملهم،فإن كان صالحاً فهم في رغد وعيش وسرور، وإن كان سيئاً فهم في العذاب والندامة يقول رب ارجعون لعلي أعمل صالحاً.

فيجاب: كلا إنها كلمة هو قائلها، فالكيس من استعد لسفر آخرته وعمل لها وترك الحرص على الدنيا والانهماك في المعاصي واللذات الفانية.

---

(١) مختصر تاريخ دمشق لابن منظور١١: ٢٢٠

(٢) أمالي الطوسي ٥٥: ٧٦ح ٤٥

زيارة بضعة الرسول فاطمة البتول للقبور

قد ورد في بعض الأخبار أنّ فاطمة سلام الله عليها كانت تزور قبر عمها حمزة سيد الشهداء كل جمعة، فتصلّي وتبكي عنده[١].

وورد في بعضها أنها كانت تأتي قبور الشهداء بين اليومين والثلاثة، فتبكي عندهم وتدعو.

زيارة الحسين بن علي عليهما السلام للقبور

جاء في مختصر تاريخ دمشق لابن منظور، أنه قال إسحاق بن إبراهيم: بلغني أنّ الحسين بن علي أتى مقابر الشهداء فطاف بهم، وقال:

ناديت سكان القبور فأسكتوا وأجابني عن صمتهم ندب الحشى[٢]

زيارة عائشة للقبور

ورد أن عائشة زارت قبر أخيها عبد الرحمن، فلما اعترضها عبد الله، قالت: نهى رسول الله صلى الله عليه وآله عن زيارة القبور ثم أمر بزيارتها[٣].

زيارة ابن عمر للقبور

ورد عن نافع أنه قال: كان ابن عمر يمرّ على قبر واقد أخيه، ويقف عليه فيدعو له ويصلي عليه[٤].

---

(١) أخرجه البيهقي في سننه ٤: ٧٩، ثم قال رواه مسلم في الصحيح عن يحيى بن يحيي وغيره، والحاكم في المستدرك ١: ٣٧٧.

(٢) مختصر تاريخ دمشق ٧: ١٣٢

(٣) رواه الحاكم في المستدرك ١: ٣٧٦، والبيهقي في السنن الكبرى ٤: ٧٨ ط دار المعرفة بيروت.

(٤) المصنف لعبد الرزاق ٣: ٥٧٠.

وهنا نقول: إنّ هذه نماذج من السيرة في زيارة القبور وإنما اقتصرت على ذكر سيرة مؤسس الشريعة ووصيه وخليفته وابنته الصديقة الطاهرة وابنه الشهيد وزوجته وابن عمر لتكون حجة على أهل الذريعة، وأما عمل سائر المسلمين من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين وسائر المسلمين فهو أوضح من أن يحتاج إلى سرد وتطويل الكلام وستتعرف على نبذة منه في سائر فصول الكتاب.

والحاصل أنّ الادلة والأخبار متظافرة على استحباب زيارة القبور، ولا حاجة إلى التفصيل فيها أكثر مما قدمنا.

على أن في ما ورد من الروايات الدالة على أن حرمة المسلم ميتاً كحرمته حياً، كفاية على رجحان الزيارة، فمشروعية زيارة القبور أوضح من الشمس في رائعة النهار.

فعليه إذا كانت زيارة قبور المؤمنين مشروعة وممدوحة، فزيارة قبره الشريف وقبور الأئمة عليهم السلام وسائر الأنبياء والأولياء بطريق أولى. ومن أعظم منه ومن أهل بيته شأناً؟ فهم أحق بهذا الأمر الراجح.

فتحصّل من جميع ما قدمناه أن أحد الأدلة على مشروعية زيارة قبر النبي والأئمة عليهم السلام ورجحانها،هي الأدلة العامة التي تدل على استحباب زيارة القبور، وكان الغرض من ذكرها جعلها كدليل مستقل لمشروعية زيارة قبره وقبور أهل بيته عليهم السلام.

الكلام في النهي الوارد عنه ﷺ في الزيارة

وأما النهي الأول الوارد فيها،مثل قوله ﷺ: «**إني كنت قد نهيتكم**» وأمثاله، فمع الغضّ عن أنه لم يأت من طرق أهل البيت عليهم السلام الذين هم أدرى بما في البيت وبناءً على تسليمه، فالمظنون قوياً أنه إنما نهى عن زيارة

قبور المشركين والتفاخر بالآباء والأحساب كما كان سائداً في الجاهلية.

ومن المحتمل أن النهي قد صدر لأجل أن أكثر الأموات في أول الإسلام كانوا من المشركين، فنهى النبي عن زيارتهم باعتبار الأعم الأغلب، ولكن لما كثر المؤمنون بينهم رخّص فيها بإذن الله، وأشار إلى ما فيها من فوائد، كتذكّر الموت والآخرة و... .

ولا ينبغي الشك في أنّ هذه الآثار والفوائد هي حكمة كاملة للترخيص والتحريض عليها، والأمر بها.

ويحتمل أيضا أنّ النهي عن زيارة القبور كان في ابتداء الإسلام فقط؛ لأنّها كانت موجبةً للجبن والتراجع والضعف عن الجهاد، فنهى الرسول ﷺ عن الزيارة في هذا الظرف لا غير، ولكن لّما قوي الإسلام واستحكمت قواعده أمرهم بها، لما فيها من الفضل، وقد أشار إلى هذين الإحتمالين الأخيرين بعض الأعلام والله العالم.

ولكن مهما كان سبب النهي فهو منسوخ، والروايات السابقة أنبأت عن ذلك بوضوح.

أثر الزيارة دليل على صحتها

ثم إنّ زيارة القبور يترتب عليها آثار أخلاقية وروحية مهمة، فإن من يشاهد هذه القبور ويتذكّر مَن دُفِن فيها من أصدقائه وأقربائه، خصوصاً أولئك الذين كانوا في الحياة أكثر ولهاً وطمعاً وحرصاً عليها، والذين جمعوا ما جمعوا من الأموال وشيّدوا العمارات الشاهقة وغير ذلك ممّا كان بالتعدي على حقوق الآخرين وسفك الدماء ومعصية الله سبحانه، ومنع الحقوق، وقد تركوها إلى غيرهم وصارت أيديهم منها صفرات فلم يبق عليهم سوى وبالها ووزرها وحسابها.

فبهذا التذكّر والتفكر يرجع الإنسان إلى نفسه ويصمّم على تركِ الطمع والحرص على الدنيا الدنيّة، ويغيّر أعماله وحالاته الرذيلة، ويسعى في تحصيل الصفات العالية والعمل للآخرة.

ولهذا ورد الأمر بالذهاب إلى محل آثار الماضين والسلاطين واستحباب قراءة ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾[1].

وإلى هذه الآثار أشار النبي ﷺ بقوله: «تذكركم الموت، تذكركم الآخرة، تزهدكم في الدنيا و...».

وفي زيارة قبور الأنبياء والأولياء والصلحاء والحضور عندهم أيضاً تترتب آثار عجيبة مضافا لما تقدّم، فإنها توجب تقرّب الإنسان من الله وتبعّده عن الشيطان، حيث إن بعض هؤلاء المزورين كانوا في حياتهم مظهرين لعبادة الله وتوحيده ومصاديق لجميع الصفات العالية، فلمّا يحضر الزائر عندهم يذكر تلك الخصوصيات والأعمال العظيمة والمواقف الشريفة والعبادة والنُسُك والقداسة التي كانت عندهم عليهم السلام.

ويذكر مواعظهم ويسألهم كل ذلك ويستحضره وكأنه يعيش بينهم، فتحصل عنده صفة الانتباه والوعي لأجل أن يمشي على طريقهم ويحقّق أهدافهم، وينال ما نالوا ووعدوا به.

ولذا نرى أن قاطبة زوار قبر النبي والمشاهد المشرفة أكثر مواظبة على ذكر الله والصلاة وتلاوة القرآن في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه، بل صارت قبورهم محلا للاجتماعات والمواعظ الدينية التي تحثّ الناس للتوجّه إلى الله والابتعاد عن الجبت والطاغوت وكلّ ما يشغلهم عن ذكر الله،فهذه الاعتاب تصير سبباً لتركيز كلمة التوحيد في قلوب المسلمين، فأين هذا من الشرك بالله العظيم؟ فمن اليقين أن من منع عن

---

(١) الدخان: ٢٥.

هذا الأمر القويم يكون قد صدّ عن الله العظيم وصار في خدمة أعداء الدين.

الكلام في زيارة النساء للقبور

وهنا بحث آخر وتساؤل هل الرخصة في زيارة القبور مخصوصة بالرجال، أو عامةتشمل النساء أيضاً؟

الجواب: إنّ المستفاد أولاً من الروايات الدالة على الرخصة من بعد النهي، أو الدالة على النسخ بتعبير البعض، هو الإطلاق، والشمول لكلا الصنفين.

ويؤيد هذا الإطلاق ما روي في وفاء الوفا عن ابن أبي شيبة عن أبي جعفر: أن فاطمة بنت رسول الله ﷺ كانت تزور قبر حمزة وترمّه وتصلحه وقد علّمته بحجر[1].

ورواه يحيى بنحوه عن أبي جعفر،عن أبيه علي بن الحسين، وزاد: فتصلي هناك وتدعو وتبكي حتى ماتت[2].

وروى الحاكم عن علي عليه السلام: أن فاطمة كانت تزور قبر عمها حمزة كلّ جمعة فتصلّي وتبكي عنده[3].

ويؤيّده أيضاً ما قام به النبي ﷺ، فقد زار البقيع مع زوجته عائشة، حيث روت عن النبي ﷺ: «**أن جبرئيل أتاه، فقال له: إنّ ربك يأمرك أن تأتي أهل البقيع فتستغفر لهم**»، قالت: قلت له: كيف أقول لهم يا رسول

---

(١) وفاء الوفا ٣: ٩٣٢.

(٢) نفس المصدرالسابق.

(٣) نفس المصدر السابق، المصنف لابن عبد الرزاق ٣: ٥٧٢.

الله؟ قال: « قولي: السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين...» [١].

فلو لم يكن الأمر شاملاً للنّساء لنهى النبي عائشة حين سألته عن كيفية الزيارة ولم يعلّمها.

والحاصل أنه قد استدل كثير من أعلام الشيعة والسنة بهذه العمومات والمؤيدات على شمول الرخصة للنساء وعدم التفرقة بينهما.

إلا أن في أهل السنة من يرى الكراهة لزيارة النساء للقبور ولا نرى من أفتى بالحرمة إلا بعض الوهابية.

دليل القائلين بالكراهة للنساء

والسبب لهذه الفتيا هو وجود رواية ظاهرها مفيد للنهي منقولة من طُرق مختلفة.

الطريق الأول: عن أبي صالح يحدث عن ابن عباس قال: لعن رسول الله زائرات القبورو المتخذين عليها المساجد والسروج[٢].

الطريق الثاني: روى ابن ماجة، حدثنا أزهر بن مروان، حدثنا عبد الوارث، حدثنا محمد بن جحادة، عن أبي صالح، عن ابن عباس: لعن رسول الله زوّارات القبور[٣].

الطريق الثالث: روى ابن ماجة بأسانيده عن سفيان، عن عبد الله بن عثمان بن خشم، عن عبد الرحمن بن سليمان، عن عبد الله بن حسان بن ثابت، عن أبيه مثله[٤].

---

(١) صحيح مسلم: ٣ ص٦٤ باب ما يقال عند دخول القبور.

(٢) سنن أبي داود ٢: ٨٧، والسنن الكبرى للبيهقي ٤: ٧٨.

(٣) سنن ابن ماجة ١: ٥٠٢ كتاب الجنائز، السنن الكبرى ٤: ٧٨.

(٤) سنن ابن ماجة ١: ٥٠٢، السنن الكبرى ٤: ٧٨.

الطريق الرابع: من أبي هريرة وهو:

حدثنا محمد بن خلف العسقلاني أبو نصر حدثنا محمد بن طالب، حدثنا أبو عوانّة، عن عمر بن أبي سلمة، عن أبيه، عن أبي هريرة مثله، وقد رواه أبو داود بلفظ زوارات القبور ونقله ابن تيميّة منه في رسالة زيارة القبور[1].

وهذه الرواية على فرض تسليم سندها مع اختلاف طرقها، ففي بعضها عن ابن عباس وبعضها عن حسان بن ثابت، عن أبيه وبعضها عن أبي هريرة ومع الغض عن القدح فيها لاضطراب متنها ـ ففي بعض الطرق وردت بكلمة زائرات باسم الفاعل، وبعضها بصيغة المبالغة (زوارات) وفي بعضها قد سقطت الجملتان الأخيرتان (والمتخذين عليها المساجد والسُرُج) ـ.

فهي منسوخة بما ذكرنا من الروايات العامة الدالة على الترخيص؛ فإن ورود هذه الروايات كان متأخراً عن تلك الروايات الناهية.

وأفضل دليل على النسخ وإثبات الترخيص، هو زيارة رسول الله ﷺ في أواخر عمره الشريف[2] مع عائشة وتعليمه إياها وعدم منعها، وهكذا

---

(١) المصدر السابق، وقد تعرض السيد الأمين لسنده في كشف الارتياب وأثبت ضعفه لما فيه من الضعفاء، فراجع: ٣٢٧.

(٢) كما ورد عن محمد بن عمر، حدثني إبراهيم بن إسماعيل بن عبد الرحمن المخزومي، عن أبيه عن عائشة قالت: وثب رسول الله ﷺ من مضجعه من جوف الليل، فقلت: أين بأبي أنت وأُمي يا رسول الله؟ قال: «**أُمرت أن أستغفر لأهل البقيع**». قالت: فخرج رسول الله ﷺ وخرج معه مولاه أبو رافع، فكان أبو رافع يحدّث، قال: استغفر رسول الله ﷺ لهم طويلاً ثم انصرف وجعل يقول: «**يا أبا رافع إني قد خيرت بين خزائن الدنيا والخلد ثم الجنة، وبين لقاء**

زيارة فاطمة عليها السلام الشهداء وعمها، وهكذا زيارة عائشة لقبر أخيها عبد الرحمن واعتراض عبد الله عليها وقولها في الجواب: نهى رسول الله عن زيارة القبور ثم أمر بزيارتها كما تقدم في الروايات.

فإذا ثبت سقوطها بالضعف سنداً أو الاضطراب متناً، مضافاً إلى النسخ، فلا حاجة إلى البحث في دلالتها، وأنها هل تدل على الكراهة أو الحرمة، بل تبقى زيارة النساء تحت عموم الأدلة المرخّصة الدالة على الاستحباب، مضافاً لما ذكرنا من زيارة رسول الله ﷺ وفاطمة عليها السلام وعائشة.

ربي والجنة، فاخترت لقاء ربّي». ويظهر منها أنه كان في آخر عمره الشريف. سنن النبي لابن سعد: ٤٦٢.

وأيضاً: أخبرنا محمد بن عمر، حدثني إسحاق بن يحيى بن طلحة، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جدّه، عن أبي مؤيهبة مولى رسول الله ﷺ قال قال رسول الله ﷺ في جوف الليل: «**يا أبا مؤيهبة إني قد أُمرت أن أستغفر لأهل البقيع فانطلقْ معي**». فخرج وخرجت معه حتى جاء البقيع، فاستغفر لأهله طويلاً ثم قال: «**ليَهنئكم ما أصبحتم فيه مما أصبح الناس فيه، أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يتبع بعضها بعضاً، يتبع آخرها أوّلها، الآخرة شرّ من الأُولى**». ثم قال: «**يا أبا مؤيهبة، إني قد أُعطيت خزائن الدنيا والخلد ثم الجنة، فخيرّت بين ذلك وبين لقاء ربي والجنة**». فقلت: بأبي أنت وأُمي فخذ خزائن الدنيا والخلد ثم الجنة. فقال: «**يا أبا مؤيهبة، قد أخذت لقاء ربي والجنة**». فلما انصرف ابتدأه وجعه فقبضه الله ﷺ. سنن النبي لابن سعد ٤٦٣.

وهذه الرواية أيضا صريحة بأن الزيارة كانت في آخر عمره الشريف، وتثبت نسخ النهي السابق. وفيها إشارة إلى الفتن التي كان يحذر الناس منها ،كما تقدم سابقاً

نعم لو لم نقل بضعفها واضطرابها أو نسخها بالعمومات المرخّصة وعمل النبي ﷺ وفاطمة وعائشة، وبقيت هذه الرواية بلا معارض، فكلمة (اللعن) تدل على الكراهة لا الحرمة، حيث إنّ هذه الكلمة قد وردت في كثير من الروايات مثل قوله ﷺ: في وصيته لعلي عليه السلام: «**وكره أن ينام الرجل في بيت وحده، يا علي لعن الله ثلاثة، آكل زاده وحده، وراكب الفلاة وحده، والنائم في بيت وحده...**»[١].

وقوله ﷺ: «**ملعون من ألقى كلّه على الناس**»[٢].

وقال الإمام الحجة عليه السلام: ملعون من أخر العشاء إلى أن تشتبك النجوم ملعون ملعون من أخر الغداة إلى أن تنقضي النجوم[٣].

ولم يقل أحد بدلالتها على الحرمة، ولم أدرِ كيف ثبتت لهم الحرمة من هذه الرواية فقط، فإن مفادها هو البعد عن رحمة الله كما في كتب اللغة، اللعن: هو الإبعاد والطرد من الخير، وقيل:الطرد والابعاد من الله[٤].

---

(١) الوسائل ٢: ٥٨٢ أحكام المساكن.

(٢) الوسائل ٦: ١٨.

(٣) الاحتجاج للطبرسي ٤٧٩، الوسائل ٤: ١٤٧ باب ٢١ من أبواب المواقيت طبع مؤسسة آل البيت. ومثل ما روي في كتاب جامع الأخبار عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «**أتاني جبرئيل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل مع كل واحد ثمانون ألف ملك فقالوا يا محمد الجبار يقرئك السلام ويقول بلّغ أُمتك أنه من مات مفارق الجماعة لا يجد رائحة الجنة وإن كان أكثر عملا من أهل الأرض لا أقبل منه صرفاً ولا عدلاً يا محمد تارك الجماعة عندي ملعون وعند الملائكة ملعون وقد لعنتهم في التوراة والإنجيل والزبور والفرقان، يا محمد تارك الجماعة يصبح ويمسي في لعنة الله...**» جامع الأخبار للشيخ محمد السبزواري من أعلام القرن السابع: ١٩٨ طبع مؤسسة آل البيت.

(٤) لسان العرب: ١٢ حرف اللام.

نعم قد أفتى عدّة من علماء الجمهور بالكراهة، وأكثرهم قد علّل ذلك بجزعهن وعدم صبرهن أو افتتان الرجال عند حضورهن وإليك متن كلام بعضهم:

أقوال علماء الجمهور في زيارة النساء للقبور

١ـ قال الشيخ منصور علي ناصف من علماء الأزهر في كتاب «التاج الجامع للأُصول في أحاديث الرسول»: الأمر في زيارة القبور للندب عند الجمهور، وللوجوب عند ابن حزم ولو مرة واحدة في العمر.

وقال أيضا: زيارة النساء للقبور جائزة بشرط الصبر وعدم الجزع وعدم التبرّج وأن يكون معها زوج أو محرم منعاً للفتنة،لعموم الحديث الأول،ولقول عائشة: كيف أقول لهم يا رسول الله؟ إلى آخره ولزيارة عائشة قبر أخيها عبد الرحمن، فلما اعترضها عبد الله قالت... إلى آخره[١].

٢ ـ قال الشيخ عبد الباسط بن الشيخ علي الفاخوري المفتي ببيروت في كتابه «الكفاية لذوي العناية»: يسنّ زيارة القبور للرجال وتكره للنساء إلا القبر الشريف وكذا قبور بقية الأنبياء والصالحين... [٢].

٣ ـ قال الشيخ أبو البركات حسن بن عمار بن علي المكنّى بابن الاخلاص الوفائي الشرنبلالي الحنفي المتوفى ١٠٦٩هـ في حاشية غرر الأحكام: زيارة القبور مندوبة للرجال، وقيل تحرم على النساء، والأصح أن الرخصة ثابتة لهما... [٣].

٤ ـ قال فقهاء المذاهب الأربعة: زيارة القبور مندوبة للاتعاظ وتذكّر

---

(١) التاج الجامع للاصول ١: ٣٨١ الطبعة الخامسة ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

(٢) الكفاية لذوي العناية: ٨٠.

(٣) حاشية غرر الأحكام المطبوعة بهامش درر الأحكام ١: ١٦٨

الأخرة، وتتأكد يوم الجمعة ويوماً قبلها ويوماً بعدها وينبغي للزائر الاشتغال بالدعاء والتضرع والاعتبار بالموتى وقراءة القرآن للميت فإن ذلك ينفع الميت على الأصح... [1].

ثم قالوا: ولا فرق في الزيارة بين كون المقابر قريبة أو بعيدة، بل يندب السفر لزيارة الموتى خصوصاً مقابر الصالحين، أما زيارة قبر النبي فهي من أعظم القرب، وكما تندب زيارة القبور للرجال تندب أيضا للنساء العجائز اللاتي لا يخشى منهن الفتنة إن لم تؤدّ زيارتهن إلى الندب أو النياحة وإلا كانت محرّمة.

فقد اتضح لك من خلال كلمات الأعلام أنّ هذه الكراهة التي قال بها بعضهم من جهة بعض المفاسد التي تحصل تارة خلال زيارتهن، وإلا فنفس زيارتهن لا منع فيها، وكما تندب وتستحب للرجال تندب للنساء أيضاً.

وقد أجاب عن هذا الاشكال (المفسدة) ابن حجر الهيثمي المتوفى ٩٧٣هـ لما سئل عن زيارة قبور الأولياء في زمن معين مع الرحلة إليها هل تجوز؟ مع أنه يجتمع عند تلك القبور مفاسد كثيرة كاختلاط النساء بالرجال، وإسراج السُرج الكثيرة وغير ذلك، بقوله:

زيارة قبور الأولياء قربة مستحبة وكذا الرحلة إليها... إلى أن قال وما أشار إليه السائل من تلك البدع أو المحرمات، فالقربات لا تترك لمثل ذلك، بل على الإنسان فعلها وإنكار البدع، بل وإزالتها إن أمكنه، وقد ذكر الفقهاء في الطواف المندوب فضلا عن الواجب أنه يفعل ولو مع وجود النساء وكذا الرمي، لكن أمروه بالبعد عنهن، وكذا الزيارة يفعلها لكن يبعُدُ عنهن وينهى عما يراه محرّماً، بل ويزيله إن قدر...

---

(١) كتاب الفقه على المذاهب الأربعة ١: ٤٢٤.

ثم قال: ومن أطلق المنع من الزيارة خوف ذلك الاختلاط يلزمه إطلاق منع نحو الرّمي والطواف، بل الوقوف بعرفة أو مزدلفة والرّمي إذا خشي الاختلاط أو نحوه، فلما لم يمنع الأئمة شيئاً من ذلك مع أن فيه اختلاطاً أيّ اختلاط، وإنما منعوا نفس الإختلاط لا غير، فكذلك هنا، ولا تغترّ بخلاف من أنكر الزيارة خشية الإختلاط؛ فإنه يتعين حمل كلامه على ما فصّلناه وقرّرناه، وإلا لم يكن له وجه، وزعم أنّ زيارة الأولياء بدعة لم تكن في زمن السلف، ممنوع، وبتقدير تسليمه فليس كل بدعة ينهى عنها، بل قد تكون البدعة واجبة فضلاً عن كونها مندوبة كما صرّحوا به[1].

وقد تبيّن إلى هنا أنّ زيارة النساء كزيارة الرجال مندوبة ولا يصح التفريق بينهما، ولهذا نرى أن المانعين الذين منعوا من زيارة النساء للقبور قد استثنوا قبر النبي ﷺ من المنع، حيث رأوا أنّ أصل منعهم لا يرتكز على منطق وبرهان، فتنـزلوا عن تلك الحدّة، وجوّزوا لهن زيارة قبر النبي ﷺ في وقت معين.

آداب الزيارة

ولزيارة القبور آداب قد ذكرها الأعلام وهي دليل آخر على المشروعية، نذكر بعضها:

وهي:

١ ـ أن يكون الزائر على طهارة.

٢ ـ أن يأتي من قبل رجلي الميت لا من قبل رأسه.

٣ ـ قراءة ما تيسر من القرآن ويستحب قراءة يس والتوحيد.

---

(١) الفتاوى الحديثة الفقهية ٢: ٩٧٣ وراجع الغدير ٥: ١٧٥.

٤ ـ رشّ القبر بالماء الطاهر.

٥ ـ التصدق عنهم.

٦ ـ أ ن يكثر من الدعاء والاستغفار لهم.

كيفية الزيارة

فقد وردت زيارات كثيرة بألفاظ مختلفة عن النبي والأئمة عليهم السلام وعن أعلام المذاهب، وهي تنبئنا عن التوسعة للزائر.

ومن الزيارات ما روتها عائشة عن النبي صلى الله عليه وآله قال: قولي:

«السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، يرحم الله المستقدمين منّا وإنا إن شاء الله بكم لاحقون».

ومنها: ما روي عن علي أمير المؤمنين عليه السلام أنه كان إذا دخل المقبرة قال: (السلام عليكم يا أهل الديار الموحشة والمحال المقفرة من المؤمنين والمؤمنات، اللهّم اغفر لنا ولهم وتجاوز بعفوك عنا وعنهم، ثم يقول: الحمد لله الذي جعل لنا الأرض كفاتا أحياءً وأمواتا، والحمد لله الذي منها خلقنا، وإليها معادنا، وعليها محشرنا طوبى لمن ذكر المعاد، وعمل الحسنات وقنع بالكفاف، ورضي عن الله عز وجل).

واعلم أن الآداب الواردة والزيارات الكثيرة التي رواها الأعلام تزيدنا دليلاً أيضاً على مشروعية الزيارة ورجحانها لقبور المؤمنين، ثم إن شرف الزيارة وكمالها وثوابها يدور مدار شرف المزور وكماله وقربه عند الله، فكلما كان قربه من الله واتصاله بالعوالم الغيبية أقوى وأكمل تكون كذلك مرتبة زيارته حتى تكون زيارته كزيارة الله تنـزيلاً وتشريفاً لا حقيقة.

الفصل الثاني

الأدلة على جواز زيارة قبر النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام وسائر الأولياء

الأدلة على جواز زيارة
قبر النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام وسائر الأولياء

أما الجواب عن مشروعية زيارة قبر النبي صلى الله عليه وآله وسائر الأئمة والأولياء عليهم السلام، هو كما قلنا في أوّل بحث زيارة القبور أنه من المتسالم عليه بين جميع الفرق الإسلامية، ولا نجد أيّ مخالف لها بين المسلمين المتقدمين والمتأخرين، وقلنا سابقاً إنّ نفس المانعين لم يعترضوا على أصل الزيارة ظاهراً، بل قالوا بعدم جواز شد الرحال إليها، لكن الذي يُظهره عملهم وتناقضهم في الكلام هو المنع مطلقا.

وقد ذكرنا الأدلة العامة لرجحان زيارة القبور مطلقاً، سواء كان نبيّاً أو غير نبي.

وكما قلنا سابقاً: إنّ نفس هذه الأدلة العامة كافية لإثبات رجحان زيارة قبر الرسول والأئمة عليهم السلام؛ لأن قبر النبي صلى الله عليه وآله من أعظم القبور وأشرفها، لعظمة من ضمنّه وشرافته، فإذا ثبت رجحان زيارة سائر القبور فقبره صلى الله عليه وآله بطريق أولى، وإذا كانت في زيارة سائر القبور تلك الآثار ففي زيارة قبره اضعافٌ مضاعفة.

ولكن مضافاً إلى ذلك، هناك أدلة كثيرة تحثّ وتؤكّد على محبوبية زيارة قبر الرسول المصطفى صلى الله عليه وآله وأهل بيته المعصومين عليهم السلام تبعاً له؛ لأنهم أوصيائه وخلفائه وورّاث علمه وخُلقه وجميع صفاته وما ثبت له إلا النبوة، فكل فضيلة ومزية ثبتت له بالدليل، التي منها زيارة قبره، فهي

ثابتة لهم تبعاً، مضافاً إلى ما ورد من الروايات الخاصة التي تحثّ على زيارتهم، وسنذكرها إن شاء الله.

الأدلة على

مشروعية زيارة الرسول

صلّى الله عليه وآله

الدليل الأول: القرآن الكريم

الدليل الثاني: السنة

الدليل الثالث: الإجماع

الدليل الرابع: العقل

الدليل الخامس: سيرة المسلمين والصالحين

الدليل السادس: ما يستفاد من الفروع والآداب المذكورة للزيارة

الدليل الأول

القرآن الكريم

الدليل الأول:

القرآن الكريم

فقد حث على زيارته ﷺ كما في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾[1].

مفهوم الزيارة

وقبل الاستدلال بالآية ينبغي بيان مفهوم الزيارة:

فالمراد من الزيارة: هو نفس الحضور والوفود والمجيء عند المزور إكراماً له واستئناساً به، والمزور سواء كان مكاناً أو انساناً، والإنسان سواءً كان نبياً أو إماما أو أحد الأولياء والعلماء، أو كان من الأقرباء أو الأصدقاء.

والحضور سواء كان لطلب الاستغفار أو بدونه، وسواء كان للاطلاع والرؤية أو العبادة، وأما التسليم فليس داخلاً في معناها، بل هو من آدابها، فإن من حضر في مكان كان من أدبه أن يسلّم على من حلّ فيه.

وهذا التسليم تارة يكون بنحوٍ خاص وارد في السنة.

وتارة لا يكون كذلك بل يسلم بأيّ نحو شاء، وهكذا الاستغفار

---

(١) النساء ٦٤.

والدعاء ليسا داخلين في معنى الزيارة، بل هما من الأُمور المستحبة التي تقع في الأمكنة المقدسة الشريفة التي لها شرف عند الله.

وقد استعملت الزيارة بهذا المعنى في موارد من القرآن منها: ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ * حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾[1] فإن زرتم قد استعمل بمعنى الحضور واللقاء.

ويؤيد ما ذكرناه من المعنى، ما حققه العلامة المامقاني من المعنى اللغوي واليك ملخصا منه:

إن الزيارة من العبادات المطلوبة شرعاً والسنن المؤكدة نقلا وعملاً، بل ورد أن الوالي يجبر النّاس على بعض الزيارات إذا تركوها رأساً، كزيارة النبي ﷺ.

وحقيقتها: الحضور لدى المزور إكراماً له واستئناساً به، وصرّح جمع من اجلاء أهل اللغة بأن الزيارة لغةً: القصد، يقال زاره يزوره زيارة: قصده، ومنه زار أخاه أى قصده ابتغاء وجه الله، وحقيق على الله أن يكرم زواره: أي قاصديه، واللهم اجعلني من زوارك: أى من القاصدين لك الملتجئين إليك.

وفي النهاية الأثيرية ومجمع البحرين وغيرهما: إن الزيارة في العرف: قصد المزور إكراماً له وتعظيماً له واستئناساً به. ولازم كون الزيارة بمعنى القصد صدق الزيارة مع تحقق قصد المزور وتحقق مانع من اللقاء لفقد المزور أو حدوث مانع من الوصول إليه ونحو ذلك[2].

---

(١) التكاثر

(٢) النهاية لا بن أثير٢: ٣١٨ زور، مجمع البحرين ٢: ٣٢٠ زور، لسان العرب ٤: ٣٣٣ ـ ٣٣٩.

كلام المامقاني في معنى الزيارة

قال المامقاني: ولي فيه تأمّل: فإن المعنى الحقيقي للزور ـ بالفتح ـ في اللغة: هو وسط الصدر أو ما ارتفع منه إلى الكتفين، أو ملتقى أطراف عظام الصدر حيث اجتمعت، والزيارة بالمعنى المبحوث عنها من ذلك، فهي بمعنى مقابلة الصدر بالصدر، ولذا فسرناها بالحضور، لفقد ذلك المعنى بمجرد القصد من دون تحقق الحضور.

وهذا الذي ذكرته من كون الزيارة بالمعنى المبحوث عنه مأخوذة من الزور بمعنى وسط الصدر قد خطر بالبال، وكنت منه على ريبة، إلى أن عثرت على تصريح أبي طاهر محمد بن يعقوب في القاموس بذلك، فحصل لي الاطمئنان به. قال: ـ بعد عد جملة من معاني الزور التي منها المضي إلى شخص للقائه إكراماً له ـ ما ترجمته: يقال زاره يزوره زواراً: الزائر يلتقي بصدره، أو يقصد لقاء صدر المزور، وذلك من لوازم المواجهة[1]. انتهى ما في القاموس.

ثم قال المامقاني ويمكن استشمام هذا الذي ذكرناه من قوله في تاج العروس: والزور مصدر زار يزوره زورا: أي لقيه بزوره أو قصد زورا أي وجهته، كما في البصا ئر، بناء على كون يزوره في قوله لقيه بزوره ـ بالباء الموحدة الجارة ـ فيكون معناه: أي لقيه بصدره[2]، فتدبر جيداً.

والحاصل: الأظهر أن الزيارة لا تحصل بدون ملاقاة المزور والحضور عنده.

وأما إعطاء الثواب له عند عدم الملاقاة، فلنية الخير التي هي خير من العمل، وقولهم:خير الزيارة فقدان المزور، مجاز.

---

(١) القاموس المحيط ٢: ٤٢.

(٢) تاج العروس ٣: ٢٤٥ الزور.

ويؤيد ذلك قوله عليه السلام في مرسلة ابن أبي عمير: وتسلم على الأئمة عليهم السلام من بعيد كما تسلّم من قريب، غير أنك لا يصلح أن تقول: أتيتك زائراً، بل تقول موضعه: قصدتك بقلبي زائراً إذ عجزت عن حضور مشهدك، ووجّهت سلامي إليك لعلمي بأنه يبلغك ﷺ، فاشفع لي عند ربك عز وجل، وتدعو بما أحببت[1].

هذا ما انتخبته من كلام المامقاني رحمه الله.

ويؤيد ما قاله من أن إطلاق الزيارة على زيارتهم من بعيد مع عدم الحضور، إطلاق مجازي ومسامحي ومن باب إعطاء الثواب، روايات أُخر وردت في باب زياراتهم عليهم السلام.

فإذا كان المراد من الزيارة هو المجيء والحضور عند المزور فهذه الآية دلت على الحث على المجيء والحضور عند الرسول ﷺ، أي على زيارته.

وإذا ثبت رجحان الحضور ـ الزيارة ـ وطلب الشفاعة منه في حياته ﷺ ثبت أيضا بعد مماته، لما قد ثبت بالأدلة المعتبرة المتفق عليها بين الجمهور بأنه ﷺ حيّ عند ربّه مرزوق يرى مقام الزائر ويسمع سلامه ويردّ جوابه، وأنّ أعمال الأُمة تعرض عليه ويستغفر لهم ويحمد الله على حسناتهم، وستأتي الأحاديث في هذا المقام.

فإذا ثبت عدم الفرق بين حياته الظاهرية وحياته البرزخية، فلا مانع من زيارته بعد مماته وطلب الإستغفار منه، وطلب حل المشكلات، وطلب الدعاء منه، فالأمر بالمجئ يمتّد إلى ما بعد مماته.

بل وقد ثبتت الحياة لسائر الموتى من الأولياء والشهداء والمؤمنين وغيرهم وتفصيل المطلب يأتي في محله.

---

(١) مرآة الكمال للمامقاني ٣: ٢٤٥.

قصة الأعرابي

وهنا قصة معروفة للأعرابي تؤيد الاستدلال بهذه الآية، وقد ذكرها أكثر علماء الجمهور بطرقهم عند ذكر هذه الآية واستحسنوا ذكرها وليس هذا إلا من أجل دلالتها الواضحة على المطلب، وهو رجحان زيارته ﷺ مطلقاً، حياً وميتاً، وسواء كان بشد الرحال أو بدونه.

قال السبكي: والآية وإن وردت في أقوام معينين في حالة الحياة، فتعم بعموم العلة كل من وجد فيه ذلك الوصف في الحياة وبعد الممات[1].

ثم قال السبكي فيما حكاه عنه السمهودي: والعلماء فهموا من الآية العموم لحالتي الموت والحياة، واستحبّوا لمن أتى القبر أن يتلوهذه الآية ويستغفر الله.

ثم قال: وحكاية الأعرابي في ذلك مشهورة نقلها جماعة من الأئمة عن العُتبي واسمه محمد بن عبيد الله بن عمر وأدرك ابن عيينة وروى عنه وقد حكاها المصنفون في المناسك من جميع المذاهب واستحسنوها ورأوها من أدب الزيارة وذكرها ابن عساكر في تاريخه، وابن الجوزي في مثير الغرام الساكن وغيرهما بأسانيدهم إلى محمد بن حرب الهلالي قال:

دخلت المدينة فأتيت قبر النبي ﷺ فزرته وجلست بحذائه، فجاء أعرابي فزاره ثم قال: يا خير الرسل إنّ الله أنـزل عليك كتاباً صادقاً قال فيه: ﴿ولَوْ أَنَّـهُـمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ ...﴾ وإني جئتك مستغفرا لذنبي، مستشفعاً بك إلى ربي، ثم بكى وأنشاء يقول:

يا خير من دفنت بالقـاع أعظمه ... فطاب من طيبهنّ القاع والاكُم

نفسي الفداء لقبر أنت ساكنه ... فيه العـفاف وفيه الجود والكرم

---

(١) شفاء السقام: ١٨٣

ثم استغفر وانصرف، فغلبتني عيني فرأيت النبي ﷺ في النوم فقال لي: يا عتبي ألحق الأعرابي فبشّره أنّ الله قد غفر له بشفاعتي، فاستيقظت فخرجت اطلبه، فلم أجده[1].

ثم ذكر السمهودي هذه القصة بطريقين آخرين عن علي عليه السلام.

الأول: قال الحافظ أبو عبد الله محمد بن موسى بن النعمان في كتابه مصباح الظلام عن ابن سعيد السمعاني أنه روي عن علي بن أبي طالب عليه السلام: أنهم بعد دفنه ﷺ بثلاثة أيام جاءهم أعرابي فرمى بنفسه على القبر الشريف على ساكنه أفضل الصلاة والسلام، وحثا من ترابه على رأسه وقال: يا رسول الله قلت فسمعنا قولك، ووعيت عن الله ما وعينا عنك، وكان فيما أنزله عليك: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾ وقد ظلمت نفسي وجئتك تستغفر لي إلى ربيّ، فنودي من القبر الشريف: إنه قد غفر لك.

الثاني: قال: وروى ذلك أبو الحسن علي بن إبراهيم بن عبد الله الكرخي، عن علي بن محمد بن علي، قال: حدثنا أحمد بن محمد بن الهيثم الطائي قال: حدثني أبي عن أبيه، عن سلمة بن كهيل، عن ابن صادق، عن علي بن أبي طالب عليه السلام، فذكر الحديث. انتهى ما في وفاء الوفا[2].

فتحصل: إنّ هذه الآية في غاية الوضوح في الدلالة على مشروعية

---

(١) وفاء الوفا ٤: ١٣٦١.

وقد ذيّله أبو الطيّب أحمد بن عبد العزيز بأبيات وقال:

وفيه شمس التقى والدين قد غربت ... من بعدما أشرقت من نورها الظُلم

حاشا لوجهك أن يبلى وقد هُديت ... في الشرق والغرب من أنواره الأُمم

(٢) وفاء الوفا ٤: ١٣٦١. وجائت هذه القصة في تفسير القرطبي أيضا، ورواها ابن كثير في تفسيره عن الشيخ أبي منصور الصباغ

زيارة قبره ﷺ والاستغفار عنده وطلب الاستغفار منه والتوسل به وطلب الشفاعة منه والمجيء عنده والذي من أحد لوازمه السفر وشد الرحل كما صدر من الأعرابي، وإنه لا فرق بين حياته ومماته، فهي تفيد العموم لحالتي الحياة والممات للمزور وهكذا الحضر والسفر للزائر.

إن قلت: كيف يستفاد منها العموم لحالتي الحياة والممات؟

قلنا: من وقوع الفعل ﴿جَاءُوكَ﴾ في سياق الشرط، فإن الفعل إذا وقع في سياق الشرط أفاد العموم؛ لأنه يصير في معنى النكرة، لتضمّنه مصدراً منكراً، والنكرة في سياق النفي أو الشرط تكون للعموم.

فالآية الشريفة طالبة للمجيء إليه ﷺ في جميع الحالات؛ لوقوع ﴿جَاءُوكَ﴾ فيها في حيّز الشرط الذي يدل على العموم.

ولأجل فهم العموم نرى كثيراً من المفسرين يذكرون معها حكاية العتبي أو (الأعرابي) الذي جاء إلى القبر الشريف، وهكذا نجد أكثر فقهاء المذاهب يذكرون هذه الآية في مناسك الحج عند الكلام في زيارة قبر النبي الأعظم وآدابها، فإن هذه التفاسير الموجودة والمناسك التي صنّفها علماء المذاهب كلها تظهر صدق دعوى الاستدلال بالآية على مشروعية مطلق الزيارة.

وبعنوان المثال إليك كلمة واحد منهم وهو العلاّمة أبو محمد ابن قدامة الحنبلي، الذي قال فيه ابن تيمية: ما دخل الشام بعد الأوزاعي أفقه من ابن قدامة، فإنه قد ذكر هذه الآية في المغني في صفة زيارة المصطفى ﷺ ما نصه:

ثم تأتي القبر فتولّي ظهرك وتستقبل وسطه وتقول: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام عليك يا نبي الله وخيرته من خلقه...

إلى أن قال بعد الثناء والصلوة على النبي: اللّهم إنك قلت وقولك الحق: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾ الخ وقد أتيتك مستغفراً من ذنوبي، مستشفعاً بكَ إلى ربّي فأسألك يا رب أن توجب لي المغفرة كما أوجبتها لمن أتاه في حياته، اللهم اجعله أوّل الشافعين، وأنجح السائلين، وأكرم الآخرين والأولين، برحمتك يا أرحم الراحمين، ثم يدعو لوالديه ولإخوانه المسلمين أجمعين[1] انتهى كلامه مع التلخيص.

وقد أنكر بعض المانعين دلالة الآية على العموم، فقال: إذ تستعمل ظرفاً لما مضى وليست ظرفاً للمستقبل، لم يقل الله سبحانه (**ولو أنهم إذا ظلموا...**) بل قال: ﴿إِذْ ظَّلَمُوا﴾، فالآية تتحدّث عن أمر قد وقع في حياة الرسول ﷺ، واستغفار الرسول بعد مماته أمر متعذر؛ لأنه إذا مات انقطع عمله إلا من ثلاث، كما قال الرسول ﷺ: «**صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له**».

فلا يمكن للإنسان بعد موته أن يستغفر لأحد، بل ولا يستغفر لنفسه أيضا؛ لأن العمل انقطع[2]. انتهى كلامه.

فلاحظ هذا الشخص كيف تحدّى وتجاسر على صاحب الرسالة المحمدية حيث جعله أقل من الشهداء، وحتى من سائر الموتى الذين ثبتت الحياة البرزخية لهم بعد موتهم واستغفارهم ودعائهم ووو كما سيأتي في محله.

والجواب عنه: **أولاً**: إنّ إذ لا تستعمل في الماضي فقط، بل تستعمل في المستقبل أيضاً ولها معان أُخرى ذكرها ابن هشام في مغني اللبيب،وقد

---

(١) المغني لابن قدامة ٣: ٥٩٠.

(٢) هو محمد بن صالح العثيمين، في فتاواه ١: ٨٩ ولاحظ رفع المنارة ٦١.

صرّح به الأزهري، فقال في تهذيب اللغة: العرب تضع (إذ) للمستقبل و(إذا) للماضي[١]. وله شواهد في القرآن الكريم، مثل قوله تعالى:

﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ﴾[٢] وقوله: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى رَبِّهِمْ﴾[٣] وقوله: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ﴾[٤] وقوله: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾[٥] ففي جميع هذه الآيات قد استعملت (إذ) للمستقبل.

وثانياً: إن استغفاره ﷺ غير متعذّر وعمله غير منقطع، كيف وقد صحّ عنه ﷺ: «الأنبياء أحياء في قبورهم يصلّون»[٦].

وقال ﷺ: «مررت على موسى وهو قائم يصلي في قبره»[٧].

وورد أن النبي ﷺ صلى إماماً بالأنبياء عليهم السلام في الإسراء، وكانوا قد ماتوا جميعاً، وراجعه موسى عليه السلام في الصلاة.

فإذا ثبتت حياة الأنبياء ثبتت حياته بطريق أولى؛ لأنه منهم، بل أكملهم وأشرفهم وأعظمهم درجة عند الله، وهكذا ثبتت صلاته

---

(١) تهذيب اللغة ١٥: ٤٧.

(٢) الأنعام: ١٢٧

(٣) الأنعام: ١٣٠

(٤) الأنعام: ٩٣

(٥) السجدة: ١٢

(٦) أخرجه البيهقي في حياة الأنبياء ٢: ٤٤ وأبو يعلي في مسنده ٦: ١٤٧ وأبو نعيم في أخبار اصبهان ٢: ٤٤ وابن عدي في الكامل ٢: ٧٣٩ ،وقال الهيثمي في المجمع ٨: ٢١١ ورجال أبي يعلي ثقات والحديث له طُرق.

(٧) أخرجه مسلم: ٤/ ١٨٤٥وأحمد: ١٢٠/٣ والبغوي في شرح السُنة: ١٣/ ٣٥١ وغيرهم.

واستغفاره، فإن الصلاة دعاء وتضرع واستغفار.

فمع هذه الأحاديث الصحيحة المتواترة كيف يقول بانقطاع عمله وتعذر استغفاره؟!

والحال أنه قد صح عنه ﷺ: «**حياتي خيرلكم تحدثون وأحدّث لكم، ووفاتي خير لكم تُعرض عليّ أعمالكم فما رأيت من خير حمدت الله عليه، وما رأيت من شر استغفرت لكم**»[1].

فما أصرح من هذا الحديث الشريف؟! وليت شعري هل أنه علم بهذه الأحاديث الصريحة، ولكن تبع هواه، أم كان من الجاهلين فتجرأ بجهله بالمداخلة في أمر الدين؟

وما أدري هل نسي آية حياة الشهداء وأنهم يرزقون؟ أو تصور أن رتبته ﷺ أقل من رتبتهم؟ العياذ بالله من الغفلة والنسيان.

وفضلاً عن جميع ما قدّمناه، فإن استغفار الرسول ﷺ قد حصل لجميع المؤمنين والمؤمنات سواء من أدرك حياته ومن لم يدركها، فقد قال الله تعالى: ﴿واسْتَغْفِرْ لذَنْبِكَ وللْمُؤْمنينَ والْمُؤْمنَاتِ﴾[2].

وهذه مّنةَ منه علَى المؤمنَين والمؤمنَات، وخصوصية من خصوصيات رسول رب العالين،ولهذا قال عاصم بن سليمان التابعي لعبد الله بن سرجس الصحابي: استغفر لك رسول الله ﷺ؟ فقال: نعم ولك، ثم تلا هذه الآية، رواه مسلم[3].

---

(١) قال عنه الحافظ العراقي في طرح التثريب: ٣/ ٢٩٧ إسناده جيّد، وقال الهيثمي في المجمع: ٩/ ٢٤ رواه البزار ورجاله رجال الصحيح وصححه السيوطي وغيره.

(٢) سورة محمد: ١٩.

(٣) صحيح مسلم ٧/ ٨٦ كتاب الفضائل باب إثبات خاتم النبوة وفي طبعة أخرى: ٤/ ١٨٢٣ ولاحظ الشمائل للترمذي رقم ٢٢.

وهذا الاستغفار شامل لجميع من جاء عنده واستغفر من ذنبه وطلب الاستغفار منه سواء كان في حياته أو بعدها، فإذا تحققت تلك الأمور الثلاثة، إذن يجدون الله تواباً رحيماً ولا يخص طائفة خاصة دون أخرى[١]؛ لأن العموم المستفاد منها ينافي تلك الخصوصية، فإن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وعليه فتعمم بعموم العلة كل من وجد فيه ذلك الوصف في الحياة وبعد الممات. والعجب! من كلمته هذه (إذا مات انقطع عمله) كيف تجاوز في القول عن قدوته ابن تيميه الذي كان كثير المغالطة والتناقض في كلامه، لكن مع هذا قال في كتابه (الصارم المسلول على شاتم الرسول):

وهو ﷺ في ترقٍّ وارتفاع إلى يوم الدين، وهذا أمر معلوم من الدين بالضرورة ومقرّر في كتب الخصائص ودلائل النبوة والشفاعة وشروحه.

فقد قال ﷺ: **«من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من اتّبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً»**[٢].

فثبت بهذا الحديث أن جميع الأعمال الصالحة التي تصدر عن الأمة المحمدية إنما هي بدعوة الرسول ﷺ للأمة الإسلامية فثوابها راجع إليه وهو ينتفع به قطعاً من غير أن ينقص ذلك من أجورهم شيء.

فعمله مستمر ما دامت الأمة تعمل بما دعى إليه، فكيف يقال إذا

---

(١) خلافاً لما قال بعضهم أنها قد وردت في طائفة خاصة في حياته ﷺ وعليه فلا يصح الاستدلال للعموم. ولا يخفى أنه ورد في التفاسير أنها نزلت في شأن المنافقين الذين تعاهدوا فيما بينهم لئن أمات الله محمداً لا يردوا هذا الأمر في بني هاشم، فرا جع التفاسير.

(٢) سنن الترمذي (الجامع الصحيح) ٥: ٤٢ ح ٢٦٧٤، قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح.

مات انقطع عمله؟!!!.

وفي هذا الصدد قال إبن تيميه في الفتاوى: ثبت عنه ﷺ في الصحيح أنّه قال: **من دعى إلى هدى**.... ومحمد ﷺ هو الداعي إلى ما تفعله أمته من الخيرات، فما يفعلونه له فيه من الأجر مثل أجورهم من غير أن ينقص من أجورهم شيء. انتهى كلام ابن تيمية[1].

وهو مع كثرة ما يعاند ويتناكد اعترف بهذه المقامات الروحية؛ فقوله: فما يفعلونه له ﷺ فيه من الأجر مثل أجورهم دليل واضح على أنّ مجرد موت الرسول ﷺ لا يعني الانقطاع عن الدنيا، وهو ما يفرض على المسلمين الآن وفي كل عصر أن يتعاملوا مع الرسول ﷺ من هذا المنطلق، وزيارته ﷺ تحقق هذا المبدأ،وهي اعتراف ضمني للارتباط بين المسلم ونبيّه ﷺ.

ودليل ذلك أنّ ابن تيمية من جانب لما أراد منع الناس من زيارته والحضور عنده والسفر إليه ﷺ، قال: إنه حي يعلم بمن يسلم عليه ويرى مقامه ويردّ سلامه وينبغي تعظيمه والسلام والصلاة عليه في أي مكان ولا حاجة من الحضور عنده وشد الرحل إليه وهذا ليس فيه أي دليل.

ولكن لما أراد إنكار الشفاعة والتوسل به إلى الله وطلب الحاجة منه، خالف مقالته السابقة. وبهذا قد صدق في حقه: «إن كنت لم تستح فاصنع ما شئت».

وإليك كلمة أخرى لابن القيم ـ تلميذ ابن تيمية ـ في حياة الرُسل بعد مماتهم قال في جملة من كلام له: والرسل أكمل حالة منه (أي الشهيد) بلا شك، وهذا ظاهر التبيان، فلذاك كانوا بالحياة أحق من شهدائنا، بالعقل والبرهان، وبأن عقد نكاحه ﷺ لم ينفسخ، فنساؤه في عصمة

---

(١) الفتاوى لابن تيمية: ١/ ١٩١.

وصيان، ولأجل هذا لم يحلّ لغيره منهن واحدة مدى الأزمان، أفليس في هذا دليل، أنه حيّ لمن كانت له أذنان[١].

وأيضاً قال عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب في رسالته: ..... والذي نعتقده أن رتبة نبيّنا أعلى مراتب المخلوقين، وأنه حي في قبره حياة برزخية أبلغ من حياة الشهداء المنصوص عليها في التنـزيل؛ إذ هو أفضل منهم، وأنّه يسمع سلام المسلّم عليه، وتسنُّ زيارته إلا أنه لا تشد الرحال إلا لزيارة المسجد والصلاة فيه[٢].

وبعد هذه الكلمات التي أضفتها لتلك البيّنات يتضح لك الصواب، ويظهر لك ما في قلب هذا المخالف من العناد وفي عقله من الفساد، حيث لم يكتف بمقالة أسلافه المغويات، وقد بلغ تجاسره على الساحة المحمدية إلى أعلى حد، فأنكر حياته وأدعى انقطاع عمله.

وختاماً في البحث عن الآية الشريفة، نقول لك أيها القارئ العزيز: لو ابتعدت عن التعصب والانتماء إلى هذا وذاك، لرأيت في هذه الآية الشريفة أكبر دليل وبرهان على مشروعية زيارة سيد الأنام، وعموميتها لحالتي الحياة والممات وتأكدها في حق من كان قريباً أو بعيداً من المقام.

وإذا ثبت رجحان زيارته والتوسل به إلى الله، فيثبت أيضاً رجحان زيارة أهل بيته والتوسل بهم كما قدمنا، لأنهم خلفائه وأوصيائه وورثة علمه وجميع صفاته إلا النبوة، فلا يصح التفريق بينهم.

وبعد هذا الكلام لايبقى لك أيّ إبهام ولا شبهة ولا ظلام، والله المستعان من الهلكات والنيران.

---

(١) النونية مع شرح ابن عيسى: ٢/ ٢١٠.

(٢) الهدية السنية، الرسالة الثانية.

على أنّ الاستدلال لا يقف على ما تقدم؛ ففي السنة النبوية ﷺ والتي هي عدل القرآن ما يميط اللثام عن مشروعية الزيارة، نسردها لك كالتالي:

الدليل الثاني

السنّة

اولاً:

الأحاديث الواردة من طرق العامّة

وبعد وقوفك أيها القارئ العزيز على الأدلة العامة الحاثة على زيارة مطلق القبور وزيارة قبور الأولياء والصالحين، ووقوفك أيضاً على الدليل من القرآن في الحث على زيارة النبي ﷺ وطلب الدعاء والاستغفار منه، نذكر لك ما ورد من الروايات التي جاء فيها الحث على زيارة خصوص قبر النبي الأعظم صلوات الله عليه وآله، وهي أحاديث كثيرة قد أخرجها أئمة المذاهب الأربعة وحفاظها في الصحاح والمسانيد وذكرها جمع كثير من علماء السنة والإمامية على اختلاف مذاهبهم.

ونحن إن شاء الله نذكرها على كثرتها واختلاف طرقها واختلاف مضامينها مع البحث فيما وقع فيها من الخدشة والتضعيف.

وهي تنقسم من حيث المضامين على أقسام، فقسم منها ما يشير إلى ما يترتّب على الزيارة من الآثار والفوائد التي من أهمها شفاعة الرسول لزائره وشهادته له بها يوم القيامة ونيل جواره ﷺ.

وقسم منها يشير إلى أن زيارته بعد وفاته كزيارته حياً من حيث الثواب والأجر والآثار، وقسم منها ما يحذرّ من ترك زيارته ويُشير إلى ما فيه من الجفاء له ﷺ وعدم أداء حقه.

أما الطائفة الأولى المشيرة إلى: «الشفاعة ـ الشهادة ـ الجوار»:

الرسول المصطفى يشفع لزواره

الحديث الأول: رواه الدارقطني في السنن والبيهقي والهندي وغيرهم بالأسانيد من طريق موسى بن هلال العبدي، عن عبيدالله (أو عبدالله) بن عمر، عن نافع، عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «**من زار قبري وجبت له شفاعتي**»[1].

فهو صريح في الحث على زيارته بعد مماته، وأن هذه الزيارة توجب وتقتضي شفاعته ﷺ للزائر.

أما الكلام في سنده على نحو الأختصار:

فقد بسط الكلام الحافظ تقي الدين السبكي في طريق هذا الحديث في شفاء السقام، وقال: والرواة جميعهم إلى موسى بن هلال ثقاة لاريب فيهم، وموسى بن هلال، قال ابن عدي: أرجو أنه لا بأس به وهو من مشايخ أحمد بن حنبل، وأحمد لم يكن يروي إلا عن ثقة. وقد صرح الخصم بذلك في الردّ على البكري.

ثم ذكر شواهد لقوة سنده فقال: وبذلك تبيّن أن أقل درجات هذا

---

(١) سنن الدارقطني ٢: ٢٧٨ ح ١٩٤، وسنن البيهقي ٥: ٢٤٥، وكنز العمال للهندي ٥ : ١٣٥ ح ١٢٣٧١ و١٥: ٦٥١ برقم ٤٢٥٨، وشعب الإيمان ٣: ٤٩٠ ح ٤١٥٩، ومجمع الزوائد ٤: ٢، والدر المنثور١: ٥٦٩ و... وانظر شفاء السقام : ٦٥ والغدير ٥: ٩٣ ومصادره الكاملة.

أقول: إن الحديث سواء كان رواه موسى بن هلال عن عبيد الله بن عمر الذي هو الأصح أو عبد الله بن عمر فلا إشكال فيه، فقد تعرض له الحافظ السبكي وصاحب رفع المنارة مفصلاً، ومن أراد التفصيل وجواب بعض الإشكالات الواردة فليراجع كتاب رفع المنارة وشفاء السقام.

الحديث أن يكون حسناً إن نوزعَ في دعوى صحته، إلى أن قال: وبهذا بل بأقل منه يتبيّن افتراءَ من ادعى: أنّ جميع الأحاديث الواردة في الزيارة موضوعة.

فسبحان الله! أما استحى من الله ومن رسوله في هذه المقالة التي لم يسبقه إليها عالم ولا جاهل لا من أهل الحديث ولا من غيرهم؟ ولا ذكر أحد موسى بن هلال ولا غيره من رواة حديثه هذا بالوضع ولا اتهمه به فيما علمنا، فكيف يستجيز مسلم أن يطلق على كل الأحاديث التي هو واحد منها أنها موضوعة؟! ولم ينقل إليه ذلك عن عالم قبله، ولا ظهر على هذا الحديث شيء من الأسباب المقتضية للمحدثين للحكم بالوضع، ولا حكم منتهٍ مما يخالف الشريعة، فمن أي وجه يحكم بالوضع عليه لو كان ضعيفاً؟ فكيف وهو حسن أو صحيح؟![1]

هذا ملخص كلام السبكي حول الحديث وقد حقق في رجاله وطرقه تحقيقاً لا يبقى معه أي شبهة لمن أراد الإطلاع على الحقائق، ينبغي للباحث الرجوع إليه.

وذكر صاحب الغدير ﷺ طرق هذا الحديث، وأسماء من نقله من الحُفاظ وأئمة المذاهب ما يبلغ عددهم ٤٠ شخصاً، ولولا لزوم التطويل لذكرتهم جميعاً حتى لا يبقى أي خفاء وعذر، ولكن أوصيك أيها القارئ الكريم المراجعة إليه لازدياد يقينك[2].

ومن المتأخرين المعاصرين الشيخ سعيد محمود ممدوح صاحب رفع المنارة في أحاديث الزيارة الذي بذل جهده في هذا الباب ولم يُبق شيئاً من الإشكالات والشبهات في الأحاديث إلا أجاب عنها وأعطى الحق فيها صحةً وضعفاً وابتعد في تحقيقه عن أي تعصب فقد تعرض لهذا الحديث

---

(١) شفاء السقام: ٦٥ ـ ٨٠ ط الرابعة ، وانظر الكامل لابن عدي ٨ : ٦٩.

(٢) الغدير ٥: ٩٢.

مفصلاً وصححه واعتمد عليه وهو بحث رجالي مستقل ولا مجال هنا لنقله، والطالب لهذه الأبحاث يمكنه المراجعة إلى ذلك الكتاب[1].

أقول:

لكن من بعد هذا التحقيق الدقيق الذي ذكرناه من الحافظ السُبكي الذي قد أدى حق البحث في زيارة قبر النبي الأعظم ﷺ وأنصف وتبعّد عن العصبية والأهواء النفسانية وهكذا صاحب الغدير العلامة الأميني (ره) حيث بذل جهده في إحقاق الحق في جميع الأمور الأعتقادية ودفع الشبهات الخارجية.

العجب من بعض المنحرفين الذين تبعوا ميولهم النفسانية وصدّوا عن الحقائق الإلهية، فكل باطل طابق ميولهم أخذوه وكل حق خالف أهوائهم طرحوه، ومنهم ابن عبد الهادي تلميذ ابن تيمية الذي تبعد عن الحق وروّج آرائه بنشر الأباطيل وتكذيب الأساطين وعلماء الدين، حيث أخذ يحاول في الرد على الحافظ تقي الدين السُبكي بالتشبّث بكل قشة وخدشة والاستدلال بكل ضعيف وتكلّم بكلمات ينقض بعضها بعضاً، فنراه تعنّت أشد التعنت في ردّ الأحاديث عند كلامه على الرجال وأطال الكلام جداً بنقل ما يراه موافقاً لرأيه في الجرح للأحاديث ولم يذكر من التعديل والتوثيق إلا ما وافق رأيه، وكرر كلماته إلى حدّ اللغو في الكلام.

فمن ذلك أنه ذكر أبحاثاً خارجة عن المقصود كالبحث المتعلق بالمرسل وطرق هذا الحديث «**من زار قبري وجبت له شفاعتي**» حيث كان في أحد طُرقه حفص بن سليمان القارئ، وأطال الكلام في تضعيفه ونقل الأقوال فيه، ولكن ترك البحث عن طريق موسى بن هلال العبدي، لعدم تمكنه من الجرح فيه وعدم القول في تضعيفه، فهل هذا من الانصاف؟!

وقد وسّع الكتاب بتكرار ذكر فتاوى ابن تيمية عقيب كل حديث،

---

(١) رفع المنارة للشيخ سعيد محمود ممدوح : ٢٢٩ طبع دار الإمام النووي _ عمان.

ـ كما هو شأن أكثرهم ـ من غير أن يكون في تكرارها شيء جديدٌ، بحيث لو حذفت المكررات لما بقي من كتابه إلا جزءٌ صغير.

وإنك لما تطالع كتابه (الصارم المنكي في الرد على السُبكي) لا ترى فيه إلا الافتراء والتناقض، وترى أن جميع من تأخر عنه من المانعين قد أخذ بطريقته الباطلة وأفكاره السافلة، من غير تدقيق وتحقيق، بل أكثر ما ترى منهم من الجرح في الأحاديث والتمسك بالمناكير مأخوذة منه وليس عندهم شيء جديد، بل اتخذوا نفس طريقته بتكرار الكلمات وطرح الشبهات، فلاحظ كتاب (تنبيه زائر المدينة) فتراه كما ذكرت لك يطابق النعل بالنعل، وليس هو إلاّ العمى والجهل والردى، فعافانا الله وإياكم منه.

ثم إنهم قد أعرضوا[1] عن هذا الحديث لتعدد طرقه واختلاف ألفاظه، فقالوا: إن الحديث قد روي عن ابن عمر بطريقين.

١ـ الأول عن حفص بن أبي داود وهو حفص بن سليمان القارئ الكوفي، عن أبي ليث،عن مجاهد، عن ابن عمر، وقد ضعفوه بحفص بن سليمان.

وأما ليث بن سليم فقالوا فيه: إنه مضطرب الحديث أو أنّه قد اختلط اخيراً أو أنه إمام القراءة وليس شيء ـ على كلامهم ـ في الحديث أو تركوه.

هذا حاصل ما ذكر من النقد في هذا الطريق ونهاية ما فيه هو الضعف لا الوضع.

٢ـ الثاني عن موسى بن هلال البصري،عن عبد الله بن عمر أو

---

(١) كما في تنبيه زائر المدينة لصالح السدلان: ٢١، من الكتب التي نشرت ووزعت على الحجاج في موسم الحج

عبيد الله بن عمر،عن نافع.

وهذا الطريق لصحته لا يتكلمون[١] فيه بالتضعيف والتوثيق أبدا،بل تراهم يتطرقون إلى الطريق الأول فقط، وهذا تدليس منهم وكتمان للحقائق واتباع للهوى!.

ويرد عليهم أولاً: إنكم تعتقدون بأن تعدد الطرق لا يوجب الخدشة،بل يوجب تقويتها، فلماذا تطرحون هذا الحديث وتضعفّونه؟

هذا مضافاً إلى أنه لو كان تعدد الطرق واختلاف الألفاظ موجباً للتضعيف فلماذا تستدلون بحديث شد الرحال الذي لا دلالة فيه على مدعاكم مع أنّه نقل بطُرق متعددة وألفاظ مختلفة، وحديث لعن الله زوارات القبور، فإنه أيضا قد ورد بطرق متعددة وألفاظ مختلفة، وهل هذا إلا تدليس وتناقض في الكلام؟

وهذا دليل على اضطرابهم الكامل في الاستنباط، وإنهم يفتون على ما تهوى أنفسهم في كثير من الأحيان.

وأما الجواب عن طريق حفص بن سليمان وليث بن أبي سليم فسيأتي إن شاء الله مفصلاً في الحديث السابع.

الحديث الثاني: رواه أحمد بن عمر البزار في مسنده عن قتيبة عن عبد الله بن ابراهيم، عن عبد الرحمان بن زيد،عن أبيه، عن ابن عمر،عن النبي ﷺ قال: «**من زار قبري حلّت له شفاعتي**»[٢].

وهذا الحديث كالحديث السابق من ناحية المضمون،إلا أن في الحديث الأول كلمة «وجبت» في هذا الحديث كلمة «حلّت» مضافاً إلى أنّ

---

(١) كما في تنبيه زائر المدينة ايضاً: ٢١.

(٢) مسند البزار (لاحظ كشف الأستار للهيثمي ١/ ٢٣٧ ط الأولى.

طريقه إلى ابن عمر يختلف عن الأول ولهذا أوردناه منفردا.

ومن ناحية السند: فقد وقع الإشكال والتضعيف في عبد الله بن ابراهيم وعبد الرحمان بن زيد بن أسلم، فضعّفهما بعض، وقال بمتابعتهما وكتابة حديثهما بعض آخر، وعلى فرض الضعف فهو قابل للاستناد به تأييدا للحديث الصحيح الأول، وهكذا سائر الأحاديث الواردة، وتعاضد الأحاديث موجب لتقويتها وجبران ضعفها.

قال الحافظ السُبكي: وإذا كان المقصود من هذا الحديث تقوية الأول به وشهادته له، لم يضرّ ما قيل في هذين الرجلين، إذ ليس راجعاً إلى تهمة كذب ولا فسق، ومثل هذا يحتمل في المتابعات والشواهد[١].

أقول: وبهذا قد تبرء السبكي من الحكم على هذا الحديث بالصحة، فهو لا يقول بصحته، وعليه فقول ابن عبد الهادي: «إنّ المستدل بالحديث عليه أن يبيّن صحّته»[٢]، زور وخروج عن قواعد البحث لأن السبكي ما استدل به ولا حكم بصحته، بل جعله شاهداً ومتابعاً لا يشترط فيها الصحة، وهذا واضح حتى على المبتدئ بعلم الحديث!!

الحديث الثالث: رواه الطبراني في الكبير والأوسط والدارقطني في أماليه، وأبو بكر المقري في معجمه من رواية مسلمة بن سالم الجهمي، عن عبيد الله بن عمر، عن نافع،عن سالم، عن ابن عمر، قال:

قال رسول الله ﷺ: **«من جائني زائرا لا يعمله (أو تعلمه) حاجة إلا زيارتي كان حقّاً عليّ أن أكون له شفيعاً يوم القيامة»**[٣].

---

(١) شفاء السقام الطبعة الرابعة ص٨٣.

(٢) الصارم المنكي: ٤٢.

(٣) المعجم الكبير للطبراني: ١٢/ ٢٩١ رقم ١٣١٤٩ والأوسط: ١٥٧ والمجمع للهيثمي: ٤/ ٢٢ ووفاء الوفا للسمهودي ٣/ ١٣٣٩.

وفي نقل: **لا تحمله إلاّ زيارتي**، وفي آخر: **لم تنـزعه حاجة...**، وفي رابع: **لا ينـزعه إلا زيارتي كان حقاً على الله عز وجل...** وفي خامس للغزالي: **لا يهمّه إلا زيارتي**... على حسب الاختلاف في النقل.

هذا الحديث باطلاقه يحث على الزيارة في الحياة وبعد الممات.

وقد أخرجه جمع من أئمة الحديث والحفاظ الذين لا يُستهان بهم وبعدّتهم.

منهم: الحافظ ابن السكن البغدادي في كتابه (السنن الصحاح) حيث جعل في آخر كتاب الحج: (باب ثواب من زار قبر النبي ﷺ) ولم يذكر في الباب غير هذا الحديث، وذلك منه حكم بأنه مجمع على صحته بمقضى الشرط الذي شرطه في الخطبة.

وأما خطبته فهي: أما بعد فإنك سألتني أن أجمع لك ما صح عندي من السنن المأثورة التي نقلها الأئمة من أهل البلدان الذين لايطعن عليهم طاعن فيما نقلوه، فتدبرت ما سألتني عنه فوجدت جماعة من الأئمة قد تكلّفوا ما سألتني من ذلك، وقد وعيت جميع ما ذكروه وحفظت عنهم أكثر ما نقلوه، واقتديت بهم وأجبتك إلى ما سألتني من ذلك في جميع ما يحتاج إليه من أحكام المسلمين.

فأول من نصب نفسه لطلب صحيح الآثار، البخاري، وتابعه مسلم، وأبو داود، والنسائي، وقد تصفحت ما ذكروه وتدبرت ما نقلوه فوجدتهم مجتهدين فيما طلبوه، فما ذكرته في كتابي هذا مجملاً فهو مما اجمعوا على صحته، وما ذكرته بعد ذلك ممّا يختاره أحد من الأئمة الذين سميتهم فقد بيّنت صحته في قبول ما ذكره، ونسبته إلى اختياره دون غيره، وما ذكرته ممّا يتفرد به أحد من أهل النقل للحديث، فقد بينت علته ودللت على

انفراده دون غيره، وبالله التوفيق[١].

قال الحافظ السبكي بعد ما نقل هذه الخطبة: وابن السكن هذا امام حافظ ثقة كثير الحديث واسع الرحلة، سمع بالعراق والشام ومصر وخراسان وما وراء النهر من خلائق، إلى آخره[٢].

أقول: ومع تصحيح عالم مقبول عند جهابذة العلم مثل ابن السكن لهذا الحديث لا يبقى أي مجال للبحث عن رجاله وإطالة الكلام فيه والجواب عن كلمات مثل ابن عبد الهادي الذي من عادته ودأبه تضعيف ما لا يعجبه،وبأي نحو كان،ولو بمخالفته لقواعد الحديث، وكأنه غفل في هذا الحديث عن تصحيح ابن السكن له، الذي هو أفهم وأعلم وأقدم منه في هذا الفن،ومع هذا كله إذا أردت تفصيل الكلام في البحث عن رجاله وردّ الإشكالات فيه فراجع رفع المنارة وشفاء السقام.

الحديث الرابع: رواه أبو داود الطيالسي عن سوار بن ميمون أبي الجراح العبدي،عن رجل من آل عمر، عن عمر، قال: سمعت رسول الله يقول:

---

(١) شفاء السقام: ٨٧ الطبعة الرابعة.

(٢) شفاء السقام ص٨٨ و٨٩ الطبعة الرابعة.

قال صاحب رفع المنارة: عند ما رتب ابن حزم كتب السُنة جعل (صحيح ابن السكن) ثالث الكتب بعد الصحيحين، راجع تذكرة الحفاظ (١١٥٣/٣) وفي رفع المنارة ص٣٠١ ،وقال في المتن: الحافظ ابن السكن صحّح هذا الطريق بمفرده، فما بالك وهذا الطريق متابع لموسى بن هلال البصري! فهو مقبول، حسب القواعد.

أقول: متابعة موسى بن هلال لروايته عن عبيد الله أو عبد الله بن عمر تقدمت في الحديث الأول ص٧٨.

من زار قبري، أو (من زارني) كنت شفيعاً له أو شهيداً، ومن مات في أحد الحرمين بعثه الله عز وجل في الآمنين يوم القيامة[١].

من المعلوم أن كلام النبي ﷺ ناظر إلى من مات على الإيمان والعمل الصالح وإلا لكان من خالف النبي وردّ على قوله والمنافق والمشرك الذي مات في مكة أو المدينة آمناً يوم القيامة!!!

أما الكلام في سنده:

قال السبكي: وسوار بن ميمون روى عنه شعبة لما سنذكره في الحديث السابع، ورواية شعبة عنه دليل على وثوقه عنده، فلم يبق في الإسناد من يُنظر إليه إلا الرجل الذي من آل عمر، والأمر فيه قريب، لا سيّما في هذه الطبقة التي هي طبقة التابعين.

وأما قول البيهقي: هذا إسناد مجهول، فإن كان سببه جهالة الرجل الذي من آل عمر، فصحيح، وقد بينا قرب الأمر فيه[٢]، وإن كان سببه عدم علمه بحال سوار بن ميمون، فقد ذكرنا رواية شعبة عنه وهي كافية.

وقد روى البيهقي ايضا رواية شعبة عنه في غير السنن، كما سنذكره في الحديث السابع[٣]، انتهى كلام السُبكي.

ومن بعد هذه المقدمات المؤيدة للحديث، نقول: مع هذا لا حاجة

---

(١) مسند أبي داود الطيالسي: ١/ ١٢ وقد ذكر هذا الحديث البيهقي في السنن الكبرى ٥/٢٤٥ وفي شعب الإيمان: ٣/ ٤٨٨ وابن عساكر في تاريخه من جهة الطيالسي.

(٢) أقول: وتنجبر هذه العلة بالمتابعة. ثم إن السبكي قد جعله حديثاً سابعاً ولكني أوردته هنا ولم أفرزه بعنوان مستقل لوجود الاختلاف فيه كما سياتي.

(٣) شفاء السقام: ١٠٣ ط الرابعة.

لنا للاصرار على صحة سند الحديث، فإنه حتى لو أقررنا بضعفه لا محذور في نقله تأييداً وتقوية لسائر أحاديث الباب التي قد ثبت صحة بعضها، فإن الأحاديث الضعيفة إذا لم يثبت كذبها ووضعها وكانت ضعيفة، بالأخص إذا كانت من جهة جهالة الراوي أو تفرده أو عدم متابعته، يقوّي بعضها بعضا، خصوصاً مع وحدة مضامينها وعمل القوم بها، وإن المسألة ليست من اصول الدين، فإن التسامح في العمل بادلة السنن إذا كانت من هذا القبيل ثابتٌ عند الكل.

حديث آخر من سوار بن ميمون:

قد أخرجه أبو جعفر العقيلي والبيهقي وغيرهما من رواية سوار بن ميمون المتقدم على وجه آخر غير ما سبق.

... حدثنا أبو جعفر محمد بن عمر العقيلي، حدثنا محمد بن موسى قال: حدثنا أحمد بن الحسن الترمذي، حدثنا عبد الملك بن ابراهيم الجدّي، حدثنا شعبة عن سوار بن ميمون، عن هارون بن قزعة، عن رجل من آل الخطاب، عن النبي ﷺ قال:

«**من زارني متعمداً كان في جواري يوم القيامة**، وزاد الشحامّي: **ومن سكن المدينة وصبر على بلائها كنت له شهيداً أو شفيعاً، ومن مات في أحد الحرمين بعثه الله في الآمنين أو من الآمنين يوم القيامة**»[1].

قال الشيخ ممدوح في رفع المنارة في ذيل هذا الحديث: وقال العقيلي: والرواية في هذا ليّنة. فاختلف حديث شعبه وأبي داود الطيالسي، وخلافهما يرجع لأمرين:

الأول: قال شعبة عن سوار بن ميمون، عن هارون بن قزعة، ولم

---

(١) اقول: هذا هو الحديث السابع في شفاء السقام.

يذكر أبو داود، هارون بن قزعة.

الثاني: الاختلاف فيمن رفع الحديث، وهذا الاختلاف لا مدخل لشعبة ولأبي داود الطيالسي فيه،فكلاهما من كبار الحفاظ الثقات خاصة أولهما، فتوهيم أحدهما ـ كما نقل ابن عبد الهادي ـ فيه نظر، فقد حكم ابن عبد الهادي بوهم أبي داود الطيالسي من جهتين: **الأولى**: أنه وهم باسقاط هارون بن قزعة من روايته، **الثانية**: أنّ ذكر عُمر، وهم من الطيالسي. كذا قال ابن عبد الهادي في الصارم المنكي ص١٣٥!! وهذا عجيب من ابن عبد الهادي فإن أبا داود الطيالسي حافظ ثقة امام مصنف حدّث بما تحمّله، فلا مدخل له فيه.

والصواب: إن هذا الإختلاف راجع إلى سوار بن ميمون، فإنه ممن لا ترجمة له في كتب الرجال ولا ينبغي أن يوهم الطيالسي ويترك سوار بن ميمون، أو ميمون ابن سوار ـ كما قيل في بعض الروايات ـ غير المعروف.

والحاصل: أن الحديث ضعيف بهذا الإسناد[1].

أقول: وإنما لم أفرز هذا الحديث بهذا الإسناد بعنوان حديث مستقل من جهة الاختلاف فيه.

الحديث الخامس: رواه البيهقي في شعب الإيمان والسهمي في تاريخ جرجان ومن طريقه السبكي في شفاء السقام وابن أبي الدنيا في كتاب القبور، كلهم من طريق محمد بن اسماعيل بن أبي فديك عن سليمان بن يزيد الكعبي ابن المثنى،عن أنس بن مالك، أن رسول الله ﷺ قال:

«من زارني بالمدينة محتسباً كنت له شفيعاً وشهيداً يوم القيامة»[1].

---

(١) لاحظ رفع المنارة ص٢٧٧.

وفي رواية: «من مات في أحد الحرمين بعث من الآمنين يوم القيامة ومن زارني محتسباً كان في جواري يوم القيامة»، وفي ثالث بزيادة «وكنت له شهيداً وشفيعاً يوم القيامة».

فقد أخرجه جمع كثير من الحفاظ وأئمة الحديث ما يتجاوز عددهم العشرين[٢].

قال السبكي: هذه الأسانيد الثلاثة دارت على محمد بن اسماعيل بن فديك وهو مجمع عليه.

وسليمان بن يزيد ذكره ابن حبان في الثقات وقال ابن حاتم الرازي: إنه منكر الحديث ليس بقوي[٣].

وقال الشيخ ممدوح في سليمان بن يزيد بعد ذكر الأقوال فيه: فإن أعرضت عن تحسين الترمذي وتصحيح الحاكم له وتوثيق ابن حبان، فالرجل ضعفه من النوع الخفيف الذي يزول بمجئ متابع أو شاهد له.

وتبقى علة أخرى في هذا السند وهي الانقطاع بين سليمان بن يزيد وأنس بن مالك، فإن سليمان من أتباع التابعين.

وقال بعد ذكر طريق آخر لهذا الحديث عن أنس: هذا الطريق إذا ضُم إلى سابقه إستفاد الحديث قوة، فإن قال قائل: إنه مشبّه بالحسن يكون قد أصاب، وكم احتج الأئمة الفقهاء بأقل من هذا وبمثله في الأحكام، بل بمفرده تثبت مشروعية الزيارة[٤].

---

(١) شفاء السقام ص ١١٠ ١١٢ ط ٤ وراجع رفع المنارة ص ٢٦٨ ـ ٢٦٩.

(٢) الغدير ج ٥ ص ١٠٣.

(٣) الثقات ٦ : ٣٩٥ ، شفاء السقام: ١١٠ ـ ١١٢ ، رفع المنارة: ٢٦٨ ـ ٢٦٩.

(٤) رفع المنارة: ٢٦٨ ـ ٢٦٩.

الحديث السادس: أخرجه أبو جعفر العقيلي في (الضعفاء) في ترجمة فضالة بن سعيد ابن زميل المازني[١].

وابن عساكر في تاريخ دمشق، كما في شفاء السقام ووفاء الوفا ونيل الأوطار للشوكاني[٢].

قال العقيلي: حدثنا سعيد بن محمد الحضرمي، حدثنا فضالة بن سعيد بن زميل المازني، حدثنا محمد بن يحيى المازني،عن ابن جُريج، عن عطاء، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «**من زارني في مماتي كان كمن زارني في حياتي ومن زارني حتى ينتهي إلى قبري كنت له يوم القيامة شهيداً**». أو قال: «**شفيعاً**»

وأما ما رواه ابن عساكر عن العقيلي بنفس الإسناد فيه: «من رآني في المنام كان كمن رآني في حياتي». والباقي سواء

وهذا الحديث مضافاً إلى ما فيه من التصريح بالشفاعة والشهادة في يوم القيامة ـ كما في الأحاديث المتقدمة ـ،فيه تصريح بأن زيارته ﷺ في مماته لا تقل من حيث الفضيلة والثواب عن زيارته حياً.

نعم: إن رؤيته ومصاحبته وسماع كلامه فيها من الخصوصيات التي لاتدرك بعد الممات، وهذا مما لا شك فيه عند كل مسلم جاهل فضلاً عن عالم.

فما قاله ابن تيمية وأتباعه في رد هذا الحديث وأمثاله من الفرق بين

---

(١) الضعفاء للعقيلي: ٣/ ٤٥٧ وفيه: إن ابن زميّل قال بلفظ (كنت له شهيداً) كما في شفاء السقام.

(٢) شفاء السقام ص١١٢ ط ٤، ووفاء الوفا: ٢ ص٤١٠ ونيل الأوطار للشوكاني: ٤ ص ٣٢٥ ـ ٣٢٦.

من شاهده وسمع منه ومن لم يره ويسمع منه، صرف مكابرة وعناد وإغواء للغافلين، وإلا فلا يعتن بها أي مسلم متفقه سليم معتقد بيوم الدين.

أما سنده: فقد وقع الكلام في ثلاثة وهم فضالة بن سعيد المازني وشيخه محمد بن يحيى المازني وابن جريج، وقد فصّل الكلام في البحث عنهم ونقل الأقوال فيهم الشيخ ممدوح في رفع المنارة وكان حاصل تحقيقه فيهم بانشائي.

أولاً: إن محصّل كلام العقيلي في فضالة بن سعيد بن زميل المازني: إنه ليّن في هذا الإسناد، واللين أقل الضعف،بخلاف ما قال الذهبي فيه، من أن حديثه موضوع على ابن جريج، فإن مقالته دعوى بلا برهان،ولا ذكر دليلاً شهد على صحتها، وكلام العقيلي هنا اقوى وأقعد.

وثانياً: إن محمد بن يحيى بن قيس المأربي (المازني) وثقه الدارقطني في سؤالات البرقاني وابن حبان وذكره ابن ابي حاتم في الجرح والتعديل برواية جمعٍ عنه، ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً.

لكن قال ابن حزم فيه: مجهول، فقبول توثيق الدارقطني وابن حبان هو الموافق لقواعد الحديث، وقول من علم حجة مقدم على من لم يعلم.

وأما قول ابن عدي في الكامل: أحاديثه مظلمة منكرة، فهو سرف منه وليس من الإنصاف، فإن هذا القول مستند لذكر حديثين له في ترجمته، الأول منه موضوع في فضل البلدان من جهة خطاب بن عمر، والثاني حديث في الاستقطاع أخرجه أصحاب السنن وصححه ابن حبان.

وعلى أي حال فإن الخطب في مثل ذلك سهل لا يستحق معه أن يقال في الرجل أحاديثه مظلمة منكرة، فإن هذا الوصف لمن كان غالب أحاديثه كذلك لا حديث أو حديثان.

وقال الذهبي في الكاشف: وثق.

والحاصل: أن أكثر ما يمكن أن يقال فيه هو: ليّن الحديث، وقد حسّن الترمذي من قيل فيه مثل ذلك.

فاتّضح: إن ما قاله ابن عبد الهادي في محمد بن يحيى (الرجل مختلف فيه) هو تشدّد منه وبُعدٌ عن الإنصاف، فانه قد تشبّث في جرحه وتضعيفه بكلام ابن عدي المستند إلى حديث فضل البلدان المحمول على خطّاب بن عمر الهمداني المجهول فقط، وكأنه غفل أو لم يكفه توثيق الدارقطني وابن حبان له[1].

أقول: ومن المعلوم إن من كان قصده إنكار أحاديث الزيارة وردها،ليس من العجيب أن يحاول في ردها بايّ نحو كان حتى لو خرج عن الإنصاف وقواعد الحديث.

وثالثاً: إنّ ابن جُريج وهو عبد الملك ابن عبد العزيز بن جُريج، قد ظن بعضهم أنه مدلس ولم يصرح بالسماع.

والجواب: إن هذا الحديث يرويه ابن جريج عن عطاء وروايته عنه محمولة على السماع صرح أو لم يصرّح، فإنه قال: إذا قلتُ: قال عطاء، فأنا سمعته منه وإن لم أقل سمعت، فتبين أنّ هذه ليست بعلة حتى ترد في اسناد الحديث.

فتحصل من جميع ما ذكرنا في إسناد هذا الحديث: أن غاية ما يمكن أن يقال على فرض التنـّزل فيه، إن فيه راو مجهول تفرد بهذا الحديث، فهذا الإسناد ضعيف فقط بسبب فضالة بن سعيد لا غير ويمكن أن ينجبر بغيره، بل ويمكن أن يكون شبيهاً بالحسن على رأي جماعة من الحفاظ.

فهذا الحديث وحده يقضي على قولهم المتهافت أنّ أحاديث الزيارة

---

(١) راجع رفع المنارة ص ٢٦٥ ـ ٦٦٧.

كلها ضعيفة بل موضوعة، فكيف ولهذا الحديث نظائر أقوى منه، فنسأل الله تعالى الإنصاف في الغضب والرضا حتى لا نـزل ونخطى[١].

عزيزي القارئ: إني قد حاولت في رعاية الإختصار في المباحث السندية والرجالية ولكن مع هذا قد أطيل الكلام في بعض الموارد؛ صوناً وتحفظاً للأذهان الخالية عن الانحراف والإغواء الذي يحصل من تدليس هؤلاء المخالفين المضلين.

فأنت إذا كنت على يقين من دينك ولم تؤثّر عليك تلك الكلمات الخاوية، وكنت تمِلّ من التفصيل، فمن حقك أن تكتفي بمطالعة ما يغنيك وترك ما يُملّك.

وأما إذا كنت غير مقتنع بهذا المقدار من البيان وكان قد بقي في ذهنك شيء، فراجع ما كان أكثر تفصيلاً مثل رفع المنارة للشيخ ممدوح فالإنصاف إنه ما أبقى كلمة أو شبهة سندية إلا أجاب عنها.

الحديث السابع: أخرجه يحيى بن الحسن بن جعفر في أخبار المدينة باب ما جاء في زيارة قبر النبي ﷺ عن محمد بن يعقوب، عن عبد الله بن وهب، عن رجل، عن بكر ابن عبد الله، عن النبي ﷺ: «**من أتى المدينة زائراً لي وجبت له شفاعتي يوم القيامة، ومن مات في أحد الحرمين بعث آمناً**»[٢].

هذا الحديث أيضاً صريح في الحث والتأكيد على زيارة النبي خصوصاً مع شد الرحال، مع مالها من الآثار والفوائد التي منها الشفاعة في يوم القيامة والأمن من الفزع الأكبر.

---

(١) لاحظ رفع المنارة ص٦٦٨.

(٢) شفاء السقام: ١١٥ ووفاء الوفا ٤: ١٣٤٨ والدرة الثمينة لابن النجار ص ٣٩٧ ورفع المنارة للمدوح، ولاحظ الغدير ٥ : ١٠٥.

أما سنده: فقد حقق فيه الشيخ ممدوح وقال: محمد بن يعقوب هو الأسدي الزبيري المدني أبو عمر، قال عنه أبو حاتم والنسائي: لا بأس به.

وذكره ابن حبان في الثقات، وقال: مستقيم الحديث[١].

وقال الحافظ في التقريب:صدوق، وعبد الله بن وهب هو الثقة الحافظ الفقيه[٢].

ثم قال الشيخ ممدوح: أما بكر بن عبد الله فالذي يظهر لي أنه المزني البصري فهو تابعي ثقة ثبت جليل كما في التقريب[٣]، فعلى هذا فالحديث مرسل، ولو لا الرجل المبهم لكان صحيح الإسناد.

واحتمل السيد السمهودي أنّ بكر بن عبد الله هو المزني المذكور أو هو بكر بن عبد الله بن الربيع الأنصاري الصحابي المترجم له في الإصابة [٤].

ووقع في الصارم المنكي بكير بن عبد الله بالياء[٥]، وهو تصحيف من الناسخ.

أقول: إن لم يكن تصحيفاً ـ وهو بعيد ـ فإن عبد الله بن وهب يروي في جامعه عن بكير بن عبد الله الأشج المدني ثم المصري بواسطة واحدة، وبكير بن عبد الله الأشج من تابعي التابعين.

والأرجح فيما سبق ـ والله أعلم ـ إن بكر بن عبد الله هو المزني، ومع الاحتمالات الثلاثة المذكورة، فالحديث ضعيف الإسناد فقط.

---

(١) التهذيب: ٩/ ٥٣٣.

(٢) تقريب التهذيب: ٥١٤.

(٣) تقريب التهذيب: ١٢٧.

(٤) الإصابة ١ : ٢٠٥ ، وفاء الوفا ٤ : ١٣٤٨

(٥) الصارم المنكي: ٣٤٣.

فمن مجانبة قواعد الحديث،قول ابن عبد الهادي في الصارم: وهو حديث باطل لا أصل له، وخبر معضل لا يعتمد على مثله وهو من أضعف المراسيل وأوهى المنقطعات[١].

قلت: تزيّد الرجل جداً وبالغ وتعنت وتشدّد، فاسناد الحديث ليس فيه إلاّ الرجل المبهم، وإمامه أحمد بن حنبل وغيره من أئمة الفقه والحديث يحتجون بالمرسل. ولم يذكر ابن عبد الهادي دليل مقولته، لأن قواعد الحديث لا توافقه.

ومن تعصب الألباني، قوله في رده على الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي (ص١٠٩): وهذا باطل كما قال ابن عبد الهادي إلى آخره. فعمدته ابن عبد الهادي الذي ما استطاع أن يقيم صلب دعوته المتهاوية، ثم جاء الألباني يردّد الصدى لا غير، وهذا هو التقليد المذموم، فأين البحث منه أو ممن قلّده هنا؟

والمتتبع يجد أنّ المحدثين لا يزيدون في مثل هذا على قولهم: مرسل، ضعيف الإسناد، ومثله ينجبر بغيره، نسأل الله تعالى السلامة والصون[٢]. تمّ كلام الشيخ ممدوح.

أقول:

قد أجاد الشيخ ممدوح في البحث في هذا الحديث وهو كما قال: الحديث مرسل ولو لا الرجل المبهم لكان صحيح الإسناد.

وهذا ليس بمشكل عند أئمة الحديث، فقد استدل أئمة المذاهب واحتجوا بالمرسل، مثل أحمد بن حنبل وغيره في الفقه والأحكام الشرعية،

---

(١) الصارم المنكي: ٣٤٣.

(٢) رفع المنارة: ٢٧٢ ـ ٢٧٣.

فضلاً عن هذه المسألة، ومعه لا يعتنى بقول المعاندين،حيث قد ابتنى مذهبهم على العناد والتحكم والقول بلا دليل.

وأمّا ما دلّ على أن زيارته ﷺ بعد مماته في الثواب والآثار والفضيلة مثل زيارته في حياته مضافاً إلى ما في الحديث السادس فهو كالتالي:

الحديث الثامن: قوله ﷺ: **«من حج فزار قبري بعد وفاتي فكأنما زارني في حياتي»**.

الدلالة: هذا الحديث صريح في استحباب زيارته ﷺ بعد الحج وشد الرحال إليه، وإنّ آثار وثواب زيارته ميتاً مثل ثواب زيارته حياً، وقد تعرضنا عن الجواب لابن تيمية وأتباعه في إنكار هذا الحديث لأجل الفرق بين من شاهده ومن لم يشاهده.

السند: فقد أخرجه جمع كثير من أئمة الحديث والحفاظ ما يتجاوز عددهم ٢٥ نفراً ذكرهم الأميني في الغدير[١]. منهم الدارقطني والطبراني في الكبير والأوسط وغيرهما من طريق حفص بن سليمان (بن أبي داود) القارئ الكوفي،عن ليث بن أبي سليم، عن مجاهد، عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: **«من حج فزار قبري بعد وفاتي فكأنّما زارني في حياتي»**.

وقد أخرجه بعضهم بنفس الطريق وفيه (كان) بدل كأنّما، وفي غير واحد من طرقه زيادة: «**وصحبني**»[٢].

ولا يخفى أن حفص بن سليمان هو حفص بن أبي داود نفسه، وقد اتفقت الآراء على ذلك، فبعض عبّر عنه بابن أبي داود وبعض بابن

---

(١) راجع الغدير ٥ : ٩٩.

(٢) راجع شفاء السقام :٩٠.

سليمان، والتنوع في نقل الاسم لا يؤثر في الراوي إذا لم يكن مردداً.

وقد وقع الكلام فيه من حيث الجرح والتضعيف، فقد ضعفه بعض وبالغ وشدّد في تضعيفه بعض آخر، وقال: إنه كذاب متروك يضع الحديث.

ولكن قال الحافظ السبكي: وعندي أنّ هذا القول سرف، فإن هذا الرجل إمام قراءة، فكيف يعتقد أنه يقدم على وضع الحديث والكذب، ويتفق الناس على الأخذ بقراءته؟!

وإنما غايته أنه ليس من أهل الحديث، فلذلك وقعت المنكرات والغلط الكثير في روايته، وقد قال عبد الله بن أحمد بن حنبل: سألته ـ يعني أباه أحمد ـ عن حفص بن سليمان المنقري، فقال: هو صالح.

وروى عثمان بن أحمد الدقاق عن حنبل بن إسحاق، قال: قال أبو عبد الله: وما كان بحفص بن سليمان المنقري بأس.

وحسبك بهذين القولين من أحمد وهما مقدمان على من روى عن أحمد خلاف ذلك فيه[1].

أقول: هو كما قاله السُبكي، كيف يمكن أن يكون الرجل الذي هو إمام القراءة ـ كما اعترفوا به ـ ومن هو من أكبر القّراء وصاحب القراءة المتداولة بين المسلمين المعروفة بقراءة (حفص عن عاصم)، ومن يعتمد على قراءته المسلمون، كذاباً، وضاعاً؟ فإن الكذب والوضع يسلب الثقة عن الإنسان، ومهما كان المنقول أهم وأعظم لزم كون ناقله أوثق وأصدق، فكيف يمكن أن يكون هكذا والناس يعتمدون عليه ويثقون به ويأخذون بقراءته؟ فاعتماد الناس عليه في القراءة دليل واضح على ثقتهم به من

---

(١) شفاء السقام: ٩٥ ـ ٩٦ ولاحظ الهامش

جميع الجهات التي منها نقل الحديث.

ومن هذا الكلام يتضح جوابنا عن كلام الذهبي الذي حاول أن يعتذر عن هذه النسبة الشنيعة بقوله في ترجمة عاصم: ما زال في كل وقت يكون العالم إماماً في كل فن مقصراً في فنون، وكذلك كان حفص بن سليمان ثبتاً في القراءة واهياً في الحديث، وكان الأعمش بخلافه،كان ثبتاً في الحديث ليّناً في القراءة.

والجواب عنه: إن نسبة الوهن أو الضعف أو الخلط غير نسبة الكذب والوضع، فإن الكذاب والوضاع لا يعتمد عليه في شيء.

نعم يمكن أن يكون رجل إماماً ومتبحراً في علم وضعيفاً ووهنا في علم آخر وأين هذا من نسبة الكذب والوضع على من ثبت القرآن وقراءته في قلبه.

وهكذا تجدهم لا يحفظون حرمة القرآن، فيتهمون أكبر قرائه بمثل هذا من دون أن ينتبهوا إلى أين ينتهى كلامهم؟

ولكن الذي أحتمله أنّ هذا التشدّد والمبالغة في الجرح في مثل حفص وأُستاذه عاصم هو من جهة أنهما كانا كوفيين وأهل الكوفة أكثرهم كانوا يميلون لأهل البيت ويوالونهم، ولهذا كانوا متروكين ومتهمين والحال أن الرجلين لم يكونا من الموالين.

وهذا ليس من الإنصاف ويُعدُّ خروجاً عن قواعد الحديث والتحقيق بأن يترك شخص من جهة أنه كوفي أو شيعي من غير أن يثبت كذبه، وتفرده بالحديث أيضاً لا يكون سبباً لتكذيبه مع وجود الشواهد والمتابعات.

والحاصل أنّه مع تأييد السُبكي له خصوصاً مع ما أورده من القولين لأحمد في توثيقه، وما نُقل في مجمع الزوائد في توثيق أحمد لحفص بن أبي

داود القارئ[1]، ما أظن أن يبقى لك تأمل في توثيق مثل هذا الرجل في هذا الحديث.

متابعات الحديث: ثم إنه لو سلمنا ضعف هذا الحديث بحفص، لكنه لم ينفرد به، فقد جاء في معجمي الطبراني متابعته، فقد روى الطبراني عن أحمد بن رُشدين، عن علي بن الحسن بن هارون الأنصاري، عن الليث ابن بنت الليث بن أبي سليم قال: حدثتني جدتي عائشة بنت يونس إمرأة الليث،عن ليث بن أبي سليم، عن مجاهد،عن ابن عمر قال: قال رسول ﷺ: **«من زار قبري بعد موتي كان كمن زارني في حياتي»**.

ووردت متابعات أُخر من طريق جعفر بن سليمان الضبعي،عن ليث،عن مجاهد، عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: **«من حج بعد وفاتي وزار قبري كان كمن زارني في حياتي»**.

وهذه المتابعة تكفي لجبران ضعفه وتفرده وإدخاله في الحسن.

ثم إنه لا يشترط في المتابعة أن يكون المتابع صحيحاً، بل حتى لو كان ضعيفاً يكفي للتقوية، وعليه فلا يبقى أي مجال للإشكال.

وبقي الكلام في ليث بن أبي سليم: فإن أكثر ما يستفاد من أقوال القوم فيه، هو: أنه صدوق وثقة،لكنه قد اختلط في آخر عمره.

ولا يخفى: أن الاختلاط والسهو والنسيان في آخر العمر أمر يعرض لكثير من العلماء،وهو ليس بعجيب،ولا يصير سبباً لترك ما قاله ورواه قبل الاختلاط وفي أيام الشباب، فمن المعلوم أن من يصل إلى آخر عمره ويتمرض ويصير جليس الدار وينفصل عن الناس تبقى آثاره العلمية وفتاواه ورواياته على قوتها ولم يتركها الناس.

---

(١) لاحظ مجمع الزوائد: ٤/ ٢.

هذا مضافاً إلى أن هذا الرجل لم ينفرد بروايته عن حفص بن أبي داود،بل له متابعات في الحديث قد ذكرناها في متابعات حفص بن أبي داود،وهي تجبر ضعفه إن كان، وتدخله في الحسن.

وحاصل الكلام في هذا الحديث أنه لا أقل من أن يكون من الأحاديث الحسنة وبه،بل بأقل منه يثبت استحباب زيارته ﷺ، خصوصاً مع شد الرحال الذي قد منعه الخصم،ومعه يضرب قول المخالف على الجدار.

الحديث التاسع: أخرجه الدارقطني في سننه والبيهقي وغيرهما، عن أبي عبيد والقاضي أبي عبد الله وابن مخلّد،عن محمد بن الوليد البُسري، عن وكيع،عن خالد بن أبي خالد وأبي عون، عن الشعبي والأسود بن ميمون، عن هارون بن قزعة، عن رجل من آل حاطب،عن حاطب قال: قال رسول الله ﷺ: **«من زارني بعد موتي فكأنّما زارني في حياتي ومن مات بأحد الحرمين بعث من الآمنين يوم القيامة»**.

وفي طريق آخر، بلفظ «وفاتي» بدل «موتي» ورواه ايضاً أبو يعلي في مسنده، وابن عدي في كامله، ورواه الطبراني في الأوسط،ورواه العقيلي عن حديث ابن عباس[1].

وأخرجه أيضاً ابن عساكر عن طريق هارون بن قزعة، وفيه (**بُعث يوم القيامة من الآمنين**) بتقديم «يوم القيامة»[2].

أما الكلام في إسناده:

قال الحافظ الذهبي: أجودها ـ أي أحاديث الزيارة ـ إسناداً حديث

---

(١) سنن الدار قطني: ٣/ ٤٧٨. وقال الممدوح: وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٣ / ٤٨٨ والحاملي والساجي كما في الميزان، وعلقه ابن عبد البر في الاستذكار، ورواه البخاري في تاريخه بلفظ من مات...) لاحظ رفع المنارة ص٢٧٣

(٢) لاحظ شفاء السقام ص١٠٦.

حاطب، وأقره السخاوي في المقاصد الحسنة[١]، والسيوطي في الدرر المنتثرة[٢]، فهؤلاء ثلاثة من الحفاظ اتفقوا على مقولة تدحض الباطل فماذا بعد الهدى[٣]...

ولاحظ ابن عبد الهادي،فإنه حيث لم ير أيّ ضعف في رجال هذا الحديث وكان تمام همّه تضعيف أحاديث الزيارة، أشكل على زيادة (الشعبي) فقال: إنها زيادة منكرة غير محفوظة وليس للشعبي مدخل في إسناد هذا الحديث[٤].

وأجاب عنه الشيخ ممدوح: بأن هذه الزيادة مسلسلة بالثقات،كما تقدم وكيع بن الجراح وخالد بن طهمان ومتابعه عبد الله بن عون البصري، ثم عامر الشعبي،ثقات لاينظر في حالهم ما خلا ابن طهمان وهو صدوق وقد توبع، ونسأل الله تعالى الإنصاف في الرضا والغضب.

وقال: إذا علم ذلك فإن الكلام في هذا الإسناد انحصر في هارون بن أبي قزعة وشيخه المبهم.

أما هارون بن أبي قزعة، فقد قيل هارون أبو قزعة، وقيل ابن قزعة وهذا لا يضر، قال الحافظ في النكت على ابن الصلاح[٥]: واختلاف الرواة في إسم رجل لا يؤثر ذلك، لأنه إن كان ذلك الرجل ثقة لا ضير، وإن كان غير ثقة فضعف الحديث هو من قِبَل ضعفه لا من قِبَل اختلاف الثقات في اسمه... إلى آخره.

---

(١) المقاصد الحسنة: ٤١٣.

(٢) الدرر المنتثرة: ١٧٣.

(٣) حكاه الممدوح عن الذهبي في رفع المنارة: ٢٧٥.

(٤) الصارم المنكي ص١٥١ على ما في رفع المنارة.

(٥) النكت على ابن الصلاح ٢: ٧٧٣.

والرجل قد ضعفه يعقوب بن شيبة وذكره العقيلي والساجي وابن الجارود في الضعفاء، لكن ذكره ابن حبان في الثقات[١]، ويروي عنه عامر الشعبي، فيكون هارون ابن أبي قزعة ثقة عنده.

قال يحي بن معين في (الشعبي): إذا حدث عن رجل فسماه فهو ثقة ويحتج به، فرواية الشعبي عن هارون ابن أبي قزعة توثيق له كما قال ابن معين لأنه سماه، لكنه توثيق أقل من النص على ذلك صراحة، فهو توثيق ضمني أو إجمالي، فمع توثيق ابن حبان ورواية الشعبي الموثقة لهارون ابن أبي قزعة، فالرجل ممن يعتبر بحديثه ويُستشهد به[٢].

وتبقى علة واحدة في الاسناد، وهي شيخ هارون بن أبي قزعة المبهم،حيث فيه عن رجل من آل حاطب، ولكن الضعف في هذا الحديث غير شديد، بل ضعفه قريب ويحتج الفقهاء بمثله في اثبات مشروعية أمرٍ ما،ودونك كتب الفقه للتحقيق في صحة مقولتي، كيف ولأحاديث الزيارة طُرق بعضها من شرط الحسن، فإذا وقفت على قولهم: أحاديث الزيارة ضعيفة،بل موضوعة،فاضرب به عرض الحائط لأنه مخالف للقواعد[٣].

كلام لابن تيمية

ولا بأس بأن نتعرض لكلام ابن تيمية على هذا الحديث وأمثاله وقد سبقت الإشارة إليه في الأحاديث السابقة،ولكن ننقل هنا أصل كلامه في كتاب التوسل والوسيلة، قال: هذا كذب ظاهر لدين المسلمين، فإن من زاره في حياته وكان مؤمناً به كان من أصحابه لاسيما إن كان من المهاجرين

---

(١) الثقات لابن حبان ٧: ٥٨٠.

(٢) التهذيب ٥: ٦٧.

(٣) لاحظ رفع المنارة ص ٢٧٤.

إليه المجاهدين معه وقد قال ﷺ: «لا تسبّوا أصحابي فو الذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مُدّ أحدهم ولا نصيفه» أخرجاه في الصحيحين[١].

والواحد من بعد الصحابة لا يكون مثل الصحابة بأعمال مأمور بها واجبة كالحج والجهاد والصلوات الخمس والصلاة عليه، فكيف بعمل ليس بواجب باتفاق المسلمين[٢].

والجواب عنه أولاً: أن هذا الاشكال مثل سائر الاشكالات التي أوردها ابن تيمية وأتباعه واهٍ جداً بعد أن تكذيبهم هذا الحديث في هذه المرة ليس من ناحية السند، لعدم تمكنهم من ذلك،فتعلّقوا بالمفهوم والدلالة، وكان إشكالهم مبتنٍ على ظاهر الحديث.

والحال أن النبي ﷺ في هذا الحديث ليس في مقام المقايسة بين أصحابه الذين أدركوا حياته والذين لم يدركوا حياته، بقرينة سائر روايات الزيارة، فإنها كلها واردة في مقام الحث والتأكيد على الزيارة وكثرة ثوابها وبيان آثارها الدنيوية والأخروية، كالشفاعة ونيل جواره والأمن من الفزع في يوم القيامة و... وأن آثار وثواب زيارته ميتاً، لا تقل عن زيارته حياً، فهذا التشبيه من جهة الثواب والآثار.

هذا مضافاً إلى أنه لا يلزم في التشبيه المساواة في طرفي التشبيه،فقد يكون أحدهما أفضل من الآخر،فيكون من باب إلحاق فاضل بأفضل منه، وهذا متداول في المحاورة.

وثانياً: قال الممدوح: الجامع بين طرفي التشبيه هو الحياة، فمن زاره ﷺ بعد موته يشبه من زاره في حياته باعتبار حياة النبي ﷺ في قبره الشريف

---

(١) وجدناه في مسند أحمد ٣ : ١١ وص١٥ ، سنن ابن ماجة ١ : ٥٧ .

(٢) التوسل والوسيلة لابن تيمية:٧٤ ، فتاوى شيخ الإسلام ١ : ٢٣٤ .

وقد تواترت الأخبار في حياته...[1].

وقد تقدمت بعضها في دليل الكتاب،مثل قوله ﷺ: «**الأنبياء أحياء في قبورهم يصلّون**».

ولعل المراد من هذا التشبيه،هو إعلام الزائر بانك تزور من يرى مقامك ويسمع كلامك ويردّ جوابك،كما في زيارته حياً،بهذا الفرق بأن كثيراً من الناس قد حُجبوا أن يسمعوا كلامه، وهو من جهة عدم القابلية من طرف الزائر، إلا القليل من المؤمنين الذين بلغوا مراحل الكمال وارتفع الحجاب عن آذانهم، فتشرفوا بسماع كلامه بعد مماته أيضاً فطوبى لهم.

وثالثا: أن مجرد درك الحضور والمشاهدة والسماع، لا توجب الأفضلية وتلك الدرجات التي قالها، وكأنه قد غفل أو تغافل عن أن كثيراً من هؤلاء الذين أدركوا حضوره وسمعوا كلامه واشتركوا معه في الغزوات،كانوا من المنافقين وكانوا أعداء الرسول ﷺ وكم من أذى تحمل النبي ﷺ منهم إلى أن ارتحل إلى العالم الأعلى، فارتدّ كثير منهم على أعقابهم، وسقطوا في الفتنة، وقد أشار النبي ﷺ إلى هذا الأمر كراراً وحذر أصحابه من الانحراف والرجوع إلى القهقرى وترك العمل بوصيته.

وقد تقدم منا بعض الروايات في الأدلة العامة ما يشير إليها، وإليك بعض آخر منها، قد أوردها البخاري في صحيحه وهي كالتالي:

عن ابن أبي ملكية، قال: حدّثت أسماء عن النبي ﷺ أنه قال: «**أنا على حوضي أنتظر من يرد عليّ فيؤخذ بناس من دوني، فأقول: أمتي، فيقول: لا تدري مشوا على القهقرى**».قال أبن أبي مليكة: اللّهم إنا نعوذ

---

(١) رفع المنارة ص ٢٧٦.

بك أن نرجع على أعقابنا أو نفتن[١].

وعن أبي وائل قال: قال عبد الله، قال النبي ﷺ: **«أنا فرطكم على الحوض، ليرفعنّ إليّ رجال منكم حتى إذا أهويت لأناولهم، اختلجوا دوني فأقول: أي ربّ أصحابي»** فيقول: **«لا تدري ما أحدثوا بعدك»**[٢].

عن أبي حازم قال: سمعت سهل بن سعد يقول: سمعت النبي ﷺ يقول: **«أنا فرطكم على الحوض، من ورده شرب منه ومن شرب منه لم يظمأ بعده أبداً، ليرد علي أقوام أعرفهم ويعرفوني، ثم يحال بيني وبينهم»**. قال أبو حازم: فسمعني النعمان بن أبي عياش وأنا أحدّثهم هذا، فقال: هكذا سمعت سهلا؟ فقلت نعم، قال: وأنا أشهد على أبي سعيد الخدري لسمعته يزيد فيه، قال: **«إنهم مني فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول سُحقاً سُحقاً لمن بدّل بعدي»**[٣].

فتحصل أن ملاك الأفضلية مضافاً إلى درك الحضور وسماع الكلام،هو كمال الإيمان وثبات القدم والبقاء على كلمة التوحيد والعمل بأوامره

---

(١) صحيح البخاري: ٨ كتاب الفتن، باب ١: ٤٢١ ح ٧٠٤٨ إلى ٧٠٥٠ طبع في دار الكتب العلمية ـ بيروت. ولا يخفى أن قوله (لا تدري إلخ..) ليس فيه تنقيصاً للنبي ﷺ ولا يدل على عدم علمه، كيف والاعتقاد على أنه يعلم بما كان ويكون وكان يعرف المنافقين وكان قد عرف بعضهم لبعض الأصحاب؟! كيف يمكن أن لا يعرفهم وهو يخبر بما يقع في الآخرة وعند الحوض وتلك الأمور العجيبة؟!

فمن المحتمل أن نقول: إن الغرض من السؤال والجواب هو أن يفتضحوا ويُشهروا أمام الناس لا غير.

(٢) صحيح البخاري: ٨ كتاب الفتن، باب ١: ٤٢١ ح ٧٠٤٩.

(٣) صحيح البخاري: ٨ كتاب الفتن، باب ١: ٤٢١ ح ٧٠٥٠.

ووصاياه ﷺ، وإلاّ فالمنافق تكون له تلك الفضيلة!

وباليقين: أن المؤمنين الذين لم يدركوا النبي ﷺ ولم يسمعوا كلامه، بل آمنوا به وأطاعوه واتّبعوه بصرف سواد على بياض ومع كثرة الأعداء والفتن التي منها فتنة منع زيارة قبره ﷺ، ووجود الشبهات وتحمل المشقات والأذى، ثبتوا على دينهم وإيمانهم وعقائدهم والعمل بوظائفهم، فبالطبع أُولئك أفضل ممّن تشرفوا بلقائه وسمعوا كلامه[1]، فإن من كان في زمانه بأقل شبهة وحيرة يرجع إليه ويرتفع تحيّره، بخلاف من لم يدرك زمانه ولم يسمع كلامه.

ويشهد لما قلت: كلام الرسول المصطفى ﷺ في جمع من الأصحاب عندما قال: «**اللهم لقني إخواني**» مرّتين، فقال من حوله من أصحابه: أما نحن إخوانك يا رسول الله؟ فقال:«**لا، إنكم أصحابي وإخواني قوم في آخر الزمان آمنوا ولم يروني، لقد عرّفنيهم الله بأسمائهم وأسماء آبائهم، من قبل أن يخرجهم من أصلاب آبائهم وأرحام أمهاتهم،لأحدهم أشد تقية على دينه من خرط القتاد في الليلة الظلماء، أو كالقابض على جمر الغضا، أُولئك مصابيح الدجى، ينجّيهم الله من كل فتنة غبراء مظلمة**»[2].

وفي حديث عمر بن محمد، عن جعفر بن محمد، عن عيسى بن مهران، عن أبي يشكر البلخي،عن موسى بن عبيدة،عن محمد بن كعب القرظي، عن عوف بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: ذات يوم: «**يا ليتني قد لقيت**

---

(١) وقد تقدم في الادلة العامة منه ﷺ ما يدل على أفضليتهم، وقد وردت من طرق العامة أيضاً.

(٢) بحار الأنوار ٥٢ : ١٢٤ح٨ عن أبي الجارود ،عن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «ذات يوم وعنده جماعة من أصحابه: **اللهم...**» الحديث. وقد ورد هذا الحديث في كثير من كتب الامامية.

اخواني»، فقال له أبوبكر وعمر: أولسنا اخوانك آمنّا بك وهاجرنا معك؟ قال: «**قد آمنتم وهاجرتم ويا ليتني قد لقيت إخواني**»،فأعادا القول، فقال رسول الله ﷺ: «**أنتم أصحابي ولكن إخواني، الذين يأتون من بعدي، يؤمنون بي ويحبّوني وينصروني ويصدقوني، وما رأوني، فياليتني قد لقيت إخواني**»[١].

وفي حديث آخر عن أبي محبوب،عن عبد الله بن سنان،عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «**سيأتي قوم من بعدكم،الرجل الواحد منهم له أجر خمسين منكم**»، قالوا: يا رسول الله! نحن كنا معك ببدر واُحد وحنين ونزل فينا القرآن، فقال: «**إنكم لو تحملوا لما حُمّلوا لم تصبروا صبرهم**»[٢].

وفي حديث أيضاً: عن محمد بن علي بن الشاه، عن أحمد بن محمد بن الحسن، عن أحمد بن خالد الخالدي، عن محمد بن أحمد بن صالح التميمي، عن محمد بن حاتم القطّان،عن حماد بن عمر، عن الصادق، عن آبائه عليهم السلام قال: قال النبي ﷺ لعلي عليه السلام: «**يا علي! واعلم إنّ أعظم الناس يقينا قوم يكونون في آخر الزمان، لم يلحقوا النبي وحجب عنهم الحجة، فآمنوا بسواد في بياض**»[٣].

وبالإسناد المتقدم في باب النص على الأئمة الاثني عشر،عن جابر الأنصاري،عن النبي ﷺ قال: «**يغيب عنهم الحجة لا يسمّى حتى يظهره الله، فإذا عجل الله خروجه، يملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما**

---

(١) بحار الأنوار ج ٥٣: ١٢٣ ـ ١٢٥.

(٢) نفس المصدر.

(٣) نفس المصدرالسابق: وفي قوله ﷺ «وحجب عنهم الحجة» اشارة إلى غيبة الحجة القائم عليه السلام.

وجورا»، ثم قال ﷺ: «طوبى للصابرين في غيبته، طوبى للمقيمين على محجّتهم أولئك وصفهم الله في كتابه فقال: ﴿والَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ وقال: ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ اللهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[1].

ومع هذا الجواب القاطع الذي تؤيّده الروايات الصريحة،لا يبقى أيّ تردد وخفاء في بطلان كلام ابن تيمية، ومن الواضح إنه بهذا الإشكال، لم يرد الدفاع عن شخصية أصحاب رسول الله،وهذا يفهم من خلال كلماته ورده على عمل أصحاب رسول الله وعدم اعتنائه بمن يخالف رأيه منهم، لكنه أراد تكذيب الحديث من هذا الطريق، فإن الغريق يتشبث بكل قشة.

إن قال الخصم: هذه الروايات منقولة من طرق الشيعة.

فأقول أولاً: إنّ ذكر هذه الروايات وإن كانت دليلاً مستقلاً لنصف المسلمين إلا أننّا أوردناها بعنوان الشاهد والمؤيد للجواب ولتلك الروايات الكثيرة الواردة من طرق الآخرين، لا بعنوان دليل مستقل.

وثانياً: ما هو الإشكال في طرق الشيعة، إذا كانت صحيحة ومطابقة لقواعد الحديث، وبالأخص إنها منقولة من أهل بيت العصمة، ومعادن العلم الذين اعترف أعلام المذاهب بفضلهم وتقدمهم على الآخرين وأذعنوا بأن أحاديثهم أصح الأحاديث، فإن كثيراً من الأحاديث قد وردت من الإمام الباقر والصادق الذي قال الحاكم: وأصح طريق يروى في الدنيا أسانيد أهل البيت، جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي، عن أبيه، عن جده، عن علي، إذا كان الراوي عن جعفر ثقة. هذه عبارة الحاكم، ووافقه من نقلها عنه وهو السيوطي[2].

---

(١) البحار ج ٥٣: ١٤٣ والكافي ج ١: ٣٧١ و٣٧٢.

(٢) تدريب الراوي في شرح تقريب النووي، للحافظ عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي الشافعي: ٣٦ ط المكتبة العلمية ـ المدينة المنورة.

وقال الراغب الاصفهاني: ليس في الأرض خمسة أشراف متناسقة كتب عنهم الحديث إلا جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم الرضوان[١].

وقال الشيخ مصطفى رشدي: الإمام محمد الباقر: كان عظيم القدر نبيه الذكر لم يظهر عن أحد في عصره ما ظهر عنه من علم الدين والآثار والسنة والعلم بالله تعالى، روى عنه أئمة التابعين وأكابر علماء الدين[٢].

وقال ابن الجوزي في التذكرة، قال ابن سعد: محمد من الطبقة الثالثة من التابعين من أهل المدينة، كان عالماً عابداً ثقة، روى عنه الأئمة، أبو حنيفة وغيره[٣]. فما هذا التعصب والعناد في عدم قبول الحق؟!

هذا مضافاً إلى أنه قد روي من طرق العامة عن النبي ﷺ ما يشابه هذه الروايات مضموناً.

والحاصل: أن هذا الحديث ـ حديث حاطب المعروف ـ من أحسن أحاديث الزيارة سنداً ودلالة، كما قاله الذهبي وأقرّه السخاوي والسيوطي، وهو أيضاً وحده يكفي للجواب عن قولهم بأن: (أحاديث الزيارة موضوعة مكذوبة).

واتضح أنّ من كذّبها وادعى وضعها،هو الكذاب والوضاع والمدلس ولا غير.

الحديث العاشر: أخرجه ابو الفتوح اليعقوبي بسنده من طريق خالد بن يزيد،عن عبد الله بن عمر العمري، عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة قال:

---

(١) محاضرات الأدباء للراغب الاصفهاني ١: ٣٣٢ ط بيروت.

(٢) الروضة الندية للشيخ رشدي الدمشقي :١.

(٣) التذكرة للسبط ابن الجوزي: ٣٤٧ ط الغري.

قال رسول الله ﷺ: «من زارني بعد موتي فكأنّما زارني وأنا حي ومن زارني كنت له شهيداً وشفيعاً يوم القيامة»[١].

هذا الحديث وإن كان من حيث المضمون،ليس فيه إضافة على الأحاديث السابقة، لكن حيث كان حديثا مستقلا والرواة وطُرق الأحاديث يختلف بعضها عن بعض، فقد أوردناه بسنده تأييداً وتقوية لسائر الأحاديث،حتى يبهت الذي كفر بمشروعية الزيارة وتكون حجة للقارئين الكرام حفظهم الله عن المدلسين اللئام، فإن إنكار أمثال هذا الحديث بعلة الفرق بين من زاره حيّاً ومن زاره ميتاً كما تقدم الجواب عليه سابقاً ليس إلا تدليسا واغواءً للناس من جهة، ومن جهة أخرى فهي محاولة في إبعاد الناس عن الرسول ﷺ بالمآل.

أما سنده: ففيه خالد بن يزيد، وقال السبكي فيه: إن كان هو العمري، فقد قال ابن حبّان: إنه منكر الحديث[٢].

وقال الممدوح: في هذا الإسناد خالد بن يزيد أبو الهيثم العمري المكي، كذّبه أبو حاتم ويحيى بن معين وضعفه جداً العقيلي وابن عدي وابن حبان وغيرهم[٣].

وعلى أي حال إن كان هو العمري فقد وقع التكذيب والتضعيف فيه على السواء،وبه يسقط الحديث من القوة إلى الضعف، والحديث الضعيف إن كان متحد الدلالة مع سائر الأحاديث الواردة القوية سنداً يستفاد منها قوة.

---

(١) لاحظ شفاء السقام: ١٠٩ ورفع المنارة: ٢٨٦ وكذا الغدير ج ٥: ١٠٢ وكشف الارتياب: ٤٩٢ ووفاء الوفا ج ٤: ١٣٤٥.

(٢) نفس المصادر السابقة.

(٣) نفس المصادر السابقة.

ومنها: الروايات المحذرة عن الجفاء في عدم زيارته ﷺ

الحادي عشر: أخرجه يحيى بن الحسن بن جعفر الحسيني في أخبار المدينة،عن محمد بن إسماعيل،عن أبي أحمد الهمداني،عن النعمان بن شبل، عن محمد بن الفضل، عن جابر،عن محمد بن علي، عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: **«من زار قبري بعد موتي فكأنّما زارني في حياتي ومن لم يزرني فقد جفاني»**.

وقد أخرجه محمد بن ابراهيم النيسابوري الخرگوشي في كتاب شرف النبي، روى عن علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال:

قال نبي الله ﷺ: **«من زار قبري بعد موتي فكأنما زارني في حياتي ومن لم يزر قبري فقد جفاني»**.

وأخرجه أيضاً ابن عساكر من طرق اخرى عن علي عليه السلام ليس فيها تصريح بالرفع إلى النبي ﷺ وهو: من زار قبر رسول الله كان في جوار رسول الله ﷺ.

وأخرجه السبكي أيضاً بالطريق الأول في شفاء السقام والسمهودي في وفاء الوفا[1].

والحاصل أن هذا الحديث مضافاً إلى ما فيه من فضل الزيارة وعظمة ثوابها، فيه تحذير لمن لا يهتم بها ولا يواظب عليها ولا يجعلها من

---

(١) شفاء السقام: ١١٤ ووفاء الوفا ٤: ١٣٤٨، ونقل من ابن عساكر في تاريخ دمشق، لا حظ مختصر ابن منظور: ٢: ٤٠٦ ـ والدرة الثمينة لابن النجار: ٣٩٧ ب ١٦ وشرف النبي للخرگوشي: ٤٢١ و٤٦٦، وقد أخرجه أيضاً شعيب الحريفش في الروض الفائق ٢: ١٣٧ والمناوي في كنوز الحقائق: ١٤١ ولاحظ الغدير ٥: ١٠٥.

الوظائف الدينية والأخلاقية،فان من يترك زيارته وما فيها من التعظيم والتكريم،فقد ترك حقاً من حقوقه وجفاه ﷺ.

السند: أمّا يحيى بن الحسن فهو ابن جعفر الحجة بن عبيد الله الأعرج بن الحسين الأصغر بن الامام السجاد زين العابدين عليه السلام، المتوفى سنة ٢٧٧هـ. هذا ما جاء في هامش شفاء السقام،ولكنه لم يتعرض له عند الكلام في إسناده، ولعله لم يجد فيه شيئاً.

ولم أعثرعلى من قدح فيه الا الممدوح في رفع المنارة،حيث قال في ضمن البحث عن محمد بن النعمان: ومحمد بن الفضل،هو ابن عطية العيسي الكوفي، كذّبه غير واحد من النقاد،وجابر بن يزيد الجعفي حاله معروف في الضعف.

أقول: إن نسبة الكذب للأول يمكن أن تكون ناشئة من احتمال تشيّعه حيث إنه كوفي ومن كان شيعيا يُرمى بالكذب من غير دليل، وهذا ليس من الانصاف وخارج عن قواعد الحديث.

وأما جابر الجعفي فحاله معلوم، حيث كان من أجلّة أصحاب الإمام المعصوم الباقر عليه السلام ومن رواة حديثه ومن أهم الثقات الذين يعتمد عليهم وكان سبب تركهم إياه تشيعه لعلي عليه السلام، وقد وثقه شعبة والثوري كما نقل ذلك الهيثمي والمباركفوري حيث قال: كان جابر ورعاً في الحديث[1].

والحاصل أن الضعف في الحديث إذا كان ناشئاً من هذه الجهة، فحاله معلوم للقارى البعيد عن التعصب والعناد خصوصاً مع وجود أحاديث مثله وردت من طرق أُخرى، فإن هذا الحديث له شواهد وليس حديثاً واحداً حتى يُجترء في نسبته إلى الكذب.

الحديث الثاني عشر: أخرجه ابن عدي في الكامل وغيره من طريق

---

(١) مجمع الزوائد ١ : ٢٤٦ ، تحفة الأحوذي للمباركفوري٢ : ٣٠٠

محمد بن النعمان، عن جده، عن مالك، عن نافع، عن ابن عمر، قال قال رسول الله ﷺ: «من حج البيت ولم يزرني فقد جفاني»[١].

الدلالة:

وهذا ثاني حديث يدل على التحذير من ترك زيارته، لما فيها من الآثار والثواب وأداء حق الرسالة والتعظيم لصاحبها.

وأن تركها معناه عدم الوفاء وعدم الاعتناء والتوجه بمن له حق عظيم على عاتق الانسان، بسبب الإسلام والخروج من ظلمة الضلالة إلى نور الهداية، قال الله تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ﴾[٢].

وهذا ليس بمعنى أنه ترك واجب من الواجبات وإنكار لها حتى يوجب الكفر، كما ادعاه البعض عند إنكاره لهذا الحديث ونسبته إلى الوضع من هذه الجهة[٣].

وهذه الكلمات المدلّسة يراد بها إغواء المسلمين، لا محبة لرسول رب العالمين، فإنهم لا يعلمون ما يقولون، وكأنهم تغافلوا عن أن هذه الكلمة (الجفاء) قد وردت في الأحاديث مثل قوله ﷺ: «من ولد له أربعة أولاد ولم

---

(١) الكامل لابن عدي٨ : ٢٤٩، وراجع شفاء السقام: ٩٨ الطبعة الرابعة.

(٢) الرحمن: ٦٠.

(٣) فقال صالح السدلان في تنبيه زائر المدينة: ٢٩ حول هذا الحديث: اما متنه فإنه قدورد بالفاظ متفاوتة وزيادات مختلفة، وهذه الروايات لا تزيده وضوحا، بل تزيده لبساً وتخليطاً ووهناً، ومن عنده أدنى معرفة بسنة النبي ﷺ يردّه ويُبطله. ثم ان معناه مخالف للاجماع، فإن جفاء الرسول من أكبر الكبائر، بل هو كفر ونفاق، بل يجب أن يكون أحبّ الينا من أنفسنا وأهلينا وأموالنا كما اخبر بذلك وكيف يوصف من حج ولم يزر النبي بالكفر والنفاق.

يسمّ أحدهم باسمي فقد جفاني»[١].

فإن ترك التسمية باسمه ليس حراماً ولا تركاً للواجب،بل معناه عدم الاعتناء والتوجه به والإعراض عنه.

وفي الحديث القدسي: من أحدث ولم يتوضا فقد جفاني، ومن أحدث وتوضا ولم يصل ركعتين فقد جفاني،ومن صلاهما ولم يدعني فقد جفاني،ومن دعاني ولم أُجبه فقد جفوته وأنا لست بربّ جاف[٢].

فثبت أن معنى الجفاء هو عدم الوفاء وعدم الاعتناء، وأين هذا من الكفر والنفاق؟!

نعم قال جمع من العلماء: إذا ترك الناس زيارته ﷺ متعمداً ومن غير عذر، فهو علامة الجفاء المحرم، لأنه ترك تعظيمه الواجب، ولهذا قالوا: على الوالي أن يجبرهم على الزيارة.

ثم إنّ ورود الحديث بألفاظ مختلفة وزيادات كذلك،ليس دليلاً على الوهن واللبس،كما ادّعوه وكرّروه في ردّ الأحاديث، وهذا الادعاء دليل آخر على مغالطاتهم وتدليسهم، حيث إنهم جعلوا الأحاديث الكثيرة الواردة عن النبي ﷺ بألفاظ مختلفة وطرق متعددة وكان مفادها مطلباً واحداً، حديثاً واحداً، وتركوا الطرق التي لا يمكن الخدشة فيها[٣]، وتكلّموا

---

(١) الكافي ٦: ١٨ ح ٥، الوسائل ١٥: ١٢٦ باب ٢٣ ح ٢، وورد في مصادر العامة أيضاً عن رسول الله ﷺ قال: «**من ولدله ثلاثة فلم يسم أحدهم باسمي فقد جفاني**». فضائل التسمية بأحمد ومحمد، للحسين بن أحمد بن بكير: ٣٢.

(٢) الوسائل ١: ١٦٨ الباب ١١ من أبواب الوضوء، كشف الخفاء للعجلوني ٢: ٢٢٤.

(٣) مثل طريق موسى بن هلال العبدي.

حول الطريق الذي يمكنهم الخدشة فيه[١].

فنقول أولاً: بايّ سبب يجعلون الأحاديث المتعددة الواردة عن النبيﷺ حديثاً واحداً،فإنه ﷺ قد صدرت منه أحاديث كثيرة في مقامات كثيرة وبألفاظ مختلفة ولو كان مضمونها واحداً، فإن كثرة الأحاديث منه وتكرار المطلب منه يدل على اهتمامه بذلك المطلب وتأكيده عليه،كما في الروايات التي وردت في ولاية أمير المؤمنين عليه السلام وأهل بيت العصمة عليهم السلام ، وسائر الأُمور.

فقد روى ابن عباس وابن عمر وعائشة وأمثالهم أحاديث كثيرة قد ملئت الكتب وكان كثير منها متحد المضمون كاملاً أو في جزء منها، فليس من الصحيح أن يحكم بوحدة الحديث بصرف اتحاد الراوي أو المضمون، فلا بد أن ننظر إلى الطُرُق والرواة التي فيها،فإن كانت متحدة فهي، وإلا فلا.

فمن المثال إن الطريق الذي فيه موسى بن هلال يختلف عن طريق حفص بن أبي داود وهكذا طريق محمد بن النعمان، ولو أنّ راوي الجميع هو ابن عمر، فلا يصح الحكم بأن الحديث واحد.

وحينئذ لو فرضنا كون طريق في رواية من الروايات التي رواها ابن عمر أو ابن عباس ضعيفاً أو مكّذوباً، فما ذنب سائر الطُرق وسائر الأحاديث التي وردت في ذلك المعنى من ذلك الراوي؟ وكيف تجعلونها واحدة وتكذّبونها؟ وبأيّ قاعدة من قواعد الحديث؟!

وهل هذا إلا تجاسّر على الأحاديث النبوية وتصرف فيها بما تهوى الأنفس.

فانتبه أيها القارئ الكريم وتفطن لكلماتهم المدلّسة.

---

(١) مثل طريق حفص بن أبي داود.

السند:

فقد وقع الكلام فيه من حيث الإسناد، فضعفه بعض وتشدّد فيه بعض آخر، وقد فصّل السبكي الكلام فيه وكان حاصل تحقيقه فيه قوله: فتحصل من هذا إبطال الحكم عليه بالوضع، لكنه غريب كما قاله الدارقطني، وهو لأجل كلام ابن عدي صالح لأن يعتضد به غيره.

ومما يجب أن يُنبّه عليه: أن حكم المحدثين بالانكار والاستغراب قد يكون بحسب ذلك الطريق، فلا يلزم منه ردّ متن الحديث.

وهذا بخلاف اطلاق الفقيه: (إن الحديث موضوع) فإنه حكم على المتن من حيث الجملة، فلا جَرَم قيلنا كلام الدارقطني (وهو الانكار) ورددنا كلام ابن الجوزي (وهو الوضع) والله اعلم![1].

أقول: إنّ أكثر ما يستفاد من كلمات السبكي وغيره،هو أن الحديث غريب منكر، وهو ليس بشيء وأنه أهون من الضعف وحتى لو سلمنا الضعف، فهو صالح لأن يعتضد به غيره ويتقوّى به.

ومن تدليسات الخصم، إنه يقول: هذه الأحاديث لا يعتمد عليها لأنها لم يروها أهل الصحاح والسُنن، بل يرويها من يروي الضعاف، كالدارقطني، والبزار وغيرهم[2].

والجواب عنه أولاً: أن ما ينقله الدارقطني لو كان غير معتبر فلماذا تعتمدون على كلامه في موارد أُخر،مثل تضعيف ابن النعمان الذي تقدم منه في هذا الحديث، وتستندون إليه.

وثانياً: أن هذه الأحاديث لم يروها الدار قطني والبزار فقط، بل قد

---

(١) شفاء السقام: ٩٩ ـ ١٠١ ط ٤.

(٢) فتاوى شيخ الإسلام لابن تيمية، نقلاً من تنبيه زائر المدينة: ٢٤.

رواها كثير من أئمة الحديث،مثل البيهقي وأبي داود الطيالسي صاحب السنن المقبولة عندكم وابن عساكر الذي قلتم إن روايته أحسن ما ورد في الباب وغيرهم من الحفاظ المعتمدين،كابن السكن وابن عدي والطبراني والعقيلي.

وهذا ابن الجوزي الذي جعل هذا الحديث من الموضوعات واعتمدتم على كلامه، قد ذكر بعض هذه الأحاديث في كتابه مثير الغرام الساكن واعتمد عليها، فيا للعجب، كيف تقولون إنهم لم يرووها وهي أمام أعينكم؟

فتأكّد مما قلناه سابقاً من انهم لا يعتقدون بأي شيء مخالف لأهوائهم وأيّ كلام مخالف لأفكارهم، بل قد اتخذوا آيات الله هزواً!!

إلى هنا قدّمنا لك قسماً من الروايات الخاصة التي تحثّ وتؤكد على زيارة قبره ﷺ وشد الرحال إليه، فبعضها مصرحة وبعضها غير مصرحة، وقد وردت من طُرُق العامة، فمنها ما قد صحّحها أئمة الحديث وثقاتهم،ومنها ما قد ضعّفها ولكنها تتقوّى بغيرها ويُتابع عليها، كما قد تكلّمنا في كل واحد منها، ومعها خصوصا مع عمل الأصحاب بها، لا يُعتنى بأيّ قولٍ مخالفٍ لا يعتمد على قواعد الحديث.

وقد وردت روايات أُخَر من طرق العامة لم يصحّحها أصحابهم، أعرضنا عن ذكرها.

ووردت أيضاً أحاديث كثيرة من طُرُق الامامية وقد روتها الثقات عن أهل بيت العصمة الذين قد أذعن بأن أحاديثهم أصح الأحاديث[1]، وهي متوافقة مع الروايات المذكورة من طرق العامة ومعاضدة لها سنداً ودلالة،

---

(١) لاحظ كلمات أعلام العامة حول أحاديثهم في صفحة: ٨١ ضمن الجواب عن كلام ابن تيمية في الحديث التاسع.

وقد عمل الأصحاب على طبقها بلا خلاف، حيث إن مسألة الزيارة من المسائل الاتفاقية عند الامامية ومن السنن المؤكدة التي قامت عليها سيرتهم وسيرة جميع المسلمين مدى الزمان،فلو كان في بعضها ضعفاً،فهو من المتسامح فيه في أدلة السنن ويتقوى بسائر الروايات وعمل المسلمين.فنقدم إليك قسماً منها تتميماً للفائدة وتكميلاً للدليل والبرهان، ودفعاً للشكوك والأوهام، وبالله المستعان.

ثانياً:

الأحاديث الواردة من طرق الشيعة

الحديث الاول: محمد بن يعقوب، عن عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن ابن أبي نجران قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: ما لمن زار رسول الله صلى الله عليه وآله متعمدا؟ قال: الجنة[1].

ورواه الشيخ باسناده عن محمد بن الحسن بن الوليد، عن محمد بن يحيى، عن محمد بن أحمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد مثله، إلاّ أنه قال: قاصداً، بدل قوله متعمداً[2].

ورواه ابن قولويه في المزار بأسانيد كثيرة والفاظ مختلفة[3].

الحديث الثاني: وعنهم، عن أحمد بن محمد، عن ابن محبوب، عن أبان، عن السندي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«من أتاني زائراً كنت شفيعه يوم القيامة»[4].

ورواه الشيخ بأسانيده عن محمد بن الحسن، عن محمد بن الحسين،عن أحمد بن محمد مثله[5].

---

(١) الكافي ٤: ١/٥٤٨ وفي المصدر فقال: له الجنة.

(٢) التهذيب ٦: ٣/٣.

(٣) كامل الزيارات: ١٣.

(٤) الكافي ٤: ٣/٥٤٨. وفي نسخة السدوسي بدل السندي.

(٥) التهذيب ٦: ٤/ ٤. وفي بعض النسخ عن أبي يحيى الأسلمي.

الحديث الثالث: عن علي بن محمد بن بندار، عن إبراهيم بن اسحاق، عن محمد بن سليمان الديلمي، عن أبي حجر الأسلمي.

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: **«من أتى مكة حاجاً ولم يزرني إلى المدينة جفوته يوم القيامة، ومن أتاني زائراً وجبت له شفاعتي، ومن وجبت له شفاعتي وجبت له الجنة، ومن مات في أحد الحرمين مكة والمدينة لم يُعرض ولم يُحاسب، ومن مات مهاجراً إلى الله عز وجل حشر يوم القيامة مع أصحاب بدر»**[١].

أقول: قد تقدم الكلام في معنى الجفوة في روايات العامة وقلنا: إنه بمعنى عدم الاعتناء والالتفات.

ورواه الصدوق بإسناده عن محمد بن سليمان الديلمي، عن إبراهيم بن أبي حجر الأسلم[٢].

ورواه في العلل عن أبيه، عن سعد،عن عباد بن سليمان، عن محمد بن سليمان، مثله، إلى قوله: **«وجبت له الجنة»**[٣].

ورواه ابن قولويه في المزار عن محمد بن يعقوب مثله[٤].

الحديث الرابع: عن محمد بن يحيى، عن سلمة، عن علي بن سيف بن عميرة، عن مفضل بن مالك النخعي[٥]، عن إبراهيم بن أبي يحيى، عن صفوان بن سليمان عن النبي ﷺ قال: **«من زارني في حياتي وبعد موتي كان**

---

(١) الكافي ٤: ٥٤٨ ح ٥، التهذيب ٦: ٤ ح ٥

(٢) الفقيه ٢: ٣٣٨ ح ١٥٧١

(٣) علل الشرائع: ٤٦٠ ح٧

(٤) كامل الزيارات: ١٣.

(٥) في التهذيب طفيل بن مالك.

في جواري يوم القيامة»[١].

وقد تقدمت الروايات التي بهذا المضمون من طرق العامة أيضاً.

الحديث الخامس: عن عدة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن محمد بن الحسين، عن محمد بن إسماعيل، عن صالح بن عقبة، عن زيد الشحام **قال**:

قلت لأبي عبد الله عليه السلام ما لمن زار رسول الله صلى الله عليه وآله قال: كمن زار الله فوق عرشه... الحديث [٢].

ورواه المفيد في المقنعة مرسلاً[٣].

ورواه الشيخ بإسناده عن محمد بن يعقوب[٤]، وكذا الذي قبله إلى قوله وجبت له الجنة.

قال الشيخ حر العاملي في معنى هذا الحديث: يعني أنّ لزائره من الثواب والأجر كمن رفعه الله إلى سمائه وأدناه من عرشه، وأراه من خاصة ملكوته ما به توكيد كرامته، وليس على مقتضى التشبيه. وهكذا قال الشيخ[٥]، والصدوق[٦]، وغيرهما[٧].

الحديث السادس: عبد الله بن جعفر في قرب الإسناد عن هارون بن مسلم،عن مسعدة بن صدقة، عن جعفر بن محمد، عن أبيه عليه السلام أنّ النبي صلى الله عليه وآله **قال: «من زارني حياً أو ميتاً كنت له شفيعاً يوم القيامة»**[٨].

---

(١) التهذيب ٦: ٣ ح ٢ وكامل الزيارات: ١٣.

(٢) الكافي ٤: ٥٨٥ ح ٥ وأورد ذيله في الحديث ١٥.

(٣) المقنعة: ٧١.

(٤) التهذيب ٦: ٤ ح ٦.

(٥) راجع التهذيب ٦: ٤ ح ٧.

(٦) راجع أمالي الصدوق ١٠٥ ح ٦.

(٧) راجع روضة المتقين ٥: ٣٦٣ والوافي ٨ من كتاب الحج والعمرة والزيارات.

(٨) قرب الإسناد: ٢١ ولاحظ الوسائل ج ١٤: ٣٣٦.

وقد تقدمت الروايات التي بهذا المضمون من العامة أيضاً، لكن المانعين قد أنكروا صحة هذه الروايات لإنكارهم الشفاعة.

وحيث إن موضوع بحثنا هو الزيارة، نحيل الكلام في الشفاعة والجواب عن الشبهات التي حولها إلى الكتب المؤلفة فيها.

الحديث السابع: عنهم ـ أي عن عدة من أصحابنا ـ، عن أحمد بن أبي عبد الله، عن عثمان بن عيسى، عن المعلّى بن شهاب قال:

قال الحسين عليه السلام لرسول الله ﷺ: يا أبتاه! ما لمن زارك؟ فقال رسول الله ﷺ: «**من زارني حيّاً أو ميّتاً أو زار أباك أو زار أخاك أو زارك، كان حقاً عليّ أن أزوره يوم القيامة وأُخلصه من ذنوبه**»[١].

ورواه ابن قولويه في المزار عن أبيه، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن عثمان بن عيسى[٢]، ورواه الصدوق مرسلاً[٣].

ورواه في ثواب الأعمال عن أبيه، عن عثمان بن عيسى، عن العلاء بن المسيب، عن أبي عبد الله، عن آبائه عليهم السلام[٤].

وعن حمزة بن محمد العلوي[٥]، عن محمد بن الحسين الفرازي[٦]، عن جعفر بن أمين الشعيري[٧]، عن عثمان بن عيسى، عن العلاء بن المسيب[٨].

---

(١) الكافي ٤: ٥٤٨ ح ٤.

(٢) كامل الزيارات: ١١.

(٣) الفقيه ٢: ٣٤٥ح ١٥٧٦.

(٤) ثواب الأعمال: ١٠٧ ح ١ وفيه: قال الحسن بن علي لرسول الله ﷺ...

(٥) في ثواب الأعمال زيادة: عن أحمد بن محمد الهمداني عن علي بن حمدون الرواس.

(٦) في المصدر محمد بن حسين القواريري.

(٧) في المصدر جعفر بن امين الثغري....

(٨) ثواب الأعمال: ١٠٧ ح ٢.

ورواه في الأمالي عن الحسين بن أحمد بن إدريس، عن أبيه، عن محمد بن الحسين بن أبي الخطاب، عن عثمان بن عيسى[١].

ورواه في العلل عن محمد بن موسى بن المتوكل، عن علي بن الحسين السعدآبادي، عن أحمد بن أبي عبد الله البرقي، عن عثمان بن عيسى، عن المعلّى بن شهاب، عن أبي عبد الله عليه السلام[٢].

ورواه الشيخ بإسناده عن محمد بن يعقوب مثله[٣].

فهذه الرواية ومايليها من الروايات تدل على استحباب زيارة النبي صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام وأولاده عليهم السلام، وليست منحصرة في الحث على زيارته فقط، وهنيئاً للمسلم الذي يكون النبي صلى الله عليه وآله زائره في يوم الفزع الأكبر، اليوم الذي لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

ومن المعلوم أنّ من السنن المتعارفة بين الناس وقد أمضاها الشرع، أنّ من زاره أحد من أقربائه أو أصدقائه، يعوده بالزيارة، فهل يمكن أن يترك النبي الكريم وأهل بيته الكرام هذه السنة المتداولة ولا يعملون بها[٤]؟!

كلا، فإنهم أولى الناس بالعمل بهذه السنن الكريمة، وإذا كان كذلك فهنيئاً لمن يزوره النبي صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين وأولاده المعصومون عليهم السلام بعد مماته ويرفعون الهم والغم عنه ويشفعون له عند ربهم ويخلصونه من

---

(١) أمالي الصدوق: ٥٧ ح ٤.

(٢) علل الشرائع: ٤٦٠ ح ٥.

(٣) التهذيب ٦: ٤ ح ٧.

(٤) فقد وردت أحاديث كثيرة في حضور النبي صلى الله عليه وآله والأئمة: عند الموت، منها ما ورد في ذيل الآية الشريفة: ﴿فَلَوْلا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ*وأَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ...﴾ سورة الواقعة الآية: ٨٣.

عذاب البرزخ ويوم القيامة رغماً لأنف أعدائهم الذين لا يتحملون هذه المقامات والفضائل لهم ولزوارهم، فيصدون الناس عنهم وعن زيارتهم بعلل وكلمات واهية لا يقبلها من كان له عقل سليم.

الحديث الثامن: عن أبي علي الأشعري، عن محمد بن عبد الجبار، عن محمد بن سنان، عن محمد بن علي، رفعه قال: قال رسول الله ﷺ:

«يا علي! من زارني في حياتي أو بعد مماتي أو زارك في حياتك أو بعد مماتك (موتك) أو زار إبنيك في حياتهما أو بعد موتهما ضمنت له يوم القيامة أن أخلصه من أهوالها وشدائدها حتى أصيّره معي من درجتي»[1].

ورواه الصدوق مرسلاً[2].

ورواه ابن قولويه في المزار عن أبيه، ومحمد بن يعقوب عن أحمد ابن إدريس،عن محمد بن عبد الجبار مثله[3].

الحديث التاسع: محمد بن الحسن باسناده عن محمد بن أحمد بن داود، عن إسماعيل بن عيسى بن محمد المؤدب، عن إبراهيم بن محمد القرشي،عن محمد بن محمد بن هشيم[4]، عن موسى بن إسماعيل بن موسى بن جعفر، عن أبيه، عن آبائه عليهم السلام قال:

قال رسول الله ﷺ: **«من زار قبري بعد موتي كان كمن هاجر إليّ في حياتي، فإن لم تستطيعوا فابعثوا إليّ السلام فإنه يبلغني»**[5].

---

(١) الكافي ٤: ٥٧٩ ح ٢.

(٢) الفقيه ٢: ٣٤٦ ح ١٥٨١.

(٣) كامل الزيارات: ١١ ولاحظ وسائل الشيعة ج ١٤: ٣٢٨.

(٤) في نسخة زيادة: عن الأعمش وفي المصدر زيادة محمد بن الأشعث بن هيثم.

(٥) التهذيب ٦: ٧ ح ١١ وفي المصدر: بالسلام.

ورواه في المقنعة مرسلاً[١].

أقول: هذا الحديث فيه دلالة على أهمية شد الرحال إلى زيارته بعد موته وأن من يأتيه زائراً كان كمن هاجر إليه في حياته، والهجرة إليه ملازمة لشد الرحل، وفيه دلالة على أن من تعذّر عليه السفر إلى زيارته وكان ممن يريد زيارته فإن الله لا يخيّبه، بل يقبل منه السلام من بعيد،والتوجه إليه بقلبه،وأنه سبحانه يبلّغ سلام المؤمنين إليه أينما كانوا.

الحديث العاشر: ابن الوليد، عن الصفار، عن ابن عيسى، عن ابن أبي نجران قال: قلت لأبي جعفر الثاني عليه السلام:

جعلت فداك ، ما لمن زار رسول الله صلى الله عليه وآله متعمداً؟ قال: له الجنة[٢].

وقد روى الكليني عن عدة من أصحابه، عن ابن عيسى مثله[٣].

وروى أيضاً عن ابن أبي نجران بطرُق أُخرى باختلاف يسير[٤].

الحديث الحادي عشر: من حديث الأربعمأة،قال أمير المؤمنين عليه السلام:

أتمّوا برسول الله حجكم إذا خرجتم إلى بيت الله، فإن تركه جفاء، وبذلك أمرتم وأتموا بالقبور التي الزمكم الله عز وجل زيارتها وحقها واطلبوا الرزق عندها[٥].

والظاهر أن المراد من القبور التي ألزم الله زيارتها وحقها، هي قبور أهل بيته وذريّته التي فرض الله مودتهم وأداء حقوقهم على الناس في كتابه.

---

(١) المقنعة للشيخ المفيد: ٤٥٧ ـ مؤسسة النشر الإسلامي ـ قم.

(٢) كامل الزيارات: ١٢.

(٣) كامل الزيارات: ١٢.

(٤) كامل الزيارات: ١٤، نقلاً عن البحار: ١٠٠ ح ١٤٣.

(٥) الخصال ٢: ٤٠٦ ضمن حديث طويل، وراجع البحار ١٠٠: ١٣٩.

الحديث الثاني عشر: ابن فضال، عن حمزة بن حمران،عن أبي عبد الله، عن أبيه عليه السلام، عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: قال رسول الله ﷺ في خبر طويل: «**إنّ الله قد وكّل بفاطمة رعيلاً من الملائكة يحفظونها من بين يديها ومن خلفها وعن يمينها وعن يسارها وهم معها في حياتها وعند قبرها بعد موتها، يكثرون الصلاة عليها وعلى أبيها وبعلها وبنيها، فمن زارني بعد وفاتي فكأنّما زار فاطمة ومن زار فاطمة فكأنما زارني، ومن زار علّي بن أبي طالب فكأنما زار فاطمة، ومن زار الحسن والحسين فكأنّما زار عليا، ومن زار ذريتهما فكأنّما زارهما**»[1].

هذا الحديث يدل على مشروعية زيارة أبناء الأئمة وذريتهم الصالحين منهم أيضا.

الحديث الثالث عشر: في التهذيب، عن أبي عامر واعظ الحجاز، عن الصادق عليه السلام، عن أبيه، عن جدّه عليهم السلام قال:

قال رسول الله ﷺ لعلي عليه السلام: «**يا أبا الحسن! إنّ الله عز وجل جعل قبرك وقبور ولدك بقاعاً من بقاع الجنة، وعرصة من عرصاتها وإنّ الله عز وجل جعل قلوب نجباء من خلقه وصفوته من عباده تحنّ إليكم وتحتمل الأذى والمذلة فيكم، فيعمّرون قبوركم ويكثرون زيارتها تقرّباً منهم إلى الله ومودة منهم لرسول الله، أُولئك يا علي المخصوصون بشفاعتي، والواردون حوضي، وهم زواري غدا في الجنة.**

يا علي! من عمّر قبوركم وتعاهدها فكأنما أعان سليمان بن داود عليه السلام على بناء بيت المقدس، ومن زار قبوركم عدل ذلك له ثواب سبعين حجة بعد حجة الاسلام، وخرج من ذنوبه حتّى يرجع من زيارتكم كيوم ولدته

---

(١) بشارة المصطفى لمحمد بن علي الطبري ١٣٩ الطبعة الثانية سنة ١٣٨٣ ـ نجف ولاحظ البحار ١٠٠: ١٢٣.

أمه، فأبشر يا علي وبشّر أوليائك ومحبيك من النعيم وقرة العين بما لا عين رأت ولا أُذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

ولكن حثالة من الناس يعيّرون زوار قبوركم لزيارتكم كما تعيّر الزانية بزناها، أُولئك شرار أمتي لا تنالهم شفاعتي ولا يردون حوضي»[1].

وهذا حديث جامع فيه مطالب مهمة في فضائل الزيارة وتعمير قبور أهل بيت النبوة كما ترى،وفيه إشارة إلى الذين يمنعون عن زيارة قبور أهل البيت ويعيّرون زوارهم بكلمات شنيعة،مثل عبادة القبور والشرك، وفيه أجوبة عن شبهاتهم،وفي هذا الحديث لم يتعرض النبي لزيارة قبره،بل ذكر زيارة قبور الأئمة عليهم السلام حيث كان هو مفروغاً عنه،وإذا ثبتت هذه الفضائل لزيارة أهل بيته، فهي ثابتة لزيارته صلى الله عليه وآله بطريق أولى.

الحديث الرابع عشر: في أمالي الطوسي[2]، عن الحسين بن إبراهيم القزويني، عن محمد بن وهبان،عن علي بن حبشي[3]، عن العباس بن محمد بن الحسين، عن أبيه،عن صفوان بن يحيى، عن الحسين بن أبي غندر،عن عمرو بن شمر، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام ـ في حديث ـ إن رسول الله صلى الله عليه وآله بكى بكاءً شديداً فقال له الحسين عليه السلام لم بكيت؟ **قال: «اخبرني جبرئيل أنكم قتلى ومصارعكم شتّى»**، فقال له: يا أبه فما لمن يزور قبورنا على تشتّتها؟ **فقال: «يا بني! أولئك طوائف من أُمتّي، يزورونكم يلتمسون بذلك البركة وحقيق عليّ أن آتيهم يوم القيامة فاخلّصهم** [4] **من أهوال الساعة من ذنوبهم**

---

(١) التهذيب ٦: ٢٢.

(٢) أمالي الطوسي ٢: ٢٨١.

(٣) في المصدر علي بن جنشي.

(٤) في المصدر حتى أخلصهم.

ويسكنهم الله الجنة»[١].

وورد هذا الحديث من طُرُق العامة أيضاً رواه الخوارزمي الحنفي بسنده عن علي عليه السلام قال: زارنا رسول الله ﷺ، فعملنا له حريرة، وأهدت لنا أم أيمن قعباً من لبن، وزبداً، وصحنة من تمر، فأكل النبي وأكلنا معه، ثمّ وضّأت رسول الله ﷺ فقام واستقبل القبلة، فدعا الله ما شاء، ثم أكبّ على الأرض بدموع غزيرة مثل المطر، فهبنا رسول الله ﷺ أن نسأله، فوثب الحسين فقال: يا أبتي! رأيتك تصنع ما لم أرك تصنع مثله! فقال: «**يا بني! إني سررت بكم اليوم سروراً لم أسرّ بكم مثله، وأن حبيبي جبرئيل أتاني، فأخبرني: أنكم قتلى، وأن مصارعكم شتى فدعوت الله لكم وأحزنني ذلك**»، فقال الحسين: يا رسول الله! فمن يزورنا على تشتتنا، ويتعاهد قبورنا؟ قال: «**طائفة من أمتي يريدون بري وصلتي، فإذا كان يوم القيامة شهدتها بالموقف، وأخذت بأعضادها فأنجيتها ـ والله ـ من أهواله وشدائده**»[٢].

وهذا الحديث عن رسول الله وإن لم يتكلم النبي ﷺ فيه عن زيارة قبره، بل كان في زيارة قبور أهل بيته، ولكن ثبتت هذه الفضائل أيضاً لزيارته بالأولوية. وفي نفس الحال هذا الحديث وما سبقه من الأحاديث المصرحة برجحان زيارتهم، دليل مستقل على مشروعية زيارتهم وشد الرحال إلى قبورهم.

وهذا قليل من كثير من الروايات والأحاديث الواردة في الحث والتأكيد على زيارته ﷺ من طُرُق الشيعة، وقد رواها عدة من ثقات الأعلام

---

(١) أمالي الطوسي ٢: ٢٨١.

(٢) مقتل الحسين لابن المؤيد الموفق بن أحمد المكي أخطب خوارزم المتوفى سنة ٥٦٨ هجرية: ١٩٠ ط في دار أنوار الهدى، ورواه الخركوشي في (شرف النبي): ٢٩٠ مخطوط، والسمهودي في خلاصة الوفاء: ٢١٨ مخطوط، عن شرف النبي ﷺ.

الذين يعتمد على رواياتهم ويؤخذ بها عند الشيعة وقد ذكرتهم عند نقل الروايات،حيث كانوا قد شرطوا أن لايرووا إلا الأحاديث التي قد ثبت عندهم صدورها ولو من طريق القرائن والشواهد والمتابعات، فإن كان في بعضها ضعف من جهة بعض الروات ينجبر بهذه الامور.

ومع هذه الأحاديث الكثيرة المتعاضدة التي وردت من الفريقين، لا يبقى مجال لأي شبهة عند المخالف ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾[١].

وإليك ما ورد من الاحاديث في فضل الزيارة وإن لم يكن فيه لفظ الزيارة:

أخرجه من أصحاب السنن من يعتمد عليه ابن تيمية واتباعه، وهو أبو داود السجستاني،عن محمّد بن عوف، عن المقرئ، عن حيْوة، عن أبي صخر حُميد بن زياد، عن يزيد بن عبد الله بن قسيط، عن أبي هريرة إنّ رسول الله ﷺ قال:

«ما من أحد يسلّم عليّ إلاّ ردّ الله علي روحي حتى أردّ عليه السلام»[٢].

قال ابن حجر في تلخيص الحبير في أحاديث الزيارة: وأصحّ ما ورد في ذلك ما رواه أحمد وأبو داود من طريق أبي صخر حُميد بن زياد،عن يزيد بن عبد الله بن قسيط،عن أبي هريرة مرفوعاً **«ما من أحد يسلم...»** وبهذا الحديث صدّر البيهقي الباب[٣].

---

(١) الكهف: ٦، الأعراف: ١٨٥.

(٢) سنن أبي داود السجستاني: ٢: ٢١٨ ح ٢٠٤١، كتاب المناسك باب زيارة القبور، وراجع شفاء السقام: ١١٩ ووفاء الوفا ٤: ١٣٤٩.

(٣) تلخيص الحبير ٧: ٤١٨.

وقال ابن عبد الهادي: روى الامام أحمد حديث أبي هريرة هذا في مسنده ثم قال: اعلم أن هذا الحديث هو الذي اعتمد عليه الامام أحمد وأبو داود وغيرهما من الأئمة في مسألة الزيارة، وهو أجود ما استدل به في هذا الباب[1].

لكن من العجب!إنه بعد هذا الاعتراف كيف لم يستح من قوله: ومع هذا فلا يسلم مِن مقال في إسناده، من جهة تفرد ابن صخر عن ابن قسيط، عن أبي هريرة ولم يتابع ابن قسيط.

فانظر إلى هذا الكلام المتناقض، كيف ينقض آخره أوّله، فإنّه إذا اعترف أن أحمد وأبا داود وغيرهما من أئمة الحديث قد اعتمدوا عليه وكان عندهم من أجود ما استدل به في الباب، فما هذا التضعيف المضحك الذي لا يقبله متعلم في الحديث فضلاً عن العالم به؟!

قال السبكي: وقد اعتمد جماعة من الأئمة على هذا الحديث في مسألة الزيارة وصدّر به أبوبكر البيهقي «باب زيارة قبر النبي ﷺ» وهو اعتماد صحيح واستدلال مستقيم، لأن الزائر المسلّم على النبي ﷺ تحصل له فضيلة ردّ النبي ﷺ السلام عليه.

وهي رتبة شريفة ومنقبة عظيمة ينبعي التعرض لها، والحرص عليها ليُنال بركة سلامه ﷺ.

ثم قال: فإن قيل: ليس في الحديث تخصيص بالزائر، فقد يكون هذا حاصلاً لكل مسلّم، قريباً كان أو بعيداً، وحينئذ تحصل هذه الفضيلة بالسلام من غير زيارة والحديث عام.

قلت: قد ذكره ابن قدامة من رواية أحمد ولفظه: «**ما من أحد يسلم**

---

(١) الصارم المنكي: ١٨٩.

علّي عند قبري»[١].

وهذه زيادة مقتضاها التخصيص فإن ثبت فذاك، وإن لم يثبت فلا شك أن القريب من القبر يحصل له ذلك، لأنه في منزلة المسلّم عليه بالتحية التي تستدعي الرّد[٢]، كما في حال الحياة، فهو بحضوره عند القبر قاطع بنيل هذه الدرجة على مقتضى الحديث، متعرض لخطاب النبي ﷺ له برد السلام عليه،وفي المواجهة بالخطاب فضيلة زائدة على الرّد على الغائب[٣].

ثم قال في مكان آخر: وكفى بهذا فضلاً حقيقاً أن ينفق فيه ملك الدنيا حتى يتوصل إليه من أقطار الأرض[٤].

أقول: فمع فهم أئمة الحديث، التخصيص بالحضور عند القبر

---

(١) المغني لابن قدامة ٣ح ٥٨٨.

أقول: وقد ورد هذا المضمون عن أبي هريرة أيضاً بطريقين أوردها المتقي الهندي:

١ ـ عن أبي هريرة، قال رسول الله ﷺ: **«ما من عبدٍ يسلم عليّ عند قبري إلا وكل الله به ملكاً يبلغني، وكفي أمر آخرته ودنياه وكنت له شهيداً أو شفيعا يوم القيامة»** كنز العمال ١: ٤٩٨ ح ٢١٩٦.

٢ ـ عن أبي هريرة، عنه ﷺ: **«من صلى علي عند قبري سمعته ومن صلى علي نائياً وكل بها ملك يبلغني وكفي دنياه وآخرته وكنت له شهيداً أو شفيعاً».** كنز العمال للمتقي الهندي ٥: ٣٥.

(٢) كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾ النساء: ٨٦، والنبي ﷺ أولى بالعمل بها.

(٣) شفاء السقام ص١٢٢.

(٤) شفاء السقام: ١٣٤.

والتسليم عليه،كما هو صريح رواية أحمد الذي نقله ابن قدامة والذي قد اعتمد عليه ابن تيمية، وكما فعله أبو داود حيث ترجم للباب بزيارة القبور وأورد الحديث المذكور فيه، وهكذا البيهقي، لا يبقى مجال للقول بأن الحديث ظاهر في العموم أي يشمل السلام عليه من القريب والبعيد أيضاً، كما قاله ابن عبد الهادي.

وعلى فرض تسليم العموم، فإن من المسلّم شمول التسليم عند القبر المطهّر ومن القرب وإنه المتيقن وإنه من أفضل نوع التسليم، لما فيه من المقابلة والمواجهة والمخاطبة.

وهذا المقدار يكفي لاثبات مشروعية الزيارة والحضور عند القبر الشريف الذي من أحد لوازمه السفر إليه، فما هذه المخالفات الشديدة في قبال هذه المسألة التي هي من مصاديق تعظيم شعائر الله ومن تقوى القلوب.

هذا وقد تعرض السبكي في البحث عن رجال هذا الحديث مفصلاً، للطالب أن يراجع في شفاء السقام.

وقد روى الإمام أحمد بسنده أن النبي ﷺ لما خرج يودع معاذ بن جبل قال: «**يا معاذ! إنك عسى أن لا تلقاني بعد عامي هذا، ولعلك أن تمر بمسجدي هذا وقبري**».

فالجملة كما يقول الدكتور البوطي تنطوي بصريح البيان على توصية معاذ بأن يعرج عند رجوعه إلى المدينة على مسجده وقبره ليسلم عليه[1].

وهناك أحاديث أُخَر غير مصرحة بالزيارة قد نقلها الأعلام، وقد اكتفينا بهذا المقدار منها، وإن شئت فراجع شفاء السقام ووفاء الوفا[2].

---

(١) أُنظر السيرة النبوية لمحمد بيومي مهران ٣ : ١١٨.

(٢) شفاء السقام: ١٢٠، وفاء الوفا ٤: ١٣٤٩.

وبهذا نختم الكلام في الدليل الروائي من السنة على مشروعية زيارة خير الانام وأهل بيته العظام عليهم السلام؛ فإنه كما قلنا سابقاً كلما ثبت للنبي صلى الله عليه وآله من فضيلة ومقام سوى النبوة فهو ثابت لأهل بيته الكرام بلا كلام.

أحاديث فضل زيارة الأئمة عليهم السلام

وقد وردت من طرق الإمامية روايات كثيرة تحث على زيارة الأئمة المعصومين، صححها الأعلام واعتمد عليها وأخرج بعضها أعلام العامة أيضاً نذكر نبذة منها تتميماً للفائدة والبرهان:

روى في الوسائل مسنداً عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: بينا الحسين بن علي في حجر رسول الله صلى الله عليه وآله إذ رفع رأسه فقال يا أبه، مالمن زارك بعد موتك؟ فقال: «**يا بني! من أتاني زائراً بعد موتي فله الجنة، ومن أتى أباك زائراً بعد موته فله الجنة، ومن أتى أخاك زائراً بعد موته فله الجنة، ومن أتاك زائراً بعد موتك فله الجنة**»[1].

ورواه المفيد في المقنعة مرسلاً[2]، وابن قولويه في المزار عن أبيه، عن سعد مثله[3]. وفيه أيضاً مسنداً عن معلّى بن جعفر قال: قال الحسن بن علي عليه السلام: يا رسول الله، ما لمن زارك؟ فقال: «**من زارني حياً أو ميتاً، أو زار أباك حياً وميتاً، أو زار أخاك حياً أو ميتاً كان حقاً علي أن أستنقذه يوم القيامة**»[4].

---

(١) الوسائل ١٤: ٣٢٩ باب استحباب زيارة النبي والأئمة عليهم السلام.

(٢) المقنعة: ٧٢.

(٣) كامل الزيارات لابن قولوية: ١٠.

(٤) الوسائل ١٤: ٣٣٠ باب استحباب زيارة النبي، حكاه عن التهذيب ٦: ٤٠ ح ٨٣.

وفيه أيضاً مسنداً عن أبي عبد الله الحراني قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ما لمن زار الحسين عليه السلام؟ قال: من أتاه وزاره وصلى عنده ركعتين كتبت له حجة مبرورة، فإن صلى عنده أربع ركعات كتبت له حجة وعمرة، قلت: جعلت فداك وكذلك كل من زار إماماً مفترضة طاعته؟ قال: وكذلك كل من زار إماماً مفترضة طاعته[١].

وروى المفيد (ره) مسنداً عن حمران بن أعين قال: زرت قبر الحسين بن علي عليه السلام، فلما قدمت جاءني أبو جعفر عليه السلام فقال: أبشر يا حمران، فمن زار قبور شهداء آل محمد عليهم السلام يريد الله بذلك وصلة نبيه، خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه[٢].

وفي المزار لابن قولويه عن محمد بن يعقوب، عن عدة من أصحابنا منهم أحمد بن إدريس ومحمد بن يحيى عن العمركي بن علي، عن يحيى، وكان خادماً لأبي جعفر الثاني عليه السلام رفعه عن محمد بن علي بن الحسين عليهما السلام قال: قال رسول الله ﷺ: **«من زارني أو زار أحداً من ذريتي زرته يوم القيامة فأنقذته من أهوالها»**[٣].

وفي هذين الحديثين عمومية تشمل غير الأئمة من شهداء آل محمد وذراريه أيضاً.

وفي المقنعة للمفيد رحمه الله عن الصادق عليه السلام قال: من زارنا بعد مماتنا فكأنما زارنا في حياتنا...

وقال عليه السلام من زار إماماً مفترض الطاعة وصلى عنده أربع ركعات

---

(١) نفس المصدر السابق وحكاه أيضاً عن التهذيب ٦: ٧٩ ح ١٥٦. هذا الحديث وإن كان صدره في زيارة الحسين عليه السلام إلاّ أنّ الذيل عام يشمل جميع الأئمة عليهم السلام.

(٢) نفس المصدر وحكاه عن أمالي الطوسي ٢: ٢٨.

(٣) كامل الزيارات لابن قولويه: ١١ ولاحظ الوسائل ١٤: ٣٣١.

كتب الله له حجة وعمرة[١].

وقد وردت أحاديث كثيرة في استحباب زيارة كل واحد من الأئمة نذكر بعضاً منها:

الحث على زيارة
أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

في أمالي الطوسي رحمه الله عن أبيه، عن المفيد، عن جعفر بن محمد بن قولويه، عن أبيه، عن سعد بن عبد الله،عن أحمد بن محمد، عن الحسن بن محبوب، عن علي بن رئاب، عن محمد بن مسلم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ما خلق الله خلقاً أكثر من الملائكة، وإنه لينزل كل يوم سبعون ألف ملك فيأتون البيت المعمور فيطوفون به، فإذا هم طافوا به نزلوا بالكعبة، فإذا طافوا بها أتوا قبر النبي صلى الله عليه وآله فسلّموا عليه، ثمّ عرجوا وينزل مثلهم أبداً إلى يوم القيامة.

وقال عليه السلام: من زار قبر أمير المؤمنين عارفاً بحقه غير متجبر ولا متكبر كتب الله له أجر مائة ألف شهيد، وغفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخّر، وبعث من الآمنين، وهوّن عليه الحساب، واستقبلته الملائكة، فإذا انصرف شيعّته إلى منزله، فإن مرض عادوه، وإن مات شيعوه بالاستغفار إلى قبره.

ثم قال: ومن زار الحسين عليه السلام عارفاً بحقه كتب الله له ثواب ألف حجة مقبولة وألف عمرة مقبولة، وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر[٢].

وهذا الحديث روته أعلام العامة أيضاً باختلاف في بعض الألفاظ

---

(١) المقنعة: ٤٨٥ ط مؤسسة النشر الإسلامي ولاحظ الوسائل ١٤: ٣٣٢.

(٢) أمالي الطوسي: ٢١٨ ط مؤسسة البلاغ ـ بيروت.

نذكره في زيارة الحسين عليه السلام.

وفي الوسائل عن خلف بن حماد، عن اسماعيل،عن أبي عبد الله عليه السلام قال: نحن نقول بظهر الكوفة قبر لا يلوذ به ذو عاهة إلا شفاه الله[١].

وفيه أيضاً عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن إلى جانب كوفان قبراً ما أتاه مكروب قطّ فصلى عنده ركعتين أو أربع ركعات إلاّ نفّس الله كربه وقضى حاجته، قال الراوي: قلت: قبر الحسين بن علي عليه السلام؟ فقال لي برأسه: لا، فقلت: قبر أمير المؤمنين عليه السلام؟ فقال برأسه: نعم[٢].

وفي المقنعة عن الصادق عليه السلام: إن السماء لتفتح عند دعاء الزائر لأمير المؤمنين عليه السلام فلا تكن عن الخير نواماً[٣].

التحذير من ترك زيارة أمير المؤمنين عليه السلام

وفي المقنعة عن الصادق عليه السلام قال: من ترك زيارة أمير المؤمنين عليه السلام لم ينظر الله إليه، ألا تزورون من تزوره الملائكة والنبيون عليهم السلام، إن أمير المؤمنين عليه السلام أفضل من كل الأئمة وله مثل ثواب أعمالهم وعلى قدر أعمالهم فُضّلوا[٤].

استحباب زيارته عليه السلام ماشياً:

وفي الوسائل مسنداً عن الحسين بن إسماعيل الصيمري، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من زار أمير المؤمنين عليه السلام ماشياً كتب الله له بكل خطوة

---

(١) الوسائل ١٤: ٣٧٧ وحكاه عن التهذيب ٦: ٣٤ /٧٠.

(٢) الوسائل ١٤: ٣٧٨ وحكاه أيضاً عن التهذيب ٦: ٣٥ / ٧٣.

(٣) المقنعة للمفيد: ٤٦٢ ط مؤسسة النشر الإسلامي ـ قم.

(٤) نفس المصدر السابق.

حجة وعمرة، فإن رجع ماشياً كتب الله له بكل خطوة حجتين وعمرتين[١].

نموذج من زيارة الأئمة عليهم السلام لقبره الشريف

في الوسائل عن محمد بن علي بن الحسين بإسناده عن صفوان بن مهران الجمال، عن الصادق عليه السلام قال: سار عليه السلام وأنا معه في القادسية حتى أشرف على النجف، فقال عليه السلام: هذا هو الجبل الذي اعتصم به ابن جدي نوح، فقال: ﴿سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ﴾[٢].

فأوحى الله تعالى إليه: أيعتصم بك مني أحد؟ فغار في الأرض، وتقطع إلى الشام، ثم قال عليه السلام: أعدل بنا، قال: فعدلت به فلم يزل سائراً حتى أتى الغري فوقف به، ثم أتى القبر فساق السلام على نبي نبي عليهم السلام وأنا أسوق السلام معه، حتى وصل السلام إلى النبي صلى الله عليه وآله، ثم خرّ على القبر فسلم عليه، وعلا نحيبه، ثم قام فصلّى أربع ركعات (وفي رواية ست ركعات) وصليت معه، فقلت: يا ابن رسول الله ما هذا القبر؟ فقال: هذا قبر جدي علي بن أبي طالب عليه السلام[٣].

الحث على زيارة
الصديقة الكبرى فاطمة الزهراء عليها السلام

في مزار المفيد (ره) عن الحسن بن يزيد بن عبد الملك، عن أبيه، عن جده قال: دخلت على فاطمة فابتدأتني بالسلام، ثم قالت: ما غدا بك؟ قلت: طلب البركة.

---

(١) الوسائل ١٤: ٣٨٠ وحكاه عن التهذيب ٦: ٢٠ / ٤٦.

(٢) هود: ٤٣.

(٣) الوسائل ١٤: ٣٧٩ وحكاه عن الفقيه ٢: ٣٥١ / ١٦١٢.

فقالت: أخبرني أبي وهو ذا أنه «من سلم عليه وعليّ ثلاثة أيام أوجب الله له الجنة» قال: فقلت لها: في حياته وحياتك؟ قالت: نعم، وبعد موتنا[١].

الحث على زيارة
السبط الأكبر الحسن المجتبى عليه السلام

في العوالم مسنداً عن ابن عباس أنّ رسول الله ﷺ كان جالساً ذات يوم إذ أقبل الحسن عليه السلام، فلما رآه بكى، ثم قال: «إليّ إليّ يا بنيّ» فما زال يدنيه حتى أجلسه على فخذه اليمنى.

وساق الحديث إلى أن قال: قال النبي ﷺ: **«وأما الحسن فإنّه ابني وولدي وبضعة مني وقرة عيني وضياء قلبي وثمرة فؤادي وهو سيد شباب أهل الجنة، وحجة الله على الأمة، وأمره أمري وقوله قولي، من تبعه فإنّه مني، ومن عصاه فليس مني، وإنّي لما نظرت إليه تذكرت ما يجري عليه من الذلّ بعدي، فلا يزال الأمر به حتى يقتل بالسم ظلماً وعدواناً، فعند ذلك تبكي الملائكة والسبع الشداد لموته، ويبكيه كلّ شيء حتى الطير في السماء والحيتان في جوف الماء، فمن بكاه لم تعم عينه يوم تعمى العيون ومن حزن عليه لم يحزن قلبه يوم تحزن القلوب، ومن زاره في بقيعه ثبتت قدمه على الصراط يوم تزل فيه الأقدام»**[٢].

وقد تقدم في أحاديث الزيارة المشتركة بينهم عليهم السلام قوله ﷺ في جواب سؤال الحسن عليه السلام: «... **ومن أتاك بعد موتك فله الجنة**».

---

(١) مزار المفيد ٥: ١٥٤، والبحار ١٠٠: ١٦٤ ح ٩، والمناقب لابن شهر آشوب ٣: ١٤٠.

(٢) عوالم العلوم والمعارف للشيخ عبد الله البحراني ١٦: ٢٩٧ ط مؤسسة الامام المهدي قم، وحكاه عن أمالي الصدوق: ٩٩ ط منشورات الأعلمي ـ بيروت.

وفي الحديث المتقدم عن ابن عباس شهادة وتصريحٌ من رسول الله على فضائل السبط الأكبر عليه السلام وعظمة صبره وتحمله للأذى، وفضيلة البكاء عليه، وثواب زيارته في البقيع، وإن زيارته سبب لثبات القدم على الصراط.

ومما يشهد على عظيم مصيبته ومظلوميته بكاء الحسين عند وقوفه على قبره وإنشاده: أأدهن رأسي أم تطيب محاسني... .

قال ابن عبد ربه في العقد: وقف محمد بن الحنفية على قبر الحسن بن علي عليهما السلام فخنقته العبرة ثم نطق فقال: يرحمك الله يا أبا محمد فلئن عزت حياتك فلقد هدّت وفاتك ولنعم الروح روح ضمه بدنك، ولنعم البدن بدن ضمه كفنك، وكيف لا يكون كذلك وأنت بقية ولد الأنبياء وسليل الهدى وخامس أصحاب الكساء، غذتك أكف الحق وربيّت في حجر الإسلام، فطبت حياً وطبت ميتاً، وإن كانت أنفسنا غير طيبة بفراقك ولا شاكة في الخيار لك[1].

ورواه الزرندي الحنفي في نظم درر السبطين بعين ما تقدم في العقد الفريد إلى قوله: وكيف لا تكون هكذا.

ثم قال: وأنت سليل الهدى، وحليف أهل التقى وخامس أصحاب الكساء، وابن سيدة النساء، ربيّت في حجر الإسلام، ورضعت من ثدي الإيمان، ولك السوابق العظمى والغايات القصوى، وبك أصلح الله بين فئتين عظيمتين من المسلمين ولمّ بك شعث الدين وإنك وأخاك سيدا شباب أهل الجنة، ثم التفت إلى الحسين، فقال: قم بأبي أنت وأمي فعلى أبي محمد السلام، فلقد طبت حياً وميتاً، ثم انتحب طويلاً والحسين معه

---

(١) العقد الفريد ٢: ٦ ط الشرفية بمصر.

وأنشد الحسين عليه السلام:

أأدهن رأسي أم تطيب محاسني ... وخدّك معفور وأنت سليب
سأبكيك ما ناحت حمامة أيكة ... وما اخضرّ في دوح الرياض قضيب
غريب وأكناف الحجاز تحوطه ... ألا كل من تحت التراب غريب
بكائي طويل والدموع غزيرة ... وأنت بعيد والمزار قريب[1]

ورواه الحصري المالكي في زهر الأدب أيضاً باختلاف يسير[2].

والخوارزمي في مقتل الحسين عليه السلام أيضاً باختلاف يسير[3].

وقال ابن الدمشقي في جواهر المطالب:

وقف رجل من ولد أبي سفيان بن الحارث على قبر الحسن بن علي عليهما السلام فقال: أما إن أقدامكم قد نقلت، وأعناقكم قد حملت إلى هذا القبر ولياً من أولياء الله يبشر بلقاء الله، وتفتح أبواب السماء لروحه، وتبتهج الحور العين بلقائه، ويؤنس به سادة أهل الجنة، ويستوحش أهل الأرض لفقده، فرحمة الله عليه، وعند الله نحتسب المصيبة به[4].

وفي قرب الاسناد عن جعفر، عن أبيه عليهما السلام قال: إن الحسين بن علي عليهما السلام كان يزور قبر الحسن عليه السلام في كل عشية جمعة[5].

---

(١) نظم درر السمطين للزرندي الحنفي: ٢٠٥ ط مطبعة القضاء.

(٢) زهر الأدب المطبوع بهامش عقد الفريد ١: ٦٢ ط الشرقية بمصر.

(٣) مقتل الحسين للخوارزمي: ٢٠٣ ط دار أنوار الهدى.

(٤) جواهر المطالب لابن الدمشقي ٢: ٢٠٣.

(٥) لاحظ عوالم العلوم والمعرفة ١٦: ٢٩٧، وحكاه عن قرب الإسناد: ٦٥ والبحار ٤٤: ١٥ و١٦.

الحث على زيارة الإمام الحسين عليه السلام

فقد وردت في فضل زيارته والحث عليها والتحذير من تركها روايات كثيرة لا يسع الكتاب ذكرها، بل نكتفي بذكر نبذة منها، خاصة ما ورد من طرق العامة منها.

حق الحسين فريضة من الله

في التهذيب للشيخ الطوسي عن عبد الرحمن بن كثير قال: قال أبو عبد الله عليه السلام لو أن أحدكم حج دهره ثم لم يزر الحسين بن علي عليهما السلام لكان تاركاً حقاً من حقوق رسول الله صلى الله عليه وآله لأن حق الحسين عليه السلام فريضة من الله تعالى واجبة على كل مسلم[١].

وفي الفقيه عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام قال: مروا شيعتنا بزيارة الحسين بن علي عليهما السلام فإن زيارته تدفع الهدم والغرق والحرق وأكل السبع، وزيارته مفترضة على من أقرّ للحسين بالإمامة من الله عزوجل[٢].

وفي رواية أخرى عن محمد بن مسلم عنه عليه السلام فيها: فإن إتيانه يزيد في الرزق ويمدّ في العمر ويدفع مدافع السوء[٣]... .

ترك زيارة الحسين عليه السلام جفاء

وفي كامل الزيارات عن أبي بكر الحضرمي، عن أبي جعفر عليه السلام قال: سمعته يقول: من أراد أن يعلم أنه من أهل الجنة فليعرض حبنا على قلبه، فإن قبله فهو مؤمن، ومن كان لنا محباً فليرغب في زيارة قبر الحسين عليه السلام فمن

---

(١) التهذيب ٦: ٤٢ ح ٨٧، كامل الزيارات: ١٢٢ ح ٤ إلا أن فيه حقاً من حقوق الله وحقوق رسول الله صلى الله عليه وآله.

(٢) الفقيه ٢: ٥٨٢، أمالي الصدوق: ١٢٦.

(٣) التهذيب ٦: ٤٢، الوسائل١٤: ٤١٣، المقنعة ٧٣٠، البحار ١٠١: ٤٨.

كان للحسين عليه السلام زواراً عرفناه بالحب لنا أهل البيت وكان من أهل الجنة ومن لم يكن للحسين زواراً كان ناقص الإيمان[١].

وفيه أيضاً عن الحارث الأعور، قال: قال علي عليه السلام: بأبي وأمي الحسين المقتول بظهر الكوفة والله لكأني أنظر إلى الوحش مادة أعناقها على قبره من أنواع الوحش يبكونه ويرثونه ليلاً حتى الصباح، فإذا كان ذلك فإياكم والجفاء[٢].

وفي كامل الزيارات أيضاً عن سُدير قال: قال أبو عبد الله عليه السلام يا سدير تزور قبر الحسين في كل يوم؟ قلت: جعلت فداك لا، قال: ما أجفاكم، فتزوره في كل جمعة؟ قلت: لا، قال: فتزوره في كل شهر؟ قلت لا، قال: فتزوره في كل سنة؟ قلت: قد يكون ذلك، قال: يا سدير ما أجفاكم بالحسين عليه السلام...[٣].

تأكد زيارته عليه السلام حتى مع الخوف

في كامل الزيارات عن محمد بن مسلم قال: قال لي أبو جعفر عليه السلام: هل تأتي قبر الحسين عليه السلام؟ قلت: على خوف ووجل، فقال: ما كان من هذا أشد فالثواب فيه على قدر الخوف، ومن خاف في إتيانه آمن الله روعته يوم القيامة يوم يقوم الناس لربّ العالمين وانصرف بالمغفرة وسلمت عليه الملائكة وزاره النبي ﷺ ودعا له وانقلب بنعمة من الله وفضل لم يمسسه سوء واتبع رضوان الله....[٤].

---

(١) كامل الزيارات: ١٩٣، البحار ١٠١: ١٠٥.

(٢) كامل الزيارات: ٢٩١، البحار ١٠١: ٦.

(٣) كامل الزيارات: ٢٩١.

(٤) كامل الزيارات: ١١٦، البحار ١٠١: ١١.

ثواب من جهّز الآخرين لزيارته عليه السلام

في كامل الزيارات عن صفوان الجمال، عن أبي عبد الله عليه السلام في حديث طويل... قلت: فما لمن صلى عنده ـ يعني الحسين ـ قال:

من صلى عنده ركعتين لم يسأل الله شيئاً إلا أعطاه إياه، فقلت فما لمن اغتسل من ماء الفرات ثم أتاه؟ قال: إذا اغتسل من ماء الفرات وهو يريده تساقطت عنه خطاياه كيوم ولدته أمه، قلت: فما لمن جهّز إليه ولم يخرج لعلة؟ قال: يعطيه الله بكل درهم أنفقه من الحسنات مثل جبل أُحُد ويخلف عليه أضعاف ما أنفق ويصرف عنه من البلاء مما قد نزل فيدفع ويحفظ في ماله... [1].

عظيم ما في زيارة الحسين عليه السلام

وفيه أيضاً: عن محمد بن مسلم،عن أبي جعفر عليه السلام قال: لو يعلم الناس ما في زيارة الحسين من الفضل لماتوا شوقاً وتقطعت أنفسهم عليه حسرات، قلت: وما فيه؟

قال: من أتاه تشوقاً كتب الله له ألف حجة مقبولة، وألف عمرة مبرورة، وأجر ألف شهيد من شهداء بدر، وأجر ألف صائم، وثواب ألف صدقة مقبولة، وثواب ألف نسمة أريد بها وجه الله، ولم يزل محفوظاً سنته من كل آفة أهونها الشيطان، ووكل به ملك كريم يحفظه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ومن فوق رأسه ومن تحت قدمه، فإن مات سنته حضرته ملائكة الرحمة يحضرون غسله وأكفانه والاستغفار له ويشيعونه إلى قبره بالاستغفار له، ويفسح له في قبره مدّ بصره، ويؤمنه الله من ضغطة القبر، ومن منكر ونكير أن يروّعانه، ويفتح له باب إلى الجنة، ويعطى كتابه بيمينه،

---

(١) كامل الزيارات: ١٢٩ البحار ١٠١: ٥٠.

ويعطى يوم القيامة نوراً يضيء لنوره ما بين المشرق والمغرب، وينادي مناد: هذا من زوار قبر الحسين بن علي شوقاً إليه، فلا يبقى أحد في القيامة إلا تمنّى يومئذ أنه كان من زوار الحسين بن علي عليه السلام[1].

وفي الوسائل عن ابن عباس، عن النبي ﷺ قال في حديث له بعد ذكر ما يجري على الحسين عليه السلام:

«يا ابن عباس! من زاره عارفاً بحقه كتب الله له ثواب ألف حجة وألف عمرة، ألا ومن زاره فقد زارني ومن زارني فكأنما قد زار الله، وحق الزائر على الله أن لا يعذبه بالنار، ألا وإن الاجابة تحت قبته، والشفاء في تربته، والأئمة من ولده...»[2].

وفي أمالي الطوسي بسنده عن محمد بن مسلم قال سمعت أبا جعفر وجعفر بن محمد عليهما السلام يقولان: إن الله تعالى عوّض الحسين عليه السلام من قتله أن جعل الإمامة في ذريته، والشفاء في تربته، وإجابة الدعاء عند قبره، ولا تعدّ أيام زائريه جائياً وراجعاً من عمره.

قال محمد بن مسلم:

فقلت لأبي عبد الله عليه السلام هذا الجلال ينال بالحسين عليه السلام فماله في نفسه؟ قال: إن الله تعالى ألحقه بالنبي ﷺ فكان معه في درجته ومنزلته، ثم تلا أبو عبد الله عليه السلام: ﴿والَّذِينَ آمَنُوا واتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾[3][4].

---

(١) كامل الزيارات: ١٤٢، البحار ١٠١: ١٨.

(٢) الوسائل ١٤: ٤٥٢، المستدرك ٢: ٢٠٨.

(٣) الطور: ٢١.

(٤) أمالي الطوسي: ٣١٧ ح ٢٤٤، البحار ١٠١: ٦٩.

بيان حول روايات الزيارة

أقول: الذي يظهر من مجموع الروايات واستفادة العلماء[1]، هو أن زيارة الحسين عليه السلام واجبة على كل مسلم يعتقد للحسين بالإمامة من الله وكان قادراً عليها وليس له عذر في تركها، ولو في العمر مرة، لأن في إتيانه أداء حق رسول الله الواجب على كل مسلم كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ وتعظيماً وتقديراً له صلى الله عليه وآله وفي إتيانه يتحقق الوفاء بالعهد في ولايتهم فإن لكل إمام عهداً في عنق أوليائه ومن أتاه كان قد وصل رسول الله وأمير المؤمنين وفاطمة الزهراء وأدخل السرور عليهم وبرّهم، مضافاً إلى أن زيارة الحسين عليه السلام من أعظم مصاديق تعظيم شعائر الله، وموجبة لإحياء أمر الدين وإعلاء كلمته وإرغام معانديه الذين سعوا في إمحاء كلمة الله وإطفاء نوره الذي لا يطفأ.

وهذه الخصوصيات ليست منحصرة بالحسين عليه السلام فقط، بل هي موجودة في زيارة سائر الأئمة الأطهار أيضاً ومنطبقة عليهم أيضاً، فزيارتهم فريضة ومؤكدة على كل من يقر بإمامتهم وكان قادراً على إتيان مشاهدهم.

لكن السّر في التأكيد والحث الزائد في زيارة سيد الشهداء وكثرة الروايات المرغبة في زيارته، هو أن الحسين عليه السلام بتضحيته وايثار نفسه وأهله صار سبباً لحفظ الدين القويم وحراسته من الانمحاء، وقد أفشل جميع مؤامرات الحزب الأموي اللعين وأسلافهم المتحالفين على إطفاء

---

(١) قال المجلسي ره: إنّ ظاهر أكثر أخبار هذا الباب وكثير من أخبار الأبواب الآتية وجوب زيارته صلوات الله عليه، بل كونها من أعظم الفرايض وآكدها، ولا يبعد القول بوجوبها في العمر مرة مع القدرة، وإليه مال الوالد العلامة نوّر الله ضريحه. البحار ١٠١: ١٠.

النور الإلهي، وزلزل أركان حكومتهم وخرّب بنيانهم وفضحهم أمام العالمين وصار سبباً لانقراض حكومتهم وإلقائها في مزبلة التاريخ، ولولا الحسين عليه السلام لما بقي من الدين من أثر ولا لرسول الله من اسم.

فقد أصبح الحسين وفكرته مشعلاً منيراً لهداية الناس ودعوتهم إلى التوحيد الخالص وابتعادهم عن الظلم والفساد، وسفينة لنجاتهم من التباهي والغرق والانحطاط ولهذا السبب قال رسول الله ﷺ **«إن الحسين مصباح الهدى وسفينة النجاة»** فحق الحسين على هذه الأمة عظيم جداً ولا يمكن أن يقاس ويعادل بشيء، ولابدّ للناس أن يعظّموا قدره بالاهتمام بزيارته في المواسم العديدة واتخاذ الذكريات لمأتمه والبكاء عليه مدى الزمان حتى يبقى اسمه وتظل فكرته مانعاً أمام العدوان ومخرّباً لمؤامراتهم.

وبهذه الخدمة العظيمة التي أداها سيد الشهداء من أجل الدين، ترى الله عوضه عن قتله أن جعل الإمامة في ولده والشفاء في تربته واستجابة الدعاء عند قبره ولا تعد أيام زائريه جائياً وراجعاً[1].

ولأجل الحراسة على تلك التضحيات وآثارها ترى الأئمة المعصومين عليهم السلام قد أمروا شيعتهم ورغبوهم بالالتزام على تلك الذكريات الجليلة وكثرة الاهتمام بزيارة قبره الشريف وذكروا لها كثيراً من الفضائل والفوائد وحذروا شيعتهم من تركها.

ثم إن اختلاف الثواب الموجود في أحاديث زيارة الحسين عليه السلام وهكذا زيارة سائر الأئمة عليهم السلام يرجع إلى اختلاف مراتب الزائرين من حيث الإيمان والمعرفة والنية والعلم ومشقة السفر فبعض منهم يعطى أعلى مرتبة من الثواب والأجر وبعض أقل منها وهكذا كل يثاب على حسب عمله ونيته وإن الله لا يضيع أجر العاملين.

---

(١) تقدم ذكر مصدره.

وغير خفي إن ما سردته لك أيها القارئ الكريم من أحاديث زيارة الإمام المظلوم هي نبذة من تلك الأحاديث الكثيرة، وإلا فهي أكثر من أن تحصى في هذه الوريقات، وكيف نحصي ثواب زيارة من يستأذن الله لزيارته ملائكة السماء وأرواح الانبياء، ففوج يهبط وفوج يصعد إلى السماء.

زيارة الأنبياء والمرسلين والملائكة المقربين للحسين عليه السلام

روى عبد الله بن سنان قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: قبر الحسين عليه السلام عشرون ذراعاً في عشرين مكسراً روضة من رياض الجنة منه معراج إلى السماء، فليس من ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا وهو يسأل الله تعالى أن يزور الحسين عليه السلام ففوج يهبط وفوج يصعد[١].

ما روته العامة في فضل زيارة الحسين عليه السلام

ووردت أمثال هذه الروايات من طرق العامة أيضاً، منها:

ما رواه أبو منصور شهردار بن شيرويه الديلمي في الفردوس مسنداً عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**إن موسى بن عمران سأل ربّه زيارة الحسين بن علي عليهما السلام، فزاره في سبعين ألف من الملائكة**»[٢].

الظاهر إن صح هذا الحديث هو زيارته عليه السلام في حياة رسول الله بعد ولادة الحسين عليه السلام.

وروي مثل ذلك عن علي بن أبي طالب عليه السلام[٣].

---

(١) كامل الزيارات: ١١٥.

(٢) الفردوس بمأثور الخطاب ١: ٢٢٧ ح ٨٧٠، ط دار الكتب العلمية ـ بيروت، ولاحظ مقتل الحسين للخوارزمي ٢: ١٩٢.

(٣) نفس المصدر.

وذكر أحمد بن أعثم في فتوحه باسناده إلى كعب الأحبار:

أنّه لما أسلم زمن عمر بن الخطاب، وقدم المدينة وجعل أهل المدينة يسألونه عن الملاحم التي تكون في آخر الزمان، فكان يخبرهم بأنواع الملاحم والفتن، ويقول: وأعظمها ملحمة هي الملحمة التي لا تنسى أبداً، وهي الفساد الذي ذكره الله تعالى في كتابكم، فقال: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾[1]، وإنما فُتح بقتل قابيل هابيل، ويختم بقتل الحسين بن علي عليه السلام.

ثم قال كعب: لعلكم تهونون قتل الحسين، أولا تعلمون أنّه تفتح يوم قتله أبواب السماوات كلّها؟ ويؤذن للسماء بالبكاء فتبكي دماً عبيطاً؟ فإذا رأيتم الحمرة قد ارتفعت من جنباتها ـ شرقياً وغربياً ـ فاعلموا أنها تبكي حسيناً.

فقيل له: يا أبا إسحاق كيف لم تفعل ذلك بالأنبياء وأولاد الأنبياء من قبل، وبمن كان خيراً من الحسين؟ فقال كعب: ويحكم إنّ قتل الحسين لأمر عظيم، لأنّه ابن بنت خير الأنبياء، وأنه يقتل علانية مبارزة ظلما وعدواناً، ولا تحفظ فيه وصية رسول الله ﷺ، وهو مزاج مائه، وبضعة من لحمه، فيذبح بعرصة (كربلاء) في كرب وبلاء، والذي نفس كعب بيده لتبكيه زمرة من الملائكة في السماوات، لا يقطعون بكاءهم عليه آخر الدهر وأن البقعة التي يدفن فيها خير البقاع بعد بيت مكة والمدينة وبيت المقدس وما من نبي إلاّ زارها، وقد بكى عليها، ولها في كل يوم زيارة من الملائكة بالتسليم، فإذا كانت ليلة جمعة أو يوم جمعة نزل إليها سبعون ألف يزورونه ويبكون عليه ويذكرون فضله ومنزلته عندهم، وأنّه ليسمى في السماوات الحسين المذبوح، وفي الأرض: أبا عبد الله المقتول وفي البحار: الفرخ الأزهر المظلوم.

---

(١) الروم: ٤١.

وأنه يوم يقتل تنكسف في النهار الشمس وفي الليل القمر، وتدوم الظلمة على الناس ثلاثة أيام، وتدكدك الجبال وتغطمط البحار[1]، ولولا بقية من ذريته وذرية محمد ﷺ، ومحبي محمد ومحبي أبيه وأمه، يطلبون بدمه، ويأخذون بثاره، لصب الله عليهم من السماء نيراناً.

ثم قال كعب: لعلكم تتعجبون مما حدثتكم من أمر الحسين، أو لا تعلمون أنّ الله تبارك وتعالى لم ينزل شيئاً كان أو يكون في آخر الدنيا وأوائلها إلاّ وقد فسره لموسى، وما من نسمة خلقت ومضت من ذكر أو أنثى إلاّ وقد رفعت إلى آدم وعرضت عليه؟ ولقد عرضت على آدم هذه الأمة خاصة، فنظر إليها وإلى اختلافها وتكالبها على هذه الدنيا فقال: «يا ربّ! ما لهذه الأمة وتكالبها على الدنيا، وهم خير أمة وأفضلها»؟ فأوحى الله تعالى إليه: أن يا آدم! هذا أمري في خلقي، وقضائي في عبادي، يا آدم! إنهم اختلفوا فاختلفت قلوبهم، وسيظهرون في الأرض الفساد كفساد قابيل حين قتل هابيل وسيقتلون فرخ حبيبي محمد ﷺ.

ومُثّل لآدم مقتل الحسين، ووثوب أمة جدّه عليه، فنظر آدم إليهم مسودة وجوههم، فقال: «يا رب! أبسط عليهم الإنتقام كما قتلوا فرخ هذا النبي المكرم عليك».

قال هبيرة بن يريم: حدثني أبي، قال لقيت سلمان الفارسي فحدثته بهذا الحديث، فقال سلمان: لقد صدقك كعب، وأنا أزيدك في ذلك: أنّ كل شيء في الأرض يبكي على الحسين إذا قتل، حتى النجم ونبات الأرض، ولا يبقى شيء من الروحانيين إلا ويسجد ذلك اليوم، ويقول إلهنا وسيدنا! أنت الحكيم العليم، ثمّ لا يرفعون رؤوسهم حتى ينادي ملك السماء والأرض: أن يا معشر الخليقة! ارفعوا رؤوسكم فقد وفيتم لربّ العزّة.

---

(١) الغطمطة: اضطراب موج البحر.

قال: ثمّ أقبل عليّ سلمان فقال: يا يريم! إنك لو تعلم يومئذ كم من عين تعود سخينة كئيبة حزينة، قد ذهب نورها، وغشي بصرها ببكائها على الحسين بن علي، ولقد صدقك كعب فيما حدثك عن كربلا أنها أرض كرب وبلاء.

والذي نفس سلمان بيده، لو أني أدركت أيامه، لضربت بين يديه بالسيف، أو أُقطع بين يديه عضواً عضواً، فأسقط بين يديه صريعاً، فإن القتيل معه يعطى أجر سبعين شهيداً كلّهم كشهداء بدر وأحد وحنين وخيبر.

ثم قال سلمان: يا يريم! ليت أم سلمان أسقطت سلمان، أو كان حيضة ولم يسمع بقتل الحسين بن فاطمة، ويحك، يا يريم! أتدري من حسين؟ حسين سيد شباب أهل الجنّة على لسان محمد ﷺ، وحسين لا يهدأ دمه حتى يقف بين يدي الله سبحانه وتعالى، وحسين من تفزع لقتله الملائكة.

ويحك، يا يريم أتعلم كم من ملك ينزل يوم يقتل الحسين؟ ويضمه إلى صدره، وتقول الملائكة بأجمعها: إلهنا وسيدنا هذا فرخ رسولك، ومزاج مائه، وابن بنته.

يا يريم! إن أنت أدركت أيام مقتله، واستطعت أن تقتل معه، فكن أولّ قتيل ممن يقتل بين يديه فإنّ كلّ دم يوم القيمة يطالب به بعد دم الحسين ودماء أصحابه، الذين قتلوا بين يديه.

وانظر يا يريم! إن أنت نجوت ولم تقتل معه، فزر قبره، فإنه لا يخلو من الملائكة أبداً، ومن صلّى عند قبره ركعتين، حفظه الله من بغضهم وعداوتهم حتى يموت.

قال هبيرة: فأما سلمان فمات بالمدائن في خلافة عمر بن الخطاب،

وأما يريم فإنه لم يلحق لذلك[١].

وروى المحدث جمال الدين محمد بن أحمد الحنفي الموصلي الشهير بابن حسنويه عن رسول الله ﷺ في حديث: «... **والذي نفسي بيده إن حول قبر ولدي الحسين أربعة آلاف ملك شعثاً غبراً يبكون عليه إلى يوم القيامة ورئيسهم ملك يقال له منصور، وإن الملائكة عون لمن زاره، فلا يزوره زائر إلا استقبلوه، ولا يودعه مودّع إلا شيعوه، ولا يمرض إلا عادوه، ولا يموت إلا صلّوا عليه واستغفروا له بعد موته**»[٢].

وفي ذخائر العقبى عن علي بن موسى الرضا بن جعفر عليه السلام قال: سئل جعفر بن محمد عن زيارة قبر الحسين فقال: أخبرني أبي أن من زار قبر الحسين عليه السلام عارفاً بحقه كتب الله له في عليين، وقال إنّ حول قبر الحسين سبعين ألف ملك شعثاً غبراً يبكون عليه إلى يوم القيامة. قال الطبري: خرجه أبو الحسن العتيقي[٣].

روى الحافظ محمد بن أبي الفوارس في كتابه الأربعين عن علي بن فضل الله بن علي بن عبد الله أدام الله علاه، يروي عن الثقات، عن أحمد

---

(١) مقتل الحسين للخوارزمي: ١٩٢ ط دار أنوار الهدى.

(٢) درّ بحر المناقب: ١٠١٧ مخطوط ولاحظ إحقاق الحق ١١: ٢٨٧.

(٣) ذخائر العقبى: ١٥١ ط مؤسسة الوفاء ـ لبنان، ورواه الحضرمي في وسيلة المآب أيضاً بعينه، وكذلك في مقتل الحسين للخوارزمي ٢: ١٩٢ فقد رواه أيضاً ولكن باختلاف يسير، وفي مناقب ابن المغازلي: قيل لأبي عبد الله عليه السلام: أي قبور الشهداء أفضل؟ قال: أو ليس أفضل الشهداء عندك الحسين عليه السلام؟ فو الذي نفسي بيده إن حول قبره أربعين ألف ملك شعثاً غبراً يبكون عليه إلى يوم القيامة. مناقب علي بن أبي طالب لأبي المغازلي: ٢٤٦ ـ ط دار مكتبة الحياة ـ بيروت.

بن محمد بن خالد، عن أبيه، عن وهب، عن جعفر الصادق، عن أبيه، عن أبائه عليهم السلام، عن رسول الله ﷺ إنّه قال: ما خلق الله خلقاً أكثر من الملائكة، وأنه لينزل من السماء كل مساء سبعون ألف ملك، يطوفون بالبيت ليلتهم، حتى إذا طلع الفجر انصرفوا إلى قبر النبي ﷺ فيسلمون عليه، ثم يأتون قبر علي أمير المؤمنين عليه السلام فيسلمون عليه، ثم يأتون قبر الحسين عليه السلام فيسلمون عليه، ثم يعرجون إلى السماء قبل أن تطلع الشمس، ثم تنزل ملائكة النهار سبعون ألف ملك، فيطوفون بالبيت الحرام نهارهم، حتى إذا غربت الشمس انصرفوا إلى قبر النبي ﷺ فيسلمون عليه، ثم يأتون قبر أمير المؤمنين عليه السلام فيسلمون عليه، ثم يأتون قبر الحسين فيسلمون عليه، ثم يعرجون إلى السماء قبل أن تغرب الشمس، والذي نفسي بيده إن حول قبره أربعة آلاف ملك شعثا غبرا يبكون عليه إلى يوم القيامة. وفي رواية أخرى: قد وكل الله بالحسين عليه السلام سبعين ألف ملك شعثا غبرا يصلون عليه كل يوم ويدعون لمن زاره، ورئيسهم ملك يقال له منصور، فلا يزوره زائر إلا استقبلوه ولا يودعه مودع إلا ودعوه، ولا يمرض إلا عادوه ولا يموت إلا صلوا عليه وعلى جنازته واستغفروا له بعد موته[1].

وفي كامل الزيارات عن قدامة بن زائدة، عن أبيه قال: قال علي بن الحسين عليه السلام: بلغني يا زائدة أنّك تزور قبر أبي عبد الله أحياناً؟ فقلت: إن ذلك لكما بلغك.

فقال لي: فلماذا تفعل ذلك ولك مكان عند سلطانك الذي لا يحتمل أحداً على محبّتنا وتفضيلنا وذكر فضائلنا والواجب على هذه الأمّة من حقنّا؟ فقلت: والله ما أريد بذلك إلاّ الله ورسوله، ولا أحفل بسخط من سخط ولا يكبر في صدري مكروه ينالني بسببه، فقال: والله إنّ ذلك

---

(١) الأربعين لابن أبي الفوارس: ١٨، ولاحظ إحقاق الحق ٢٧: ٤٣٣.

لكذلك، فقلت: والله إنّ ذلك لكذلك، يقولها ثلاثاً وأقولها، فقال: أبشر ثم ابشر، فلأخبرنّك بخير كان عندي في النخب المخزون.

إنّه لمّا أصابنا بالطفّ ما أصابنا، وقتل أبي عليه السلام وقتل من كان معه من ولده وإخوته وسائر أهله، وحملت حرمه ونساؤه على الأقتاب، يراد بنا الكوفة فجعلت أنظر إليهم صرعى، ولم يواروا فيعظم ذلك في صدري ويشتد لما أرى منهم قلقي، فكادت نفسي تخرج، وتبينت ذلك منّي عمّتي زينب بنت علي الكبرى فقالت: مالي أراك تجود بنفسك يا بقية جدّي وأبي وإخوتي؟ فقلت: وكيف لا أجزع وأهلع وقد أرى سيّدي وإخوتي وعمومتي وولد عمي وأهلي مضرّجين بدمائهم مرمّلين، بالعراء مسلّبين، لا يكفنون ولا يوارون، لا يعرج عليهم أحد ولا يقربهم بشر كأنّهم أهل بيت من الديلم والخزر، فقالت: لا يجزعنّك ما ترى فو الله إنّ ذلك لعهد من رسول الله إلى جدّك وأبيك وعمّك، ولقد أخذ الله ميثاق أناس من هذه الأمة لا تعرفهم فراعنة هذه الأرض وهم معروفون في أهل السماوات أنّهم يجمعون هذه الأعضاء المتفرقة فيوارونها وهذه الجسوم المضرّجة وينصبون لهذا الطفّ علماً لقبر أبيك سيّد الشهداء لا يدرس أثره، ولا يعفو رسمه، على كرور اللّيالي والأيّام، وليجتهدن أئمة الكفر وأشياع الضلالة في محوه وتطميسه فلا يزداد أثره إلاّ ظهوراً وأمره إلاّ علوّاً.

فقلت: وما هذا العهد؟ وما هذا الخبر؟ فقالت: حدّثتني أم أيمن أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله زار منزل فاطمة عليها السلام في يوم من الأيّام فعملت له حريرة صلّى عليها وأتاه علي عليه السلام بطبق فيه تمر، ثمّ قالت أم أيمن: فأتيتهم بعس فيه لبن وزبد، فأكل رسول الله وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام من تلك الحريرة وشرب رسول الله صلى الله عليه وآله وشربوا من ذلك اللّبن، ثمّ أكل وأكلوا من ذلك التمر بالزبّد ثمّ غسّل رسول الله يده وعلي يصب عليه الماء.

فلما فرغ من غسل يده مسح وجهه ثمّ نظر إلى علي وفاطمة والحسن والحسين نظراً عرفنا فيه السرور في وجهه،ثم رمق بطرفه نحو السماء ملياً ثم وجّه وجهه نحو القبلة، وبسط يديه يدعو، ثمّ خرّ ساجداً، وهو ينشج فأطال النشوج وعلا نحيبه وجرت دموعه، ثمّ رفع رأسه وأطرق إلى الأرض ودموعه تقطر كأنّها صوب المطر فحزنت فاطمة وعلي والحسن والحسين وحزنت معهم، لما رأينا رسول الله وهبناه أن نسأله حتّى إذا طال ذلك قال له علي وقالت له فاطمة ما يبكيك يا رسول الله لا أبكى الله عينيك؟ وقد أقرح قلوبنا ما نرى من حالك؟ قال:«**يا أخي سررت بكم**» ـ وقال مزاحم بن عبد الوارث في حديث ههنا ـ فقال: «**يا حبيبي إنيّ سررت بكم سروراً ما سررت مثله قطّ وإنّي لأنظر إليكم وأحمد الله على نعمته عليّ فيكم إذ هبط عليّ جبرئيل فقال: يا محمد إن الله تبارك وتعالى اطّلع على ما في نفسك، وعرف سرورك بأخيك وابنتك وسبطيك، فأكمل لك النعمة، وهنّاك العطية بأن جعلهم وذرّياتهم ومحبيهم وشيعتهم معك في الجنة لا يفرّق بينك وبينهم: يحيون كما تحيى ويعطون كما تعطى حتى ترضى وفوق الرضا على بلوى كثيرة تنالهم في الدنيا، ومكاره تصيبهم بأيدي أناس ينتحلون ملّتك يزعمون أنّهم من أمّتك، براء من الله ومنك خبطاً خبطاً وقتلاً قتلاً، شتّى مصارعهم نائية قبورهم، خيرة من الله لهم ولك فيهم، فاحمد الله جلّ وعزّ على خيرته وارض بقضائه، فحمدت ورضيت بقضائه بما اختاره لكم.**

ثمّ قال جبرئيل: يا محمد إنّ أخاك مضطهد بعدك مغلوب على أمّتك، متعوب من أعدائك، ثمّ مقتول بعدك، يقتله أشرّ الخلق والخليقة، وأشقى البرية نظير عاقر الناقة، ببلد تكون إليه هجرته، وهو مغرس شيعته وشيعة ولده، وفيه على كل حال يكثر بلواهم، ويعظم مصابهم، وإنّ سبطك هذا وأو مأبيده إلى الحسين عليه السلام مقتول في عصابة من ذرّيتك وأهل بيتك، وأخيار من أمّتك بضفة الفرات، بأرض تدعى كربلاء، من

أجلها يكثر الكرب والبلاء، على أعدائك وأعداء ذرّيتك في اليوم الذي لا ينقضي كربه، ولا تفنى حسرته، وهي أطهر بقاع الأرض، وأعظمها حرمة، وإنّها لمن بطحاء الجنّة.

فإذا كان ذلك اليوم الذي يقتل فيه سبطك وأهله، وأحاطت بهم كتائب أهل الكفر واللّعنة، تزعزعت الأرض من أقطارها، ومادت الجبال، وكثر اضطرابها واصطفقت البحار بأمواجها، وماجت السماوات بأهلها، غضباً لك يا محمد ولذريتك واستعظاماً لما ينتهك من حرمتك، ولشرّ ما يتكافى به في ذرّيتك وعترتك، ولا يبقى شيء من ذلك، إلاّ استأذن الله عزّ وجلّ في نصرة أهلك المستضعفين المظلومين الذين هم حجة الله على خلقه بعدك.

فيوحي الله إلى السماوات والأرض والجبال والبحار ومن فيهنّ: إنّي أنا الله الملك القادر، والذي لا يفوته هارب، ولا يعجزه ممتنع، وأنا أقدر على الانتصار والانتقام وعزّتي وجلالي لأعذّ بنّ من وتر رسولي وصفيي، وانتهك حرمته، وقتل عترته، ونبذ عهده وظلم أهله، عذاباً لا أعذّ به أحداً من العالمين، فعند ذلك يضجّ كل شيء في السماوات والأرضين بلعن من ظلم عترتك، واستحل حرمتك، فإذا برزت تلك العصابة إلى مضاجعها تولّى الله جلّ وعزّ قبض أرواحها بيده، وهبط إلى الأرض ملائكة من السماء السابعة، معهم آنية من الياقوت والزمرد مملوءة من ماء الحياة وحلل من حلل الجنّة، وطيب من طيب الجنّة، فغسلوا جثثهم بذلك الماء وألبسوها الحلل، وحنطوها بذلك الطيب، وصلى الملائكة صفاً صفاً عليهم.

ثمّ يبعث الله قوماً من امّتك لا يعرفهم الكفّار، لم يشركوا في تلك الدماء بقول ولا فعل ولا نيّة فيوارون أجسامهم، ويقيمون رسماً لقبر سيّد الشهداء بتلك البطحاء، يكون علماً لأهل الحقّ وسبباً للمؤمنين إلى

الفوز، وتحفّه ملائكة من كلّ سماء مائة ألف ملك في كلّ يوم وليلة، ويصلّون عليه، ويسبحون الله عنده ويستغفرون الله لزوّاره، ويكتبون أسماء من يأتيه زائراً من أمّتك متقرّباً إلى الله وإليك بذلك، وأسماء آبائهم وعشائرهم وبلدانهم، ويوسمون في وجوههم بميسم نور عرش الله «هذا زائر قبر خير الشهداء وابن خير الأنبياء» فإذا كان يوم القيامة سطع.

وكأنّي بك يا محمد بيني وبين ميكائيل، وعلي أمامنا، ومعنا من ملائكة الله مالا يحصى عدده، ونحن نلتقط من ذلك الميسم في وجهه من بين الخلائق حتى ينجيهم الله من هول ذلك اليوم وشدائده، وذلك حكم الله وعطاؤه لمن زار قبرك يا محمد أو قبر أخيك أو قبر سبطيك، لا يريد به غير الله جلّ وعزّ، وسيجدّ[1] أناس ممّن حقّت عليهم من الله اللّعنة والسخط، أن يعفو رسم ذلك القبر ويمحو أثره، فلا يجعل الله تبارك وتعالى لهم إلى ذلك سبيلاً.

ثمّ قال رسول الله ﷺ: «**فهذا أبكاني وأحزنني**».

قالت زينب: فلمّا ضرب ابن ملجم لعنة الله أبي ورأيت أثر الموت منه قلت له: يا أبه حدّثتني أم أيمن بكذا وكذا وقد أحببت أن أسمعه منك، فقال: يا بنية الحديث كما حدثتك أم أيمن، وكأنّي بك وببنات أهلك سبايا بهذا البلد أذلاء خاشعين، تخافون أن يتخطفّكم الناس، فصبراً صبراً، فوالذي فلق الحبة وبرأ النسمة ماالله على ظهر الأرض يومئذ وليّ غيركم وغير محبيّكم وشيعتكم ولقد قال لنا رسول الله حين أخبرنا بهذا الخبر: «**إنّ إبليس في ذلك اليوم يطير فرحاً فيجول الأرض كلّها في شياطينه وعفاريته فيقول: يا معشر الشياطين قد أدركنا من ذرّية آدم الطلبة، وبلغنا في هلاكهم الغاية، وأورثناهم النار إلاّ من اعتصم بهذه العصابة فاجعلوا**

---

(١) في المصدر: سيجتهد.

شغلكم بتشكيك الناس فيهم، وحملهم على عداوتهم وإغرائهم بهم وأوليائهم، حتى تستحكم ضلالة الخلق وكفرهم، ولا ينجو منهم ناج، ولقد صدق عليهم إبليس وهو كذوب أنّه لا ينفع مع عداوتكم عمل صالح، ولا يضرّ مع محبّتكم وموالاتكم ذنب غير الكبائر».

قال زائدة: ثمّ قال علي بن الحسين بعد أن حدّثني بهذا الحديث: خذه إليك أما لو ضربت في طلبه آباط الإبل حولاً لكان قليلاً[1].

أقول: هذا الحديث وإن روته الإمامية عن علي بن الحسين وهو عن عمته زينب الكبرى عليها السلام، إلا أن أصله قد رواه الخوارزمي في مقتله والخركوشي في شرف النبي صلى الله عليه وآله والسمهودي في خلاصة الوفاء وتقدم نقله منا في آخر أحاديث زيارة النبي صلى الله عليه وآله عن علي عليه السلام قال: زارنا رسول الله صلى الله عليه وآله فعملنا له حريرة وأهدت لنا أم أيمن قعبا من لبن... إلى قوله فانجيتها والله من أهواله وشدائده.

ونقل أصل القصة من طرق العامة يقوي ما ذكرناه من طرق الإمامية عن علي بن الحسين عليه السلام، مضافاً إلى أن متانة الحديث وورود مضمونه في سائر الروايات شاهد على صحته، وعليه فما قيل فيه من أنها قصة مسرودة، وكيف يصح جهل علي بن الحسين وهو إمام الخلق بهذا الحديث ومفاده حتى تنبهه زينب بنت علي...

فهو مردود لأن علم الإمام بما كان وما يكون لا ينافي مع سؤاله من شخص لمصلحة يقتضيه علمه أو حكايته حديث عن شخص لمصلحة ولو كان عالماً به وإن هذا الأمر كان متداولاً بين الأئمة أيضاً ولا يخص بعلي بن الحسين.

ومن المحتمل أن تكون أحد المصالح في حكاية الإمام عن عمته هو

---

(١) كامل الزيارات: ٢٥٧ ـ ٢٦٦، ولاحظ البحار ٤٥: ١٨٣.

إظهار فضلها وعظمتها وكثرة صبرها على المصائب والمحن.

وفيه أيضاً عن ابن محبوب، عن الحسين بن بنت أبي حمزة الثمالي قال: خرجت في آخر زمان بني مروان إلى قبر الحسين بن علي عليه السلام مستخفياً من أهل الشام حتى انتهيت إلى كربلا.

فاختفيت في ناحية القرية حتى إذا ذهب من الليل نصفه أقبلت نحو القبر فلما دنوت منه أقبل نحوي رجل فقال لي: انصرف مأجوراً فأنك لا تصل إليه فرجعت فزعاً حتّى إذا كاد يطلع الفجر أقبلت نحوه حتّى إذا دنوت منه خرج إلي الرجّل فقال لي: يا هذا إنّك لا تصل إليه.

فقلت له: عافاك الله ولم لا أصل إليه وقد أقبلت من الكوفة أريد زيارته فلا تحل بيني وبينه وأنا أخاف أن أصبح فيقتلوني أهل الشام إن أدركوني ههنا؟ قال فقال لي: إصبر قليلاً فإنّ موسى بن عمران عليه السلام سأل الله أن يأذن له في زيارة قبر الحسين بن علي عليه السلام فأذن له فهبط من السماء في ألف ملك فهم بحضرته من أوّل الليل ينتظرون طلوع الفجر ثمّ يعرجون إلى السماء.

قال فقلت: فمن أنت عافاك الله؟ قال: أنا من الملائكة الذين أُمروا بحرس قبر الحسين عليه السلام والاستغفار لزوّاره، فانصرفت وقد كاد يطير عقلي لما سمعت منه.

قال: فأقبلت حتى إذا طلع الفجر أقبلت نحوه فلم يحل بيني وبينه أحد فدنوت منه فسلّمت عليه ودعوت الله على قتلته، وصليت الصبح، وأقبلت مسرعاً مخافة أهل الشام[1].

وروى السيد علي بن طاووس في الاقبال مثله[2].

---

(١) كامل الزيارات لابن قولويه: ١١١ البحار ١٠١: ٦٠، المستدرك ٢: ٢٣٥.

(٢) الاقبال للسيد بن طاووس ٢: ٥٦٨.

روى مؤلّف المزار الكبير بإسناده إلى الأعمش قال: كنت نازلاً بالكوفة وكان لي جار كثيراً ما كنت أقعد إليه وكان ليلة الجمعة فقلت له: ما تقول في زيارة الحسين عليه السلام؟ فقال لي: بدعة وكلّ بدعة ضلالة وكلّ ضلالة في النار، فقمت من بين يديه وأنا ممتليء غضباً وقلت: إذا كان السحر أتيته وحدّثته من فضائل أمير المؤمنين ما يسخّن الله به عينيه.

قال: فأتيته وقرعت عليه الباب فإذا أنا بصوت من وراء الباب: إنّه قد قصد الزيارة في أوّل الليل فخرجت مسرعاً فأتيت الحير فإذا أنا بالشيخ ساجد لا يملّ من السجود والركوع، فقلت له: بالأمس تقول لي: بدعة وكلّ بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار واليوم تزوره، فقال لي: يا سليمان لا تلمني فإنّي ما كنت أثبت لأهل هذا البيت إمامة حتى كانت ليلتي هذه فرأيت رؤيا أرعبتني.

فقلت: ما رأيت أيها الشيخ؟ قال: رأيت رجلاً لا بالطويّل الشّاهق ولا القصير اللاصق، لا أحسن أصفه من حسنه وبهائه معه أقوام يحفّون به حفيفاً ويزفّونه بين يديه فارس على فرس له ذنوب على رأسه تاج للتاج أربعة أركان في كلّ ركن جوهرة تضيء مسيرة ثلاثة أيام.

فقلت: من هذا؟ فقالوا: محمد بن عبد الله بن عبد المطلب صلى الله عليه وآله، فقلت: والآخر؟ فقالوا: وصيه علي بن أبي طالب عليه السلام ثمّ مددت عيني فإذا أنا بناقة من نور عليها هودج من نور تطير بين السماء والأرض.

فقلت: لمن الناقة؟ قالوا: لخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد، قلت: والغلام؟ قالوا: الحسن بن علي، قلت فأين يريدون؟ قال: يمضون بأجمعهم إلى زيارة المقتول ظلماً الشهيد بكربلاء الحسين بن علي، ثم قصدت الهودج وإذا أنا برقاع تساقط من السّماء أماناً من الله جلّ ذكره لزوار الحسين بن علي ليلة الجمعة،ثم هتف بنا هاتف ألا إنّا وشيعتنا في الدرجة العليا من الجنة، والله يا سليمان لا أفارق هذا المكان حتى تفارق

روحي جسدي[١].

وروى الخوارزمي عن عبد الله بن أحمد بن عامر ابن سليمان ببغداد في باب المحوّل، حدثني أبي أحمد بن عامر بن سليمان الطائي، حدثني أبو الحسن علي بن موسى الرضا، حدثني أبي موسى بن جعفر، حدثني أبي جعفر بن محمد، حدثني أبي محمد بن علي الباقر، حدثني أبي علي بن الحسين، حدثني أبي الحسين بن علي، حدثني أبي علي ابن أبي طالب عليه السلام، قال: قال رسول الله ﷺ: **«كأني بالقصور قد شيدت حول قبر الحسين، ولا تذهب الأيام والليالي حتى يسار إليه من الآفاق وذلك عند انقطاع ملك بني مروان»**[٢].

حديث جابر وزيارته لقبر الحسين عليه السلام

روى الخوارزمي بسنده عن الأعمش،عن عطية العوفي،قال: خرجت مع جابر ابن عبد الله الأنصاري زائراً قبر الحسين بن علي فلما وردنا كربلاء، دنا جابر من شاطئ الفرات فاغتسل، ثم اتزر بإزار وارتدى بآخر، ثم فتح صرّة فيها سعد فنثره على بدنه، ثمّ إنّه لم يخط خطوة إلاّ ذكر فيها الله تعالى، حتى إذا دنا من القبر قال:

ألمسنيه يا عطية! فألمسته، فخر على القبر مغشياً عليه، فرششت عليه شيئاً من الماء، فلما أفاق قال: يا حسين يا حسين ـ ثلاثاً ـ ثمّ قال: حبيب لا يجيب حبيبه، وأنى لك بالجواب، وقد شخبت أوداجك على أثباجك، وفرق بين رأسك وبدنك؟! فأشهد أنّك ابن خاتم النبيين، وابن سيد الوصيين، وحليف التقى، وسليل الهدى، وخامس أصحاب الكساء،

---

(١) البحار ٩٨: ٥٨ حكاه عن المزار الكبير: ١٠٧.

(٢) مقتل الحسين للخوارزمي: ١٩١.

وابن سيد النقباء، وابن فاطمة سيدة النساء، ومالك لا تكون هكذا، وقد غذتك كفّ محمد سيد المرسلين، وربيت في حجور المتقين، وأرضعت من ثدي الإيمان، وفطمت حياً، وطبت عيشاً غير أنّ قلوب المؤمنين غير طيبة بفراقك، ولا شاكة في الخيرة لك، فعليك سلام الله ورضوانه، فأشهد أنك مضيت على ما مضى يحيي بن زكريا.

قال عطية: ثم جال ببصره حول القبر، فقال: السلام عليكم أيتها الأرواح الطيبة التي بفناء الحسين أناخت برحله أشهد أنكم قد أقمتم الصلاة، وآتيتم الزكاة، وأمرتم بالمعروف، ونهيتم عن المنكر، وعبدتم الله حتى أتاكم اليقين، فوالذي بعث محمداً ﷺ بالحق لقد شاركناكم فيما دخلتم فيه.

قال عطية: فقلت لجابر بن عبد الله: فكيف ولم نهبط وادياً، ولم نعل جبلاً، ولم نضرب بسيف، والقوم قد فُرّق بين رؤوسهم وأبدانهم، فأوتمت الأولاد وأُرملت الأزواج؟ فقال لي: يا عطية! سمعت جده رسول الله ﷺ، قال: **«من أحب قوماً حشر معهم، ومن أحب عمل قوم أُشرك في عملهم»**.

أحدر بي نحو أبيات كوفان، فلماصرنا في الطريق، قال: يا عطية هل أوصيك، وما أظنني بعد هذه السفرة ألاقيك؟ أحب محبّ آل محمّد ما أحبهم، وأبغض مبغض آل محمد ما أبغضهم، وإن كانوا صوّاماً قوّاماً[1].

سطوع نور من رأس الحسين عليه السلام حينما كان في بيت يزيد

روي الشبلنجي عن سليمان الأعمش أنه قال: خرجنا ذات سنة حجّاجاً لبيت الله الحرام وزيارة قبر النبي ﷺ، فبينا أنا أطوف بالبيت إذا رجل متعلّق بأستار الكعبة وهو يقول: اللهم إغفر لي وما أظنّك تفعل،

---

(١) مقتل الحسين للخوارزمي ٢: ١٩١

فلمّا فرغت من طوافي قلت: سبحان الله العظيم ما كان ذنب هذا الرجل؟! فتنحّيت عنه ثمّ مررت به مرّة ثانية وهو يقول: اللهم إغفر لي وما أظنّك تفعل، فلمّا فرغت من طوافي قصدت نحوه فقلت: يا هذا إنّك في موقف عظيم يغفر الله فيه الذنوب العظام فلو سألت منه عزّ وجلّ المغفرة والرحمة لرجوت أن يفعل فإنّه منعم كريم.

فقال: يا عبد الله من أنت؟ فقلت: أنا سليمان الأعمش فقال: يا سليمان إيّاك طلبت وقد كنت أتمنّى مثلك فأخذ بيدي وأخرجني من داخل الكعبة إلى خارجها، فقال لي: يا سليمان ذنبي عظيم، فقلت: يا هذا أذنبك أعظم أم الجبل أم السماوات أم الأرضون أم العرش؟ فقال لي: يا سليمان ذنبي أعظم مهلاً عليّ حتى أخبرك بعجب رأيته، فقلت له: تكلم رحمك الله، فقال لي: يا سليمان أنا من السبعين رجلاً الذين أتوا برأس الحسين بن علي عليهما السلام إلى يزيد بن معاوية، فأمر الرأس فنصب خارج المدينة وأمر بإنزاله ووضع في طست من ذهب ووضع في بيت منامه، قال: فلمّا كان في جوف الليل انتبهت امرأة يزيد بن معاوية فإذا شعاع ساطع إلى السماء ففزعت فزعاً شديداً وانتبه يزيد من منامه، فقالت له: يا هذا قم فإني أرى عجبا، قال: فنظر يزيد إلى ذلك الضياء فقال لها اسكتي فإنّي أرى كما ترين، قال: فلمّا أصبح من الغد أمر بالرأس فأخرج إلى فسطاط وهو من الديباج الأخضر وأمر بالسبعين رجلاً فخرجنا إليه نحرسه وأمر لنا بالطعام والشراب حتى غربت الشمس ومضى من الليل ما شاء الله ورقدنا فاستيقظت ونظرت نحو السماء وإذا بسحابة عظيمة ولها دويّ كدوي الجبال وخفقان أجنحة فأقبلت حتى لصقت بالأرض ونزل منها رجل وعليه حلّتان من حلل الجنّة وبيده درانك وكراسي.

فبسط الدرانك وألقى عليها الكراسي وقام على قدميه ونادى أنزل يا أبا البشر أنزل يا آدم ﷺ فنزل رجل أجمل ما يكون من الشيوخ شيباً

فأقبل حتى وقف على الرأس فقال: السلام عليك يا ولي الله، السلام عليك يا بقية الصالحين عشت سعيداً وقتلت طريداً ولم تزل عطشاناً حتى ألحقك الله بنا، رحمك الله ولا غفر لقاتلك، الويل لقاتلك غداً من النار، ثمّ زال وقعد على كرسي من تلك الكراسي، قال: يا سليمان ثمّ لم ألبث إلا يسيراً وإذا بسحابة أخرى أقبلت حتى لصقت بالأرض فسمعت منادياً يقول: انزل يا نبي الله انزل يا نوح وإذا برجل اتمّ الرجال خلقاً وإذا بوجهه صفرة وعليه حلّتان من حلل الجنة فأقبل حتى وقف على الرأس، فقال: السلام عليك يا أبا عبد الله، السلام عليك يا بقية الصالحين قتلت طريداً وعشت سعيداً ولم تزل عطشاناً حتى ألحقك الله بنا، غفر الله لك، ولا غفر لقاتلك، الويل لقاتلك غداً من النار، ثم زال فقعد على كرسي من تلك الكراسي، قال: يا سليمان ثمّ لم ألبث إلاّ يسيراً وإذا بسحابة أعظم منها فأقبلت حتى لصقت بالأرض فقام الأذان وسمعت منادياً ينادي: أنزل يا خليل الله أنزل يا إبراهيم عليه السلام وإذابرجل ليس بالطويل العالي ولا بالقصير المتداني أبيض الوجه أملح الرجال شيباً فأقبل حتى وقف على الرأس فقال:

السلام عليك يا أبا عبد الله، السلام عليك يا بقية الصالحين قتلت طريداً وعشت سعيداً ولم تزل عطشاناً حتى ألحقك الله بنا غفر الله لك، ولا غفر لقاتلك، الويل لقاتلك غداً من النار، ثمّ تنحّى فقعد على كرسي من تلك الكراسي، ثمّ لم ألبث إلاّ يسيراً فإذا بسحابة عظيمة فيها دويّ كدويّ الرعد وخفقان أجنحة فنزلت حتى لصقت بالأرض وقام الأذان فسمعت قائلاً يقول: انزل يا نبي الله انزل يا موسى بن عمران، قال: فإذا برجل أشد الناس في خلقه واتمّهم في هيبته وعليه حلّتان من حلل الجنة، فأقبل حتى وقف على الراس فقال مثل ما تقدم، ثمّ تنحى فجلس على كرسي من تلك الكراسي، ثم لم ألبث إلا يسيراً وإذا بسحابة أخرى وإذا فيها دويّ عظيم وخفقان أجنحة فنزلت حتى لصقت بالأرض

وقام الأذان فسمعت قائلاً يقول: انزل يا عيسى انزل يا روح الله فإذا أنا برجل محمر الوجه وفيه صفرة وعليه حلتان من حلل الجنة فأقبل حتى وقف على الرأس فقال مثل مقالة آدم ومن بعده، ثمّ تنحّى فجلس على كرسي من تلك الكراسي، ثمّ لم ألبث إلا يسيراً وإذا بسحابة عظيمة فيها دويّ كدويّ الرعد والرياح وخفقان أجنحة فنزلت حتى لصقت بالأرض فقام الأذان وسمعت منادياً ينادي: انزل يا محمد، انزل يا أحمد ﷺ، وإذا بالنبي ﷺ وعليه حلّتان من حلل الجنة وعن يمينه صفّ من الملائكة والحسن وفاطمة عليهما السلام فأقبل حتى دنا من الرأس فضمّه إلى صدره وبكى بكاء شديداً، ثمّ دفعه إلى أمّه فاطمة فضمته إلى صدرها وبكت بكاء شديداً حتى علا بكاؤها وبكى لها من سمعها في ذلك المكان، فأقبل آدم عليه السلام حتى دنا من النبي ﷺ فقال: السلام على الولد الطيب، السلام على الخلق الطيب أعظم الله أجرك وأحسن عزائك في إبنك الحسين، ثمّ قام نوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام، فقالوا كقوله كلّهم يعزونه ﷺ في ابنه الحسين،ثمّ قال النبي ﷺ: يا أبي آدم! ويا أبي نوح! ويا أبي إبراهيم! ويا أخي موسى! ويا أخي عيسى! اشهدوا وكفى بالله شهيداً على أمتي لما كافؤني في إبني وولدي من بعدي فدنا منه ملك من الملائكة فقال: قطعت قلوبنا يا أبا القاسم أنا الملك الموكل بسماء الدنيا أمرني الله تعالى بالطاعة لك فلو أذنت لي أنزلتها على أمتك فلا يبقى منهم أحد، ثم قام ملك آخر فقال: قطعت قلوبنا يا أبا القاسم أنا الموكّل بالبحار أمرني الله بالطاعة لك فإن أذنت لي أرسلتها عليهم فلا يبقى منهم أحد، فقال النبي ﷺ يا ملائكة ربي كفوا عن أمتي فإنّ لي ولهم موعداً لن أخلفه، فقام إليه آدم عليه السلام وقال: جزاك الله خيراً من نبي أحسن ما جوزي به نبي عن أمّته، فقال له الحسن: يا جدّاه هؤلاء الرقود هم الذين يحرسون أخي وهم الذين أتوا برأسه، فقال النبي ﷺ: يا ملائكة ربّي اقتلوهم بقتلهم إبني فوالله ما لبثت إلاّ يسيراً حتى رأيت أصحابي قد ذبحوا أجمعين، قال: فلصق بي ملك ليذبحني

فناديته: يا أبا القاسم أجرني وارحمني يرحمك الله، فقال: كفوا عنه ودنا منّي، وقال: أنت من السبعين رجلاً؟ قلت: نعم، فألقى يده في منكبي وسحبني على وجهي وقال: لا رحمك الله ولا غفر لك أحرق الله عظامك بالنار فلذلك آيست من رحمة الله، فقال الأعمش: إليك عنّي فإنّي أخاف أن أعاقب من أجلك[١].

قال أبو مخنف: نصبوا الرمح الذي عليه الرأس الشريف، إلى أن قال: فلما جنّ الليل نظر الراهب إلى الرأس الشريف المكرّم رأى نوراً قد سطع منه إلى عنان السماء ورأى أنّ الملائكة ينزلون ويقولون: السلام عليك يا أبا عبد الله فبكى وقال لهم: ما الذي معكم؟ قالوا: رأس الحسين بن علي، فقال: من أُمّه؟ قالوا: أمه فاطمة الزهراء بنت محمد المصطفى، قال: صدقت الأحبار، قالوا: ما الذي قال الأحبار؟ قال: يقولون: إذا قتل نبي أو وصي أو ولد نبي أو ولد وصي تمطر السماء دماً فرأينا أنّ السماء تمطر دماً، وقال: واعجباه من أمة قتلت ابن بنت نبيها. ثم قال: أنا أعطيكم عشرة آلاف درهم أن تعطوني الرأس الشريف فيكون عندي، فقالوا: أحضر عشرة آلاف درهم، فأحضرها لهم فأخذ الرأس المبارك المكرّم وجعله في حجره ويقبّله ويبكي ويقول: ليت أكون أوّل من قتل بين يديك فأكون غداً معك في الجنة وأشهد لي عند جدّك رسول الله ﷺ بأني أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنّ محمداً عبده ورسوله، واحسن إسلامه[٢].

وروى الحضرمي في رشفة الصدور الحديث بعين ما تقدم عن التذكرة ملخصاً [٣].

---

(١) نور الابصار للشبلنجي: ٢٠٧، وحكاه عن التلمساني في كتابه المنهل الاصفى في شرح ما تمس الحاجة إليه من ألفاظ الشفا.

(٢) ينابيع المودة للقندوزي: ٣٥٢ الطبعة الثامنة ـ منشورات مكتبة بصيرتي ـ قم.

(٣) رشفة الصدور لأبي بكر الحضرمي: ١٦٤ ط مصر.

رؤية بعض الزوار اياه جالساً على ضريح قبره

قال الشبلنجي في نور الأبصار: ومن ذلك أيضاً ما أخبر به العلامة الشيخ فتح الدين أبو الفتح الغمري الشافعي إنه كان يتردد إلى الزيارة غالباً.

فجلس يوماً يقرء الفاتحة ودعا فلمّا وصل في الدعاء إلى قوله واجعل ثواباً مثل ذلك فأراد أن يقول في صحائف سيدنا الحسين ساكن هذا الرمس.

فحصلت له حالة فنظر فيها إلى شخص جالس على الضريح وقع عنده أنه السيد الحسين عليه السلام فقال في صحائف هذا وأشار بيده إليه.

فلمّا أتم الدعاء ذهب إلى الشيخ عبد الوهاب الشعراني فأخبره بذلك، فقال له الشيخ: صدقت وأنا وقع لي مثل ذلك، ثمّ ذهب إلى الشيخ كريم الدين الخلوتي فأخبره بذلك، فقال الشيخ كريم الدين: صدقت وأنا مازرت هذا المكان إلاّ بإذن من النبي ﷺ[1].

الحث على زيارة الإمام علي بن الحسين والباقر والصادق عليهم السلام

فما ورد من الروايات في الحث على زيارتهم هي تلك الروايات المتقدمة المشتركة بينهم، ومنها ما روي عن زيد الشحام قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام ما لمن زار أحداً منكم؟ قال: كمن زار رسول الله ﷺ[2].

---

(١) نور الابصار للشبلنجي: ٢٠٥ ط منشورات محمد علي بيضون دار الكتب العلمية بيروت.

(٢) الكافي ٤: ٥٧٩ ح ١، المقنعة: ٧٣، الفقيه للصدوق ٢: ٣٤٧ ح ١٥٩٢، التهذيب ٦: ٧٩ ح ١٥٧، ولاحظ الوسائل ١٤: ٥٤٣.

نعم، ورد في الوسائل عن الصادق عليه السلام أنه قال: من زارني غفرت له ذنوبه ولم يمت فقيراً[١].

وعن أبي محمد الحسن بن علي العسكري عليهما السلام أنه قال: من زار جعفراً أو أباه لم يشتك عينه ولم يصبه سقم، ولم يمت مبتلى[٢].

الحث على زيارة الكاظمين

موسى بن جعفر عليهما السلام ومحمد بن علي الجواد عليهما السلام

روي عن الحسن بن محمد القمي قال: قال لي الرضا عليه السلام: من زار قبر أبي ببغداد كمن زار قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وقبر أمير المؤمنين عليه السلام إلا أنّ لرسول الله صلى الله عليه وآله ولأمير المؤمنين فضلهما[٣].

وعن ابن سنان قال قلت للرضا عليه السلام: ما لمن زار أباك؟ قال: الجنة، فزره[٤].

وعن الحسن بن بشار الواسطي قال: سألت أبا الحسن الرضا عليه السلام: ما لمن زار قبر أبيك؟ قال: زره، قلت: فأي شيء فيه من الفضل؟ قال: فيه من الفضل كفضل من زار قبر والده يعني رسول الله صلى الله عليه وآله فقلت: فإني خفت فلم يمكنّي أن أدخل داخلا، قال: سلم من وراء الحائر[٥].

---

(١) التهذيب ٦: ٧٨ ح ١٥٣، المقنعة: ٧٣، ولاحظ الوسائل ١٤: ٥٤٣.

(٢) التهذيب ٦: ٧٨ ح ١٥٤، المقنعة للمفيد: ٧٣، ولاحظ الوسائل ١٤: ٥٤٣.

(٣) الكافي ٤: ٥٨٣ ح ١، التهذيب ٦: ٨١ ح ١٥٩، الفقيه ٢: ٣٤٨ ح ١٥٩٦، ولاحظ الوسائل ١٤: ٥٤٥.

(٤) التهذيب ٦: ٨٢ ح ١٦٠، والوسائل ١٤: ٥٤٥.

(٥) التهذيب ٦: ٨٢ ح ١٦١ الوسائل ١٤: ٥٤٥، كامل الزيارات: ٢٩٩، البحار ١٠١: ٤.

وعن زكريا بن آدم، عن الرضا عليه السلام: إنّ الله نجّى بغداد بمكان قبر أبي الحسن، وقال عليه السلام:

وقبر ببغداد لنفس زكية ... تضمنها الرحمن في الغرفات
وقبر بطوس يالها من مصيبة ... ألحّت على الأحشاء بالزفرات[1]

وفي تاريخ بغداد عن علي بن الخلال قال: ما همنّي أمر فقصدت قبر موسى بن جعفر عليه السلام وتوسلت به إلا سهّل الله لي ما أحب[2].

ورُئي في بغداد امرأة تهرول فقيل: إلى أين؟ قالت: إلى موسى بن جعفر، فإنه حُبس إبني، فقال لها حنبليٌ: إنه قد مات في الحبس، فقالت: بحق المقتول في الحبس أن تريني القدرة، فإذا بابنها قد أُطلق وأُخذ ابن المستهزئ بجنايته[3].

وعن ابراهيم بن عقبة قال: كتبت إلى أبي الحسن الثالث عليه السلام أسأله عن زيارة أبي عبد الله الحسين عليه السلام وعن زيارة أبي الحسن وأبيه عليهما السلام، فكتب إلي: أبو عبد الله عليه السلام المقدّم، وهذا أجمع وأعظم أجراً[4].

قال المجلسي في بيان معنى الحديث: قوله عليه السلام: أبو عبد الله المقدم أي الحسين عليه السلام أقدم وأفضل وزيارته فقط أفضل من زيارة كل المعصومين ومجموع زيارتهما أجمع وأفضل.

أو المراد أنّ زيارة الحسين عليه السلام أولى بالتقديم، ثم إن أضيفت إلى

---

(١) التهذيب ٦: ٨٦ البحار ١٠١: ٢.

(٢) تاريخ بغداد ١: ١٢٠، ورواه جمع من أئمة المذاهب سيأتي عند ذكر المزارات في السيرة.

(٣) مناقب ابن شهر آشوب ٤٢٢ ط النجف.

(٤) الكافي ٤: ٥٨٣، التهذيب ٦: ٨٢، البحار ١٠١: ٩٨، عيون الأخبار ٢: ٢٦١ ح ٢٥.

زيارته زيارة الإمامين عليهما السلام كان أجمع وأعظم أجراً.

أو المعنى أن زيارتهما أجمع من زيارته عليه السلام وحدها، لأن الاعتقاد بإمامتهما يستلزم الاعتقاد بإمامته دون العكس، فكأن زيارتهما تشمل على زيارته، ولأن زيارتهما مختصة بالخواص من الشيعة كما سيأتي في زيارة الرضا عليه السلام، ولا يخفى بعد الوجه الأخير[١].

الحث على زيارة
الإمام الضامن علي بن موسى الرضا عليه السلام

وردت من طرق العامة في فضل زيارته روايات، منها:

في كتاب مودة القربى عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «**ستدفن بضعة مني بخراسان ما زارها مكروب إلا نفس الله كربته ولا مذنب إلا غفر الله له**»[٢].

وقال رسول الله لعائشة: «**من زار ولدي بطوس فإنما حج مرة**»، فقالت عائشة: مرة؟! فقال: «**مرتين**» قالت مرتين! فقال: «**ثلاث مرات**» فسكتت عائشة، فقال: «**ولو لم تسكتي لبلغت إلى سبعين مرة**»[٣].

وفي فرائد السمطين بسنده عن أبي العباس أحمد بن محمد بن سعيد الحافظ، قال نبأنا علي بن فضال، قال نبأنا أبي، قال: سمعت علي بن موسى الرضا عليه التحية والثناء وجاءه رجل فقال له: يا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله في المنام كان يقول لي: «**كيف أنتم إذا دفن في أرضكم**

---

(١) البحار ١٠١: ٩٨.

(٢) مودة القربى للسيد علي بن شهاب الدين الهمداني: ١٤٠ ط لاهور، ينابيع المودة ٢٦٥ ط إسلامبول.

(٣) مودة القربى: ١٤٠.

بعضي واستحفظتم وديعتي وغُيّب في ثراكم لحمي»، فقال له الرضا عليه السلام: أنا المدفون في أرضكم وأنا بضعة نبيكم وأنا الوديعة واللحم من زارني وهو يعرف ما أوجب الله من حقي وطاعتي أنا وآبائي شفعائه يوم القيامة، ومن كنا شفعاؤه نجا ولو عليه مثل وزر الثقلين، ولقد حدثني أبي عن جدي، عن أبيه،عن آبائه أن رسول الله ﷺ قال: **«من رآني في منامه فقد رآني فإن الشيطان لا يتمثل في صورتي ولا في صورة أحد من أوصيائي، إن الرؤيا الصادقة جزء من سبعين جزءٍ من النبوة»**[1].

وعن إبراهيم بن إسحاق النهاوندي قال: قال الرضا عليه السلام: من زارني على بعد داري ومزاري: أتيته يوم القيامة في ثلاثة مواطن حتى أخلصه من أهوالها، إذا تطايرت الكتب يميناً وشمالاً، وعند الصراط، وعند الميزان[2].

وعن النعمان بن سعد، عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قال: **سيقتل رجل من ولدي بأرض خراسان بالسم ظلما، إسمه إسمي، واسم أبيه إسم موسى بن عمران عليه السلام ألا فمن زاره في غربته غفر الله له ذنوبه ما تقدم منها وما تأخر، ولو كانت مثل عدد النجوم وقطر الأمطار وورق الأشجار**[3].

---

(١) فرائد السمطين للحموينى نقلاً عن احقاق الحق ١٢: ٣٥٢، وفي البحار ١٠١: ٣٢ ،عيون الأخبار ٢: ٢٥٧، والأمالي للصدوق: ٦٤، وقد تقدم ذكر هذا الحديث عن العامة مع مصادره في أحاديث زيارة النبي ﷺ (رؤيا بلال).

(٢) التهذيب ٦: ٨٥ ح ١٦٩، كامل الزيارات: ٣٠٤، المقنعة ٢: ٧٤: وفيه إسحاق بن إبراهيم، عيون أخبار الرضا ٢: ٢٥٥ ح ٢، أمالي الصدوق: ١٠٦ ح ٩، الخصال: ١٦٧ ح ٢٢٠، الوسائل ١٤: ٥٥١.

(٣) الفقيه ٢: ٣٤٩ ح ١٦٠٥، أمالي الصدوق: ١٠٤ ح ٥، عيون أخبار الرضا ٢: ٢٥٨ ح ١٧، الوسائل ١٤: ٥٥٤.

وعن حمزة بن حمران قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: تقتل حفدتي بأرض خراسان في مدينة يقال لها طوس، من زاره إليها عارفاً بحقه أخذته بيدي يوم القيامة وأدخلته الجنة، وإن كان من أهل الكبائر، قلت له: جعلت فداك، وما عرفان حقه؟ قال: يعلم أنه إمام مفترض الطاعة غريب شهيد، من زاره عارفاً بحقه أعطاه الله عز وجل أجر سبعين شهيداً ممن استشهد بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله على حقيقة[١].

عن جابر بن يزيد، عن أبي جعفر، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**ستدفن بضعة مني بأرض خراسان ما زارها مكروب إلا نفس الله كربته ولا مذنب إلا غفر الله ذنوبه**»[٢].

عن عبد السلام بن صالح قال: سمعت الرضا عليه السلام يقول: إني سأقتل بالسم مظلوماً، وأُقبر إلى جنب هارون الرشيد ويجعل الله عز وجل تربتي مختلف شيعتي وأهل محبتي، فمن زارني في غربتي وجبت له زيارتي يوم القيامة، والذي أكرم محمداً بالنبوة واصطفاه على جميع الخليقة، لا يصلي أحد منكم عند قبري إلا استحق المغفرة من الله عز وجل يوم يلقاه، والذي أكرمنا بعد محمد صلى الله عليه وآله بالإمامة وخصنا بالوصية، إنّ زوار قبري أكرم الوفود على الله عز وجل يوم القيامة، وما من مؤمن يزورني فتصيب وجهه قطرة من الماء إلاّ حرّم الله جسده على النار[٣].

عن يحيي بن سليمان المازني، عن أبي الحسن موسى بن جعفر عليهما السلام قال: من زار قبر ولدي كان له عند الله كسبعين حجة مبرورة قال: قلت

---

(١) الفقيه ٢: ٣٥٠ ح ١٦٠٧، عيون أخبار الرضا ٢: ٢٥٩ ح ١٨ الوسائل ١٤: ٥٥٤.

(٢) عيون أخبار الرضا ٢: ٢٥٧ ح ١٤، أمالي الصدوق: ١٠٤ ح ٢.

(٣) عيون أخبار ٢: ٢٦٦ ح ١، الوسائل ١٤: ٥٥٩.

سبعين حجة؟ قال: نعم وسبعمائة حجة؟ قلت وسبعمائة حجة؟ قال: نعم وسبعين ألف حجة، قلت: وسبعين ألف حجة؟ قال رب حجة لا تقبل، من زاره وبات عنده ليلة كان كمن زار الله في عرشه.

قلت: كمن زار الله في عرشه؟ قال: نعم إذا كان يوم القيامة كان على عرش الله أربعة من الأولين وأربعة من الآخرين، فأما الأربعة الذين هم من الأولين فنوح وإبراهيم وموسى وعيسى، وأما الأربعة الذين هم من الآخرين فمحمد وعلي والحسن والحسين عليهم السلام، ثم يمدّ المطمار فيقعد معنا من زوار قبور الإئمة عليهم السلام، ألا إنّ أعلاهم درجة وأقربهم حبوة زوار قبر ولدي علي عليه السلام[1].

عن علي بن الحسن بن فضال، عن أبيه، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام أنه قال: إن بخراسان لبقعة يأتي عليها زمان تصير مختلف الملائكة، فلا يزال فوج ينزل من السماء وفوج يصعد، إلى أن ينفخ في الصور، فقيل له: يا ابن رسول الله وأية بقعة هذه؟. قال هي بأرض طوس وهي والله روضة من رياض الجنة، من زارني في تلك البقعة كان كمن زار رسول الله ﷺ وكتب الله تبارك وتعالى له بذلك ثواب ألف حجة مبرورة وألف عمرة مقبولة وكنت أنا وآبائي شفعائه يوم القيامة[2].

---

(١) كامل الزيارات: ٣٠٧، البحار ١٠١: ٤٢. قال المجلسي: قوله ثم يمد المضمار ميدان السباق والذي يضمر فيه الخيل ولعله كناية عن المجلس عبّر به عنه لسعته، وفي بعض النسخ المطمار والمطمار خيط للبناء يقدّر به ،ويؤيده ما مرّ سابقاً ،ولعل مدّه ليدخل فيه من كان من أوليائهم ويخرج عنه مخالفوهم، وفي بعض نسخ الكافي ثم يمدّ الطعام.

والحبوة العطية، والحبوة أيضاً الاحتباء بالثوب بأن يجمع بين ظهره وساقيه بعمامة ونحوها، وهنا يحتمل المعنيين.

(٢) البحار ١٠١: ٣١.

فضل زيارة الإمامين أبي الحسن علي بن محمد الهادي وأبي محمد الحسن بن علي العسكري المدفونين بسرّ من رأى

فإنّه مضافاً إلى الأحاديث المشتركة المتقدمة في زيارتهما ولا حاجة بأكثر من ذلك لكل واحد منهما، فإن الأئمة كلهم نور واحد فما ثبت لواحد منهم ثبت للآخر.

فقد روي عن علي بن محمد الهادي عليه السلام: إن تربتنا كانت واحدة فلما كان أيام الطوفان افترقت التربة، فصارت قبور ناشتّى، والتربة واحدة[١].

وورد حديثاً عن الحسين بن روح عن محمد بن زياد، عن أبي هاشم الجعفري قال: قال أبو محمد الحسن بن علي عليه السلام: قبري بسّر من رأي أمان لأهل الجانبين[٢].

زيارة الإمام الغائب عن الأنظار الحاضر في قلوب المؤمنين الأخيار الحجة بن الحسن العسكري عليهما السلام

فقد خرج من الناحية المقدسة إلى محمد الحميري بعد الجواب عن المسائل التي سألها:

بسم الله الرحمن الرحيم، لا لأمره تعقلون ولا من أوليائه تقبلون، حكمة بالغة فما تغني النذر عن قوم لا يؤمنون، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، إذا أردتم التوجّه بنا إلى الله تعالى وإلينا فقولوا كما قال الله تعالى: سلام على آل ياسين[٣]... .

---

(١) التهذيب ٦: ١٠٩ ح ١٠، مزار المفيد: ١٧٣.

(٢) الوسائل ١٤: ٥٧١، مزار المفيد: ١٧٤.

(٣) الاحتجاج ٢: ٣١٦ ـ ٣١٨ ط النجف الأشرف، البحار ١٠١: ٨١.

فضل زيارة أولاد الأئمة وذراريهم الصالحين

فقد ثبت استحباب زيارتهم بالأدلة المشتركة العامة المتقدمة خصوصاً ما ورد من النبي ﷺ في حديث «... **فمن زارني بعد وفاتي فكأنما زارني في حياتي، ومن زار فاطمة فكأنما زارني ومن زار علي بن أبي طالب فكأنما زار فاطمة ومن زار الحسن والحسين فكأنما زار عليا ومن زار ذريتهما فكأنما زارهما**»[١].

وورد عنه ﷺ: «**من زارني أو زار أحداً من ذريتي زرته يوم القيامة، فأنقذته من أهوالها**»[٢].

لكن ورد في بعضهم نص خاص، خصوصاً في السيدة فاطمة بنت الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام فإنه قد ورد من طرق العامة أيضاً.

فضل زيارة السيدة فاطمة المعصومة عليها السلام

قال البخاري في فصل الخطاب: ومن بنات موسى بن جعفر عليه السلام فاطمة، قبرها ببلدة قم، وعن علي الرضا عليه السلام أنه قال: من زارها فله الجنة[٣].

ورواه أيضاً سراج الدين عثمان ددة في تاريخ الإسلام والرجال نقلاً من شواهد النبوة[٤].

وروي عن الصادق عليه السلام أنه قال: إن لله حرماً وهو مكة، ألا إن

---

(١) بشارة المصطفى: ١٣٩ الطبعة الثانية سنة ١٣٨٣ ـ نجف، البحار ١٠٠: ١٢٣.

(٢) كامل الزيارات لابن قولويه: ١١، ولاحظ الوسائل ١٤: ٣٣١، البحار ١٠٠: ١٢٣.

(٣) فصل الخطاب لمحمد خواجه بارساي البخاري، نقلاً عن ينابيع المودة: ٣٨٣ ط اسلامبول.

(٤) تاريخ الإسلام والرجال: ٣٧٠ مخطوط ولاحظ إحقاق الحق ١٢: ٣٣٨.

لرسول الله حرماً وهو المدينة ألا وإن لأمير المؤمنين حرماً وهو الكوفة، ألا وإن قم الكوفة الصغيرة، ألا إن للجنة ثمانية أبواب ثلاثة منها إلى قم، تقبض فيها امرأة من ولدي اسمها فاطمة بنت موسى، وتدخل بشفاعتها شيعتي الجنة بأجمعهم[١].

قال محمد بن علي الجواد عليه السلام: من زار عمتي بقم فله الجنة[٢].

وقد ذكر لها زيارة خاصة تزار بها أوردها المجلسي في مزار البحار والشيخ عباس القمي في مفاتيح الجنان والسيد محسن الأمين في مفتاح الجنات.

فضل زيارة السيد عبد العظيم الحسني عليه السلام في ري

عن محمد بن يحيى قال دخل رجل على أبي الحسن علي بن محمد الهادي عليه السلام من أهل الري قال: قال لي: أين كنت؟ فقلت: زرت الحسين عليه السلام، فقال: أما إنك لو زرت قبر عبد العظيم عندكم لكنت كمن زار الحسين بن علي عليهما السلام[٣].

وذكر الأعلام زيارات خاصة لأولاد الأئمة عليهم السلام تجدها في مصباح الزائر[٤] والبحار[٥] وفي ختام أحاديث الزيارة نقدم لك أيها القارئ العزيز كلمة المجلسي رحمه الله في مزارات أبناء الأئمة عليهم السلام، فإنه قال:

إعلم أنّ المشاهد المنسوبة إلى أولاد الأئمة الهادية والعترة الطاهرة

---

(١) البحار ٦٠: ٢٢٨ ح ٤١.

(٢) الوسائل ١٤: ٥٧٦، كامل الزيارات: ٣٢.

(٣) ثواب الأعمال: ١٢٤ ح ١: كامل الزيارات: ٣٢٤، الوسائل ١٤: ٥٧٦.

(٤) مصباح الزائر: ٢٦١.

(٥) البحار ١٠١: ٢٧٢.

وأقاربهم صلوات الله عليهم يستحب زيارتها والإلمام بها، فإن في تعظيمهم تعظيم الأئمة، وتكريمهم، والأصل فيهم الإيمان والصلاح، إلى أن يعلم منهم خلافهما... [١].

وتقدم منا في الأدلة العامة إنه قد جرت السيرة القطعية منذ عصر الصحابة والتابعين على زيارة قبور المؤمنين ومشاهد العترة وأبناءهم والدعاء عندها والصلوة فيها لأنها تضمنت ولي من الأولياء وصالحاً من الصلحاء،فالذي ثبت من الروايات العامة والخاصة وسائر الأدلة أيضاً أن زيارة ذراري رسول الله ﷺ الصالحين منهم مندوبة ومن تعظيم حرمات الله تعالى، ولأن في تعظيمهم وزيارتهم تعظيم وتكريم لرسول الله ﷺ.

---

(١) البحار ١٠١: ٢٧٣.

الدليل الثالث

الإجماع

الدليل الثالث:

الإجماع

وبعد ذكر ما مرّ من الكتاب والسنّة من الأدلة التي وردت لإثبات مشروعية الزيارة نصل إلى دليل آخر وهو الإجماع، ولكن قبل البحث ألفت نظر القارئ الكريم إلى أنّ المقصود بالإجماع والذي يلزم أن يكون حجةً ودليلاً على المشروعية هو ما اتفقت عليه كلمات الصحابة في عهد الرسول وفيما بعد عهده ﷺ إلى أن ظهرت بوادر خرق هذا الإجماع في عهد ابن تيمية الذي لا يعبأ بمخالفة سيرة المسلمين الأوائل التي جرى عليها الناس بعدهم بلا اختلاف.

وهذا في الواقع ليس دليلاً على المشروعية وحسب، بل هو دليل صارخ على زيغ ابن تيمية وأتباعه حينما يضربون بكلمة المسلمين الواحدة عرض الجدار.

فقد أطبق المسلمون عليها سلفا وخلفا من عهد النبي والصحابة إلى زماننا هذا قولاً، بل إن استحباب زيارة قبور الأنبياء والأوصياء والصلحاء،بل وسائر المؤمنين، ملحق بالضروريات عند المسلمين،فضلاً عن الاجماع، وسيرتهم مستمرة عليها من عهد النبي ﷺ والصحابة والتابعين وتابعي التابعين وجميع المسلمين في كل عصر وفي كل صقع،عالمهم وجاهلهم صغيرهم وكبيرهم نساءً ورجالاً، وإنكار ذلك إنكار للضروريات والبديهيات.

ولم نجد من خالف في زيارة قبر النبي ﷺ وأهل بيته، جاهلاً أو عالماً مدى الزمان، إلا من شذ عن الإسلام وأنكر ضرورياته، وهو ابن تيمية،

فإنه أول من خرق إجماع المسلمين وأتى بشئ لم يسبقه إليه عالم قبله، فقد أتى بتمحلات وأمور شاذة متناقضة، ومنها قوله في الزيارة.

فإنه قد اعترف بالإجماع المذكور ولكن حرّفه وأوّله بأن مقصودهم زيارة القبر الشريف من دون شد الرحل، أو زيارة المسجد إن اقترن بشدّ الرحل.

وهذا التمحل تبطله النصوص المتقدمة الكثيرة المتعاضدة التي يشتمل قسم منها زيارة قبره الشريف بالعموم والأولوية، وقسم منها خاصة بزيارة قبره الشريف، فإنه إن اعترف بأصل المطلب فلا بد وأن يعترف بأن لازم الزيارة هو الانتقال من مكان إلى مكان، والقصد نحو المزور سواء كان بعيداً أو قريباً، فما هذه التمحلات وما هذه التوجيهات الباطلة؟!

ثم من هذا الذي يتحمل مشقة السفر والصعوبات والأخطار ويشدّ الرحل بقصد زيارة المسجد الشريف لأجل درك ثواب الصلاة فيه في حين أنه يتمكن من تحصيل أجرمائة ألف ركعة في مكة المكرمة.

ولاحظ أنه إذا كان شد الرحال وتحمّل الصعوبات لأجل المسجد، فلماذا لم يشد الرحل ولم يقصد مسجد الأقصى مع أنه كان ميسّراً في ذلك الزمان مثل مسجد النبي ﷺ.

فمن هنا نعلم أنّ تحمّل هذه الصدمات والصعوبات وبذل الأموال من أجل زيارة قبر الحبيب الذي يشتاقه ويميل إليه قلب كلّ لبيب، فإن تلك البقعة قد ازدادت شرفاً وفضلاً على سائر البقاع لضمها أشرف الأنبياء والمرسلين وحبيب ربّ العالمين، وهو السبب لهذا التوجّه العظيم والاهتمام الكثير من طبقات المسلمين للعروج إلى هذا البلد الشريف، فإن زيارتهم للمسجد الشريف وصلاتهم فيه كانت بالتبع، ولا يخطر ببال أحد منهم شد الرحل والقصد إلى المسجد الشريف بالأصالة.

والحاصل: أن الإجماع قولاً وعملاً قد ثبت ثبوت الجبال الراسيات على مشروعية شد الرحل لزيارة قبره الشريف ﷺ رغماً لأنف المعاندين ومن شذّ وانحرف عن سيرة المسلمين.

هذا وإليك أقوال العلماء وأئمة المذاهب من المالكية والشافعية والحنبلية والحنفية، حول الزيارة وما يستفاد منه هذا الإجماع حتى لا يبقى أيّ خفاء.

أقوال علماء المسلمين في زيارة خير المرسلين ﷺ

١ ـ قال القاضي عياض المالكي المتوفى سنة ٥٤٤هـ في الشفاء بتعريف حقوق المصطفى:

وزيارة قبره ﷺ سنة مجمع عليها وفضيلة مرغّب فيها، ثم ذكر عدة من أحاديث الباب، مثل ما ورد من طريق موسى بن هلال،عن عبيد الله بن عمر،عن نافع،عن ابن عمر،عنهما قال: قال النبي ﷺ:

«من زار قبري وجبت له شفاعتي».

وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: **«من زارني محتسباً كان في جواري وكنت له شفيعاً يوم القيامة».**

وفي حديث: **«من زارني بعد موتي فكأنما زارني في حياتي».**

ثم ذكر ما نسب إلى مالك من الكراهة والوجوه فيه والجواب عنها، وقال: قال إسحق بن إبراهيم الفقيه: ومما لم يزل من شأن الحاج المرور بالمدينة والقصد إلى الصلاة في مسجد رسول الله ﷺ والتبرك برؤية روضته ومنبره وقبره ومجلسه وملامس يده ومواطئ قدمه والعمود الذي كان يستند إليه وينزل جبرئيل بالوحي فيه عليه، وبمن عمره وقصده من الصحابة وأئمة المسلمين،والاعتبار بذلك كلّه.

وقال ابن فديك: سمعت بعض من أدركت يقول: بلغنا أنه من وقف عند قبر النبي ﷺ وسلّم فتلا هذه الآية: ﴿إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ ثم قال: صلى الله عليك يا محمد، من يقولها سبعين مرة ناداه ملك صلى الله عليك يا فلان، ولم تسقط له حاجة.

وعن يزيد بن أبي سعيد المهري: قدمت على عمر بن عبد العزيز فلما ودعته قال: لي إليك حاجة إذا أتيت المدينة سترى قبر النبي ﷺ فأقرأه مني السلام.

قال غيره: وكان يبرد إليه البريد من الشام.

قال بعضهم: رأيت أنس ابن مالك أتى قبر النبي ﷺ فوقف فرفع يده حتى ظننت أنه افتتح الصلاة فسلّم على النبي ﷺ ثم انصرف الخ[1].

فقد ذكرت هذا المقدار منه لما فيه من النكات في إثبات مشروعية الزيارة فإنه من العلماء والأئمة الذين يؤخذ بقولهم ويعتمد عليهم.

وروى في الشفاء أنه: ناظر أبو جعفر المنصور أمير المؤمنين مالكاً في مسجد رسول الله ﷺ فقال له مالك: يا أمير المؤمنين، لا ترفع صوتك في هذا المسجد، فإن الله تعالى أدّب قوما فقال: ﴿لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ ومدح قوما فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ...﴾ وذمّ قوما فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ...﴾ وإن حرمته ميتاً كحرمته حياً، فاستكان لها أبو جعفر وقال:

---

(١) الشفاء بتعريف حقوق المصطفى ٢: ٨٣ ـ ٨٥ ط دار الكتب العلمية بيروت، ولاحظ الروض الفائق للشيخ شعيب الحريفش: ٣٧٥ ط دار الكتب العلمية ـ بيروت.

يا أبا عبد الله، أستقبل القبلة وأدعو، أم أستقبل رسول الله ﷺ؟

فقال له: ولم تصرف وجهك عنه؟ وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم عليه السلام إلى الله تعالى يوم القيامة؟ بل استقبله واستشفع به، فيشفعه الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ . . .﴾[1].

فانظر إلى هذا الحوار وهذا الكلام من مالك وما اشتمل عليه من الزيارة والتوسل بالنبي ﷺ وحسن الأدب معه، فمع هذا الكلام وسائر كلماته في مواضع أُخَر، كيف تصح نسبة كراهة الزيارة إليه كما تمسك وتشبث بها ابن تيمية وأتباعه للمنع عن الزيارة.

فمن المتيقن لوصحت هذه النسبة، إن غرضه ليس كراهة الزيارة نفسها، بل غرضه هو ما يؤدي ويفضي إلى تعظيم النبي واحترامه أكثر فاكثر وأن لا ينّزل شأنه بهذه الكلمات.

٢ ـ قال قاضي القضاة أبو الحسن الماوردي المتوفى سنة ٤٥٠: فإذا عاد «ولي الحاج» سار بهم على طريق المدينة لزيارة قبر رسول الله ﷺ ليجمع لهم بين حج بيت الله ﷻ وزيارة قبر رسول الله،رعاية لحرمته وقياماً بحقوق طاعته، وذلك وإن لم يكن من فروض الحج، فهو من مندوبات الشرع المستحبة وعبادات الحجيج المستحسنة، ثم ذكر ما رواه ابن عمر «**من زار قبري وجبت له شفاعتي**» وقال الماوردي أيضاً في الحاوي: أما زيارة قبر النبي فمأمور بها ومندوب إليها[2].

---

(١) الشفاء للقاضي عياض ٢: ٤١ ط دار الكتب العلمية ـ بيروت ونقلها ابن عبد الهادي في الصارم المنكي (٢٦٣) عن اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية: ٣٩٣ ـ ٣٩٤، وحاول كما هو عادته في تضعيفها والحكم بأنها مغيّرة! وببطلان ذيلها!!! وهكذا يحاول فيما لا يوافق هواه في جميع الموارد.

(٢) الأحكام السلطانية للماوردي : ١٩٦ط دار الكتاب العربي سنة ١٤٢٠هجرية.

٣ ـ حكى عبد الحق بن محمد الصقلي المتوفى ٤٦٦هـ في كتابه «تهذيب الطالب» عن الشيخ ابن عمران المالكي أنه قال: إنما كره مالك أن يقال: زرنا قبر النبي ﷺ لأن الزيارة من شاء فعلها ومن شاء تركها وزيارة قبر النبي واجبة.

قال عبد الحق: يعني من السنن الواجبة، ينبغي أن لا تذكر الزيارة فيه، كما تذكر في زيارة الأحياء الذين من شاء زارهم ومن شاء ترك، والنبي ﷺ أشرف وأعلى من أن يسمى أنّه يزار[١].

وفي هامش شفاء السقام ما ملخصه: لابد أن يحمل هذا الوجوب على الكفائي لا العيني: وذلك بعنوان تعظيم الشعائر الإسلامية، إذ لا ريب أن تركها فيه من الجفاء وعدم الاهتمام بالرسول الأكرم ﷺ ما يتوّق له أعداء الإسلام، ويروجون له، ولهذا ترى السلفية يركزون عليه ويمنعونه ويقبحونه بشتى الأشكال والأساليب وبكلمة التوحيد التي هي كلمة حق لكن يراد بها باطل للإزدراء بمقام الرسول وقبره المعظم.

والمحافظة على كرامة الرسول ﷺ بالوفود على قبره المعظم وزيارته والسلام عليه عند قبره بالقصد الخاص من أعظم القربات الدينية والشعائر الإسلامية، في كل العصور، وخصوصاً في عصرنا هذا.

ثم قال: والغريب أن ابن عبد الهادي ذكر في الصارم المنكي (٣٢٥) النوع الثالث من أنواع زيارة القبور قال: فهو زيارتها للدعاء... إلى أن يقول: وهذا مشروع،بل فرض على الكفاية متواتر متفق عليه بين المسلمين، لكنه لم يصرح هنا باسم زيارة قبر النبي ﷺ، بل أطلق،وهذا من أساليب التلبيس[٢].

---

(١) لاحظ شفاء السقام: ١٧٠.

(٢) شفاء السقام: ١٦٠ ط الرابع. عزيزي القارئ نحن في كتابنا هذا التزمنا قواعد

٤ ـ عقد أبو حامد الغزالي الشافعي المتوفى سنة ٥٠٥ هجرية باباً في زيارة قبر النبي ﷺ وآدابها فقال: الجملة العاشرة: في زيارة المدينة وآدابها.

قال ﷺ: «من زارني بعد وفاتي فكأنما زارني في حياتي».

وقال ﷺ: «من وجد سعة ولم يفد إلي فقد جفاني». وقال ﷺ: «من جائني زائراً لا يهمه إلا زيارتي كان حقاً على الله سبحانه أن أكون له شفيعاً».

ثم قال: فإذا وقع بصره على حيطان المدينة وأشجارها، قال: «اللهم هذا حرم رسولك فاجعله لي وقاية من النار وأماناً من العذاب وسوء الحساب».

ثم ذكر سائر الآداب التي ينبغي للزائر العمل بها في المدينة إلى خروجه منها، وقد ذكرنا بعضاً منها في الآداب[1].

٥ ـ عقدالحافظ ابن الجوزي الحنبلي المتوفى ٥٩٧ في كتابه مثير الغرام الساكن إلى أشرف الأماكن باباً في زيارة قبر النبي ﷺ وذكر حديثي ابن عمر وأنس المذكورين في أحاديث الباب، وذكر أيضاً الآية الشريفة: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا...﴾ وذيلها بحكاية العتبي[2].

وهذا دليل على اعتقاده بمشروعية الزيارة بشد الرحل وفضيلتها، حيث إن الأعرابي كان قد شد الرحل، وإن كان ذكر بعض أحاديث الباب

البحث العلمي المجرد ومراعاة أدب الكتابة وعدم التوسل إلى الكلمات الجارحة، فلهذا قد تصرفنا بحذف بعض الكلمات المخلة بهذا الالتزام.

(١) إحياء علوم الدين للغزالي ١: ٣٠٦ ط دار الكتب العلمية ـ بيروت.

(٢) مثير الغرام الساكن لابن الجوزي، لاحظ الغدير ٥: ١١٠.

في كتابه (الموضوعات).

٦ ـ قال ابن هبيرة المتوفى سنة ٥٦٠هـ في كتاب (اتفاق الأئمة): إتفق مالك والشافعي وأبو حنيفة وأحمد بن حنبل رحمهم الله تعالى، على أن زيارة النبي مستحبة [١].

٧ ـ قال أبو عبد الله محمد بن عبد الله السامري المتوفى ٦١٦ هجرية في المستوعب: إذا قدم مدينة الرسول ﷺ إستحب له أن يغتسل لدخولها، ثم يأتي مسجد الرسول عليه الصلاة والسلام ويقدم رجله اليمنى في الدخول، ثم يأتي حائط القبر، فيقف ناحية، ويجعل القبر تلقاء وجهه، والقبلة خلف ظهره، والمنبر عن يساره... وذكر كيفية السلام والدعاء إلخ.

ومنه: اللهم إنك قلت في كتابك لنبيك ﷺ: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ﴾ وإني قد أتيت نبيك مستغفراً، فأسألك أن توجب لي المغفرة، كما أوجبتها من أتاه في حياته، اللهم إني أتوجه إليك بنبيك ﷺ... وذكر دعاءً طويلاً، ثم قال: وإذا أراد الخروج عاد إلى قبر رسول الله ﷺ فودّع.

قال السبكي في ذيل هذا الكلام: وانظر هذا المصنف من الحنابلة ـ الذين الخصم متمذهب بمذهبهم ـ كيف نصّ على التوجه بالنبي ﷺ [٢]!!.

٨ ـ قال ابن قدامة المقدسي الحنبلي المتوفى ٦٢٠ في كتابه المغني وهو من أعظم كتب الحنابلة التي يعتمدون عليها، فصل: يستحب زيارة قبر النبي ﷺ، ثم ذكر حديث ابن عمر من طريق الدار قطني ومن طريق سعيد بن منصور عن حفص، وحديث أبي هريرة من طريق أحمد: «**ما من أحد يسلّم عليّ عند قبري...**»، وذكر حكاية العتبي أيضاً [٣].

---

(١) المدخل لابن الحاج ١: ٢٥٦.

(٢) حكاه السبكي في شفاء السقام: ١٥٧ ط الرابع.

(٣) المغني لابن قدامة ٣: ٥٨٨.

فهذا ابن قدامة الذي اعترف إبن تيمية بقداسته وعلمه ووثاقته، قال باستحباب الزيارة وذكر الأحاديث التي كذّبها ابن تيمية، فلماذا خالفه وشذ عنه وعن أئمة المسلمين؟!.

٩ ـ قال الامام أبو زكريا النووي الشافعي المجمع على علمه وفضله المتوفى سنة ٥٢٩ هجرية:

واعلم أن زيارة قبر رسول الله ﷺ من أهم القربات وأنجح المساعي، فاذا انصرف الحجاج والمعتمرون من مكة إستحبّ لهم إستحباباً متأكداً أن يتوجهوا إلى المدينة لزيارته ﷺ، وينوي الزائر مع الزيارة التقرب وشد الرحل إليه والصلاة فيه[١].

وقال أيضاً في كتاب الإيضاح في مناسك الحج: إذا انصرف الحاج والمعتمرون من مكة فليتوجهوا إلى مدينة رسول الله ﷺ لزيارة تربته ﷺ، فإنها من أهم القربات وأنجح المساعي، وقد روى البزار والدار قطني باسنادهما عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «**من زار قبري وجبت له شفاعتي**»[٢].

وقد علق على الحديث ابن حجر الهيثمي في حاشية الإيضاح فقال: الحديث يشمل زيارته ﷺ حيا وميتاً ويشمل الذكر والانثى من قرب أو بعد، فيستدل به على فضيلة شد الرحال لذلك، وندب السفر للزيارة، إذ للوسائل حكم المقاصد[٣].

١٠ ـ وقد ألّف الحافظ ابن عساكر كتاباً حفيلاً في زيارة قبر النبي ﷺ وآداب السفر إليه وسائر الآداب في الزيارة، فقال: وبعد فهذا مختصر في

---

(١) المجموع في شرح المهذّب للنووي ٨: ٢٧٢ ط دار الفكر.

(٢) الإيضاح للنووي: ٢١٤.

(٣) حاشية الإيضاح لابن حجر: ٢١٤.

زيارة سيدنا سيد البشر رسول الله ﷺ وشرف وعظم وكرم، ألّفته تحفة للزائر وجعلته نحلة من المقيم يتزودها المسافر، إذ كانت زيارة تربته المقدسة المكرمة من أهم القربات، والمثول في حضرته المشرفة المعظمة من أنجح المساعي وأكمل الطلبات، والقصد إلى مسجده الشريف من العباد من أوصل الصلات، فإليه تشد الرحال، ولديه تحطّ الأوزار وعليه تعقد الآمال.

وقد أثبتُ في هذا المختصر ما ينبغي للزائر فعله، وأسندتُ من الأحاديث الواردة في ذلك ما صح نقله وحسن مثله، والله تعالى يسعفنا في الدنيا بدوام زيارته، ويسعدنا في الآخرة ببركة شفاعته، ويوردنا حوضه، ويرينا وجهه، ويجعلنا من حزبه وخاصته، آمين[1].

ثم ذكر الروايات الواردة في الباب ونبذة من الآداب، والطالب يراجع إلى ذلك الكتاب.

١١ ـ قال العبدي القيرواني المالكي المتوفى ٧٣٧هـ في المدخل في فضل زيارة القبور: وأما عظيم جناب الأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فيأتي إليهم الزائر ويتعين عليه قصدهم من الأماكن البعيدة.

فإذا جاء إليهم فليتّصف بالذل والانكسار والمسكنة، والفقر والفاقة والحاجة والاضطرار والخضوع، ويحضر قلبه وخاطره إليهم وإلى مشاهدتهم بعين قلبه لا بعين بصره لأنهم لا يبلَون ولا يتغيرون، ثم يثني على الله تعالى بما هو أهله، ثم يصلي عليهم ويترضى على أصحابهم، ثم يترحم على التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، ثم يتوسل إلى الله تعالى بهم في قضاء مآربه ومغفرة ذنوبه، ويستغيث بهم ويطلب حوائجه منهم، ويجزم

---

(١) إتحاف الزائر لابن عساكر: ١٧ ط شركة دار الأرقم ـ بيروت.

بالإجابة ببركتهم ويقوي حسن ظنه في ذلك، فإنهم باب الله المفتوح وجرت سنته سبحانه وتعالى على أيديهم وبسببهم.

ومن عجز عن الوصول فليرسل بالسلام عليهم، ويذكر ما يحتاج إليه من حوائجه ومغفرة ذنوبه وستر عيوبه إلى غير ذلك، فإنهم السادة الكرام لا يردون مَن سألهم ولا من قصدهم ولا من لجأ اليهم.

هذا الكلام في زيارة الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام عموماً.

ثم قال: فصل: وأما زيارة سيد الأولين والآخرين صلوات الله عليه وسلامه، فكل ما ذكر يزيد عليه أضعافه أعني في الانكسار والذل والمسكنة، لأنه الشافع المشفع الذي لا ترد شفاعته ولا يخيب من قصده ولا من نزل بساحته، ولا من استعان أو استغاث به إذ أنه عليه الصلاة والسلام قطب دائرة الكمال وعروس المملكة.

إلى أن قال: فمن توسل به، أو استغاث به،أو طلب حوائجه منه، فلا يرد ولا يخيب لما شهدت به المعاينة والآثار.

ويحتاج إلى الأدب الكلي في زيارته عليه الصلاة والسلام، وقد قال علماؤنا رحمة الله عليهم: أن الزائر يشعر نفسه بأنه واقف بين يده عليه الصلاة والسلام كما هو في حياته، إذ لا فرق بين موته وحياته أعني في مشاهدته لأمته ومعرفته أحوالهم ونياتهم وعزائمهم وخواطرهم،ذلك عنده جلي لا خفاء فيه.

وقال: فالتوسل به عليه الصلاة والسلام هو محل حط أحمال الأوزار، وأثقال الذنوب والخطايا، لأن بركة شفاعته عليه الصلاة والسلام وعظمها عند ربه لا يتعاظمها ذنب إذ أنّها أعظم من الجميع.

فليستبشر من زاره، ويلجأ إلى الله تعالى بشفاعة نبيه عليه الصلاة

والسلام من لم يزره، اللهم لا تحرمنا من شفاعته بحرمته عندك آمين رب العالمين.

ثم قال: من اعتقد خلاف هذا فهو المحروم، ألم يسمع قول الله ﷻ: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ ...﴾ الآية،فمن جاءه ووقف ببابه وتوسل به وجد الله تواباً رحيماً، لأن الله منّزه عن خلف الميعاد وقد وعد سبحانه وتعالى بالتوبة لمن جاءه ووقف ببابه وسأله واستغفر ربه، فهذا لا يشك فيه ولايرتاب إلاجاحد للدين معاند لله ولرسوله، نعوذ بالله من الحرمان[1].

١٢ ـ وهذا قول الشيخ ابن تيمية المانع من الزيارة،فقد نقل عنه تلميذه المروج لعقائده ابن عبد الهادي الحنبلي أنه ذكر في مناسكه باب زيارة قبر النبي ﷺ: إذا أشرف على مدينة النبي قبل الحج أو بعده فليقل ما تقدم: إذا دخل إستحب له أن يغتسل، نص عليه الإمام أحمد، فإذا دخل المسجد بدأ برجله اليمنى وقال بسم الله والصلاة على رسول الله، اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك، ثم يأتي الروضة بين القبر والمنبر ويجعل القنديل الذي في القبلة عند القبر على رأسه ليكون قائماً وجاه النبي ويقف متباعداً كما يقف لو ظهر في حياته بخشوع وسكون متنكس الرأس غاض الطرف متحضراً بقلبه جلالة موقفه، ثم يقول: السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته، السلام عليك يا نبي الله وخيرته من خلقه، السلام عليك يا سيد المرسلين وخاتم النبيين وقائد الغر المحجلين أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أنك رسول، أشهد أنك بلغت رسالتك... إلى آخر كلامه[2].

---

(١) المدخل للعبدي القيرواني ١: ٢٥٧ ولا يخفى أنه في بعض الكتب (العبدري) بالراء.

(٢) الصارم المنكي لابن عبد الهادي الحنبلي: ٧ ط الاولى ـ القاهرة.

عزيزي القارئ قد لاحظت كلامه وما نقله عنه تلميذه فإنه صريح في الاعتقاد بمشروعية الزيارة بشد الرحل إليها، فإن كلامه «إذا أشرف على مدينة النبي قبل الحج أو بعده...» ناظراً إلى من كان خارج المدينة وخاصاً به لا بغيره، وهكذا قوله (إذا دخل...) ناظراً إلى من كان خارج المدينة وخاصاً به لا بغيره، وهكذا سائر كلماته التي تطابق كلمات سائر الأعلام.

ومما يثير الحيرة عند الإنسان أنه بأي شيء يعتقد؟! إن كان يعتقد بمشروعيتها بشد الرحل فما تلك المخالفات الشديدة التي ظهرت منه في كتبه؟ وإن لم يكن يعتقد بها فما هذه الكلمات الصريحة باعتقاده بمشروعيتها؟! وعند هذا التردد يثبت ما قلناه من التناقض والتدليس في كلماتهم، وهي طريقة مرموزة يتخذها كثير من المخالفين.

١٣ـ وإليك كلمات الإمام تقي الدين السبكي الشافعي المتوفى ٧٥٦ والتي أوردها في كتابه شفاء السقام في زيارة خير الأنام الذي كتبه في الرد على إبن تيمية، فإنه بعدما ذكر كثيراً من أحاديث الزيارة جعل باباً في نصوص العلماء من المذاهب الأربعة على استحبابها، وإثبات أن ذلك مجمع عليه بين المسلمين.

قال في صفحة ١٥٦: لا حاجة إلى تتبع كلام الأصحاب في ذلك مع العلم بإجماعهم وإجماع سائر العلماء عليه.

والحنفية قالوا: إن زيارة قبر النبي ﷺ من أفضل المندوبات والمستحبات، بل يقرب من درجة الواجبات، وممّن صرح بذلك أبو منصور محمد بن مكرّم الكرماني في مناسكه، وعبد الله بن محمود بن بلدجي في شرح المختار، وفي فتاوى أبي الليث السمرقندي في باب أداء الحج.

وقال في ص ١٧٦: كيف يتخيل في أحد من السلف منعهم زيارة المصطفى ﷺ وهم مجمعون على زيارة سائر الموتى، وسنذكر ذلك وما ورد من الأحاديث والأذكار في زيارتهم.

فالنبي ﷺ وسائر الأنبياء الذين ورد فيهم أنهم أحياء كيف يقال فيهم هذه المقالة؟!

وحكى في صفحة ١٥٥ عن القاضي عياض وأبي زكريا النووي إجماع العلماء والمسلمين على استجاب الزيارة.

وقال في صفحة ١٨٨: وإذا استحب زيارة قبر غيره فقبره أولى، لما له من الحق ووجوب التعظيم.

فإن قلت: الفرق «يعني بين زيارة قبر النبي وغيره» أن غيره يزار للاستغفار له لاحتياجه إلى ذلك،كما فعل النبي ﷺ في زيارته أهل البقيع، والنبي ﷺ مستغن عن ذلك.

قلت: زيارته إنما هي لتعظيمه والتبرك به ولتنالنا الرحمة بصلاتنا وسلامنا عليه، كما أنا مأمورون بالصلاة عليه والتسليم وسؤال الوسيلة وغير ذلك ممّا يعلم أنه حاصل له ﷺ بغير سؤالنا، ولكن النبي ﷺ أرشدنا إلى ذلك لنكون بدعائنا له متعرضين للرحمة التي رتبّها الله على ذلك.

فإن قلت: الفرق أيضاً، أن غيره لا يخشى فيه محذور وقبره ﷺ يخشى الإفراط في تعظيمه أن يعبد.

قلت: هذا كلام تقشعر منه الجلود ولولا خشية اغترار الجهال به لما ذكرته، فإنّ فيه تركا لما دلت عليه الأدلة الشرعية، بالآراء الفاسدة الخيالّية.

وكيف تقدم على تخصيص قوله ﷺ: «زوروا القبور»؟ وعلى ترك قوله: «من زار قبري وجبت له شفاعتي»؟ وعلى مخالفة إجماع السلف والخلف بمثل هذا الخيال الذي لم يشهد به كتاب ولاسنة؟

بخلاف النهي عن اتخاذه مسجداً،وكون الصحابة احترزوا عن ذلك المعنى المذكور لأن ذلك قد ورد النهي فيه، وليس لنا أن نشرع أحكاماً من

قبلنا: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللهُ﴾ [١]؟

فمن منع زيارة قبر النبي ﷺ فقد شرع من الدين والتعظيم والوقوف عند الحدّ الذي لا يجوز مجاوزته بالأدلة الشرعية، وبذلك يحصل الأمر من عبادة غير الله تعالى، ومن أراد الله ضلاله من أفراد الجهال فلن يستطيع أحد هدايته.

فمن ترك شيئا من التعظيم المشروع لمنصب النبوة زاعماً بذلك الأدب مع الربوبية فقد كذب على الله تعالى وضيع ما أمر به في حق رسله، كما أن من أفرط وجاوز الحد إلى جانب الربوبية، فقد كذب على رسول الله وضيّع ما امروا به في حق ربهم ﷻ، والعدل حفظ ما أمر الله به في الجانبين، وليس في الزيارة المشروعة من التعظيم ما يفضي إلى محذور.

وعقد السبكي أيضاً في صفحة ٢٠٩ باباً في كون السفر إلى الزيارة قربة، وبسط القول فيه وأثبته بالكتاب والسنة والإجماع والقياس.

واستدل عليه من الكتاب بقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ بتقريب صدق المجيء، وعدم الفرق بين حياته ومماته ﷺ.

ومن السنة بعموم قوله ﷺ: «من زار قبري...».

وصريح صحيحة ابن السكن: «من جاءني زائراً لا تحلمه حاجة إلا زيارتي...» [٢].

---

(١) الشورى: ٢١.

(٢) وقد استفاد السبكي من كلمة الزيارة محبوبية السفر اليها، فقال: إن لفظ الزيارة يستدعي الانتقال من مكان الزائر إلى مكان المزور كلفظ المجيء الذي

وبما دل من السنة على خروج النبي من المدينة لزيارة القبور، وإذا جاز الخروج إلى القريب جاز إلى البعيد، فقد ثبت في الصحيح خروجه إلى البقيع بأمر من الله تعالى، وتعليم عائشة كيفية السلام على أهل البقيع، وخروجه الى قبور الشهداء.

ثم قال الرابع: الإجماع،لإطباق السلف والخلف،فإن الناس لم يزالوا في كل عام إذا قضوا الحج يتوجهون إلى زيارته ﷺ ومنهم من يفعل ذلك قبل الحج هكذا شاهدناه وشاهده مَن قبلنا، وحكاه العلماء عن الأعصار القديمة كما ذكرناه في الباب الثالث.

وذلك أمر لا يرتاب فيه،وكلهم يقصدون ذلك ويعرجون إليه، وإن لم يكن طريقهم، ويقطعون فيه مسافة بعيدة وينفقون فيه الأموال ويبذلون فيه المهج معتقدين أن ذلك قربة وطاعة.

وإطباق هذا الجمع العظيم من مشارق الأرض ومغاربها على ممرّ السنين وفيهم العلماء والصلحاء وغيرهم يستحيل أن يكون خطأ وكلهم يفعلون ذلك على وجه التقرب به إلى الله ﷻ، ومن تأخر عنهم من المسلمين فإنما يتأخر بعجز أو تعويق المقادير مع تأسفه عليه وودّه لو تيسر له.

ومن ادعى أن هذا الجمع العظيم مجمعون على خطأ فهو المخطئ[1].

انتهى ما انتخبناه من كلمات الحافظ السبكي،وقد أكثرت في نقل

نصت عليه الآية الكريمة. وقال أيضاً: ولهذا أن من كان عند الشخص دائماً لا يحصل الزيارة منه، ولهذا تقول: زرت فلاناً من المكان الفلاني وزرنا النبي من مصر أو من الشام فتجعل ابتداء زيارتك من ذلك المكان، فالسفر داخل تحت اسم الزيارة من هذا الوجه، فإن كانت كل زيارة قربة، كان كل سفر اليها قربة. شفاء السقام: ٢٠١.

(١) شفاء السقام: ٢١١ ط الرابعة.

كلماته لما فيها من التوعية لمن أراد الوعي والسداد.

١٤ـ قال زين الدين أبو بكر بن عمر القرشي العثماني المصري المراغي المتوفى ٨١٦ في (تحقيق النصرة في تاريخ دار الهجرة): وينبغي لكل مسلم اعتقاد كون زيارته ﷺ قربة عظيمة،للأحاديث الواردة في ذلك، ولقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ...﴾ الآية، لأن تعظيمه لا ينقطع بموته.

ولا يقال: إن استغفار الرسول لهم إنما هو في حياته وليست الزيارة كذلك.

لما أجاب به بعض الأئمة المحققين من أن الآية دلت على تعليق وجدان الله تعالى تواباً رحيماً بثلاثة أمور: المجيء واستغفارهم واستغفار الرسول لهم، وقد حصل استغفار الرسول لجميع المؤمنين، لأنه قد استغفر للجميع، قال الله تعالى: ﴿واسْتَغْفِرْ لذَنْبِكَ وللْمُؤْمنينَ والْمُؤْمنَاتِ﴾[1] فإذا وجد مجيئهم واستغفارهم كملت الأمور الثلاثة الموجبة لتوبة الله تعالى ورحمته[2].

١٥ـ قال الإمام تقي الدين الحصني الدمشقي الشافعي بعد نقله لفتوى ابن تيمية بأن زيارة النبي ﷺ وقبور الأنبياء معصية بالإجماع مقطوع به.

فانظر هذه العبارة ما أعظم الفجور فيها؛ من كون ذلك معصية ومن ادعى الإجماع وأن ذلك مقطوع به؟ فهذا الزائغ يطالب بما ادعاه من إجماع

---

(١) محمد: ١٩.

(٢) تحقيق النصرة في تاريخ دار الهجرة، والمواهب اللدنية للقسطلاني ٣: ٤٠٥ طبع دار الكتب العلمية ـ بيروت.

الصحابة رضي الله عنهم، وكذا التابعون ومن بعدهم من أئمة المسلمين إلى حين ادعائه ذلك، وما أعتقد على أن أحداً يتجاسر على مثل ذلك.

مع أن الكتب المشهورة، بل والمهجورة، وعمل الناس في سائر الأعصار على الحث على زيارته من جميع الأقطار، فزيارته من أفضل المساعي وأنجح القرب إلى رب العالمين، وهي سنة من سنن المرسلين، ومجمع عليها عند الموحدين، ولا يطعن فيها إلا من في قلبه مرض المنافقين، ومن هو من أفراخ اليهود وأعداء الدين؛ من المشركين الذين أسفروا في ذم سيد الأولين والآخرين.

ولم تزل هذه الأمة المحمدية على شد الرحال إليه على ممّر الأزمان، من جميع الأقطار والبلدان، سار في ذلك الزرافات والوحدان، والعلماء والمشايخ والكهول والشبان، حتى ظهر في آخر الزمان مبتدع من زنادقة حرّان، لبّس على أشباه الرجال ومن شابههم من سيئ الأذهان وزخرف لهم من القول غروراً، كما صنع إمامه الشيطان، فصدهم بتمويهه عن سبيل أهل الإيمان، وأغواهم عن الصراط المستقيم إلى ثنيات الطريق ومدرجة النيران، فهم برزيته في ظلمة الخطأ يعمهون، وعلى منوال بدعته يهرعون[1].

وقد ذكر فتاوى العلماء باستحباب زيارة القبور، ثم رد عليه في سائر كلماته مثل كلمته في حديث شد الرحال...

١٦ـ وعقد تقي الدين أحمد بن علي المقريزي المتوفى سنة ٨٤٥ في كتابه إمتاع الأسماع باباً في ذكر ما جاء في زيارة قبر النبي ﷺ وما ظهر من قبره مما هو من أعلام نبوته، وفضيلة من زاره وسلم عليه، وكيف يسلم ويدعو.

---

(١) دفع الشبه عن الرسول ﷺ والرسالة للحصني الدمشقي: ١٦٧ ـ ١٦٨ ط الثانية.

فابتدء أولاً بذكر الأحاديث الواردة في زيارته ﷺ، ثم قصة الأعرابي المتقدمة، ثم بعض الآداب وأقوال العلماء في الزيارة ونحويتها[١]... .

١٧ ـ قال السمهودي الشافعي المتوفى ٩١١ بعد ذكر أحاديث الباب: وأما الإجماع: فقال عياض: زيارة قبره ﷺ سنة بين المسلمين مجمع عليها، وفضيلة مرغب فيها.

وأجمع العلماء على استحباب زيارة القبور للرجل، كما حكاه النووي، بل قال بعض الظاهرية بوجوبها، وقد اختلفوا في النساء، وقد امتاز القبر الشريف بالأدلة الخاصة به كما سبق.

وذكر كلام السبكي وهو: ولهذا أقول: إنه لا فرق في زيارته ﷺ بين الرجال والنساء، وقال الجمال الريمي في التقفيه: يستثنى أي من محل الخلاف قبر النبي ﷺ وصاحبيه، فإن زيارتهم مستحبة للنساء بلا نزاع،كما اقتضاه قولهم في الحج، ويستحب لمن حج أن يزور قبر النبي ﷺ وحينئذ فيقال معاياة: قبورٌ يستحب زيارتها للنساء بالاتفاق ، وقد ذكر ذلك بعض المتأخرين وهو الدمنهوري الكبير، وأضاف اليه قبور الأولياء والصالحين والشهداء.

ثم بسط القول في أن السفر للزيارة قربة كالزيارة نفسها[٢].

١٨ـ قال الحافظ أبو العباس القسطلاني المصري المتوفى ٩٢٣ في (المواهب اللدنية):

الفصل الثاني في زيارة قبره الشريف ومسجده المنيف: إعلم أن زيارة قبره الشريف من أعظم القربات وأرجى الطاعات والسبيل إلى أعلى

---

(١) إمتاع الإسماع للمقريزي ١٤: ٦٠٨ منشورات محمد علي بيضون (دار الكتب العلمية ـ بيروت).

(٢) وفاء الوفا للسمهودي ٤: ١٣٦٢ ط دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

الدرجات، ومن اعتقد غير هذا فقد انخلع من ربقة الإسلام، وخالف الله ورسوله وجماعة العلماء الأعلام.

وقد أطلق بعض المالكية وهو أبو عمران الفاسي، كما ذكره في المدخل عن تهذيب الطالب لعبد الحق: أنّها واجبة. قال: ولعله أراد وجوب السنن المؤكدة.

وقال القاضي عياض: إنها من سنن المسلمين مجمع عليها وفضيلة مرغب فيها.

وذكر جملة من الأحاديث الواردة في زيارته ﷺ ثم قال: وقد أجمع المسلمون على استحباب زيارة القبور كما حكاه النووي وأوجبها الظاهرية، فزيارته ﷺ مطلوبة بالعموم والخصوص كما سبق، ولأن زيارة القبور تعظيم، وتعظيمه ﷺ واجب، ولهذا قال بعض العلماء: لا فرق في زيارته ﷺ بين الرجال والنساء، وإن كان محل الإجماع على استحباب زيارة القبور للرجال وفي النساء خلاف، والأشهر في مذهب الشافعي الكراهة.

قال ابن حبيب من المالكية: ولا تدع في زيارة قبره ﷺ والصلاة في مسجده فان فيه من الرغبة مالا غنى بك وبأحد عنه.

وينبغي لمن نوى الزيارة أن ينوي مع ذلك زيارة مسجده الشريف والصلاة فيه، لأنه أحد المساجد الثلاثة التي لا تشد الرحال إلا إليها وهو أفضلها عند مالك، وليس لشدّ الرحال إلى غير المساجد الثلاثة فضل، لأن الشرع لم يجئ به، وهذا الأمر لا يدخله قياس،لأن شرف البقعة إنما يعرف بالنص الصريح عليه وقد ورد النص في هذه دون غيرها، وقد صح عن عمر بن عبد العزيز، كان يبرد البريد للسلام على النبي ﷺ فالسفر إليه قربة لعموم الأدلة.

ومن نذر الزيارة وجبت عليه كما جزم به ابن كج من أصحابنا

وعبارته: إذا نذر زيارة قبر النبي ﷺ لزمه الوفاء وجهاً واحداً. انتهى.

ثم قال القسطلاني: وللشيخ تقي الدين ابن تيمية هنا كلام شنيع عجيب يتضمن منع شد الرحال للزيارة النبوية وأنه ليس من القرب،بل بضد ذلك، ورد عليه الشيخ تقي الدين السبكي في شفاء السقام فشفى صدور المؤمنين[١].

١٩ـ قال الملا علي القاري الحنفي المتوفى سنة ١٠١٤ هجرية في المجلد الثاني من شرح الشفاء: قد فرط ابن تيمية من الحنابلة،حيث حرم السفر لزيارة قبر النبي ﷺ، كما أفرط غيره حيث قال: كون الزيارة قربة، معلوم من الدين بالضرورة وجاحده محكوم عليه بالكفر.

ولعل الثاني أقرب إلى الصواب، لأن تحريم ما أجمع العلماء فيه بالاستحباب يكون كفراً، لأنه فوق تحريم المباح المتفق عليه في هذا الباب، نعم يمكن حمل كلام من حرّم أو كره على صورة خاصة من الزيارة من الاجتماع في وقت خاص على هيئة منكرة أو صفة مكروهة من اجتماع الرجال والنساء في وقت واحد لما فيه من اتخاذ قبره عيداً والموجب لما أورد فيه وعيداً[٢].

٢٠ ـ قال ابن حجر الهيثمي المكي الشافعي المتوفى ٩٣٧هـ بعد ما استدل على مشروعية زيارة قبر النبي بعدة أدلة التي منها الإجماع: فإن قلت: كيف تحكي الإجماع على مشروعية الزيارة والسفر إليها وطلبها وابن تيمية من متأخري الحنابلة منكر لمشروعية ذلك كله كما راه السبكي في خطه؟! وقد أطال ابن تيمية الاستدلال لذلك بما تمجّه الأسماع، وتنفرعنه الطباع.

---

(١) المواهب اللدنية للقسطلاني ٣: ٤٠٣ ط دار كتب العلمية بيروت.

(٢) شرح الشفاء للملا علي القاري الحنفي ٢: ١٥٢ ط دار الكتب العلمية ـ بيروت.

بل زعم حرمة السفر لها إجماعاً،وأنه لا تقصر فيه الصلاة، وأن جميع الأحاديث الواردة فيها موضوعة، وتبعه بعض من تأخر عنه من أهل مذهبه.

قلت: من هو ابن تيمية، حتى ينظر إليه أو يعول في شيء من الدين عليه، وهل هو إلا كما قال جماعة من الأئمة الذين تعقبوا كلماته الفاسدة وحججه الكاسدة حتى أظهرواعوار سقطاته وقبائح أوهامه وغلطاته، كالعزّ بن جماعة:

عبد أضله الله تعالى وأغواه، وألبسه رداء الخزي وأرداه، وبوأه من قوة الافتراء والكذب ما أعقبه الهوان وأوجب له الحرمان.

ولقد تصدى شيخ الإسلام وعالم الأنام المجمع على جلالته واجتهاده وصلاحه وإمامته التقي السبكي قدس الله روحه ونور ضريحه للرد عليه في تصنيف مستقل أفاد فيه وأجاد وأصاب وأوضح بباهر حججه طريق الصواب.

ثم قال: هذا وما وقع من ابن تيمية مما ذكر وإن كان عثرة لا تقال أبداً ومصيبة يستمر شؤمها سرمداً، وليس بعجيب، فإنه سولت له نفسه وهواه وشيطانه أنه ضرب مع المجتهدين بسهم صائب، وما درى المحروم أنه أتى بأقبح المعائب، إذ خالف إجماعهم في مسائل كثيرة، وتدارك على أئمتهم سيما الخلفاء الراشدين باعتراضات سخيفة شهيرة حتى تجاوز إلى الجناب الأقدس المنّزه، سبحانه عن كل نقص والمستحق لكل كمال أنفس، فنسب إليه الكبائر والعظائم، وخرق سياج عظمته بما أظهره للعامة على المنابر،من دعوى الجهة والتجسيم، وتضليل من لم يعتقد ذلك من المتقدمين والمتأخرين.

حتى قام عليه علماء عصره وألزموا السلطان بقتله أو حبسه وقهره، فحبسه إلى أن مات، وخمدت تلك البدع، وزالت تلك الضلالات،

ثم انتصر له اتباع لم يرفع الله لهم رأساً، ولم يظهر لهم جاها ولا بأساً، بل ضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون[١].

٢١ ـ قال الشيخ حسن بن عمار الشرنبلالي في (مراقي الفلاح بإمداد الفتاح): زيارة النبي ﷺ من أفضل القربات وأحسن المستحبات تقرب من درجة ما لزم من الواجبات، فإنه ﷺ حرّض عليها وبالغ في الندب إليها.

فقال ﷺ: «**من وجد سعة فلم يزرني فقد جفاني**» وقال ﷺ: «**من زار قبري وجبت له شفاعتي**» وقال ﷺ: «**من زارني بعد مماتي فكأنما زارني في حياتي**».

إلى غير ذلك من الأحاديث، وممّا هو مقرّر عند المحققين: إنّه ﷺ حيّ يرزق ممتع بجميع الملاذ والعبادات، غير أنه حجب عن أبصار القاصرين عن شرف المقامات، ورأينا أكثر الناس غافلين عن أداء حق زيارته وما يسن للزائرين الجزئيات والكليات أحببنا أن نذكر بعد المناسك وآدابها ما فيه نبذة من الآداب تتميماً لفائدة الكتاب.

ثم ذكر شيئاً كثيراً من آداب الزائر والزيارة.... [٢].

٢٢ـ قال قاضي القضاة شهاب الدين الخفاجي الحنفي المصري المتوفى ١٠٦٩ هجرية: واعلم أن هذا الحديث هو الذي دعا ابن تيمية ومن معه كابن القيم إلى مقالته الشنيعة التي كفروه بها، وصنّف فيها السبكي

---

(١) الجوهر المنظم في زيارة القبر المكرم لابن حجر الهيثمي: ١٣ ط سنة ١٢٧٩ بمصر.

(٢) مراقي الفلاح في شرح متن نور الإيضاح ٢٩٣ ـ ٢٩٣ ط محمد علي صبيح بمصر.

مصنفاً مستقلاً وهي منعه من زيارة قبر النبي ﷺ وشد الرحال إليه وهو كما قيل:

لمهبط الوحي حقاً ترحل النجب وعند ذاك المرجّى ينتهي الطلب

فتوهم أنه حمى جانب التوحيد بخرافات لا ينبغي ذكرها، فإنها لا تصدر عن عاقل فضلاً عن فاضل،سامحه الله تعالى.

وأما قوله ﷺ: «**لا تتخذوا قبري عيدا**»، فقيل: كره الإجتماع عنده في يوم معين على هيئة مخصوصة.

وقيل المراد لا تزورون في العام مرة فقط،بل أكثروا الزيارة له.

وأما احتماله للنهي عنها فهو بفرض أنه المراد، محمول على حالة مخصوصة، أي لا تتخذوه كالعيد في العكوف عليه وإظهار الزينة عنده وغيره مما يجتمع له في الأعياد، بل لا يؤتى إلا للزيارة والسلام والدعاء ثم ينصرف.

وقال في موضع آخر في شرح حديث: «**لا تجعلوا قبري عيدا**» أي كالعيد باجتماع الناس،وقد تقدم تأويل الحديث وأنه لا حجة فيه لما قاله ابن تيمية وغيره، فإن إجماع الأمة على خلافه يقتضي تفسيره بغير ما فهموه فانه نزعة شيطانية[1].

٢٣ـ قال الشيخ عبد الرحمن شيخ زاده المتوفى ١٠٨٧: من أحسن المندوبات، بل يقرب من درجة الواجبات زيارة قبر نبينا وسيدنا محمد ﷺ وقد حرّض ﷺ على زيارته وبالغ في الندب إليها بمثل قوله ﷺ: «**من زار قبري..**»، فذكر ستة من أحاديث الباب ثم قال: فإن كان الحج فرضاً

---

(١) شرح الشفاء للخفاجي ٣: ٥٦٦ ـ ٥٧٧ المطبعة العثمانية سنة ١٣١٥، وحكاه النبهاني في شواهد الحق: ١٨٤.

فالأحسن أن يبدأ به إذا لم يقع في طريق الحاج المدينة المنورة ثم يثني بالزيارة، فإذا نواها فلينو زيارة مسجد الرسول ﷺ، ثم ذكر جملة كبيرة من آداب الزائر[١].

٢٤ـ قال الشيخ محمد بن علي بن محمد الحصني المعروف بعلاء الدين الحصكفي الحنفي المفتي بدمشق المتوفى ١٠٨٨ في الدر المختار في شرح تنوير الأبصار في آخر كتاب الحج: وزيارة قبره ﷺ مندوبة، بل قيل واجبة لمن له سعة، ويبدأ بالحج لو فرضاً، ويخير لو نفلاً ما لم يمر به، فيبدأ بزيارته لا محالة، ولينو معه زيارة مسجده ﷺ[٢].

٢٥ـ قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب: تسن زيارة النبي ﷺ إلا أنه لا يشد الرحال إلا لزيارة المسجد والصلاة فيه[٣].

وقد لاحظت أنه بحسب الظاهر قد اعترف باستحباب زيارة النبي ﷺ، حيث لا يجترء أحد في مخالفة تلك النصوص والأدلة صريحاً،إلا أنهم يوقعون الخدشة في الروايات ويكذّبونها من حيث الإسناد، وهكذا سائر الأدلة ومنه يفهم عدم اعتقادهم بأصل الزيارة.

٢٦ـ قال أبو عبد الله محمد بن عبد الباقي الزرقاني المالكي المصري المتوفى ١١٢٢: قد كانت زيارته مشهورة في زمن كبار الصحابة معروفة بينهم، لما صالح عمر بن الخطاب أهل بيت المقدس جاء كعب الأحبار فأسلم ففرح به وقال: هل لك أن تسير معي إلى المدينة وتزور قبره ﷺ وتمتع بزيارته قال: نعم[٤].

---

(١) مجمع الأنهر في شرح ملتقى الأبحر ١: ١٥٧.

(٢) الدر المختار في شرح تنوير الأبصار ٢: ٦٨٨ ط دار الفكر.

(٣) الهدية السنية، الرسالة الثالثة.

(٤) شرح المواهب للزرقاني ٨: ٦٨٨ ط دار الكتب العلمية ـ بيروت.

٢٧ـ قال أبو الحسن السندي محمد بن عبد الهادي الحنفي المتوفى ١١٣٨هـ: قال الدميري: فائدة: زيارة النبي ﷺ من أفضل الطاعات وأعظم القربات لقوله ﷺ: «من زار قبري وجبت له شفاعتي».

رواه الدار قطني وغيره وصححه عبد الحق، ولقوله ﷺ: «من جائني زائراً لا تحمله حاجة إلا زيارتي كان حقاً عليّ أن أكون له شفيعاً يوم القيامة».

رواه جماعة منهم الحافظ أبو علي ابن السكن في كتابه المسمى بالسنن الصحاح، فهذان إمامان صحّحا هذين الحديثين وقولهما أولى من قول من طعن في ذلك[1].

٢٨ـ قال الشيخ محمد بن علي الشوكاني المتوفى ١٢٥٠: قد اختلف فيها ـ في زيارة النبي ـ أقوال أهل العلم، فذهب الجمهور إلى أنها مندوبة وذهب بعض المالكية وبعض الظاهرية إلى أنها واجبة، وقالت الحنفية إنها قريبة من الواجبات، وذهب ابن تيمية الحنبلي حفيد المصنف المعروف بشيخ الإسلام إلى أنها غير مشروعة.

ثم فصل الكلام في الأقوال إلى أن قال: واحتج أيضاً من قال بالمشروعية بأنه لم يزل دأب المسلمين القاصدين للحج في جميع الأزمان على تباين الديار واختلاف المذاهب،الوصول إلى المدينة المشرفة لقصد زيارته ويعدون ذلك من أفضل الأعمال ولم ينقل أن أحداً أنكر ذلك عليهم فكان اجماعاً[2].

٢٩ ـ قال الشيخ محمد أمين بن عابدين المتوفى ١٢٥٣هـ في (رد المحتار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار) عند شرح العبارة المذكورة في

---

(١) شرح سنن ابن ماجة للسندي ٢: ٢٦٨.

(٢) نيل الأوطار ٥: ١٧٨ دار الجيل بيروت.

المتن ـ مندوبة ـ: أي زيارة قبر النبي ﷺ ـ بإجماع المسلمين كما في الباب... إلى أن قال: وهل تستجب زيارة قبره ﷺ للنساء؟ الصحيح: نعم بلا كراهة بشروطها على ما صرح به بعض العلماء.

أما على الأصح من مذهبنا وهو قول الكرخي وغيره، من أن الرخصة في زيارة القبور ثابتة للرجال والنساء جميعاً، فلا إشكال.

وأما على غيره فذلك نقول بالإستحباب لإطلاق الأصحاب.

بل قيل: واجبة، ذكره في شرح اللباب، وقال: كما بينته في الدرة المضية في الزيارة المصطفوية،وذكره أيضاً الخير الرملي في حاشيته (المنح) عن ابن حجر وقال: وانتصرله. نعم عبارة اللباب والفتح وشرح المختار أنها قريبة من الوجوب لمن له سعة.

إلى أن قال: قال ابن الهمام: والأولى فيما يقع عند العبد الضعيف: تجريد النية لزيارة قبره عليه الصلاة والسلام، ثم يحصل له إذا قدم زيارة المسجد، أو يستمنح فضل الله تعالى في مرة أخرى ينويها، لأن في ذلك زيادة تعظيمه ﷺ وإجلاله،ويوافقه ظاهر ما ذكرناه من قوله ﷺ: **«من جاءني زائراً لا تحمله حاجة إلا زيارتي كان حقاً عليّ أن أكون شفيعاً له يوم القيامة»** إلخ.

ونقل الرحمتي عن العارف الملاجامي: أنه أفرز الزيارة عن الحج حتى لا يكون له مقصد غيرها في سفره ثم ذكر حديث: **«لا تشد الرحال إلا لثلاثة مساجد»**، فقال: والمعنى كما أفاده في (الإحياء) أنه لا تشد الرحال لمسجد من المساجد إلا لهذه الثلاثة لما فيها من المضاعفة بخلاف بقية المساجد فإنها متساوية في ذلك، فلا يرد أنه قد تشد الرحال لغير ذلك كصلة رحم وتعلم علم، وزيارة المشاهد كقبر النبي ﷺ وقبر الخليل وسائر

الأئمة[١].

٣٠ ـ قال الشيخ محمد بن السيد درويش الحوت البيروتي المتوفى ١٢٧٦هـ: زيارة النبي ﷺ مطلوبة لأنه واسطة الخلق، وزيارته بعد وفاته كالهجرة إليه في حياته، ومن أنكرها فإن كان ذلك إنكاراً لها من أصلها فخطؤه عظيم، وإن كان لما يعرض من الجهلة مما لا ينبغي فليبين ذلك[٢].

٣١ ـ قال الشيخ حسن العدوي الحمزاوي الشافعي المتوفى ١٣٠٣هـ في (كنز المطالب) حيث خص خاتمة الكتاب في زيارة النبي وفصّل القول فيها وذكر مطلوبيتها كتاباً وسنة وإجماعاً وقياساً وبسط الكلام في شد الرحل إلى ذلك القبر الشريف، وذكر جملة من آداب الزائر ووظائف الزيارة.

فقال في صفحة ١٩٥ بعد نقل جملة من الأحاديث الواردة في أن النبي ﷺ يسمع سلام زائريه ويرد عليهم: إذا علمت ذلك علمت أن رده ﷺ سلام الزائر بنفسه الكريمة ﷺ أمر واقع لا شك فيه، وإنما الخلاف في رده على المسلم عليه من غير الزائرين، فهذه فضيلة أخرى عظيمة ينالها الزائرون لقبره ﷺ، فيجمع الله لهم بين سماع رسول الله ﷺ لأصواتهم من غير واسطة وبين رده عليهم لسلامهم بنفسه.

فأنى لمن سمع لهذين،بل بأحدهما أن يتأخر عن زيارته ﷺ؟! أو يتوانى عن المبادرة إلى المثول في حضرته ﷺ؟! تا الله ما يتأخر عن ذلك مع القدرة عليه إلا من حق عليه البعد من الخيرات والطرد عن مواسم اعظم القربات، أعاذنا الله تعالى من ذلك بمنّه وكرمه آمين.

وعلم من تلك الأحاديث أيضاً أنه ﷺ حي على الدوام، إذ من المحال العادي أن يخلو الوجود كله عن واحد يسلم عليه في ليل أو نهار،

---

(١) حاشية رد المحتار على الدر المختار لابن عابدين ٢: ٦٨٩ ط دار الفكر بيروت.

(٢) الحوت بيروتي في تعليقه على حسن الأثر: ٢٤٦.

فنحن نؤمن ونصدق بأنه ﷺ حي يرزق، وإن جسده الشريف لا تأكله الأرض، وكذا سائر الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام والإجماع على هذا[١].

٣٢ ـ قال محمد بن عبد الله الجرداني الدمياطي الشافعي المتوفى١٣٠٧: قال بعضهم: ولزائر النبي ﷺ عشر كرامات: إحداهن: يعطى أرفع المراتب. الثانية: يبلغ أسنى المطالب. الثالثة قضاء المآرب. الرابعة: بذل المواهب. الخامسة: الأمن من المعاطب. السادسة: التطهير من المعايب. السابعة: تسهيل المصائب. الثامنة: كفاية النوائب. التاسعة: حسن العواقب. العاشرة: رحمة رب المشارق والمغارب.

وماأحسن ما قيل:

هنيئا لمن زار خير الورى ... وحط عن النفس أوزارها
فإن السعادة مضمونة ... لمن حلّ طيبة أو زارها

وبالجملة فزيارة قبره ﷺ من أعظم الطاعات وأفضل القربات حتى أن بعضهم جرى على أنها واجبة، فينبغي أن يحرص عليها وليحذر من التخلف عنها مع القدرة وخصوصاً بعد حجة الإسلام، لأن حقه ﷺ على أمته عظيم، ولو أن أحدهم يجيء على رأسه أو على بصره من أبعد موضع من الأرض لزيارته ﷺ لم يقم بالحق الذي عليه لنبيه. جزاه الله عن المسلمين أتم الجزاء.

زر من تحب وإن شطّت بك الدار ... وحال من دونه ترب وأحجار
لا يمنعنك بُعدٌ عن زيارته ... إن المحب لمن يهواه زوار

ثم ذكر ما يسن من آداب الزيارة والقول فيها والمواضع والمزارات

---

(١) كنز المطالب للحمزاوي ١٧٩ ـ ١٣٩.

التي تزار...[١].

٣٣ ـ قال الشيخ عبد الباسط بن الشيخ علي الفاخوري مفتي بيروت في (الكفاية لذوي العناية):

الفصل الثاني عشر: في زيارة النبي ﷺ وهي متأكدة مطلوبة ومستحبة محبوبة، وتسن زيارته في المدينة كزيارته حياً وهو في حجرته حي يردّ على من سلم عليه، السلام، وهي من أنجح المساعي وأهم القربات وأفضل الاعمال وأزكى العبادات، وقد قال ﷺ: «من زار قبري وجبت له شفاعتي».

ومعنى وجبت: ثبتت بالوعد الصادق الذي لابد من وقوعه وحصوله، وتحصل الزيارة في أي وقت، وكونها بعد تمام الحج أحبّ، ويجب على من أراد الزيارة التوبة من كل شيء يخالف طريقته وسننه ﷺ.

ثم ذكر شطراً وافراً من آداب الزيارة والقول فيها والمواضع المتبركة التي يستحب التبرك بها، مثل الاسطوانات[٢].

٣٤ ـ قال الشيخ عبد المعطي السقا: زيارة النبي ﷺ: إذا أراد الحاج أو المعتمر الانصراف من مكة أدام الله تشريفها وتعظيمها طُلب منه أن يتوجه إلى المدينة المنورة للفوز بزيارته عليه الصلاة والسلام،فإنها من أعظم القربات وأفضل الطاعات وأنجح المساعي المشكورة، ولا يختص طلب الزيارة بالحاج غير أنها في حقه آكد، والأولى تقديم الزيارة على الحج إذا اتسع الوقت فإنه ربما يعوقه عنها عائق.

وقد ورد في فضل زيارته ﷺ أحاديث،منها قوله ﷺ: «من زار قبري وجبت له شفاعتي».

---

(١) مصباح الظلام للدمياطي ٢: ١٤٥.

(٢) الكفاية لذوي العناية للفاخوري: ١٢٥.

وينبغي الحرص عليها وعدم التخلف عنها عند القدرة على أدائها خصوصاً بعد حجة الإسلام لأن حقه ﷺ على أمته عظيم وينبغي لمريد الزيارة أن يكثر من الصلاة والسلام عليه، ثم ذكر الآداب والقول فيها...[1].

٣٥ ـ قال الشيخ محمد زاهد الكوثري: والأحاديث في زيارته ﷺ في الغاية من الكثرة، وقد جمع طرقها صلاح الدين العلائي في جزء كما سبق، وعلى العمل بموجبها استمرت الأمة إلى أن شذّ ابن تيمية عن جماعة المسلمين في ذلك.

قال علي القاري في شرح الشفاء: وقد فرّط ابن تيمية من الحنابلة حيث حرم السفر لزيارة النبي ﷺ كما أفرط غيره حيث قال: كون الثاني قربة معلوم من الدين بالضرورة وجاحده محكوم عليه بالكفر،ولعل الثاني أقرب إلى الصواب لأن تحريم ما أجمع العلماء فيه بالاستحباب يكون كفراً لأنه فوق تحريم المباح المتفق عليه.

ثم قال الكوثري: فسعيه في منع الناس من زيارته ﷺ يدل على ضغينة كامنة فيه نحو الرسول، وكيف يتصور الإشراك بسبب الزيارة والتوسل في المسلمين الذين يعتقدون في حقه أنه عبده ورسوله وينطقون بذلك في صلاتهم نحو عشرين مرة في كل يوم على أقل تقدير إدامة لذكرى ذلك؟! ولم يزل أهل العلم ينهون العوام عن البدع في كل شؤنهم، ويرشدونهم إلى السنة في الزيارة أو التوسل، كيف وقد أنقذهم الله من الشرك وأدخل في قلوبهم الإيمان؟!.

وأول من رماهم بالإشراك بتلك الوسيلة هو ابن تيمية وجرى خلفه من أراد استباحة أموال المسلمين ودمائهم لحاجة في النفس، ولم يَخَفْ ابن

---

(١) الإرشادات السنية للسقاف: ٢٦٠.

تيمية من الله في رواية عدّ السفر لزيارة النبي ﷺ سفر معصية لا تقصر فيه الصلاة،عن الإمام ابن الوفاء ابن عقيل الحنبلي ـ وحاشاه عن ذلك ـ راجع كتاب (التذكرة) له تجد فيه مبلغ عنايته بزيارة المصطفى ﷺ والتوسل به، كما هو مذهب الحنابلة.

ثم ذكر كلامه، وفيه القول باستحباب قدوم المدينة وزيارة النبي ﷺ وكيفية زيارته وسائر الزيارات.

ثم قال: وأنت رأيت نص عبارته في المسألة على خلاف ما يعزو إليه ابن تيمية[1].

٣٦ ـ قال المفتي صدر الدين في منتهى المقال في شرح حديث لا تشد الرحال:قال الشيخ محمد البرلسي في كتابه إتحاف أهل العرفان برؤية الأنبياء والملائكة والجان: وقد تجاسر ابن تيمية الحنبلي عامله الله بعدله، وادعى أن السفر لزيارة قبر النبي ﷺ حرام وأن الصلاة لا تقصر فيه لعصيان المسافر به، وأطال في ذلك بما تمجه الأسماع وتنفر عنه الطباع وقدعاد شؤم كلامه عليه، إلى أن قال: وخالف الأئمة المجتهدين في مسائل كثيرة واستدرك على الخلفاء الراشدين باعتراضات سخيفة حقيرة فسقط عن أعين علماء الأمة وصار مثلة بين العوام فضلاً عن الأئمة وتعقب العلماء كلماته الفاسدة وزيفوا حججه الداحضة الكاسدة وأظهروا عوار سقطاته وبينوا قبائح أوهامه وغلطاته[2].

٣٩ ـ قال فقهاء المذاهب الأربعة المصريين في كتاب (الفقه على المذاهب الأربعة): زيارة قبر النبي ﷺ أفضل المندوبات،وقد ورد فيها

---

(١) تكملة السيف الصقيل في الرد على ابن زفّيل للكوثري: ١٩٧.

(٢) حكاه السيد الأمين رحمه الله في كشف الارتياب: ٣٧١ وحكاه أيضاً الكثيري في السلفية بين أهل السنة والأمامية: ٢٨١.

أحاديث.

ثم ذكروا ستة من الاحاديث،وجملة من أدب الزائر،وزيارة للنبي ﷺ وأُخرى للشيخين[١].

٤٠ ـ قال أبو العباس السروجي في (الغاية): إذا انصرف الحاج والمعتمرون من مكة، فليتوجهوا إلى طيبة مدينة الرسول ﷺ وزيارة قبره، فإنّها من أنجح المساعي[٢].

٤١ ـ وفي كتاب (الفقه على المذاهب الخمسة): تستحب زيارة النبي الأعظم ﷺ إستحباباً مؤكداً، فقد ثبت أنّه ﷺ قال: «**من زار قبري بعد موتي كمن هاجر إليّ في حياتي**».

وفيه أيضاً: يتأكد استحباب الصلاة في مسجد الرسول، أكثر أن تقع بين قبره ومنبره، فإنها روضة من رياض الجنة، كما ثبت بالحديث.

وتستحب زيارة قبور الشهداء بخاصة قبر حمزة عليه السلام بأحد.

وتستحب زيارة أئمة البقيع وهم: الإمام الحسن، والإمام زين العابدين والإمام الباقر والإمام الصادق عليهم أفضل الصلاة والسلام.

أما زيارة فاطمة أم الحسنين، فكزيارة أبيها، لأنها بضعة منه، وقد تعددت الأقوال في مكان قبرها الشريف، والأقرب والأصوب أنها دفنت في بيتها المجاور لمسجد أبيها، وحين زاد الأمويّون في المسجد صار القبر من جملته[٣].

٤٤ ـ قال الدكتور بيّومي مهران أُستاذ كلية الآداب في الإسكندرية:

---

(١) الفقه على المذاهب الأربعة ١: ٥٩٠.

(٢) حكاه السبكي في شفاء السقام: ١٥٧ ط الرابعة.

(٣) الفقه على المذاهب الخمسة محمد جواد مغنية : ٢٨٤.

وأما الإجماع: فلقد قال القاضي عياض: زيارة قبر النبي ﷺ سنة بين المسلمين مجمع عليها وفضيلة مرغّب فيها، ويقول النبهاني في الأنوار المحمدية: إعلم أن زيارة قبره الشريف ﷺ من أعظم القربات، وأرجى الطاعات، والسبيل إلى أعلى الدرجات، ومن اعتقد غير هذا فقد انخلع من ربقة الإسلام، وخالف الله ورسوله وجماعة العلماء الأعلام.

هذا ويذهب الحنفية إلى أن زيارة قبر النبي ﷺ من أفضل المندوبات والمستحبات، بل تقرب من درجة الواجبات، وكذلك نص عليه المالكية والحنابلة، وقد أوضح السبكي نقولهم وسردها في كتابه في الزيارة.

ويقول الحافظ ابن حجر العسقلاني: إن الزيارة لقبر النبي ﷺ من أفضل القربات والأعمال الموصلة إلى ذي الجلال، وأن مشروعيتها ماشياً وراكباً محل إجماع بلا نزاع.

ثم قال: وأما دليل إجماع المسلمين، فمنها مشروعية زيارة القبور عموماً واستحبابها، وكان النبي ﷺ يذهب كل ليلة إلى البقيع يسلم على أهله ويدعو ويستغفر لهم، ومعلوم أن قبر الرسول ﷺ داخل في عموم القبور، فيسري عليه حكمها، ومنها ما ثبت من إجماع الصحابة والتابعين ومَن بعدهم على زيارة قبر النبي ﷺ كلمّا مرّوا على الروضة الشريفة...[1].

٤٥ ـ قال الشيخ عبد العزيز حمد آل مبارك الإحسائي المالكي: يندب للحاج أن يذهب إلى المدينة للصلاة في مسجد رسول الله ﷺ وزيارة قبره عليه الصلاة والسلام، لأن زيارته كما قال القاضي عياض سنة من سنن المسلمين مجمع عليها وفضيلة مرغب فيها.

وقال نور الدين القاري: وممن ادعى الإجماع النووي وابن الهمام.

---

(١) السيرة النبوية للدكتور محمد بيومّي مهران ٣: ١١٩.

بل قيل إنها واجبة[١].

ثم قال: ونبدأ الكلام على زيارة قبره بقصة الأعرابي التي تناقلتها الكتب المعتمدة، مع ما فيها من متعة النفس، وبعد نقل قصة الأعرابي وسندها قال:

أما الدليل على استحباب أو سنية زيارة قبره ﷺ: فإنه واضح من زيارته ﷺ باستمرار للقبور، وأمره بزيارتها، كما ورد في الأحاديث الصحيحة، منها ما جاء في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة مرفوعاً: «**زوروا القبور فإنها تذكر الموت**». وتقدم في كتاب الجنائز عن مسلم وغيره أنه ﷺ كان يزور القبور ويقول: السلام عليكم... وأحاديث زيارته للقبور كثيرة.

وإذا كان النبي ﷺ يزور القبور بنفسه ويأمر بزيارتها، فإن قبره ﷺ أولى بالزيارة.

ثم ذكر الأحاديث الواردة في خصوص زيارة قبره ﷺ وطرقها والكلام في سندها صحةً وضعفاً، وختم كلامه بقوله فهذه الأحاديث وإن كان أكثرها ضعيفاً، فإن تعدد طرقها، وكون بعضها له شاهد بسند صحيح يرفعها إلى درجة الحسن لغيره.

قال سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم الشنقيطي في طلعة الأنوار:

وحيث تابع الضعيف معتبر ... فحسن لغيره وهو نظر
ما لم يكن لتهمة بالكذب ... أو الشذوذ فالجباره أبي[٢]

وبعد توضيح مفاد الشعر قال: وتقدم أن بعض هذه الاحاديث له

---

(١) شرح الشفاء لنور الدين القاري ٣: ٨٤١.

(٢) رفع الاستار عن محيا محدرات طلعة الأنوار: ٤٠.

سند يحتج به، قال في فتح الغفار: والجميع بعضها يقوّي بعضاً، وعليه عمل المسلمين في جميع الأمصار، ويعدون ذلك من أفضل الأعمال...

مع أن الأحاديث الواردة في زيارة القبور على العموم صحيحة لا مطعن فيها وزيارة قبره ﷺ أولى بالمشروعية ولم يرد نص يعارض هذه الأحاديث.

ثمّ تعرض لحديث «**لا تشد الرحال...**» وقال: فمعناه على الأصح: لا تشد الرحال إلى مسجد للصلاة فيه، إلاّ إلى تلك المساجد، وبذلك يكون المستثنى من جنس المستثنى منه، ثم ذكر أقوال العلماء في هذا الحديث وبعدها تعرض لآداب الزيارة[1].

انتهى نقل أقوال ونصوص علماء المذاهب الأربعة وإجماعهم على مشروعية الزيارة واستحبابها وشد الرحل إليها، بل عن بعضهم التأكيد عليها والقول بوجوبها الكفائي.

وما نقلته لك ليس جميع أقوال علماء المذاهب، بل بعضها حيث لا يسع هذا الكراس إستقصائها جميعاً، وكان ينبغي تأليف كتاب في إستقصاء أقوال جميع العلماء حول الزيارة، حتى لا يبقى أي غبار وشبهة في المسألة.

فاتضح لك أنها من المسائل الضرورية والاتفاقية بين جميع الأمة الإسلامية سلفاً وخلفاً عدا الوهابية.

ومع هذا الإجماع والاتفاق وعمل الأصحاب والمسلمين سلفاً وخلفاً وعدم المنع والردع منهم،لا يُعتنى بتشكيكات واهية،ناشئة عن العداوة والحسد بالنسبة إلى الساحة النبوية، فإنهم أُناس معلوم حالهم وقد ثبت

---

(١) تبيين المسالك في شرح تدريب السالك إلى أقرب المسالك ٢: ٣٠٣ ـ ٣١٠ دار الغرب الإسلامي ـ بيروت.

انحرافهم وضلالتهم وشذوذهم عن المسلمين، فمخالفة مثلهم لا يضر بالإجماع،ولو أردنا أن نعتني بمثل هذه الشبه لما انعقد إجماع في أي مسألة أصلاً،ويلزم منه نفي أصل قطعي في الدين.

وأخيراً أرجو منك أيها القاري الكريم أن تعذرني بسبب التطويل في نقل هذه الأقوال، فإني لما طالعتها وجدتها مشتملة على مطالب مفيدة ورافعة لشبهات عديدة، فرأيت في نقلها مضافاً إلى تقوية الإجماع فوائد كثيرة منها:

١ ـ إن كثيراً من علماء المذاهب قد صرحوا بوجود الإجماع والاتفاق في استحباب زيارة خير الأنام.

٢ ـ إن غالب العلماء قد استدلوا على مشروعية الزيارة بروايات الباب التي كذّبها المخالف المرتاب وقد اعتمدوا عليها وعملوا بها،وبه أبطلوا ادعاء عدم عمل الأصحاب.

٣ ـ قد صرح كثير منهم باستحباب شد الرحال والسفر من الأوطان إلى زيارة خير الأنام، ويستفاد من كلمات بعض آخر أيضاً،حيث أكد على استحباب زيارة النبي بعد قضاء الحج،وهو يتوقف على شد الرحل.

٤ ـ إن بعض العلماء لم يتعرض إلى مسألة المشروعية، بل تعرض إلى آداب زيارة قبر النبي ﷺ وكأنه كانت المسألة عنده من الضروريات،ولهذا لم يتكلم في أصل المشروعية، وهو دليل على الإجماع.

٥ ـ قد تعرض كثير منهم للجواب عن شُبَه ابن تيمية وأتباعه في هذه المسألة بحيث قد أظهروا زلاتهم وكشفوا عن حالهم للمسلمين، فلم يبق تأمل لأحد من المسلمين في إنحرافهم وبطلان كلامهم وشذوذهم عن سنة خير المرسلين وسيرة المسلمين خاصة الصحابة والتابعين.

ولا يخفى أن ما ذكرناه من النصوص في الإجماع على مشروعية الزيارة

كلها من علماء المذاهب الأربعة.

وأما عند علماء الشيعة، فإنها من المسائل الاتفاقية الضرورية ولم يخطر ببال أحد من الشيعة علمائهم وعوامهم شيء يقف أمام مشروعية زيارة قبر النبي ﷺ والأئمة المعصومين سلام الله عليهم أجمعين،بل قد جرت سيرتهم سلفاً وخلفاً على زيارة قبور الأنبياء والمرسلين والأولياء المقربين والشهداء والصالحين وسائر المؤمنين والتردد إلى قبورهم وتعظيم شأنهم وإحياء أمرهم، ولم يخالفهم أحدٌ من أئمة الدين،بل قد صدر الحث والترغيب والتأكيد منهم على هذا الأمر العظيم، فعدم التعرض لأقوالهم لا من جهة استصغار أمرهم، بل من جهة أن كل مخاطب لابد من أن يُتكلم معه على طريقته وعلى مرامه،حتى لا يبقى له أي عذر على عدم القبول وتتم الحجة عليه.

وبحمد الله فإنّ هذه المسالة بحدّ من الوضوح، بحيث يغنينا إثباتها من طرق المذاهب الأربعة من الاستدلال على مذهب الامامية.

الدليل الرابع

العقل

الدليل الرابع:

العقل

ومن بعد ذكر هذه الأدلة القاطعة من الكتاب والسنة وإجماع علماء الأمة على استحباب زيارة نبي الرحمة نقول: لو فرضنا جدلاً عدم وجود أيّ دليل على مشروعية الزيارة، لا من كتاب ولا سنة ولا إجماع، فإنّه يكفينا ويغنينا حكم العقل على مشروعيتها والحث عليها من سائر الأدلة، حيث إن الله سبحانه قد جعل العقل حجة وأمضى أحكامه ـ كل ما حكم به العقل حكم به الشرع ـ فحكمه بحسنها ومحبوبيتها دليل على مشروعيتها من قبل الله ﷻ.

وأما بيان حكم العقل: فإنه يحكم بحسن تعظيم من عظمه الله تعالى: والتعظيم يتحقق بأنحاء مختلفة، من قبيل إحياء ذكره وتمجيده ونشر فضائله بين الناس ونشر كلماته ونصرته واحترامه والحضور عنده والتردد إليه حتى يعظم شأنه أمام الناس خصوصاً أمام المخالفين والأعداء الذين يحاولون في إمحاء ذكره وإطفاء نوره والاستخفاف به وإبعاد الناس عنه.

فالزيارة نوع من التعظيم للنبي ﷺ وفي تعظيمه تعظيم لشعائرالله وإرغام لمنكريه ومعانديه ﴿وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ فإذا ثبت رجحان زيارته ﷺ في حياته والوصول إلى خدمته، فكذلك يثبت بعد مماته.

فقد مضى في نقل أقوال العلماء في الإجماع،قول مالك إمام دار

الهجرة لأبي جعفر المنصور: إن حرمة النبي ميتاً كحرمته حياً، ولو أنه قد ثبتت حياته البرزخية وأنه ﷺ يعلم بمن يحضر عنده ويسلّم عليه ويرد السلام عليه، وأنه حي عند ربه مرزوق، فلا فرق بين الحياة الظاهرية والممات في لزوم التعظيم.

ومن جهة أخرى إن العقل لا يرى مانعاً من الزيارة ولا ما يوجب قبحها، بل يرى ما يحسنّها من تعظيم من عظمه الله واحترام من هدى الله الناس به إلى سبيل الرشاد وكان سبب سعادتهم وكمالهم وخروجهم من ظلمة الضلالة إلى نور المعرفة والهداية، فقد قال الله ﷻ في كتابه: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾[1] هذا أولاً.

وثانياً: إن عقل كل عاقل يحكم بالمكافاة والشكر والامتنان لمن أحسن إليه وأعانه وأنقذه من الهلكات، وثبت حقه عليه، فقال الله تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ﴾[2]. وقال النبي ﷺ: «**جبلت القلوب على حب من أحسن إليها وبغض من أساء إليها**»[3].

وقال علي عليه السلام: (كافِ من أحسن إليك)[4]، وقال تعالى أيضاً: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾[5] وقال رسول

---

(١) آل عمران: ١٦٤.

(٢) الرحمن: ٦٠.

(٣) فيض القدير للمناوي ٣: ٤٥٣

(٤) دعائم الاسلام ٢: ٤٨٧.

(٥) إبراهيم: ٧.

الله ﷺ «من لم يشكر الناس لم يشكر الله»[١].

فهذه الكلمات من الشرع قد أيدت وأمضت وحكمت بما حكم به العقل.

وعليه، فقد ثبت وجوب أداء الحق والوفاء به شرعاً.

ومن جانب آخر أيضا: إنّ حق النبي ﷺ على الأمة عظيم ويؤيد عظيم حقه على المسلمين كلام أمير المؤمنين عليه السلام:

(إن الله بعث محمداً نذيراً للعالمين وأميناً على التنـزيل وأنتم معاشر العرب على شرّ دين، وفي شرّ دار، منيخون بين حجارة خشن، وحيّاتٍ صُمٍّ، تشربون الكدر وتأكلون الجشب وتسفكون دمائكم، وتقطعون أرحامكم، الأصنام فيكم منصوبةوالآثام بكم معصوبة)[٢].

ولهذا ثقلت وظيفتنا في أداء حقه،فإنا لو حاولنا كل المحاولات لما تمكنا من أداء حقوقه كما هو علينا، وقد سامحنا الله فيها بقوله:

﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[٣].

ولكن مع هذا يجب علينا أداء الوظيفة مهما أمكن.

والخروج عن عهدتها يتحقق بإظهار المحبة له ونصرته والمودة لأهل بيته والدعاء والصلاة عليه وعليهم وإحياء أمرهم ونشر فضائلهم وزيارتهم والتردد إليهم في حياتهم وبعد مماتهم وإقامة المحافل والمجالس لتشييد أمره ومرامه وأمر أهل بيته الذين قد جعلت مودتهم أجر الرسالة كما قال

---

(١) سنن الترمذي ٣: ٢٢٨.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة: ٢٦.

(٣) الشعراء: ١٠٩.

تعالى: ﴿قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ (١).

وأداء هذه الأمور كلها من باب الوظيفة الأخلاقية والإنسانية التي حكم العقل باتيانها، ولو كان هو غير محتاج لها، فإنه قد بلغ من الفضل والمقام ما بلغ،ورفعه الله إلى قاب قوسين أو أدنى،وقد أمر الله جميع الملائكة وجميع خلائقه من الأولين والآخرين بتعظيمه ومحبته وإطاعته والدعاء له والصلاة عليه وعلى أهل بيته، فإذا أدينا أجر الرسالة يرجع نفعه إلينا، وتكون فائدته وآثاره الدنيوية والأخروية لنا كما قال: ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلاّ عَلَى اللهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (٢).

ولا يخفى إنّ ما ذكرناه من حكم العقل والوجدان عام يشمل أهل سائر الملل والأديان في تعظيم أنبيائهم وعظمائهم والتقدير لمن له حق عليهم،وهكذا فإنّه دليل لنا عليهم إن طالبونا بالدليل في تعظيم الانبياء والأولياء وزيارة قبورهم، فإنهم إن لم يعتقدوا بكتابنا وسنتنا، لا محيص لهم من قبول هذا الدليل إن كانوا من ذوي العقول.

على أن زيارة قبر النبي ﷺ وقبور أهل بيته من أكمل وأتم موارد الشكر وأداء الحق لما فيها من تعظيم النبي ﷺ وإحياء أمره وإرغام مخالفيه وحاسديه والمانعين من زيارته، والعقل أيضاً لم ير مانعاً منها، بل يرى ما يحسّنها ويحثّ عليها وينهى عن تركها، ودليل مشروعية الشيء عدم المنع منه وعدم المحذور فيه.

فإن قلت: إن كثرة التعظيم والزيارة له والتردد عنده يفضي ويؤدي إلى الشرك بالله والغفلة عن عبودية الله، فهذا هو المانع.

---

(١) الشورى: ٢٣.

(٢) سباء: ٤٧.

قلت: هذا الكلام هو الذي قد تشبث به ابن تيمية ومقلّدوه على الضلالة لمنع الزيارة وتكفير المسلمين عليها وضربهم وإيذائهم عليها، وهذا صرف وسوسة شيطانية، ناشئة من ضغينة كامنة فيه نحو الرسول، فإنه كيف يخطر في ذهن مسلم الإشراك بسبب زيارته والتوسل به في المسلمين الذين يعتقدون في حقه أنه عبده ورسوله وينطقون بذلك في صلاتهم اليومية وغيرها من الصلوات مرات عديدة، وهكذا في زياراتهم، فلاحظ متون الزيارات تراها مشتملة على الشهادة بوحدانية الله ﷻ والرسالة لنبي الله وأنه عبده ورسوله، وأمثال هذه الكلمات موجودة في سائر الزيارات.

ولم يزل أهل العلم ينهون عن البدع في كل الشؤون ويرشدون الناس إلى السنة في الزيارة والتوسل حتى لا يقع منهم ما لا يناسب عبودية الله سبحانه، وعلى فرض وقوع خطأ عن جهل من جاهل، فهذا ليس دليلاً على الشرك والكفر فإنه لم يخطر ببال أحد منهم الإشراك بالله بسبب زيارته.

كيف وقد أنقذهم الله به ﷺ من الشرك والضلالة وأدخل في قلوبهم نور الإيمان وعبادة الرحمن وأبعدهم عن عبادة الأوثان؟!

فكيف لا يستحي هؤلاء المغرضون في نسبة المسلمين الزائرين بالكفر وعبادة القبور، فإن التعظيم والتقديس الذي يتوجه إلى الرسل إنما هو لأفكارهم التوحيدية ورسالاتهم التي حملوها، فالتقديس والتعظيم للنبي الأعظم ﷺ تقديس للمعاني والأفكار التي دعا إليها وأتعب نفسه في نشرها، فكيف يُظنّ في مؤمن عرف حقيقة الدعوة المحمدية، أن يكون مضمراً لمعنى من معاني الشرك والوثنية، وهو يستعبر العبر ويستبصر ببصيرته ﷺ ويستضيء بنوره عند روضته الشريفة.

فإذا كان خوف ابن تيمية وأتباعه من أن يؤدي ذلك إلى الوثينة بمضي

الزمان، فإنه خوف من غير جهة ومجرد وسوسة، لأن الناس ما زالوا إلى حد الآن يزورون النبي ﷺ واستمروا على هذه السيرة الشريفة ومع ذلك لم يُنظَر إلى هذا العمل نظر عبادة أو وثنية ولا سمعنا لحد الآن، أن هذه النظرة قد خطرت ببال أحد من عوامهم فضلاً عن غيره.

ولو اتفق أن أفرط أحد منهم، فالناس يعرفون أنه من الجهال ويفرقون بينه وبين غيره من المسلمين من أهل المعرفة ويرشدونه إلى السنة الصحيحة،وعمل الجهال لا ربط له بالسنة ولا يمنع من تعظيم تلك الذكريات الجليلة ولا يوجب التكفير والمنع من الزيارة وتعظيم شعائر الله. وهل يجوز لعالمٍ أن ينسب الكفر لمن يقبِّل احجار الكعبة ويتوسل بها إلى الله ويمسح يديه ووجهه بها وكذلك من يعظم مقام ابراهيم ـ الذي ذكر بالعظمة في القرآن ـ ومن يتمسح بالحجر الأسود وما أشبه.

فإن من نسب واتّهم مسلماً إلى الكفر عند هذه المظاهر العبادية، فهو الكافر كما في الأحاديث.

فتحصل مما قلنا: أن هذه الأمور لم تكن مانعة من رجحان الزيارة ومحبوبيتها عقلاً وشرعاً، فبحكم العقل فضلاً عن سائر الأدلة ثبتت مشروعية الزيارة،بل استحبابها وتأكدها، بل وجوبها الكفائي أيضاً على من له القدرة.

الدليل الخامس

سيرة المسلمين

الدليل الخامس:

سيرة المسلمين

إن سيرة المسلمين من أحد الأدلة التي يستدل بها في الشريعة الإسلامية عند جميع المذاهب، وهي في حكم الإجماع،إلا أن الفرق بينهما أن الإجماع إتفاق قولي والسيرة إجماع عملي يكشف عن أن ذلك مأخوذ عن صاحب الشرع يداً عن يد،ويدل عليه قوله ﷺ: «**لا تجتمع أمتي على خطأ**» وفي بعض الرويات: «**على ضلالة**»[1].

والذي يسهل الخطب في الاستدلال أن المانعين عن مشروعية الزيارة لا ينكرون حجية الإجماع القولي والعملي واستدلوا به في المطالب التي توافق رأيهم، والعجيب أنهم فيما لا يوافق رأيهم ـ مثل الزيارة ـ ينكرون حجية مثل هذا الاجماع.

فلو فرضنا عدم الدليل العقلي والنقلي من الكتاب والسنة والإجماع القولي على مشروعية شيء أو عمل، وكانت سيرة المسلمين في جميع الأعصار دائرة على ذلك، ولم يردعهم أحد من أئمة الدين، بل كان المشاهد من عملهم التزامهم به فنفس هذه السيرة دليل على مشروعية ذلك العمل.

وأما فيما نحن فيه: فقد جرت السيرة المطردة من صدر الإسلام منذ عصر الصحابة الأولين والتابعين لهم بإحسان إلى زماننا هذا على زيارة قبور ضمنت نبياً مرسلاً، أو إماماً طاهراً، أو ولياً صالحاً أو عظيماً من

---

(١) ذيل تذكرة الحفاظ للذهبي: ١٣٦، المنخول للغزالي: ٤٠٢.

عظماء الدين، ومن أقدس تلك القبور قبر الرسول المصطفى ﷺ.

وكان الصلاة لدى القبور، والدعاء عندها، والتبرك والتوسل بها، والتقرب إلى الله وابتغاء الزلفة لديه، بإتيان تلك المشاهد من المتسالم عليه بين جميع فرق المسلمين ومن دون أي نكير من آحادهم، وأي ردع من عظمائهم على اختلاف مذاهبهم، والحال أن فيهم عقلاء علماء من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين.

وكان هذا الأمر مستمراً ولم يخطر ببال أحد خلافه، حتى نشأ ابن تيمية، وأخذ يخالف ويبارز مع هذه السنة الجارية، وسعى في تعطيل وتبديل سنة الله التي لا تبديل لها ولن تجد لسنة الله تحويلاً، فشذّ عن تلك السيرة المتبعة والآداب المنقحة، وشدّد النكير عليها بلسان بذيّ وبيان تافه ودلائل سخيفة، خارجة عن نطاق العلم والمعرفة، والأدب والعفة، فافتى بحرمة شد الرحال لزيارة خير الأنام ﷺ وعدّ السفر لأجل ذلك سفر معصية لا تقصر فيه الصلاة، فأراد أن يوقع الفتنة بين الناس، فيفرح بها عندئذ الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس.

لكن بحمد الله قد خالفه أعلام عصره وفقهاء زمانه ورجال قومه فقابلوه بالطعن والرد الشديد فألفوا كتباً[1] في ردّه ونقده،معتمدين على

---

(١) مثل شفاء السقام في زيارة خير الأنام للإمام تقي الدين السبكي، والدرة المضيّة في الرد على ابن تيمية للسبكي أيضاً، والمقالة المرضية لقاضي قضاة المالكية تقي الدين أبو عبد الله الأخنائي، ونجم المهتدي ورجم المقتدي للفخر ابن معلم القرشي، ودفع الشبهة لتقي الدين الحصني، والتحفة المختارة في الرد على منكر الزيارة لتاج الدين الفاكهي ووو...

وقد ألفّت كتبٌ أخرى بعدها مثل الصواعق الإلهية في الرد على الوهابية للشيخ سليمان بن عبد الوهاب في الرد على أخيه محمد بن عبد الوهاب

البراهين القاطعة والدلائل الواضحة، بعيدين عن التعصب والعناد، فزيّفوا آرائه واعتقاداته وأوضحوا هفوات كلماته، وأثبتوا ضلالته وانحرافه وأفتوا بكفره وارتداده.

وهكذا فقد حكم سائر قضاة المذاهب الأربعة في مصر على حبسه وزجره، وعلى أثرها حبسه السلطان إلى أن مات وخمدت الفتنة وارتاح المسلمون منها.

ومن نكير العلماء والمسلمين على من خالف هذه السيرة وحكمهم بكفره وضلالته، يتضح قطعيّة هذه السيرة وإطرادها، وعدم الشك في مشروعيتها عند جميع المسلمين، لأنّ المسلمين لم يزالوا في كل عام إذا قضوا الحج يتوجهون بولهٍ وشوق إلى زيارته ﷺ، ومنهم من يزوره قبل الحج وكلهم يقصدون ذلك ويعرّجون إليه وإن لم يكن في طريقهم، ويقطعون فيه مسافة بعيدة وينفقون فيه الأموال ويبذلون فيه المهج،معتقدين أن ذلك قربة وطاعة.

فقد شاهدناهم وشاهدهم مَن قبلنا،وهذا أمر لا يشك فيه أحد، وإطباق هذا الجمع العظيم من مشارق الأرض ومغاربها على مر السنين ـ ومنهم العلماء والصالحون وغيرهم ـ يستحيل أن يكون على خطأ ـ كما بشّر به الرسول المصطفى ﷺ بقوله: «**لاتجتمع أُمتي على خطأ**»، وكلهم يفعلون ذلك على وجه التقرب إلى الله ﷻ، ونحن نرى أنّ من تأخر عن زيارته من المسلمين لعجزٍ أو تعويق المقادير يتأسف عليه ويودّ العروج إليه ويطلب من الله التوفيق ونيل الفضيلة لزيارته.

النجدي، والفتاوى الحديثة لابن حجر، والمواهب اللدنية للقسطلاني، وشرح المواهب للزرقاني وكتُب أخرى كثيرة إلى زماننا هذا، قد زيفت آرائه ومعتقداته الباطلة في الزيارة وغيرها مثل التجسيم والجهة وو..

ففي كثير من دعائهم: اللهم أرزقنا حج بيتك الحرام وزيارة قبر نبيك ﷺ[١]، بالأخص في شهر رمضان، فمن ادعى أن هذا الجمع العظيم مجمعون على خطأ، فهو المخطئ وكان قد رد على رسول الله ﷺ، ومن كفّر هؤلاء المسلمين ونسبهم إلى الضلالة والبدعة،فهو المبدع وهو الضال وهو الكافر،حيث شذ عنهم واستهان بهم، واستهان بمن شرفه الله وعظمه وفضله على جميع خلقه.

وكيف يمكن أن تكون سيرتهم وعملهم خطأً ومعصية وليس من الدين، ولم يبيّنه لهم رب العالمين وصاحب الشرع القويم،ويمهلهم في الضلال المبين حاشا وكلا!! فإن فيه نقضاً للغرض من إرسال الرسل، ومخالفة لحكم العقل بقبح العقاب بلا بيان.

فإن قلت: إن الشارع قد بيّن ومنع،كما قد روي: **«لا تشد الرحال، ولا تتخذوا قبري عيداً»**[٢] وأمثاله.

نقول: إن هذه الروايات على فرض تسليم صحتها فمفهومها لا ربط له بالمقام، وإنها أجنبية عن زيارة خير الأنام وسيأتي فيها الكلام بنحو لا يبقى فيه ظلام.

وإن قال الخصم: إن سفر هؤلاء المسلمين لم يكن بقصد زيارة قبر النبي ﷺ، بل لمسجده وزيارة قبره تبعاً وضمناً وهذا لا مانع منه.

قلنا: إن المنصف يعرف أن ما عليه الناس من حين عروجهم إلى المدينة إلى أن يخرجوا منها،هو زيارة قبر الرسول المصطفى ﷺ ونيل فضيلتها ولا يخطر ببال أحد منهم غير الزيارة من القربات، وإن كان في ذهن بعضهم غير زيارته أيضاً، فهو مغمور بالنسبة إلى الزيارة في حق هذا القليل.

---

(١) لاحظ مفاتيح الجنان في أعمال شهر رمضان.

(٢) سنوافيك بمصادرها في فصل مستقل.

بل غرضهم الأعظم هو الزيارة، حتى أنه لو لم يكن قبر النبي ﷺ في المدينة،لما سافروا إليها،لأنهم قد أدركوا في مكة الثواب العظيم، ولهذا قلّ القاصدون إلى بيت المقدس،مع تيسره في ذلك الزمان، وإن كان في الصلاة فيه من الفضل ما قد عرف وأنه من المساجد الثلاثة التي لا تشد الرحال إلا إليها.

فتبين أن المقصود الأعظم في المدينة،هو زيارة قبر النبي ﷺ كما أن المقصود الأعظم من السفر إلى مكة هو الحج أو العمرة، وإنكاره مكابرة على أهل الدين.

وإن شككت أنت في نفسك، فاسأل كل من توجه إلى المدينة، ما هو قصده من سفره إليها؟ ليتضح لك الحال.

وأما ما ذكره العلماء في آداب الزيارة من أنه ينبغي أن ينوي مع زيارته،التقرب بالتوجه إلى مسجده والصلاة فيه.

فليس مرادهم أنه شرط في كون السفر للزيارة قربة، أن ينوي المسجد وغيره أيضاً، ـ كما ادعاه بعض المانعين[1] من أجل تحريف سيرة المسلمين حيث لم يتمكنوا من إنكارها ـ، بل أرادوا من هذا الكلام أنه ينبغي أن يقصد قربة أخرى ليكثر الأجر والثواب بكثرة القُرَب ويكون السفر إلى قربتين أو أكثر،بأن يقصد مضافاً إلى زيارته ﷺ مسجد النبي وزيارة شهداء أُحد وزيارة البقيع ومسجد قبا وغير ذلك.

وغرضهم من هذا التنبيه رفع ما قد يتوهم من أن قصد قربة أخرى غير زيارته ﷺ مناف للإخلاص في نية الزيارة، لا غير، وليس مرادهم أن شرط كون سفر الزيارة قربة أن يضم قصد قربة أخرى إليه، وهذا غير خفي على من له تدبر وسداد.

---

(١) لاحظ تنبيه زائر المدينة: ٣٣ نقلاً عن شيخ الإسلام ابن تيمية.

هذا، وبما أنّ الخصم قد أنكر زيارة السلف للقبر الشريف وذيله بقوله:ولا يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها[١].

فنحن نذكر لك بعض من زاره من أهل بيته عليهم السلام وأصحابه ليبهت الذي كفر.

بعض من زار قبر النبي صلى الله عليه وآله

١ ـ أول من زار قبر النبي ﷺ إبنته الصديقة الكبرى فاطمة عليها السلام، التي قال رسول الله ﷺ في شأنها: «**إنما فاطمة بضعة مني يؤذيني ما آذاها**»[٢].

ومن قد اعترفت عائشة بصدقها فقالت:ما رأيت أحداً قطّ أصدق من فاطمة غير أبيها ﷺ[٣].

وقال ﷺ: «**فو الذي بعثني بالنبوة حقاً إنّك سيدة نساء العالمين**»[٤].

روى ابن عساكر وابن الجوزي وغيرهما من طريق طاهر بن يحيى الحسني قال: حدثني أبي، عن جدي، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن علي سلام الله عليه قال:

لما رمس رسول الله ﷺ جاءت فاطمة سلام الله عليها، فوقفت على قبره ﷺ وأخذت قبضة من تراب القبر ووضعت على عينها وبكت وأنشأت تقول:

ماذا على مـن شـم تربة أحمد　　أن لا يشم مدى الزمان غواليا

---

(١) لاحظ تنبيه زائر المدينة: ١٧، وتلاحظه في سائر كتبهم أيضاً.

(٢) صحيح مسلم ٥: ٢٦ ط محمد علي صبيح وأولاده بمصر باب الفضائل.

(٣) حلية الأولياء ٢: ٤١.

(٤) المناقب لابن المغازلي: ٣٩٩.

صُبت عليّ مصائب لو أنها صبت على الأيام عدن لياليا[١]

وفي ضمن حديث آخر حول غصب فدك عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: فدخلت فاطمة عليها السلام المسجد وطافت بقبر أبيها صلى الله عليه وآله وهي تبكي وتقول:

إنا فقد ناك فقد الأرض وابلها واختلّ قومك فاشدهم ولا تغب
قد كان بعدك أنباءً وهنبثة لو كنت شاهدها لم تكثر الخطب
قد كان جبريل بالآيات يونسنا فغاب عنا فكل الخير محتجب
وكنت بدراً منيراً يستضاء به عليك تنزل من ذي العزة الكتب
تهضّمتنا رجال واستخفّ بنا إذْ غبت عنا فنحن اليوم مغتصب
وكل أهل له قربى ومنزلة عند الإله على الأدنين مقترب
أبدت رجال لنا نجوى صدورهم لمّا مضيت وحالت دونك الترب
فقد رُزينا بما لم يرزه أحد من البرية لا عجم ولا عرب

إلى أن قالت:

سيعلم المتولي الظلم حامتنا يوم القيامة أنّى كيف ينقلب[٢]

---

(١) ابن عساكر في التحفة وابن الجوزي في مثير الغرام الساكن: ٣٠٠، والقسطلاني في المواهب اللدنية، والشيخ علي القاري في شرح الشمائل ٢: ٢١٠ ،والشبراوي في الاتحاف: ٩، والسمهودي في وفاء الوفا ٤: ١٤٠٥ ،والسيد أحمد زيني دحلان في السيرة النبوية ٣: ٣٩١ ،والحمزاوي في مشارق الأنوار: ٦٣ ،والخالدي في صلح الإخوان: ٥٧ ،وعمر رضا كحالة في أعلام النساء ٣: ١٢٠٥، وذكر البيتين لها سلام الله عليها ابن حجر في الفتاوى الفقهية ٢: ٣٩٠ ،والخطيب الشر بيني في تفسيره: ٣٤٩ ،والقسطلاني في إرشاد الساري ٢: ٣٩٠

(٢) تفسير نور الثقلين ٤: ١٧٨.

وقد أورده عمر رضا كحالة في أعلام النساء، وأضاف: ولم ير الناس أكثر باك ولا باكية منهم يومئذ[١]، وأورده أيضاً ابن عساكر في إتحاف الزائر عن ابن عبد ربه[٢].

فهذا عمل فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين التي طهرها الله واصطفاها على نساء العالمين، وهو حجة وأحسن دليل على مشروعية زيارة خير المرسلين من الأولين والآخرين والتبرك بقبره والبكاء عنده وفيه رغماً لأنف المعاندين.

٢ ـ زار الصحابي الجليل جابر بن عبد الله قبر الرسول المصطفى وبكى عنده.

قال البيهقي في شعب الإيمان: أخبرنا أبو عبد الرحمن السليمي، حدثنا حامد بن محمد بن عبد الله الهروي، حدثنا محمد بن يونس القرشي،حدثنا عبد الله بن يونس بن عبيد، حدثنا أبي محمد بن المنكدر، قال: رأيت جابراً وهو يبكي عند قبر رسول الله ﷺ، وهو يقول: هاهنا تسكب العبرات، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة**»[٣].

فيا عزيزي القارئ لا تنسى ما قدمناه لك، من أن الزيارة حقيقة ليس إلا الحضور عند المزور، فحضور صحابي كبير مثل جابر وبكائه عند القبر الشريف وذكره الحديث الشريف دليل واضح على أهمية زيارته ﷺ والدعاء عند قبره المنور.

٣ـ زار الصحابي أبو أيوب الأنصاري مضيف النبي ﷺ قبر الرسول

---

(١) أعلام النساء ٤: ١٢٢ ط مؤسسة الرسالة.

(٢) العقد الفريد ٣: ١٩٤، إتحاف الزائر: ١٦٧.

(٣) شعب الإيمان ٣: ٤٩١.

الكريم ﷺ ووضع وجهه عليه.

فقد ورد في مجمع الزوائد والمستدرك للحاكم وأخبار المدينة وشفاء السقام أيضاً، عن داود بن أبي صالح قال: أقبل مروان يوماً فوجد رجلاً واضعاً وجهه على القبر، فأخذ برقبته ثم قال: هل تدري ما تصنع؟ فأقبل عليه فإذا أبو أيوب الأنصاري، فقال: نعم إني لم آت الحجر ولم آت اللّبن إنما جئت رسول الله ﷺ ولم آت الحجر سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا تبكوا على الدين إذا وليه أهله ولكن إبكوا على الدين إذا وليه غير أهله**»[1].

وأنت عزيزي القارئ تعرف الفرق بين الزائر أبي أيوب الأنصاري المدرك لشريعة سيد المرسلين وناصره ومضيفه الذي لم يرفرقاً بين زيارة النبي ﷺ حياً وميتاً،حيث يقول: إني لم آت الحجر وإنما أتيت رسول الله وبين الناهي عن الزيارة مروان بن الحكم المعلوم حاله وعداوته لرسول الله ﷺ عند المسلمين، الذي وردت الاحاديث في ذمه عن رسول الله ﷺ.

فلاحظت أنه إذا كان مخالفاً في البين فهو من الذين يحاولون في إمحاء السنة المحمدية ﷺ وإطفاء نورها، ويأبى الله إلا أن يتم نوره.

وفي هذا الحديث دلالة على سلطنة الشجرة الخبيثة بني أمية وجناياتهم ومعاداتهم لرسول الله وأهل بيته صلوات الله أجمعين عليهم.

---

(١) مجمع الزوائد للهيثمي نقلاً عن أحمد باب ولاية المناصب غير أهلها ط بيروت سنة ١٩٦٧، ٥: ٢٤٥، والمستدرك ٤: ٥١٥ وصححه هو والذهبي في تلخيصه، وأخبار المدينة لأبي الحسن بن الحسن الحسيني بإسناد آخر عن المطلب بن عبد الله بن حنطب، كما في شفاء السقام ،وذكره السمهودي في وفاء الوفا ٢: ٤١٠، ٤٣٣ نقلا عن إمام الحنابلة أحمد قال: رايته بخط الحافظ أبي الفتح المراغي المدني، وأخرجه الطبراني في الكبير والأوسط.

٤ ـ حكاية العتبي عن الأعرابي التي ذكرناها سابقاً في دليل الكتاب العزيز على مشروعية الزيارة وهي مشهورة وقد ذكرها المصنفون في مناسكهم، فهي تدل على الحث على زيارته وشد الرحل إليه، لأن الأعرابي كان مسافراً، ويؤيده ما في بعض الطرق من أن الأعرابي ركب راحلته وانصرف.

والحكاية المذكورة نقلها جماعة من الأئمة عن العتبي واسمه محمد بن عبيد الله بن عمر بن معاوية بن عمرو بن عتبة بن أبي سفيان صخر بن حرب، كان من أفضح الناس، صاحب أخبار ورواية للآداب، حدّث عن أبيه،وسفيان بن عيينة، وأبي مخنف[1].

وذكرها ابن عساكر في إتحاف الزائر وابن الجوزي في مثير الغرام الساكن وغيرهم من غير طريق العتبي بأسانيدهم إلى محمد بن حرب الهلالي، وكانا قد اعتمدا عليها واستدلا بها[2].

قال: دخلت المدينة، فأتيت قبر النبي ﷺ وزرته وجلست بحذائه فجاءه أعرابي فزاره، ثم قال: يا خير الرسل إن الله أنزل عليك كتاباً صادقاً قال فيه:

﴿ولَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ واسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ وإني جئتك مستغفراً ربك ذنوبي مستشفعا بك إلى الله او (ربي) ثم بكى وأنشأ يقول:

---

(١) لاحظ شفاء السقام: ١٤٢ ط الرابعة.

(٢) لاحظ إتحاف الزائر لابن عساكر: ٥٣، تفسير ابن كثير ٢: ٣٠٦، تفسير القرطبي ٥: ٢٦٥، شعب الإيمان للبيهقي ٣: ٤٩٥، المغني لابن قدامة الحنبلي ٣: ٥٥٧، الإيضاح للنووي: ٤٥١..

يلخير من دفنت بالقاع أعظمه فطاب من طيبهن القاع والأكم
نفسي الفداء لقبر أنت ساكنه فيه العفاف وفيه الجود والكرم

ثم استغفر وانصرف،فرقدت فرأيت النبي ﷺ في نومي وهو يقول: «الحق الرجل وبشّره أن الله قد غفر له بشفاعتي». فاستيقظت فخرجت أطلبه فلم أجده[1].

وزرويت هذه القصة عن علي عليه السلام أيضاً قال: (قدم علينا أعرابي بعد ما دفنا رسول الله ﷺ بثلاثة أيام فرمى بنفسه على قبر النبي ﷺ وحثا من ترابه على رأسه وقال: يا رسول الله قلت فسمعنا قولك ووعيت عن الله سبحانه فوعينا عنك، وكان فيما أُنزل عليك: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَّلَمُوا...﴾ الآية، وقد ظلمت نفسي وجئتك تستغفر لي. فنودي من القبر: قد غفر لك).

وقد أخرجها جمع كثير من أئمة الحديث أيضاً[2].

أقول: إن هذه القصة صريحة في شد الرحل إليه ولا يشك أحد في أنه كان مسافراً وما كان من أهل المدينة، ولذا لما لحقه العتبي ما وجده، وقد زار النبي وقرأ تلك الآية وتكلم بتلك الكلمات ولم يمنعه أحد، بل إن النبي كان قد أمضى عمله، وهكذا أمير المؤمنين عليه السلام بناء على روايته، وكان قد استمر هذا الإمضاء إلى زمان ابن تيمية، وكما قال ابن حجر وغيره: من هو حتى يعتنى بكلامه وكلام أتباعه الذين ثبت عداوتهم

---

(١) إتحاف الزائر: ٥٤، مثير الغرام الساكن لابن الجوزي ٢: ٣٠١، سبل الهدى والرشاد للصالحي ١٢: ٣٨٠، الدرة الثمينة لابن النجار: ٢٢٤.

(٢) راجع وفاء الوفا للسمهودي: ٤: ١٣٦١، وحكاه النسفي في تفسيره ١: ٢٣٤، والصالحي في سبل الهدى والرشاد ١٢: ٣٨٠.

لأهل بيت النبوة وشذوذهم عن الدين واعتقاداتهم الباطلة خصوصاً في التوحيد وقد كفرهم العلماء والمسلمون عليها.

أضف إليك: من اليقين أن النبي ﷺ مدفون في داره وفي حجرته، والظاهر من هذه النصوص أن الغرفة صارت مزاراً أو محلاً للجميع يدخلونها بدون استئذان من صاحب الدار، ولو كانت الحجرة باقية على حالها لبان في الأدلة، راجع القصص المتقدمة جاءت فاطمة، جاء أعرابي، مرغ بلال، زار الصحابي أبو أيوب الأنصاري...، وهذا دليل على عدم الخلاف في مشروعية الزيارة في ذلك الزمان وثبوت السيرة.

٥ ـ بلال بن رباح مؤذن رسول الله ﷺ سافر من الشام إلى المدينة المنورة لزيارة قبره ﷺ.

أخرجه الحافظ ابن عساكر في (تاريخ الشام) في ترجمة بلال بن رباح بإسناد جيّد عن أبي الدرداء قال: إن بلالاً رأى في منامه رسول الله ﷺ وهو يقول: **ما هذه الجفوة يا بلال؟! أما آن لك أن تزورني يا بلال؟!**

فانتبه حزيناً وجلاً خائفاً فركب راحلته وقصد المدينة،فاتى قبر النبي ﷺ فجعل يبكي ويمرغ وجهه عليه، فأقبل الحسن والحسين عليهما السلام فجعل يضمهما ويقبلهما، فقالا له: نشتهي أن نسمع أذانك الذي كنت تؤذّن به لرسول الله ﷺ، ففعل، فعلى سطح المسجد، فوقف موقفه الذي كان يقف فيه، فلما أن قال: (الله أكبر) إرتجت المدينة، فلما أن قال:

(أشهد أن لا إله إلا الله) ازدادت رجتها، فلما أن قال:(أشهد أن محمداً رسول الله) خرجت العواتق من خدورهن فقالوا: أبُعث رسول الله، فما رُئي يوماً أكثر باكياً ولا باكية بالمدينة بعد رسول الله من ذلك اليوم[1].

---

(١) الحافظ ابن عساكر في تاريخ دمشق ـ ترجمة بلال، وفي شفاء السقام: ١٤١، وذكره

قال السبكي بعد ذكر سنده والاعتماد عليه: وليس اعتمادنا في الاستدلال بهذا الحديث على رؤيا المنام فقط، بل الاعتماد على فعل بلال وهو صحابي، لا سيما في خلافة عمر، والصحابة متوافرون، ولا يخفى عنهم هذه القصة، وعلى منام بلال أيضا ورؤياه للنبي ﷺ الذي لا يتمثل به الشيطان وليس فيه ما يخالف ما ثبت في اليقظة فيتأكد به فعل الصحابي[1].

ويؤيد ما ذكره السبكي ما صح وتواتر عنه ﷺ: «**من رآني في المنام فقد رآني حقاً فإن الشيطان لا يتمثل بي**»[2].

وقد ورد هذا الحديث عن طرق الشيعة والعامة متواتراً بتفاوت في الألفاظ، ففي الأمالي بإسناده عن الحسن بن علي بن فضال، عن أبيه، عن أبي الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام أنه قال له رجل من أهل خراسان: يا بن رسول الله رأيت رسول الله ﷺ في المنام كأنه يقول لي: **كيف أنتم إذا دفن في أرضكم بضعتي، واستحفظتم وديعتي، وغيب في ثراكم نجمي؟** فقال له الرضا عليه السلام: أنا المدفون في أرضكم، وأنا بضعة من نبيكم، وأنا الوديعة والنجم، ألا فمن زارني وهو يعرف ما أوجب الله تبارك وتعالى من حقي وطاعتي، فأنا وآبائي شفعاؤه يوم القيامة، ومن كنا شفعاؤه نجى ولو كان عليه مثل وزر الثقلين الجن والإنس، ولقد حدثني

الحافظ أبو محمد بن عبد الغني المقدسي في (الكمال) في ترجمة بلال، وأبو الحجاج المزي في التهذيب، وذكره ابن الأثير في أسد الغابة ١: ٢٠٨ والسمهودي في وفاء الوفا ٤: ١٣٥٧ وقال: سند جيد، والقسطلاني في المواهب اللدنية ،والخالدي في صلح الإخوان: ٥٧ ،والحمزاوي في مشارق الأنوار: ٥٧.

(١) شفاء السقام: ١٤٢ ط الرابعة.

(٢) المجموع للنووي ٦: ٢٨١.

أبي، عن جدي، عن أبيه عليه السلام أن رسول الله ﷺ قال: **من رآني في منامه فقد رآني، لأن الشيطان لا يتمثل في صورتي، ولا يتمثل في صورة أحد من أوصيائي، ولا في صورة أحد من شيعتهم، وإنّ الرؤيا الصادقة جزء من سبعين جزء من النبوة**[1].

فمن المسلم إنّ من رآى رسول الله ﷺ في منامه إذا كان هو صادقاً ومن الصالحين الذين لا خلاف في صلاحهم وإيمانهم، فرؤياه صادقة وليس باضغاث أحلام ولا تمثيل الشيطان قطعاً، فكيف بك إذا كان الرائي صحابياً مخلصاً وموذّنا لرسول الله ﷺ مثل بلال رضي الله عنه، فإن رؤياه مضافاً إلى عمله دليل آخر على مشروعية الزيارة.

وهذه القصة بمثابة نصٍ في الحث على زيارته ﷺ وشد الرحل إليه، وفي التحذير من الجفاء بترك زيارته ﷺ.

٦ ـ زار الرابع من أوصياء الرسول المصطفى الإمام المعصوم علي بن الحسين عليه السلام قبر جده والتزق به.

ففي الكافي بإسناده عن الباقر عليه السلام قال: كان أبي علي بن الحسين يقف على قبر النبي ﷺ فيسلم عليه ويشهد له بالبلاغ، ويدعو بما حضره، ثم يسند ظهره إلى القبر، ويستقبل القبلة فيقول: (اللهم إليك ألجأت ظهري، وإلى قبر محمد عبدك ورسولك أسندت ظهري، والقبلة التي رضيت لمحمد ﷺ إستقبلت، اللهم إني أصحبت لا أملك لنفسي خير ما أرجو، ولا أدفع عنها شر ما أحذر عليها، وأصحبت الأمور بيدك، فلا فقير أفقر مني، إني لما أنزلت إليّ من خير فقير، اللهم ارددني منك بخير فإنه لا

---

(١) أمالي الصدوق: ١٢١، عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ٢٥٧ / ١١، من لا يحضره الفقيه ٢: ٣٥٠ / ١٦٠٨، ورواه الحمويني في فرائد السمطين ولاحظ إحقاق الحق ١٢: ٣٥٢.

راد لفضلك، اللهم إني أعوذ بك من أن تبدّل اسمي، أو تغيّر جسمي، أو تزيل نعمتك عني، اللهم كرّمني بالتقوى، وجمّلني بالنعم واغمرني بالعافية، وارزقني شكر العافية[١].

هذه سيرة الإمام الذي قد اعترف جميع علماء المذاهب بعلمه وفضله وزهده وتقدمه على الآخرين.

منهم: الشيخ سليمان القندوزي في ينابيع المودة، قال: وأما علي بن الحسين فالناس على اختلاف مذاهبهم مجتمعون على فضله ولا يشك أحد في تقديمه وإمامته[٢].

ومنهم الزهري، قال: لم أرَ هاشميا أفضل من علي بن الحسين، وقد نقل كلامه كثير من علماء القوم، منهم الذهبي وابن تيمية وتلميذه ابن عبد الهادي وابن الجوزي ووو[٣].

ومنهم الشيخ مصطفى رشدي الدمشقي قال: يلقّب بالسجاد لكثرة عبادته، كان إماما وفضله لا يُنكر، وهماماً مناقبه وكراماته جلّت أن تعد أو تحصى[٤].

---

(١) فروع الكافي ٢: ٥٥١ باب دخول المدينة وزيارة النبي ﷺ، الفقيه ٢: ٢١٦ باب من حج ولم يزر النبي و... عنوان إتيان المدينة، وقد حكاها السمهودي في وفاء الوفا وأضاف: ثم يقول ههنا رأس رسول الله ﷺ لاحظ وفاء الوفا ٤: ١٣٦٨.

(٢) ينابيع المودة للشيخ سليمان البلخي القندوزي: ١٥٣ ط إسلامبول.

(٣) تاريخ الإسلام للذهبي ٤: ٣٥ ط مصر، منهاج السنة لابن تيمية الحنبلي ٤: ١٤٤، الصارم المنكي في الرد على السبكي لابن عبد الهادي الحنبلي: ٩٩ ط مطبعة الإمام، التذكرة لابن الجوزي: ٤٣٠ ط الغري.

(٤) الروضة الندية للشيخ مصطفى رشدي الدمشقي: ١٢ ط الخيرية بمصر.

ولو أردنا أن نسرد ما قاله القوم في حقه لصار كتاباً حفيلاً، وبما أن الغرض بيان عمل تابعي من أهل بيت النبوة يعترف القوم بعلمه وفضله وتقدّمه على الآخرين فنكتفي بهذا المقدار من الأقوال حوله.

٧ ـ زار الإمام المعصوم جعفر بن محمد الصادق عليه السلام قبر جده ﷺ ووضع يده عليه.

في الكافي بإسناده عن محمد بن مسعود، قال: رأيت أبا عبد الله عليه السلام إنتهى إلى قبر النبي ﷺ فوضع يده عليه، وقال: (أسأل الله الذي اجتباك واختارك، وهداك وهدى بك، أن يصلي عليك).

ثم قال: (﴿إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾)[1].

فهذا عمل جعفر الصادق عليه السلام الذي اعترف الجميع بصدقه وزهده وحسن خلقه وعلمه وتفوقه على الآخرين.

فلاحظ كلام إمام الحنفية في حقه، قال أبو حنيفة: جعفر بن محمد أفقه من رأيته، ولقد بعث إليّ أبو جعفر المنصور: إنّ الناس قد فتنوا بجعفر بن محمد، فهيّئ له مسائل شداداً، فلخصت أربعين مسألة وبعثت بها إلى المنصور بالحيرة، ثم أبرد إليّ، فوافيته على سريره وجعفر بن محمد عن يمينه فتداخلني من جعفر هيبة لم أجدها من المنصور، فأجلسني،ثم التفت إلى جعفر قائلاً يا أبا عبد الله هذا أبو حنيفة، فقال: أعرفه، ثم قال المنصور: سله ما بدا لك يا أبا حنيفة، فجعلت أسأله ويجيب الإجابة الحسنة ويفحم حتى أجاب عن أربعين مسألة فرأيته أعلم الناس باختلاف

---

(١) فروع الكافي ٢: ٥٥٢ ح ٤ باب دخول المدينة وزيارة قبر النبي ﷺ.

الفقهاء فلذلك أحكم أنه أفقه من رأيت[١].

وقال محمد بن طلحة الشافعي المتوفى ٦٥٢ هجرية في مطالب السَؤول:

وهو ـ أي جعفر بن محمد الصادق ـ من عظماء أهل البت وساداتهم ذو علوم جمة وعبادة موفّرة وأوراد متواصلة وزهادة بينة وتلاوة كثيرة يتّبع معاني القرآن الكريم ويستخرج من بحره جواهره ويستنتج عجائبه ويقسّم أوقاته على أنواع الطاعات بحيث يحاسب عليها نفسه، رؤيته تذكر الآخرة واستماع كلامه يزهّد في الدنيا، والإقتداء بهداه يورث الجنة، نورقسماته شاهد أنّه من سلالة النبوة،وطهارة أفعاله تصدع بأنّه من ذرية الرسالة...

إلى أن قال: وله ألقاب أشهرها الصادق ومنها الصابر والفاضل.

ثم قال: وأما مناقبه وصفاته فتكاد تفوت عدد الحاصر ويحار في أنواعها فهم اليقظ الباصر، حتى أنّ من كثرة علومه المفاضة على قلبه من سجال التقوى صارت الأحكام التي لا تدرك عللها والعلوم التي تقصر الافهام عن الإحاطة بحكمها، تضاف إليه وتروى عنه، وقد قيل: إنّ كتاب الجفر الذي بالمغرب يتوارثه بنو عبد المؤمن هو من كلامه، وإنّ هذه لمنقبة سنية ودرجة في مقام الفضائل عليه، وهي نبذة مما نقل عنه[٢].

وفي أخبار القضاة للقاضي ابن حبان الأندلسي مسنداً عن إبن شبرمة، قال: دخلت أنا وأبو حنيفة على جعفر بن محمد، فسلمت عليه، وكنت له صديقاً، ثم أقبلت على جعفر، فقلت: أمتع الله بك،هذا رجل من أهل

---

(١) جامع مسانيد أبي حنيفة للخوارزمي ١: ٢٢٢ ط حيدر آباد، وفي الجواهر المضّية لابن أبي الوفاء ٢: ٤٨٦ ط حيدر آباد.

(٢) مطالب السؤول لابن طلحة العدوي الشافعي:٢٨٣ ـ ٢٨٤ مؤسسة البلاغ بيروت.

العراق له فقه وعقل، فقال جعفر: لعله الذي يقيس الدين برأيه، ثم أقبل عليّ فقال: النعمان بن ثابت؟ فقال أبو حنيفة: نعم، أصلحك الله، فقال: إتق الله ولا تقس الدين برأيك، فإن أول من قاس إبليس إذ أمره الله بالسجود لآدم، فقال: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾.

ثم قال له جعفر: هل تحسن أن تقيس رأسك من جسدك، فقال لا، قال: فأخبرني عن الملوحة في العينين وعن المرارة في الأذنين، وعن الماء في المنخرين وعن العذوبة في الشفتين لأي شيء جعل ذلك؟ قال: لا أدري.

قال جعفر: الله خلق العينين، فجعلها شحمتين، وجعل الملوحة فيها مناً منه على ابن آدم ولولا ذلك لذابتا، فذهبتا، وجعل المرارة في الأذنين مناً منه عليه، ولولا ذلك لهجمت الدواب فأكلت دماغه، وجعل العذوبة في الشفتين ليجد ابن آدم طعم لذة مطعمه ومشربه.

ثم قال له جعفر: أخبرني عن كلمة أولها شرك، وآخرها إيمان، قال: لا أدري، قال: لا إله إلا الله.

ثم قال له: أيّما أعظم عند الله قتل النفس أو الزنا؟ قال: قتل النفس، قال له جعفر: إنّ الله ﷻ قد رضي في قتل النفس بشاهدين ولم يقبل في الزنا إلاّ بأربعة، ثم قال: فما بال المرئة إذا حاضت، تقضي الصيام، ولا تقضي الصلاة،إتق الله يا عبد الله إنا نقف نحن وأنت غداً ومن خالفنا بين يدي الله جل وعز، فنقول: قال رسول الله ﷺ، ويقول أنت وأصحابك: قال سمعنا ورأينا، ففعل بنا وبكم ما يشاء[1].

وقال الخطيب التبريزي العمري: كان من سادات أهل البيت، روى عن أبيه وغيره، سمع منه الأئمة الأعلام نحو يحيى بن سعيد وابن جريج

---

(١) أخبار القضاة لابن حيان الأندلسي: ٧٧ ط مطبعة الاستقامة ـ القاهرة.

ومالك بن أنس والثوري وابن عيينة وأبو حنيفة[١].

وأضاف بن طلحة: شعبة وأيوب السختياني وغيرهم وعدّوا أخذهم عنه منقبة شُرّفوا بها وفضيلة اكتسبوها[٢].

فلاحظت يا عزيزي الباحث كلمات أئمة المذاهب حول شخصية الصادق العظمى ومقامه العلمي وثقافته وزهده وسائر صفاته، الإمام المعصوم الذي أذهب الله عنه الرجس وطهره تطهيراً، فقد وصل إلى مرحلة من الوثوق والاعتماد بحيث قد أخذ منه وسمع منه جميع أهل المذاهب أعلامها وفقهاؤها، فمن كان قوله وفعله حجة على العالمين، فما بال المخالف للزيارة لم يأخذ بسيرته وعمله وزيارته لجده المصطفىووضع يده الشريفة على القبر الشريف.

٨ ـ زار الإمام المعصوم موسى بن جعفر الكاظم قبر جده ﷺ.

روى الخطيب البغدادي بسنده قال: حج هارون الرشيد، فأتى قبر النبي ﷺ زائراً له وحوله قريش وافياء القبائل، ومعه موسى بن جعفر فلما انتهى إلى القبر قال: السلام عليك يا رسول الله يا ابن عمي، افتخاراً على من حوله، فدنا موسى بن جعفر فقال: السلام عليك يا أبة، فتغير وجه هارون وقال: هذا الفخر يا أبا الحسن حقاً[٣].

ورواه البدخشي أيضاً في مفتاح النجا وقال: وسبب حبسه ـ أي موسى بن جعفر ـ أنّه لما حج الرشيد ودخل المدينة توجه إلى زيارة النبي ﷺ ومعه الناس فتقدم إلى قبر رسول الله ﷺ فقال: السلام عليك يا رسول الله السلام عليك يابن عم مفتخراً بذلك على غيره، فتقدم موسى بن جعفر عليه السلام

---

(١) إكمال الرجال للخطيب العمري: ٦٢٣ ط دمشق.

(٢) مطالب السَؤول البن طلحة:٢٨٣.

(٣) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ١٣: ٣١ ط دار الكتاب العربي.

فقال: السلام عليك يا رسول الله السلام عليك يا أبة، فتغير وجه الرشيد وتبيّن الغيظ فيه، فقبض على موسى وذهب به معه إلى بغداد وحبسه زماناً طويلاً، ثمّ أمد السندي بن شاهك حتى سمه فوعك موسى عليه السلام ومات بعد ثلاثة أيام[١].

ورواه الحافظ الگنجي أيضاً في كفاية الطالب[٢].

وهذه الزيارة صدرت من إمام معصوم من أبناء رسول الله ﷺ الذي أذعن جميع أعلام المذاهب بصلاحه وزهده وعلمه.

ومن هارون الرشيد الخليفة العباسي المسمى عند العامة بأمير المؤمنين.

١٠ـ وروي عن الحسن البصري كما يقول النبهاني في الأنوار المحمدية من المواهب اللدنية، أنه قال: وقف حاتم الأصم على قبر النبي ﷺ فقال: يا رب إنا زرنا قبر نبيك فلا تردنا خائبين فنودي: يا هذا ما آذنا لك في زيارة قبر حبيبنا، إلا وقد قبلناك فارجع أنت ومن معك من الزوار مغفوراً لكم[٣].

١١ـ وذكر القسطلاني أنه وقف أعرابي على قبره الشريف، وقال: اللهم إنك أمرت بعتق العبيد، وهذا حبيبك وأنا عبدك، فاعتقني من النار على قبر حبيبك، فهتف به هاتف يا هذا تسأل العتق لك وحدك، هلاّ سألت لجميع الخلق،إذهب قد أعتقناك من النار[٤].

---

(١) مفتاح النجا في مناقب آل العبا: ١٧٥، مخطوط.

(٢) كفاية الطالب لمحمد بن يوسف الگنجي الشافعي: ٤٥٧ ط دار إحياء التراث أهل البيت.

(٣) المواهب اللدنية ٣: ٤١٢، السيرة النبوية للبيومي مهران: ١١٧.

(٤) المواهب اللدنية ٣: ٤١٢.

وهذه القصة أيضاً وما قبلها وما بعدها تثبت ما رمنا الوصول إليه من إثبات شيوع زيارة قبر النبي ﷺ في ذلك الزمان مع غض النظر عن شخصية الزائر، أعني حاتم الأصم أو الأعرابي، وأنه مستحق لمجيء النداء إليه أم لا؟ ومع غض النظر عن محل صدور النداء.

وبعبارة أخرى إن هذه القصص من الأدلة الإلزامية لمن ينكر شيوع الزيارة في ذلك الزمان.

١٢ـ في فتوح الشام: إن عمر لما صالح أهل بيت المقدس، وقدم عليه كعب الأحبار وأسلم، وفرح عمر بإسلامه، قال عمر له: هل لك أن تسير معي إلى المدينة وتزور قبر النبي ﷺ وتُمتّع بزيارته؟

فقال لعمر: أنا افعل ذلك، ولما قدم عمر المدينة أول ما بدأ بالمسجد وسلم على رسول الله ﷺ[١].

١٣ـ روى كثير من المؤرخين والمحدثين، ومنهم ابن عبد البر القرطبي في الاستيعاب[٢] والبلاذري[٣] وابن عبد ربه[٤] وابن عساكر وابن أثير باختلاف في اللفظ: أن زياد بن أبيه أراد الحج، بعد استلحاقه معاوية بن أبي سفيان بأبيه، فأتاه أخوه أبو بكرة، وهو لا يكلمه، فأخذ إبناً له فأجلسه في حجره ليخاطبه ويُسمع زياداً، فقال: إن أباك فعل وفعل، وأنه يريد الحج، وأم حبيبة زوج رسول الله ﷺ هناك، فإن أذنت له، فأعظم بها

---

(١) المواهب اللدنية ٣: ٤١٢، فتوح الشام ١: ١٤٨، ذكر فتح بيت المقدس، وراجع وفاء الوفا ٤: ١٣٥٧.

(٢) الإستيعاب ٢: ١٠٢ رقم ٨٢٩ ط دار الكتب العلمية بيروت.

(٣) أنساب الأشراف للبلاذري ١: ٤٩٣ رقم ٩٩٣.

(٤) العقد الفريد لابن عبد ربه ٥: ١٣ أخبار زياد، وراجع شفاء السقام: ١٤٥، والسيرة النبوية للبيومي مهران: ١٣٠، ووفاء الوفا ٤: ١٣٥٩.

مصيبة وخيانة لرسول الله ﷺ وإن حجبته فأعظم بها حجة عليه، فقال زياد: ما تدع النصيحة لأخيك، وترك الحج تلك السنة، هكذا حكاه البلاذري.

وحكى إبن عبد البر في ذيل هذه القصة أقوالا ثلاثة: أحدها:أنه حج ولم يزر من أجل قول أبي بكرة. والثاني: أنه دخل المدينة وأراد الدخول على أم حبيبة، فذكر قول أبي بكرة فانصرف. والثالث: أن أم حبيبة حجبته[1].

وبأيّ نحو كان انصرافه وعدم زيارته، فالقصة على كل تقدير تشهد أن زيارة الحاج لقبر رسول الله ﷺ كانت معهودة في ذلك الوقت، وإلا فكان زياد يمكنه الحج من غير طريق المدينة، بل هي أقرب إليه، لأنه كان بالعراق، ولكن كان إتيان المدينة عندهم أمراً لا يترك.

بل إن بعض الروايات تصرّح بذلك،لأن أبا بكرة قال لابن أخيه: يا بني قل لأبيك إنك تريد الحج، ولابد من قدومك إلى المدينة.

وفي بعضها:... وهو مارّ بالمدينة لا محالة....

١٤ـ وهذا ابن عمر كلما قدم من السفر أتى قبر النبي ﷺ فسلم عليه.

روى عبد الرزاق في مصنفه بإسناد صحيح في باب السلام على قبر النبي ﷺ: أن ابن عمر كان إذا قدم من سفر أتى قبر النبي ﷺ فقال: السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا أبا بكر، السلام عليك يا أبتاه[2].

---

(١) الاستيعاب لابن عبد البر القرطبي ٢: ١٠٢ ط دار الكتب العلمية.

(٢) المصنف لعبد الرزاق ٣: ٥٧٦ ح ٦٧٢٥، المجموع للنووي ٨: ٢٧٢، وفاء الوفا للسمهودي ٤: ١٣٥٨، المواهب اللدنية ٣: ٤١١.

وفي الموطأ إن ابن عمر كان يقف على قبر النبي ﷺ فيصلي على النبي ﷺ وعلى أبي بكر وعمر[١].

وروي عن أبي عون قال: سأل رجل نافعاً: هل كان ابن عمر يسلم على القبر؟

قال: نعم، لقد رأيته مأة مرة أو أكثر من مأة مرة، كان يأتي القبر فيقوم عنده، فيقول: السلام على النبي، والسلام على أبي بكر، والسلام على أبي[٢].

وقد رواه السبكي وصححه من وجوه كثيرة،وذكر إسناده إلى مالك بن أنس،عن نافع،عن ابن عمر[٣].

وأنت حين تلاحظ هذه الرواية ترى فيها كلمة القبر، فلا يمكن إذن للمانعين أن يوجهوا عمل ابن عمر ويأولوا كلمة القبر بالمسجد، فإنه لا معنى في السلام على المسجد، ولكن الذي في قلبه مرض وكان بنائه على العناد لا يمتنع من هذه التأويلات الباطلة والمضحكة ولا يستحي من الله.

١٥ـ وزار أيوب السختياني مرقد النبي ﷺ.

روى أبو القاسم طلحة بن محمد في مسند أبي حنيفة عن أبي حنيفة، قال: جاء السختياني فدنا من قبر النبي ﷺ فاستدبر القبلة، وأقبل بوجهه إلى القبر، وبكى بكاء غير متباك.

ورواه أيضاً المجد اللغوي عن عبد الله المبارك، قال سمعت أبا حنيفة يقول: قدم أيوب السختياني وأنا بالمدينة، فقلت: لأنظرّن ما يصنع،

---

(١) الموطأ لمالك: ٨٣ ط دار الكتب العلمية ـ بيروت.

(٢) الشفاء للقاضي عياض ٢: ٨٦ ط دار الكتب العلمية، وفاء الوفا ٤: ١٣٥٨.

(٣) شفاء السقام: ١٦٧.

فجعل ظهره مما يلي وجه رسول الله ﷺ وبكى غير متباك، فقام مقام رجل فقيه[١].

وهذه الرواية أيضاً تدل على صحة شد الرحال، لأن السختياني لم يكن في المدينة.

١٦ـ زار الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام قبر جده المصطفى ﷺ وألزق منكبه الشريف بالقبر.

وإليك أيضاً نبذة من إعترافات القوم بحقه وزهده وتقدمه على الآخرين.

قال ابن الصباغ المالكي في الفصول المهمة؛ قال إبراهيم بن العباس: سمعت العباس يقول: ما سئل الرضا عن شيء إلا علمه ولا رأيت أعلم منه بما كان في الزمان إلى وقت عصره، وكان المأمون يمتحنه بالسؤال عن كل شيء فيجيبه الجواب الشافي.

وكان قليل النوم كثير الصوم، لا يفوته صيام ثلاثة أيام في كل شهر، ويقول: (ذلك صيام الدهر)، وكان كثير المعروف والصدقة سراً، وأكثر ما يكون ذلك منه في الليالي المظلمة وكان جلوسه في الصيف على حصير وفي الشتاء على مسح[٢].

ورواه الشبلنجي في نور الأبصار[٣]، والزبيدي الحنفي في إتحاف السادة المتقين، وقال في مدحه: صدوق، روى له ابن ماجة[٤].

---

(١) وفاء الوفا ٤: ١٣٧٧.

(٢) الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي: ٢٣٣ ط الغربي.

(٣) نور الأبصار للشبلنجي: ٢٠٨ ط العثمانية بمصر.

(٤) إتحاف السادة المتقين ٧: ٣٦٠ ط الميمنية بمصر.

فمن كان هذا وصفه عند المخالفين،فقوله وفعله حجة لجميع المسلمين، وإليك نبذة من عمله:

روى الشيخ الصدوق في العيون، عن أبيه، عن سعد بن عبد الله، عن أحمد بن محمد، عن الحسن بن علي بن فضال، قال: رأيت أبا الحسن الرضا عليه السلام وهو يريد أن يودّع للخروج إلى العمرة، فأتى القبر من موضع رأس النبي صلى الله عليه وآله بعد المغرب، فسلم على النبي صلى الله عليه وآله ولزق بالقبر، ثم انصرف حتى أتى القبر،فقام إلى جانبه يصلي، فألزق منكبه الأيسر بالقبر قريباً من الأسطوانة المخّلقة التي عند رأس النبي صلى الله عليه وآله، فصلّى ست ركعات أو ثمان ركعات[1].

١٧ـ إبراد عمر بن عبد العزيز البريد بالسلام على الرسول صلى الله عليه وآله.

وقد استفاض عن عمر بن عبد العزيز أنه كان يبرد البريد من الشام يقول: سلم لي على رسول الله صلى الله عليه وآله.

وروي عن حاتم بن وردان قال: كان عمر بن عبد العزيز يوجه البريد قاصداً من الشام إلى المدينة ليقرئ عنه النبي صلى الله عليه وآله السلام[2].

وذكره أيضاً الإمام أبو بكر أحمد بن عمر بن أبي عاصم النبيل في (مناسك) له لطيفة جردها من الأسانيد، ملتزماً فيها الثبوت، قال فيها: وكان عمر بن عبد العزيز يبعث بالرسول قاصداً من الشام إلى المدينة

---

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ١٧، وحكاه عنه في البحار ٨٠: ٣١٤، ولاحظ كامل الزيارات لابن قولويه: ٢٦.

(٢) الشفاء للقاضي عياض ٢: ٨٥، وشعب الإيمان للبيهقي ٣: ٠٤٩٢، والقسطلاني في المواهب اللدنية ٣: ٤٠٦ ط دار الكتب العلمية بيروت، ووفاء الوفا ٤: ١٣٥٧.

ليقرئ النبي ﷺ السلام ثم يرجع[١].

قال السبكي بعد ذكر هذه الروايات: فسفر بلال في زمن الصحابة ورسول عمر بن عبد العزيز في زمن صدر التابعين من الشام إلى المدينة، لم يكن إلا للزيارة والسلام على النبي ﷺ ولم يكن الباعث على السفر غير ذلك، لا من أمر الدنيا ولا من أمر الدين، ولا من قصد المسجد ولا من غيره، وإنما قلنا ذلك لئلا يقول بعض من لا علم له: إن السفر لمجرد الزيارة ليس بسنة! وسنتكلم على بطلان ذلك في موضعه[٢].

ولا يخفى أن سفر بلال ورسول عمر بن عبد العزيز وهكذا الأعرابي الذي نقله العتبي كان مختصاً لزيارة قبر رسول الله ﷺ، وأما من سافر إلى المدينة لحاجة أخرى وزار النبي ﷺ عند قدومه، أو اجتمع في سفره قصد الزيارة مع قصد آخر، فكثير.

منها: ما رواه القاضي عياض في الشفاء عن يزيد بن أبي سعيد المهري قال: قدمت على عمر بن عبد العزيز،فلما ودعته قال لي: (لي إليك حاجة) إذا أتيت المدينة سترى قبر النبي ﷺ فأقرأه مني السلام[٣].

قال السبكي: وورد هذا عن غير عمر بن عبد العزيز أيضاً: قال أبو الليث السمرقندي الحنفي في (الفتاوى) في باب الحج، قال أبو القاسم: لما أردت الخروج إلى مكة قال القاسم بن غسان: إن لي إليك حاجة، إذا أتيت قبر النبي ﷺ فاقرئه مني السلام، فلما وضعت رجلي في مسجد النبي ذكرت[٤].

---

(١) شفاء السقام: ١٤٣ ط الرابعة.

(٢) شفاء السقام: ١٤٣ ط الرابعة.

(٣) الشفاء للقاضي عياض ٢: ٨٥ ط دار الكتب العلمية بيروت، شعب الإيمان للبيهقي ٣: ٤٩٢.

(٤) شفاء السقام: ١٤٤ ط الرابعة.

قال الفقيه: فيه دليل أن من لم يقدر على الخروج، فأمر غيره ليسلم على النبي ﷺ عنه، فإنه ينال فضيلة السلام إن شاء الله تعالى[١].

وفي فتوح الشام أنه لما كان أبو عبيدة منازلاً بيت المقدس، أرسل كتاباً إلى عمر مع ميسرة بن مسروق يستدعيه الحضور، فلما قدم ميسرة مدينة رسول الله ﷺ دخلها ليلاً، ودخل المسجد وسلم على قبر رسول الله ﷺ وعلى قبر أبي بكر[٢].

وقال الخفاجي الشافعي: كان من دأب السلف أنهم يرسلون السلام إلى رسول الله ﷺ، وإنه كان يبلغه سلام من سلم عليه، وإن كان بعيداً عنه، لكن في الزيارة فضيلة خطابه عنده ورده عليه السلام بنفسه[٣].

أقول: وهكذا كان دأب المسلمين السلف إلى زماننا هذا، فإن من لم يقدر منهم على الحج والزيارة، يوصي من وفقه الله لحج بيته وزيارة قبر نبيه ﷺ مع الاشتياق والتحسّف، بأن يبلّغ النبي ﷺ منه السلام وأن ينوب عنه في الزيارة.

فلو كانت زيارته ﷺ غير مشروعة لما فعل هذا الخيل العظيم وفيهم علماء وعقلاء صلحاء، ولا نرى من يخالفهم ويمنعهم من أهل العلم والمعرفة، إلا من ثبت عنادهم ومحاربتهم لهذا الأمر العظيم الذي هو من أهم شعائر الله، ومخالفة من كان هذا حاله لا تضر بهذه السيرة المستمرة ولا تؤثر في قلوب أحد من المسلمين فضلا عن المؤمنين،بل كلما ازدادت مخالفتهم ومحاربتهم له،كثر أهله وعظم شأنه وازداد المؤمنون إيماناً ويقيناً

---

(١) شفاء السقام: ١٤٤.

(٢) فتوح الشام لابن عساكر ١: ١٤٨ ذكر فتح بيت المقدس.

(٣) شرح الشفاء للخفاجي ٣: ٥٦٦ ط المطبعة العثمانية، وانظر السيرة النبوية للبيومي ٣: ١٣١.

وولهاً واشتياقاً لزيارة نبي التوحيد ﷺ الذي بنوره قد اهتدوا وبسببه قدخرجوا من ظلمات الجهل والضلالة إلى نور المعرفة والهداية.

﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفواهِهِمْ وَيَأْبَى اللهُ إِلاَّ أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ .

كراهة مالك

وأما ما ذكره الخصم من كراهة مالك، فقد تقدم الجواب عنه، وتقدم أيضاً مناظرته مع أبي جعفر المنصور وما اشتمل عليه من الزيارة والتوسل بالنبي ﷺ وحسن الأدب معه.

ويؤيد عدم مخالفة مالك للزيارة ما ذكره القاضي عياض في الشفاء من عمل مالك: قال بعضهم: رأيت أنس بن مالك أتى قبر النبي ﷺ فوقف فرفع يده، حتى ظننت أنه افتتح الصلاة، فسلم على النبي ﷺ ثم انصرف[1].

فكيف يمكن نسبة الكراهة له مع ما تقدم منه من الزيارة والأدب عند قبره ﷺ.

كلام بعض الأعلام حول كراهة مالك

قال البيومي: ومن المعروف أن الإمام مالك، كما يقول الدكتور المالكي في كتابه (مفاهيم يجب أن تصحح) من أشد الناس تعظيماً للجناب النبوي، وهو الذي كان لا يمشي في المدينة منتعلاً ولا راكباً، ولا يقضي

---

(١) الشفاء للقاضي عياض ٢: ٨٥ ط دار الكتب العلمية بيروت، شعب الإيمان للبيهقي ٣: ٤٩١.

فيها حاجته، إحتراماً وتعظيماً وتكريماً لتراب المدينة الذي مشى عليه رسول الله ﷺ، ومن ثم فمن شدة تعظيمه للمدينة كره أن يقال زرنا قبر النبي ﷺ، وكأنه أراد أن يقول القائل: زرنا النبي ﷺ مباشرة، دون لفظ القبر، لأن القبر مهجور بدليل قوله ﷺ: «**صلّوا في بيوتكم ولا تجعلوها قبوراً**»[١].

وقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري شرح صحيح البخاري: إن الإمام مالك إنما كره اللفظ أدباً، لا أصل الزيارة، فإنها من أفضل الأعمال، وأجل القربات الموصلة إلى ذي الجلال، وإن مشروعيتها محل إجماع بلا نزاع والله الهادي إلى الصواب[٢].

وقال أبو عمران الحافظ ابن عبد البر صاحب الاستيعاب على ما حكاه عنه القاضي عياض: إنما كره مالك أن يقال طواف الزيارة وزرنا قبر النبي ﷺ لاستعمال الناس ذلك بعضهم لبعض، أي فيما بينهم فكره تسوية النبي ﷺ مع الناس، أي عمومها بهذا اللفظ،وأحب أن يخص بأن يقال:سلمنا على النبي ﷺ.

وأيضاً فإن الزيارة مباحة بين الناس،وواجب شد المطي إلى قبره ﷺ، ـ يريد بالوجوب هنا وجوب ندب وترغيب وتأكيد لا وجوب فرض ـ[٣].

ثم قال القاضي عياض: الأولى عندي أن منعه وكراهة مالك له لإضافته إلى القبر، أي قبر النبي ﷺ وأنه لو قال زرنا النبي لم يكرهه لقوله ﷺ:

---

(١) السيرة النبوية للبيومي ٣: ١١١.

(٢) فتح الباري في شرح صحيح البخاري لابن حجر ٣: ٥٤.

(٣) الاستيعاب لابن عبد البر القرطبي كما حكاه القاضي عياض في الشفاء ٢: ٨٤.
ويؤيد قوله (لا وجوب فرض) ما ورد في بعض الأخبار من أنّ غسل الجمعة واجب أي ثابت في الشريعة، وقوله تعالى: ﴿فإذا وجبت جنوبها﴾ أي ثبتت.

«اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد بعدي إشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» فحَمَى إضافة هذا اللفظ إلى القبر والتشبه بفعل أولئك قطعاً للذريعة، وحسماً للباب والله أعلم[1].

قال البيومي في سيرته: ويقول الدكتور المالكي: لو كان المقصود كراهية الزيارة لقال مالك: أكره للرجل أن يزور قبر النبي ﷺ لكن ظاهر قوله: (أكره للرجل أن يقول...) على أن المقصود هو كراهة التعبير بهذا اللفظ فقط، وذلك لأن الزيارة في الحقيقة ليست للقبر، وإنما هي لساكن القبر وصاحبه، ألا وهو سيد الأنبياء والمرسلين، وأفضل مخلوقات الله أجمعين، النبي الأعظم والرسول الأكرم سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ.

وفي الواقع لعل المنكرين لزيارة المسلمين لقبر نبيهم، يسألون أنفسهم قبل أن يسيئوا الظن بالمسلمين ممن يُشرّفون بزيارة المصطفى ﷺ وقبل أن يتهموهم بأسوأ التُهَم.

أقول: يسألون أنفسهم: ما قيمة القبر بدونه ﷺ، بل كما قال الدكتور المالكي، ما هي قيمة المسجد بدونه ﷺ، بل ما هي قيمة المدينة المنورة بدونه ﷺ، بل ما هي قيمة المسلمين كلهم بدونه ﷺ، فإنهم لولاه ولولا رسالته والإيمان به ومحبته والإقرار بالشهادة التي لا تصح إلا به، ما كانوا ولا قاموا ولا فازوا ولا نجوا.

ومن هنا فإنّ ابن عقيل الحنبلي لما سئل عن المفاضلة بين الحجرة والكعبة فقال: ـ كما جاء في بدائع الفوائد لابن القيم ـ إن أردت مجرد الحجرة فالكعبة اشرف، وإن اردت وهو ﷺ فيها، فلا والله، ولا العرش وحملته ولا جنة عدن ولا الأفلاك الدائرة، لأن بالحجرة جسداً، لو وزن بالكونين لرجح، ومن هنا قال العلماء: إنه لا ينبغي أن يقول زرت القبر:

---

(١) الشفاء للقاضي عياض ٢: ٨٤.

وإنما يقول زرت النبي ﷺ.

وروى الدارمي في مسنده عن نبيه بن وهب أن كعباً دخل على عائشة فذكروا رسول الله ﷺ فقال كعب: ما من يوم يطلع إلا نزل سبعون ألفاً من الملائكة حتى يحفوا بقبر النبي ﷺ يضربون بأجنحتهم ويصلون على رسول الله ﷺ حتى إذا أمسوا عرجوا، وهبط مثلهم فصنعوا مثل ذلك، حتى إذا انشقت عنه الأرض خرج في سبعين ألفاً من الملائكة يزفونه. إنتهى[1].

عزيزي القارئ: قد ذكرت لك هذه الكلمات من الأعلام حول مالك وكراهته ليثبت لك ويطمئن قلبك بأن غرضه ليس المنع من الزيارة،بل على جميع الاحتمالات والوجوه يرجع كلامه إلى التأدب الزائد مع رسول الله، ولو كان مالك يعلم بأن كلامه يصير سبباً للشبهة ويستفاد منه سوءاً لما قاله أصلاً، وقد ذكرنا كلمات أخرى للأعلام لما فيها من الفوائد وتقوية لأدلة الزيارة.

نسبة المنع من الزيارة إلى أهل البيت عليهم السلام

فإن قال الخصم: إنه قد ورد المنع من الزيارة من أهل البيت عليهم السلام، فقد روى عبد الرزاق في مصنفه بسنده إلى الحسن بن الحسن بن علي عليهما السلام: أنه رأى قوماً عند القبر فنهاهم.

وقال: إن النبي ﷺ قال: **«لا تتخذوا قبري عيداً، ولا تتخذوا بيوتكم قبوراً، وصلوا علي حيث ما كنتم فإن صلاتكم تبلغني»**[2].

---

(١) السيرة النبوية للدكتور محمد بيومي مهران ٣: ١١١ ـ ١١٣.

هذا ملخص ما قاله الاعلام حول كراهة مالك وإذا شئت التفصيل فراجع شفاء السقام: ١٦٩، فقد بحث عن كلام مالك مفصلاً.

(٢) المصنف لابن عبد الرزاق ٣: ٥٧٧ توزيع المكتب الإسلامي.

وقد ورد هذا الحديث بنفس الطريق باختلاف في اللفظ وهو:

عن حسن بن حسن بن علي أنه رأى رجلاً وقف على البيت الذي فيه قبر النبي ﷺ يدعو له ويصلي عليه، فقال للرجل: لا تفعل، فإن رسول الله ﷺ قال: «**لا تتخذوا بيتي عيداً، ولا تجعلوا بيوتكم قبوراً، وصلّوا علي حيث ما كنتم، فإن صلاتكم تبلغني**»[1].

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة وابن عساكر ٤: ٢١٧ وانظر سير أعلام النبلاء للذهبي ٤ : ٤٣٨.

وقال الذهبي في ذيل هذا الحديث: هذا مرسل وما استدل حسن في فتواه بطائل من الدلالة، فمن وقف عند الحجرة المقدسة ذليلاً مسلّماً، مصلياً على نبيه فيا طوبى له فقد أحسن الزيارة، وأجمل في التذلل والحب، وقد أتى بعبادة زائدة على من صلى عليه في أرضه أو في صلاته، إذ الزائر له أجر الزيارة وأجر للصلاة عليه والمصلّي عليه في سائر البلاد له أجر الصلاة فقط، فمن صلى عليه واحدة صلى الله عليه عشراً، ولكن من زاره صلوات الله عليه وأساء أدب الزيارة، أو سجد للقبر أو فعل ما لا يشرع، فهذا فعل حسناً وسيئاً فيُعلّم برفق، والله غفور رحيم؛ فو الله ما يحصل الانزعاج لمسلم، والصياح وتقبيل الجدران وكثرة البكاء، إلاّ وهو محبّ لله ولرسوله؛ فحبه المعيار والفارق بين أهل الجنة وأهل النار؛ فزيارة قبره من أفضل القرب.

وشد الرحال إلى قبور الأنبياء والأولياء، لئن سلّمنا أنّه غير مأذون فيه لعموم قوله صلوات الله عليه «**لا تشدوا الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد**» فشدّ الرحال إلى نبينا ﷺ مستلزم لشد الرحل إلى مسجده، وذلك مشروع بلا نزاع، إذ لا وصول إلى حجرته إلا بعد الدخول إلى مسجده، فليبدأ بتحية المسجد، ثم بتحية صاحب المسجد، رزقنا الله وأياكم ذلك آمين.

قال محقق هذا الكتاب: قصد المؤلف رحمه الله بهذا الاستطراد الردّ على شيخه

قلنا: إن هذا الحديث على فرض صحته والغض عن سنده، ـ لأن الذهبي قد أورده في ترجمته في سير أعلام النبلاء وقال بعد نقله: هذا مرسل ـ، فإنه ليس ناظراً إلى المنع والإنكار عن أصل الزيارة،كيف وإنّ أهل البيت عليهم السلام قد شيدوا هذا الأمر العظيم وأمروا الناس ورغبوهم في الزيارة، وقد صدرت منهم الأحاديث الكثيرة التي تقدم بعضها في الحث على زيارة خير المرسلين صلى الله عليه وآله وأهل بيته المعصومين وسائر الأنبياء والمرسلين والصلحاء والمؤمنين.

بل هذا الحديث ناظر إلى الإرشاد والتعليم بالنحو الصحيح والطريقة الوسطى من الزيارة حتى لا يقع الإفراط والتفريط فيها.

ومن المحتمل والذي يستفاد من جملة «رأى قوماً عند القبر» إنّ القوم كانوا جالسين عند القبر ومتخذين حلقة للذكر والعبادة عاكفين في ذلك المكان، فنهاهم وأرشدهم إلى الصحيح ويؤيده قوله: «**لا تتخذوا بيوتكم قبوراً**» أي لا تتركوا العبادة والذكر والصلاة في بيوتكم، وهناك احتمالات أُخر تستفاد من كلمة «العيد» أيضاً سنذكرها في الكلام حول أدلة المانعين، وعلى كل الاحتمالات فالحديث ليس ناظراً للمنع أصلاً.

ونظير هذا الحديث ما ورد عن الإمام زين العابدين عليه السلام وقد رواه القاضي إسماعيل في كتابه: فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله بسنده إلى علي بن الحسين بن علي عليهما السلام: إن رجلاً كان يأتي كل غداة، فيزور قبر النبي صلى الله عليه وآله ويصلي عليه، ويصنع من ذلك ما انتهره عليه علي بن الحسين فقال له علي بن الحسين: ما يحملك على هذا؟

ابن تيمية الذي يقول بعدم جواز شد الرحل لزيارة قبر النبي صلى الله عليه وآله ويرى أن على الحاج أن ينوي زيارة المسجد النبوي كما هو مبين في محلّه.

قال: أحب التسليم على النبي ﷺ.

فقال علي بن الحسين عليه السلام: هل لك أن أحدثك حديثاً عن أبي؟ قال: نعم!

فقال له علي بن الحسين: أخبرني أبي، عن جدي أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تجعلوا قبري عيداً، ولا تجعلوا بيوتكم قبوراً، وصلوا علي وسلموا حيث ما كنتم، فسيبلغني سلامكم وصلاتكم**»[1].

ومن هذا الحديث نفهم أن الرجل كان قد زاد في الحد، وخرج عن الأمر المسنون، ويحتمل أنه كان يترك أموره اليومية وما يحتاج فيه إلى معيشته وعياله، كما صدر عن بعض المتكلفين الجاهلين المفرطين الخارجين عن النظام المتعارف في أفعالهم، وأراد الإمام عليه السلام تعليمه وإرشاده إلى المتعارف وتعديل طريقته، ولأجله قال: إن السلام يبلغ من البعيد أيضاً، لما رآه يتكلف من الإكثار في الحضور.

والحاصل: إنه ليس من الممكن أن يمنع الأئمة من أهل البيت عليهم السلام من أمر قد حثّوا وأكّدوا عليه وبينوا فضائله وثوابه، وكيف يتخيل في أحد من السلف منعهم من زيارة المصطفى ﷺ وهم مجمعون على زيارة سائر الموتى، وقد تقدمت أحاديثها، فالنبي ﷺ وسائر الأنبياء الذين ورد في حقهم أنهم أحياء، وقد ثبتت حرمتهم أحياءً وأمواتاً، كيف يُقال فيهم هذه المقالة؟!

هذا وسيأتي الكلام إن شاء الله مفصلاً في هذا الحديث، وفي قوله ﷺ: «**لا تجعلوا قبري عيداً ولا تجعلوا بيوتكم قبوراً**» وهكذا في حديث: «**لا تشد الرحال إلا الى ثلاثة مساجد**»، وأمثال هذه الأحاديث التي جعلها المانعون حجة أخرى لمنعهم من الزيارة وتكفير المسلمين وإيذائهم، والحال أنها لا تدل على مقصودهم.

---

(١) فضل الصلاة على النبي ﷺ للقاضي إسماعيل: ٣٣، ولاحظ وفاء الوفا ٤: ١٣٦٧.

الزيارة ليست من مختصات الشيعة

قد اتضح لك حتماً من خلال ما تقدم من الأدلة والبيانات حول الزيارة، ـ خصوصاً مع ما قدمناه من الاستدلال على مذاهب أهل السنة ونقل أقوال علمائهم وإجماعهم ـ أن مسألة الزيارة والاهتمام بها ليست من مختصات الشيعة فقط، بل هي من المسائل المتفق عليها والملتزم بها عند جميع فرق المسلمين على اختلاف مذاهبهم وقد وقع عملهم وسيرتهم سلفاً وخلفاً عليها إلى زماننا هذا.

ومع هذا الاتفاق، فليس من الانصاف ولا من الوجدان ولا من الدين، أن تتوجه الاتهامات والافتراءات في الزيارة عليهم.

فمنهم من يقول: نجد الرافضة يعطلون المساجد التي أمر الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه فلا يصلون فيها جمعة ولا جماعة وليس عندهم كبير حرمة وإن صلوا فيها صلوا فيها وحدانا، ويعظمون المشاهد المبنية على القبور، فيعكفون عليها مشابهة للمشركين.... [1]

ومنهم من يقول: الرافضة عبّاد القبور، وإنهم يقولون أنها سيرة علوية ويلتزمون بهذه السيرة ويتركون السنة والفريضة المكتوبة[2]....

ومنهم من يقول: وبهذا الغلّو الذي رأيت من طائفة الشيعة في أئمتهم وبهذا التأليه الذي سمعت منهم لعلي وولده، عبدوا القبور وأصحاب القبور وأشادو المشاهد، وأتوها من كل مكان سحيق وفج عميق[3]....

---

(١) منهاج السنة لابن تيمية ١٠: ١٣١.

(٢) النقض لأبي الرشيد الرازي ١: ٦٤٢.

(٣) الصراع بين الوثنية والإسلام للقصيمي ١: ٥٤

وقال في موضع آخر: الأشياء المشروعة، كالصلاة والسلام على الرسول الكريم لا فرق فيها بين النائي والقريب، فإنها حاصلة في الحالتين، وأما مشاهدة القبر الشريف نفسه ومشاهدة الأحجار نفسها فلا فضل فيها ولا ثواب بلا خلاف بين علماء الإسلام، بل إن مشاهدته عليه الصلاة والسلام حينما كان حياً لا فضل لها بذاتها وإنما الفضل في الإيمان والتعلم منه والإقتداء به والنهج منهجه ومناصرته، وبالإجمال أن أحداً من الناس لن يستطيع أن يثبت لزيارة القبر الشريف فضلاً ما وهذا واضح من سيرة المسلمين الأولين[1]... .

وما لاحظته من الكلمات الشنيعة هي نبذة من مخاريقهم وافتراءاتهم على شيعة آل محمد ﷺ، وإنك لو أمعنت النظر وتأملت فيها لما رأيت لها دليلاً وتوجيهاً إلا العداوة والبغضاء لصاحب الشريعة السمحاء وأهل بيته النجباء.

فإنك لو سافرت إلى بلدانهم لرأيت مساجدهم عامرة مجللة مملوة من المصلين في جمعتهم وجماعاتهم وثبت لك كذب المفترين. هذا بالنسبة إلى المساجد.

وأما الغلو فإن الشيعة بريئون ممن غلى في حق علي والأئمة من أولاده عليهم السلام وقد حكموا على الغلاة بالكفر، كما أن أئمتهم قد تبرئوا منهم وأمروا بقتلهم وتطهير الأرض منهم.

لكن عدم الغلو لا ينافي الاهتمام في زيارتهم وتعظيم شأنهم وتشييد مراقدهم لأنّه ـ كما قدّمنّا ـ بأمر من الله جل جلاله ورسوله ﷺ وليس من أنفسهم، فإن قصدهم من هذه الأمور هو تعظيم من عظّمه الله وأوجب تعظيمه، كما قال سبحانه: ﴿وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللهِ فَإِنَّهَا مِنْ

---

(١) الصراع بين الوثنية والاسلام للقصيمي ١: ١٧٨

﴿تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾، وإطاعة الله والتقرب إليه، فهذه الإعمال من مقويات أركان التوحيد والتوجه بالله وعبادته كما هو المشاهد في مشاهدهم.

فإن من يزورهم ويحضر في مشاهدهم يكون أكثر ذكراً لله وأكثر عبادة له، وترى أن مشاهدهم المعظمة قدصارت سبباً لتقوية الدين وتجذيره في قلوب المسلمين وابتعادهم عن الشيطان الرجيم وأتباعه أعداء الدين.

فأين الشباهة بالمشركين؟!!! وأي عملهم عبادة للقبور؟!! وأيهم ترك سائر الواجبات مثل الحج بسبب إتيان هذه السنة الحسنة؟!! أما ترى عددهم الكثير في موسم الحج؟! ولوسمح لهم ووسع لهم المجال لازداد عددهم في كل سنة أكثر فأكثر.

فإن المحقق المنصف المطلع على أحوال المسلمين خاصة شيعة أمير المؤمنين عليه السلام لا يرى لهذه الكلمات الشنيعة دليلاً إلا العدوان ولا ينتفع منها إلا الشيطان.

والذي يثير الحيرة والعجب كثرة جرأتهم على الرسول الكريم وعلى أهل بيته المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين بحيث جعلوا مشاهدة قبره الشريف والأحجار العادية سواء لا فضل فيها ولا ثواب وادعوا عدم الخلاف فيه بين علماء الإسلام وجعلوا رتبته أقل من رتبة العلماء والمؤمنين، فإن النظر لوجه العالم عبادة بادعائهم والنظر إليه صلى الله عليه وآله ومشاهدته لا فضل لها!!!.

هل يجوز لمن أسلم وجهه لله وهو محسن وآمن بالنبي صلى الله عليه وآله وما جاء به من كتاب وسنة وتخلّق بمكارم الأخلاق أن يتفوه بمثل هذه الأكاذيب؟

وهل يجوز له أن يسوي بين مشاهدة الأحجار وبين رؤية قبر النبي المختار صلى الله عليه وآله؟

وهل يجوز له أن ينكر الفضل لمشاهدته حياً ويجعل رؤيته كرؤية عامة

الناس؟ أيصح له أن لا يرى لزيارته حياً وميتاً فضلاً ولا كرامة؟

أليست من سيرة البشر وكل ملة من الأمم المتقدمة إلى زماننا أن تستعظم كبرائها وزعمائها ومن كان لهم دورٌ في حضارتها وتقدمها، في حال حياتهم وبعد مماتهم ويقدرونهم، ويرون هذا التعظيم فخراً لهم، وأداءً لحق تلك الشخصيات.

ويحققون هذا التعظيم بزيارتهم حياً وميتاً وتقديسهم والتبرك بهم واتخاذ الذكريات السنوية من أجل تجليلهم وتخليد كلمتهم وفكرتهم، وتراهم يعظمون أولادهم وعشيرتهم وكل ما له نسبة إليهم.

هل من الدين والإنصاف تنزيل شخصية الرسول المصطفى وأهل بيته النجباء صلوات الله عليهم أجمعين عن تلك الشخصيات.

والحال أنّ الجميع قد اعترفوا بفضلهم وجلالتهم وعظم شأنهم ومقامهم عند الله سبحانه واعترفوا بتقدمهم على الآخرين؟

وهل من الإنصاف أن يفترى على الشيعة بسبب العمل بوظائفهم وتعظيمهم لنبيهم وأهل بيته بالغلوّ وأمثال تلك الكلمات الشنيعة، والحال أن هذا التعظيم والزيارة غير منحصر بهم.

بل ترى المسلمين من سائر المذاهب يعظمونهم ويعظمون علمائهم وشخصياتهم في حال حياتهم وبعد مماتهم.

فإن كتب التاريخ والتراجم التي كتبها علماء المذاهب أحسن دليل وشاهد لما قلنا من عدم انحصار التعظيم بهم، بل هي سيرة مستمرة بين جميع الأمم والمذاهب.

وما سيوافيك هي نبذة من تلك الموارد:

رأس الحسين عليه السلام في مجلس يزيد

ذكر أبو إسحاق الإسفرايني الشافعي عن زين العابدين عليه السلام أنه قال: لمّا أتي برأس أبي ليزيد كان يتخذ في مجلسه الخمر والرأس بين يديه في طشت من الذهب مغطاة بمنديل حرير، فبينما هو جالس ذات يوم وحوله أكابر دولته وهم يشربون الخمر والرأس بين أيديهم إذ دخل عليهم رسول ملك الروم وكان من أشرف الروم وأعظمها وكان يأتي ليزيد بالكتب من عند ملكهم، فسلم على يزيد ومن حوله، وأعطاه كتاباً كان معه، ثم جلس وتحدث معهم وهم على تلك الحالة ورأس الحسين بينهم في الطشت، فاستعظم ذلك.

فقال ليزيد: لم تشربون الخمر وهذا الرأس بينكم فلمن هي؟

فقال: لا تسئل عما لا يعنيك.

فقال: أريد أن أخبر ملكنا بما أنتم عليه، لأنه يسألني عن كل شيء رأيته فلهذا أريد أن تخبرني بقضية هذا الرأس حتى أشارككم في الفرح والسرور.

فقال له يزيد: هذا رأس خارجي خرج على عاملي في البصرة والعراق. فقال له: ومن يكون هذا الخارجي؟

قال: الحسين بن علي، فقال: من أمه؟

قال: فاطمة الزهراء بنت محمد.

فقال: أفٍ لك ولتدينك يا يزيد الآن ديني أحسن من دينك.

فقال: لماذا؟، قال له: أبي كان من حواري داود وبيني وبينه أكثر من أربعين جداً، فمن ذلك النصارى يعظموني ويأخذون من تراب أقدامي تبركاً بي، وأنتم تفعلون بابن بنت نبيكم هذه الفعال وما بينه وبينه جد،

فأي دين دينكم؟

ثم قال: يا يزيد هل سمعتم حديث كنيسة الحافر؟

قال: لا، فقال: إعلم إن بين عمان والصين بحر مسيرة سنة ليس فيه عمران إلا بلدة في وسط الماء ثمانين فرسخا في ثمانين، ما على وجه الأرض أكبر منها ومنها يحمل الياقوت والكافور وأشجارها العود والعنبر وهي في أيدي النصارى وفي تلك البلدة كنائس كثيرة وأعظمها كنيسة حافر، محرابها حلقة ذهب معلقة وفيها حافر مرصع بالدمع والياقوت،ومن حوله الذهب والفضة،وليس بائناً منه شيئاً من كثرة الذهب والفضة والحلي إلى أسفله، وتعظيم هذا الحافر يكون بسبب زعمهم أنه حافرحمار كان يركبه عيسى عليه السلام وكثير منهم يقصدون زيارته في كل عام ويطوفون حوله ويقبلونه ويرفعون حوائجهم إلى الله عنده، فهذا شأنهم ودأبهم بحافر حمار يزعمون أن نبيهم كان يركبه، وهذا نبيكم حقاً لا شك فيه وقد هداكم من الضلالة إلى الهدى ومن ظلمة الكفر إلى نور الإسلام،وأبو المقتول هو الساقي على الحوض يوم القيامة، فلا بارك الله فيك ولا في فعلك!!.

فغضب يزيد غضباً شديداً وقال أقتلوه لئلا يفضحنا.

فلما سمع ذلك، قال أتريد قتلي؟ قال: نعم.

فقال: اعلم إني رأيت نبيكم في المنام وقد ضمن لي الجنة فتعجبت من كلامه، ثم قال ليزيد: تقتل ابن نبيكم وتزعم أنك على دين الإسلام، فأنا أشهد أن لا إلا الله وأن محمداً رسول الله، ثم تقدم إلى الرأس وضمّه وقبّله وبكى، ثم قُتل رضي الله عنه وهو يقول وا خجلة الإسلام من أضداد ظفروا به وقوم المسيح يعظمون حافر حماره[1].

---

(١) نور العين في مشهد الحسين عليه السلام أبو إسحاق الإسفراييني: ٨١ ط المنار ـ تونس، ولاحظ كتاب الإمام الحسين للدكتور محمد بيومي مهران: ١٥٥.

ونظيرها قصة أخرى وقعت في مجلس يزيد.

وهي قصة رأس الجالود اليهودي: فإنه دخل على يزيد وكان حكيمه فقال: ما هذا الرأس؟ فقال له: رأس خارجي.

فقال: وما اسمه؟ فقال الحسين، فقال ولم قتلته؟ قال: أراد أن يأخذ الخلافة.

فقال له: ويلك يا يزيد إنما هو أحق بالخلافة، أما تعلم إن بيني وبين النبي داود أربعين جداً واليهود يعظمونني ويتبركون بي،وأنتم بالأمس كان محمد فيكم كريماً واليوم قتلتم أولاده وسبيتم حريمه، ثم سحب سيفه وحمل على يزيد ليقتله، فحال بينهما الحاضرون فدنا اليهودي من الرأس وقبلها.

وقال لعن الله قاتلك وخصمه جدك يعز علي أن لا أكون أول شهيد استشهد بين يديك ولكن إذا لقيت جدك فاقرءه مني السلام،وأخبره أني على قول أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله.

فقال له يزيد: والله لولا أني أحتاج إليك لأجل أمراضي لقتلتك شر قتلة، فقال له: والله لا أداويك إلا بما يُزيد أمراضك، فأمر بضرب عنقه رحمه الله تعالى[1].

نبذة من تعظيم المسلمين علمائهم

منهم: أبو مسهّر الغساني هو أبو مسهّر عبد الأعلى الدمشقي الغساني المتوفى سنة ٢١٨ هجرية.

نقل الخطيب البغدادي عن عبد الرحمن أبي حاتم، قال سألت عن أبي مسهّر، فقال: ثقة... كنت أرى أبا مسهر إذا خرج إلى المسجد إصطف

---

(١) نور العين في مشهد الحسين عليه السلام أبو إسحاق الاسفرايني: ٦٦ ،ولا حظ كتاب الإمام الحسين للدكتور بيومي مهران: ١٥٥ ط دار النهضة العربية بيروت.

الناس يسلمون عليه ويقبلون يده[١].

ومنهم: شيخ الحرم الزنجاني.

قال أبو سعيد السمعاني: طاف الزنجاني الآفاق، ثم جاور وصار شيخ الحرم، وكان حافظاً محققاً ورعاً كثير العبادة صاحب كرامات وآيات... إلى أن قال: كان أبو القاسم سعد بن علي شيخ الحرم الزنجاني المتوفى سنة ٤٧٦ هجرية، إذا خرج إلى الحرم يخلو المطاف ويقبلون يده أكثر مما يقبلون الحجر الأسود[٢].

وقال ابن كثير في تاريخه:كان الناس يتبركون به ويقبلون يده أكثر مما يقبلون الحجر الأسود[٣].

ومنهم: أبو إسحاق الشيرازي.

كان أبو إسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي المتوفى سنة ٤٧٦ هجرية كلما مر على بلدة خرج أهلها يتلقونه بأولادهم ونساءهم يتبركون به، ويتمسحون بركابه، وربما أخذوا من تراب حافر بغلته، ولما وصل إلى ساوة خرج إليه أهلها وما مر بسوق منها إلا نثروا عليه من لطيف ما عندهم حتى اجتاز بسوق الأكاسفة، فلم يكن عندهم إلاّ مداساة الصغار، فنثروها عليه، فجعل يتعجب من ذلك[٤].

وفي شذرات الذهب: قال له المقتدر: وما يدريني أنك الخليفة ولم أرك قبلها، فتبسم وطلب من عرفه به، وتراكب الناس عليه في بلاد العجم

---

(١) تاريخ الخطيب البغدادي: ١١: ٧٣.

(٢) تذكرة الحفاظ للذهبي ٣: ٣٤٦، صفة الصفوة لابن الجوزي ٢: ١٥١.

(٣) البداية والنهاية ١٢: ١٢٠.

(٤) البداية والنهاية لابن كثير ١٢: ١٢٣.

حتى تمسحوا بأطراف ثيابه وتراب نعليه[١].

ومنهم: الشريف أبو جعفر الحنبلي

كان الشريف أبو جعفر الحنبلي المتوفى سنة ٤٧١ هجرية يدخل عليه الفقهاء وغيرهم يقبلون يده ورأسه،ولما مات دفن إلى جنب أحمد بن حنبل، فاتخذت العامه قبره سوقاً كل ليلة أربعاء يترددون إليه ويقرؤن الختمات عنده[٢].

ومنهم: الحافظ عبد الغني المقدسي

هو الحافظ أبو محمد عبد الغني بن عبد الوهاب المقدسي الحنبلي المتوفى ٦٠٠ هـ،كان إذا خرج في عصر يوم الجمعة إلى الجامع لا يقدر يمشي من كثرة الخلق يتبركون به ويجتمعون حوله[٣].

ومنهم: عبد الكريم الحنبلي، هو أبو بكر عبد الكريم بن عبد الله الفارسي الزاهد الحنبلي المتوفى ٦٣٥هجرية.

قال ابن النجار: كان شيخاً صالحاً متديناً منقطعاً عن الناس في قريته يقصده الناس لزيارته والتبرك به، وكان حوله جماعة من الفقراء ويضّيف من يمرّ به[٤].

ومنهم: شيخ الإسلام أبو عبد الله اليونيني الحنبلي.

هو الحافظ أبو عبد الله محمد بن أبي الحسين اليونيني الحنبلي المتوفى سنة ٦٥٨ قال الذهبي: نال من الحرمة والتقدم مالم ينله أحد، وكانت

---

(١) شذارت الذهب ٣: ٣٥٠ ط دار الفكر ـ بيروت.

(٢) البداية والنهاية ١٢: ١١٩ ط دار الفكر ـ بيروت.

(٣) شذرات الذهب ٤: ٣٤٦ ط دار الفكر بيروت.

(٤) شذرات الذهب ٥: ١٧١.

الملوك تقبّل يده وتقدّم مداسه[١].

ومنهم: الشيخ المغربي.

قال الذهبي: وكان لأهل دمشق في الشيخ مسعود بن عبد الله المغربي المتوفى ٩٨٥هـ كبير اعتقاد يتبركون به ويقبلون يديه،وكان الشيخ يحيى العمادي يزوره.

قال النجم الغزّي: ولقد دعالي ومسح على رأسي، وأنا أجد بركة دعائه الآن[٢].

هذا في زيارة وتبرك عوام الناس بالعلماء الأحياء ومن يظنون أنه من رجال الدين ومن أصحاب الكرامة، كما أن سيرتهم استمرت على احترام وتبجيل الأموات من علمائهم.

منهم: الجزري.

ففي مفتاح السعادة:كان الجزري محمد بن محمد المتوفى سنة ٨٣٢ توفي بشيراز، وكانت جنازته مشهودة تبادر الأشراف والخواص والعوام إلى حملها وتقبيلها ومسها تبركاً بها، ومن لم يمكنه الوصول إلى ذلك كان يتبرك بمن تبرك بها[٣].

ومن بعد ذكر سيرة الناس والعقلاء في تعظيم واحترام وزيارة كبرائهم وعظمائهم والتبرك باثارهم وذكر بعض الشخصيات الذين كان الناس يعظمونهم ويزورنهم ويتبركون بهم، فما ظنك بزيارة سيد ولد آدم ومن نيطت به سعادة البشر ورقيه وتقدمه؟

---

(١) شذرات الذهب ٥: ٢٩٤.

(٢) شذرات الذهب ٨: ٤٠٩.

(٣) مفتاح السعادة ١: ٣٩٤.

وما ظنك بشخصية تفتخر ملائكة السماوات بزيارة قبره الشريف في كل يوم، فما من يوم يطلع إلا نزل سبعون ألفاً من الملائكة حتى يحفوا بقبره ﷺ ويصلون عليه حتى إذا أمسوا عرجوا وهبط مثلهم،فصنعوا مثل ذلك،حتى إذا انشقت عنه الأرض[1].

وكم من فرق بين كلام أُولئك المخالفين وبين قول الحافظ السبكي بأن من المعلوم من الدين وسير السلف الصالحين التبرك ببعض الموتى من الصالحين فكيف بالأنبياء والمرسلين؟! ومن ادعى أن قبور الأنبياء وغيرهم من أموات المسلمين سواء فقد أتى أمراً عظيماً نقطع ببطلانه وخطأه فيه، وفيه حطّ لدرجة النبي ﷺ إلى درجة من سواه من المسلمين وذلك كفر متيقن، فإن من حط رتبة النبي ﷺ عما يجب له فقد كفر[2].

عزيزي القارئ قد تقدمت كلمات سائر الأعلام حول زيارة خير الأنام فلا نعيدها، لكن بعد وقوفك على بطلان وسخافة ما قاله أُولئك المخالفين في هجومهم على الشيعة، وعلمت أن الزيارة سيرة متداولة بين جميع فرق المسلمين، وأنهم يزورون ويعظمون كبرائهم وأئمتهم وصلحائهم ويتبركون بهم وينذرون لهم، حياً وميتاً، فضلاً عن النبي ﷺ وعترته الطاهرة، وبعد علمك بان لا اختصاص في هذا الأمر العظيم للشيعة.

يتبين لك أن تخصيص الشيعة بهذه الافتراءات،كلها ناشئة عن الحقد والبغضاء والعداوة لشيعة آل محمد صلوات الله عليهم أجمعين، ومن أجل

---

(١) هذا حديث أخرجه الدارمي في سننه ١: ٤٤ وذكره القسطلاني في (المواهب اللدنية) وابن حجر في الجوهر المنظم عن الدارمي ،وابن المبارك وإسماعيل القاضي، والبيهقي، وذكر الزرقاني في (شرح المواهب) ٥: ٣٤٠ ما أسقط منه القسطلاني، وذكره الحمزاوي في كنز المطالب: ٢٢٣.

(٢) شفاء السقام: ٢٥٠ ط الرابعة.

محبتهم وموالاتهم لأهل بيت النبوة الذين أمر الله ونبيّه جميع المسلمين بحبهم والتمسك بهم وإطاعتهم وحذّر عن التخلف عنهم وعداوتهم، فهذه العداوات ترجع إلى العداوة إلى آل محمد عليهم السلام، وإلا فلا فرق بين الشيعة وسائر فرق المسلمين في هذه المسألة أصلاً.

وإنك ترى كثيراً من أبناء العامة يزورون قبور الأئمة من أهل البيت وأولادهم ويتبركون بهم لما يرون لهم من الكرامات والفضل عند الله وللإعتقاد بتقدمهم على الآخرين.

وإذا شئت مزيد الإطلاع والوقوف على سيرة العامة أكثر مما قدمناه لك، وإنها لا اختصاص لها بالشيعة، فاعلم أن هناك قبوراً قصدها المسلمون عامة، بالزيارة والتبرك وقضاء الحاجات، في جميع القرون إلى هذا اليوم، وهي متفرقة في البلدان والأقطار، قد تعرض لذكرها وسردها في الكتب، علماء الإسلام من المذاهب الأربعة، ولهم حولها كلمات تعطي الباحث وطالب الحقيقة دروساً عالية، ومن جهات مختلفة، ويقف في مطالعتها على فوائد كثيرة.

منها: عرفان سيرة المسلمين وشعارهم في القرون الماضية حول زيارة القبور والتوسل والتبرك بها والدعاء والصلاة لديها، وختم القرآن لمدفونيها، وأنها ليست مختصة بالشيعة، وإليك نبذة منها:

مزارات المسلمين

١ـ مزار بلال الحبشي بن حمامة مؤذن رسول الله صلى الله عليه وآله.

قبره بدمشق في باب الصغير، قال ابن جبير في رحلته: وفي رأس القبر المبارك تاريخ بإسمه رضي الله عنه، والدعاء في هذا الموضع المبارك مستجاب، قد

جرّب ذلك كثير من الأولياء وأهل الخير المتبركين بزيارتهم[١].

وفي قرب قبر بلال مزارات آل بيت الرسول ﷺ، مثل قبر السيدة سكينة بنت الحسين عليها السلام وقد زرتها ورأيت سائر الناس يقصدونها بالزيارة وطلب الحوائج.

٢ ـ مزار سلمان الفارسي:

الصحابي العظيم الذي ورد في حقه عنه ﷺ: «**إن الجنة تشتاق إلى ثلاثة: علي وعمار وسلمان**»[٢].

وقال النبي ﷺ: «**سلمان منّا أهل البيت**»[٣].

وقال ابن حجر فيه: هو أبو عبد الله سلمان الفارسي، ويقال له سلمان الخير، مولى رسول الله ﷺ، أصله من فارس، سافر لطلب الدين، وتنصّر، وقرأ الكتب، وله أخبار طويلة نفيسة، ثم تنقّل حتى انتهى إلى رسول الله ﷺ، فآمن به وحسن إسلامه، وكان رأساً في أهل الإسلام وقال فيه رسول الله ﷺ: «**سلمان منا أهل البيت**»، ولاّه عمر المدائن وكان من المعمرين[٤].

قال الخطيب البغدادي في تاريخه: قبره الآن ظاهر معروف بقرب أيوان كسرى عليه بناء وهناك خادم مقيم لحفظ الموضع وعمارته والنظر في أمر

---

(١) رحلة ابن جُبير: ٢٢٩ ط دار الكتاب اللبناني.

(٢) المنتظم لابن الجوزي ٣: ٢٧٨ ط دار الفكر ـ بيروت، سبل السلام لابن حجر العسقلاني ١: ٧٧.

(٣) البداية والنهاية حكاه عن الترمذي من حديث الحسن، عن أنس.

(٤) سبل السلام لابن حجر ١: ٧٧.

مصالحه، وقد رأيت الموضع وزرته غير مرة[١].

وقال ابن الجوزي في المنتظم: قال الفلانسي وسمنون: زرنا قبر سلمان وانصرفنا[٢].

وفي زهد سلمان، قال ابن الجوزي: دخل سعد بن أبي وقاص على سلمان يعوده، فقال سعد: ما يبكيك يا أبا عبد الله؟ توفي رسول الله ﷺ وهو عنك راض، وترد عليه الحوض؟ قال: فقال سلمان رضي الله عنه: أمّا إني ما أبكي جزعاً من الموت ولا حرصاً على الدنيا، ولكن رسول الله ﷺ عهد إلينا فقال: «**ليكن بلغة أحدكم من الدنيا مثل زاد الركب**» وحولي هذه الأساور.

قال: وإنما حوله إجانة وجفنة ومطهرة!.

قال: فقال له سعد: يا أبا عبد الله إعهد إلينا بعهد نأخذه، فقال: يا سعد أذكر الله عند همك إذا هممت، وعند حكمك إذا حكمت وعند يدك إذا قسمت.

ولما اشتد مرض سلمان وكان قد أصاب صرّة مسك يوم جلولاء، فقال لامرأته هاتها فمرسها في ماء، ثم قال! انضحيها حولي، فإنه يأتيني زوار الآن يجدون الريح ولا يأكلون الطعام، فلم يمكث إلا قليلاً حتى مات[٣].

أقول: وفي جنبه قبر حذيفة اليماني صاحب سرّ رسول الله ﷺ لقربه منه ووثوقه ﷺ به، ومن كان يعرف المنافقين، حيث أخبره رسول الله ﷺ

---

(١) تاريخ الخطيب البغدادي ١: ١٦٣ ط دار الفكر ـ بيروت.

(٢) المنتظم لابن الجوزي ٥: ٧٥.

(٣) المنتظم ٣: ٢٧٩ ط دار الفكر.

بأسماء المنافقين الذين نحسوا الناقة ليلة العقبة بتبوك، وله ضريح يزار أيضاً ويتبرك به.

٣ ـ مزار طلحة بن عبيد الله المقتول يوم الجمل.

قال ابن بطوطة في رحلته: مشهد طلحة بن عبيد الله أحد العشرة، وهو بداخل المدينة وعليه قبة ومسجد، وزاوية فيها الطعام للوارد والصادر، وأهل البصرة يعظمونه تعظيماً شديداً،وحقّ له، ثم عدّ مشاهد في البصرة لجملة من الصحابة والتابعين فقال: وعلى كل قبر منها قبة مكتوب فيها اسم صاحب القبر ووفاته[١].

٤ ـ الزبير بن العوام.

قال فيه ابن الجوزي: فمن الحوادث في سنة ٣٨٦ أن أهل البصرة في شهر المحرم ادعوا أنهم كشفوا عن قبر عتيق فوجدوا فيه ميتاً طرياً بثيابه وسيفه، وأنه الزبيربن العوام، فأخرجوه وكفّنوه ودفنوه بالمربد بين الدربين، وبنى عليه الأثير أبو المسك عنبر بناءً وجعل الموضع مسجداً، ونقلت إليه القناديل والآلات والحصر والسمّادات وأقيم فيه قوّام وحفظة ووقف عليه وقوفاً[٢].

ولا يخفى على القارئ الفطن إن درج قبور مثل طلحة والزبير وغيرهما ليس دليلاً على تأييدهم ومدحهم وليس تأييداً لما قيل وادعي فيهم، لأنهم من الذين حاربوا إمام زمانهم أمير المؤمنين ووصي رسول

---

(١) رحلة ابن بطوطة: ٢٠٣ ط دار الكتب العلمية ـ بيروت.

(٢) المنتظم لابن الجوزي ٩: ٣٩ ط دار الفكر ـ بيروت.

رب العالمين، وقد أخبر النبي الزبير بذلك بقوله: «**تقاتله وأنت ظالم له**»[١]، بل لغرض بيان أن زيارة القبور كان شائعاً ومتداولاً بين فِرَق المسلمين بلا خلاف من أحد منهم.

٥ ـ مزار الصحابي أبي أيوب الأنصاري:

الذي استقبل رسول الله وضيّفه حين وروده المدينة ونصره.

قال الحاكم في المستدرك: يتعاهدون ـ أي أهل الروم ـ قبره ويزرونه ويستسقون به إذا قحطوا. وذكره ابن الجوزي في صفة الصفوة[٢].

وقال الخطيب البغدادي في تاريخه: قال الوليد: حدثني شيخ من أهل فلسطين: أنه رأى بنيّة بيضاء دون حائط القسطنطنية فقالوا: هذا قبر أبي أيوب الأنصاري صاحب النبي ﷺ فأتيت تلك البنيّة فرأيت قبره في تلك البنية وعليه قنديل معلق بسلسلة[٣].

وفي تاريخ ابن كثير: قال الواقدي: مات أبو أيوب بأرض الروم سنة ٥٢هـ ودفن في القسطنطنية وقبره هناك يستسقي به الروم إذا قحطوا، وقيل: إنه مدفون في حائط القسطنطنية وعلى قبره مزار ومسجد وهم ـ أي الروم ـ يعظمونه[٤].

وقال الذهبي في الدول الإسلامية: فالروم تعظم قبره ويستشعفون إلى اليوم به[٥].

---

(١) نور الأبصار للشبلنجي: ٤٥ دار الكتب العلمية ـ بيروت.

(٢) المستدرك للحاكم ٣: ٤٥٨ ، صفوة الصفوة لابن الجوزي ١: ١٨٧.

(٣) تاريخ الخطيب ١: ١٥٤ ط دار الفكر ـ بيروت.

(٤) تاريخ ابن كثير ٨: ٥٩.

(٥) الدول الإسلامية للذهبي ١: ٢٢.

٦ـ مزار وصي الرسول المصطفى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في النجف:

فقد دفن في البقعة المعروفة بأنها مدفن آدم أبي البشر ونوح صفي الله ـ كما يستفاد من الروايات ومن زيارته (السلام عليك وعلى ضجيعيك آدم ونوح) ـ بعد ما ضربه أشقى الأشقياء ابن ملجم المرادي على رأسه الشريف في محرابه في مسجد الكوفة.

وكان دفن جثمانه الشريف سراً وليلاً وقد أخفي قبره من الأعداء إلى زمن الرشيد، فقد روي أن الرشيد خرج يوماً إلى الصيد فأتى إلى موضع قبره الآن، فأرسل فهداً على صيد فتبع الفهد الصيد إلى موضع القبر، فوقف ولم يتجاوزه، فعجب الرشيد من ذلك، فحضر إليه رجل وقال: يا أمير المؤمنين، إن دللتك على قبر علي بن أبي طالب عليه السلام؟ قال: كل كرامة، قال: هذا قبره.

قال له: من أين علمت؟ قال: كنت أخرج مع أبي فيزوره وأخبرني أنه كان يجيء معه جعفر الصادق فيزوره، وأن جعفراً كان يجيء مع علي بن الحسين فيزوره وأن الحسين أعلمهم أن هذا قبره، فتقدم الرشيد بأن يحجر عليه ويبنى، فكان أول من بنى هو، ثم تزايد البناء[1].

ورواه بهذا المضمون ابن أبي الدنيا وأضاف أن الرشيد كان يزوره في كل عام إلى أن مات[2].

---

(١) جواهر المطالب للباعوني الشافعي: ٩٦ النسخة مصورة من مكتبة الرضوي بخراسان ولاحظ احقاق الحق ٣٢: ٦٦٧.

(٢) وسيلة النجاة للمولوي محمد مبين الهندي: ١٨٩ ط مطبعة گلشن فيض في لكنهو.

وعن عاصم، عن الأعمش قال: أخرج ـ أي جثمان علي عليه السلام ـ ليلاً مع أهل بيته الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر ودفن بظاهر الكوفة[١].

وقال محمود شلبي في كتابه حياة الامام علي عليه السلام: الأصح أن قبره هو الموضع الذي يزار ويتبرك به عليه السلام[٢].

وقال ابن أبي الحديد المعتزلي: إن أولاد الرجل أعرف بقبره، وأولاد كل الناس أعرف بقبور آبائهم من الأجانب، وقد سئل الحسين بن علي عليه السلام: أين قبرتم أمير المؤمنين؟ قال عليه السلام: خرجنا به ليلاً من منزله بالكوفة حتى مررنا به على الأشعث، حتى انتهينا به إلى الظهير بجانب الغري وهناك قُبِرَ عليه السلام. ثم قال وهذا القبر هو الذي زاره بنوه لما قدموا إلى العراق وفي طليعتهم جعفر الصادق ابن محمد الباقر، وقد مضى على أثر جعفر الصادق في زيارة القبر الشريف كل أولاد وأحفاد وأولياء الإمام[٣].

وفي فصل الخطاب للبخاري، روى الحاكم عن أبي عبد الله الحافظ أنه بلغه قال علي للحسن والحسين عليهما السلام: إذا مت أنا فاحملاني على سرير ثم ائتياني الغري وهو نجف الكوفة فإنكما تريان صخرة بيضاء تلمع نوراً فاحتفرا فإنكما تجدان فيها ساحة فادفناني فيها[٤].

أقول هذه نبذة من الأقوال الكثيرة في كون قبره عليه السلام هو نفس الموضع الموجود حالياً، ذكرتها دفعاً لبعض الأوهام التي طرحتها السن الأعداء.

---

(١) جواهر المطالب ٩٦: ٣٤٤.

(٢) حياة الإمام علي عليه السلام ـ محمود شلبي: ١٢٩ ط دار الجيل ـ بيروت.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٤.

(٤) فصل الخطاب للبخاري، حكاه عنه القندوزي في ينابيع المودة: ٣٧٢ ط اسلامبول، ورواه عن الحاكم الآمر تسري في أرجع المطالب: ٦٦٩ ط لاهور.

ويكفيك دليلاً على فضائله وكراماته وما ظهرت من المعجزات عند قبره لزائريه، ما ذكره أحد علماء العامة ابن بطوطة في رحلته.

كلام ابن بطوطة في فضل زيارته:

قال: وهذه الروضة ظهرت لها كرامات، لأن بها قبر علي عليه السلام.

فمنها: أن ليلة السابع والعشرين من رجب، وتسمى عندهم ليلة المحيا يؤتى إلى تلك الروضة بكل مقعد من العراقين وخراسان وبلاد فارس والروم.

فيجتمع منهم الثلاثون والأربعون ونحو ذلك، فإذا كان بعد العشاء الآخر جُعلوا فوق الضريح المقدس، والناس ينتظرون قيامهم، وهم ما بين مصل وذاكر وتالٍ ومشاهد للروضة.

فإذا مضى من الليل نصفه أو ثلثاه أو نحو ذلك، قام الجميع أصحاء من غير سوء وهم يقولون: (لا إله إلا الله محمد رسول الله، علي ولي الله) وهذا أمر مستفيض عندهم سمعته من الثقات.

ولم أحضر تلك الليلة لكني رأيت بمدرسة الضياف ثلاثة من الرجال أحدهم من أرض الروم، والثاني من إصبهان، والثالث من خراسان، وهم مقعدون، فاستخبرتهم عن شأنهم، فأخبروني أنهم لم يدركوا ليلة المحيا، وأنهم منتظرون أوانها من عام آخر. وهذه الليلة يجتمعون لها الناس من البلاد، ويقيمون سوقاً عظيماً مدّة عشرة أيام[1].

هذا وقد ظهرت واشتهرت مثل هذه الكرامات والمعجزات في مشاهد الائمة من ولده عليهم السلام، واكتفينا بذكر هذه القصة، لان من حكاها من العامة.

---

(١) رحلة ابن بطوطة: ١٩٥ ط دار الكتب العلمية.

٧ ـ مزار إبراهيم بن أدهم.

يقال فيه إنه نبذ الملك وترك الدنيا، قبره في جبلة من نواحي الشام.

قال ابن بطوطة: على قبر إبراهيم بن أدهم زاوية فيها بركة ماء، وبها الطعام للصادر والوارد، وخادمها إبراهيم الجحمي من كبار الصالحين، والناس يقصدون هذه الزاوية ليلة النصف من شعبان من سائر أقطار الشام ويقيمون بها ثلاثاً، ويقوم بها خارج المدينة سوق عظيم فيه من كل شيء، ويقدم الفقراء المجردون من الآفاق لحضور هذا الموسم، وكل من يأتي من الزوار لهذه التربة يعطي شمعة لخادمها فيجتمع من ذلك قناطير كثيرة[١].

٨ ـ مزار الصحابي الجليل الشهيد حجر بن عدي.

أحد أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام وقد أخبر بشهادته الرسول المصطفى بقوله ﷺ: «**سيقتل بعذراء أناس يغضب الله لهم وأهل السماء**»[٢].

وروى المقريزي عن عبد الله بن وزير الغافقي، قال: سمعت علي بن أبي طالب عليه السلام يقول: (يا أهل العراق سيقتل منكم سبعة نفر بعذراء، مثلهم كمثل أصحاب الأخدود)، فقتل حجر وأصحابه....

ثم حكى المقريزي عن البيهقي أنه قال: لا يقول علي مثل هذا إلا بأن يكون سمعه من رسول الله ﷺ[٣].

قال النبهاني في ذيل هذا الحديث: كان حجر بن عدي يحرص على

---

(١) رحلة ابن بطوطة ٧٩ ـ ٩٨ ط دار الكتب العلمية.

(٢) إمتاع الأسماع للمقريزي ١٤: ١٢٧.

(٣) إمتاع الأسماع للمقريزي ١٤: ١٢٧.

الوضوء والطهارة جداً، ولما حبس احتلم فطلب ماء من السجّان ليغتسل به، فقال له: ليس عندي إلا قدر شربك، فقال له: إدفعه لي لأتطهر به، فقال له: لا أفعل لئلا تموت عطشا فيقتلني من أمرني بسجنك، فدعا الله تعالى بنزول المطر، فنزل وتطهر، فقال له المسجونون معه أدع الله ليفرج عنا وإياك، فقال: لا أحب إلا ما أنا فيه لكونه بإرادة ربي وقدرته، وإنما دعوت للمطر لتعلقه بالعبادة.

قال الشيخ الحنفي: وهكذا شأن المقربين.

وذكر النبهاني: أنه دفن هو وأصحابه في قرية عذراء من قرى الشام، حينما قتلوا في خلافة معاوية[1].

هذا وقد زرته في تلك البقعة الشريفة ورأيت الناس عامة يقصدونه بالزيارة ويتبركون به.

٩ ـ مزار رأس الحسين الإمام السبط الشهيد عليه السلام في مصر.

قال ابن جبير المتوفى سنة ٦١٤ في رحلته: هو في تابوت فضة مدفون تحت الأرض قد بني عليه بنيان حفيل يقصر الوصف عنه ولا يحيط الإدراك به، مجلل بأنواع الديباج، محفوف بأمثال العمد الكبار شمعاً أبيضاً ومنه ما هو دون ذلك، قد وضع أكثرها في أتوار فضة خالصة ومنها مذهبة.

وعلقت عليه قناديل فضة، وحف أعلاه كله بأمثال التفافيح ذهباً في مصنع شبيه الروضة يقيّد الأبصار حسناً وجمالاً، فيه من أنواع الرخام المجزّع الغريب الصنعة البديع الترصيع ما لا يتخيله المتخيلون، ولا يحق أدنى وصفه الواصفون.

---

(١) جامع كرامات الأولياء ـ يوسف بن إسماعيل النبهاني ١: ١٣١.

والمدخل الى هذه الروضة على مسجد على مثالها في التأنق والغرابة حيطانها كلها رخام على الصفة المذكورة، وعن يمين الروضة المذكورة وشمالها بنيان من كليهما المدخل إليها وهما أيضاً على تلك الصفة بعينها، والاستار البديعة الصنعة من الديباج معلقة على الجميع.

ثم قال ابن جبير: ومن أعجب ما شاهدناه في دخولنا إلى هذا المسجد المبارك حجر موضوع في الجدار الذي يستقبله الداخل، شديد السواد والبصيص، يصف الأشخاص كلها كأنه المرآة الهندية الحديثة الصيقل، وشاهدنا من استلام الناس للقبر المبارك، وإحداقهم به وانكبابهم عليه وتمسحهم بالكسوة التي عليه وطوافهم حوله مزدحمين باكين متوسلين إلى الله ﷻ ببركة التربة المقدسة والمتضرعين بما يذيب الاكباد ويصدع الجماد، والأمر فيه أعظم ومرأى الحال أهول نفعنا الله ببركة ذلك المشهد الكريم.

وإنما وقع الإلماع بنبذة من صفته مستدلاً على ما وراء ذلك، إذ لا ينبغي لعاقل أن يتصدى لو صفه لأنه يقف موقف التقصير والعجز، وبالجملة فما أظن في الوجود كله مصنعاً، أحفل منه ولا مرأى من البناء أعجب ولا أبدع، قدس الله العضو الكريم الذي فيه بمنه وكرمه.

وفي ليلة اليوم المذكور بتنا بالجبانة المعروفة بالقرافة وهي أيضاً إحدى عجائب الدنيا لما تحتوي عليه من مشاهد الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين وأهل البيت والصحابة رضوان الله عليهم والتابعين والعلماء والزهاد والأولياء ذوي الكرامات الشهيرة والأنباء الغريبة، وإنما ذكرنا منها ما أمكنتنا مشاهدته.

فمنها قبر ابن النبي صالح،وقبر روبيل بن يعقوب بن إسحق بن إبراهيم خليل الرحمن صلوات الله عليهم أجمعين، وقبر آسية إمرأة فرعون رضي الله عنها، ومشاهد أهل البيت ﷺ مشاهد أربعة عشر من الرجال وخمس من النساء، وعلى كل واحد منها بناء حفيل، فهي بأسرها روضات

بديعة الإتقان عجيبة البنيان، قد وكل بها قوم يسكنون فيها ويحفظونها، ومنظرها منظر عجيب، والجرايات متصلة لقوامها في كل شهر.

ثم ذكر تفصيل المشاهد فقال: مشهد علي بن الحسين بن علي ﷺ، ومشهدان لابني جعفر بن محمد الصادق رضي الله عنهم، ومشهد القاسم بن محمد بن جعفر الصادق بن محمد بن علي زين العابدين المذكور رضي الله عنهم، ومشهدان لا بنيه الحسن والحسين رضي الله عنهما، ومشهد ابنه عبد الله بن القاسم ﷺ، ومشهد ابنه يحيى بن القاسم، ومشهد علي ابن عبد الله بن القاسم رضي الله عنهم، ومشهد أخيه عيسى بن عبد الله رضي الله عنهما، ومشهد يحيى بن الحسن بن زيد بن الحسن رضي الله عنهم، ومشهد محمد بن عبد الله بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي رضي الله عنهم، ومشهد جعفر بن محمد من ذرية علي بن الحسين رضي الله عنهم.

ثم ذكر مشاهد الشريفات العلويات مثل مشهد السيدة أم كلثوم ابنة القاسم بن محمد بن جعفر، ومشهد السيدة زينب ابنة يحيى بن زيد بن علي بن الحسين عليه السلام، ومشهد أم كلثوم ابنة محمد بن جعفر الصادق عليه السلام، ومشهد السيدة أم عبد الله بن القاسم بن محمد رضي الله عنهم...

فقال: هذا ما حصله العيان من هذه المشاهد العلوية المكرمة، وهي أكثر من ذلك، ثم قال وأسماء أصحاب هذه المشاهد المباركة إنما تلقيناها من التواريخ الثابتة عليها، مع تواتر الأخبار بصحة ذلك،وعلى كل واحد منها بناء حفيل، فهي بأسرها روضات بديعة الإتقان عجيبة البنيان، وكل بها قومة يسكنون فيها ويحفظونها، ومنظرها عجيب، والجرايات متصلة لقوامها في كل شهر.

ثم ذكر مشاهد بعض أصحاب رسول الله ﷺ بالقرافة المذكورة ومشاهد التابعين والأئمة والعلماء والزهاد والأولياء المشتهرين بالكرامات، لا يسع

الكراس ذكرها لكثرتها[١].

وفي كتاب (الإتحاف بحب الأشراف) عقد الشيخ عبد الله الشبراوي الشافعي المتوفى ١١٧٢ باباً حول ذلك المشهد الشريف وذكر فيه زيارته ونبذة من الكرامات التي وقعت فيه، وإحياء يوم الثلاثاء بزيارته.

فقال:والبركات في هذا المشهد مشاهدة مرئية، والنفحات العائدة على زائريه غير خفية، وهي بصحة الدعوى ملية، والأعمال بالنية.

ولأبي الخطاب بن دحية في ذلك جزء لطيف مؤلف، واستفتى القاضي زكي الدين عبد العظيم في ذلك.

فقال: هذا المكان شريف وبركته ظاهرة والإعتقاد فيه خير والسلام. وما أجدر هذا المشهد الشريف والضريح الأنور المنيف.

يقول القائل:

نفسي الفداء لمشهد أسراره ... من دونها ستر النبوة مسبل
ورواق عز فيه أشرف بقعة ... ظلت تحار لها العقول وتذهل
تغضي لبهجته النواظر هيبة ... ويرد عنه طرفه المتأمل
حسدت مكانته النجوم فودّ لو ... أمسى يجاوره السماك الأعزل
وسما علواً أن تُقبّل تربةً ... شفة فاضحى بالجباه يُقبّل[٢]

كرامات قبور الأولياء

ومن باب الكلام يجرّ الكلام لا بأس ببيان كرامة من كرامات قبور الأولياء الصالحين، ذكرها الشبراوي، فنقول:

---

(١) رحلة ابن جبير: ٤٨ ط دار الكتب العلمية.

(٢) الإتحاف بحب الأشراف: ٢٥ ـ ٤٠.

إن رجلاً يقال له: شمس الدين العمويني كان ساكناً بالقرب من المشهد وكان معلم الكسوة الشريف حصل له ضرر في عينيه فكُف بصره، وكان كل يوم إذا صلى الصبح في مشهد الإمام الحسين يقف على باب الضريح الشريف ويقول: يا سيدي أنا جارك قد كف بصري وأطلب من الله بواسطتك أن يرد علي ولو عيناً واحدة، فبينما هو نائم ذات ليلة إذ رأى جماعة اتوا إلى المشهد الشريف، فسأل عنهم،فقيل له: هذا النبي ﷺ والصحابة معه جائوا لزيارة السيد الحسين ﷺ، فدخل معهم،ثم قال ما كان يقوله في اليقظة.

فالتفت الحسين إلى جده ﷺ وذكر له ذلك على سبيل الشفاعة عنده في الرجل فقال النبي ﷺ للإمام علي ﷺ: «**يا علي كحّله**»، فقال: سمعاً وطاعة وأبرز من يده مكحلة ومروداً وقال له:تقدم حتى أكحلك، فتقدم فلوّث المرود ووضعه في عينه اليمنى، فأحسّ بحرقان عظيم، فصرخ صرخة عظيمة، فاستيقظ منها وهو يجد حرارة الكحل في عينه، ففتحت عينه اليمنى، فصار ينظر بها إلى أن مات، وهذا الذي كان يطلبه.

فاصطنع هذه البُسُط التي تُفرَش في مشهد الإمام الحسين ﷺ وكتب عليها وقفاً، ولم تزل تفرش حتى تولى مصر الوزير المعظم محمد باشا الشريف من طرف حضرة مولانا السلطان محمد خان نصره الله، فجدد بُسطاً أخرى وهي التي تفرش إلى الآن[1].

---

(١) الإتحاف بحب الأشراف: ٢٧. ثم ذكر الشبراوي كرامة أخرى وقعت للشيخ أبي الفضل نقيب السادة الخلوتية لا نطيل الكلام بذكرها.

وقال بعد بيان اختصاص يوم الثلاثاء بزيارة ذلك المشهد: ولنذكر في هذا الباب نبذة من القصائد التي مدحتُ بها آل البيت الشريف وتوسلتُ فيها بساكن هذا المشهد، فمما قلتُ فيه:

آل طـه ومـن يـقـل آل طـه ... مستـجـيراً بجاهـكـم لا يُـردّ
حـبـكم مـذهبي وعـقـد يـقـيني ... لـيـس لـي مـذهـب سواه وعقد
منكم استمد بل كل من في الـ ... ـكون من فيض فـضلكم يستمد
بـيـتكم مهبط الرسالة والوحي ... ومـنـكم نـور الـنـبـوة يـبـدو
ولـكـم في الـعـلا مـقـام رفيع ... مـا لـكـم فـيـه آل يـس نـدّ
يا بن بنت الرسول من ذا يُـضا ... هيك افتخاراً وأنت للفخر عقد؟
يا حسـيـنـاً هـل مـثل أمك أم ... لشـريـف؟ أو مـثـل جـدك جد؟
رام قـوم أن يـلـحـقوك ولـكن ... بـيـنـهـم في الـعُـلا وبـينك بُعد
خـصـك الله بالسعادة في دنياك ... ثـم بـالـشـهـادة بـعـدُ
لك في الـقـبر يـا حسيناً مقام ... ولأعـداك فـيـه خـزي وطـرد
يا كريم الدارين يا من له الدهر ... عـلـى رغـم مـن يـعـانـد عبد
أنـت سـيـف على عداك ولكن ... فـيـك حـلـم ومـا لـفـضلك حد
كـل من رام حـصـر فضلك غرّ ... فـضـل آل الـنـبي لـيـس يُـعـدّ
طـيـبـة فـاقـت الـبـقاع جميعاً ... حـين أضـحـى فـيـهـا لجدك لحد
ولمصر فـخـر عـلـى كـل مصر ... ولها طـالـع بـقـبرك سـعـد
مشـهـد أنـت فـيـه مشهد مجد ... كـم سـعـى نحوه جـواد مـجدّ
وضـريـح حـوى عـلاك ضريح ... كـلـه مـنـدل يـفـوح ونـدّ
مـدد مـالـه انـتـهـاء وسـر ... لا يـضـاهـى ورونـق لا يُـجـدّ
رحـمـات لـلـزائـرين تـوالت ... وجـزيـل مـن الـعـطـاء ورفـد
رضـي الله عـنـكـم آل طـه ... ودعـاء المقـل مـثـلي جـهـد
وسـلام عـلـيـكم كـل وقـت ... ما تـغـنـت بـكـم تـهـام ونجد
أنـا في عـرض تـربة أنت فيها ... يا حـسـيـنـاً وبـعـد حـاشـا أُرَدّ
أنا في عرض جلك الطاهر الطهر ... إذا مـا الـزمـان بـالخطـب يعدو

وقال الحمزاوي العدوي المتوفى ١٣٠٣هـ بعد كلام طويل حول مشهد الإمام الحسين الشريف: واعلم أنه ينبغي كثرة الزيارة لهذا المشهد العظيم متوسلاً به إلى الله، ويطلب من هذا الإمام ماكان يطلب منه في حياته، فإنه باب تفريج الكروب، فبزيارته يزول عن الخطب الخطوب، ويصل إلى الله بأنواره والتوسل له كل قلب محجوب.

ومن ذلك ما وقع لسيدي العارف بالله تعالى سيدي محمد شلبي شارح (العزية) الشهير بابن الست، وهو أنه قد سرقت كتبه جميعاً من بيته قال: فتحير عقله واشتد كربه،فأتى إلى مقام ولي نعمتنا الحسين منشداً لأبيات استغاث بها،فتوجه إلى بيته بعد الزيارة ومكثه في المقام مدة،فوجد كتبه في محلها قد حضرت من غير نقص لكتاب منها وهاهي الأبيات:

أيحوم حول من التجأبكم أذى؟ ... أو يشتكي ضيماً وأنتم سادته؟!
حاشا يُرد من انتمى لجنابكم ... يا آل أحمد أو تَسرُّ شوامته
لكم السيادة من ألست بربكم ... ولكم نطاق العز دارت هالته
هل ثم باب للنبي سواكم ... من غيركم من ذي الورى ريحانته
تباً لطرف لا يشاهد مشهداً ... يحوي الحسين وتستلمه سلامته
فالزم رحاباً ضم سبط محمد ... ما أمّه راج وعيقت حاجته
ها خادماً للحب يرفع حاجة ... مما يلاقي من بلايا هالته

أنا في عرض من يعول كل الر ... سل عليه ومالهم عنه بُدُّ
أنا عرض من أتته غزال ... فحماها والخصيم خصم ألدّ
أنا في عرض جدك المصطفى مَن ... كل عام له الرحال تُشدّ

وللشبراوي قصائد أُخرى رائعة في مدح آل الرسول المصطفى ﷺ إكتفينا بهذا المقدار منها.

أمدنا الله من فيض إمداده؛ ومتعنا من فيض قربه؛ وتقبيل أعتابه[١].

أخي المسلم: هذه قطرة من بحار فضائل سيدنا الحسين الشهيد المظلوم الذي قال رسول الله ﷺ في حقه وحق أخيه السبط المسموم الحسن المجتبى سلام الله عليهما وعلى آبائهما: «**الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة**» وقال ﷺ: «**الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا**»[٢].

وهذا شطر مما قاله علماء العامة في حقه وفي مدحه وكراماته ومعجزاته، وإلاّ فهي خارجة عن حد الإحصاء وكيف تحصى فضائل من زواره ملائكة السماء وأرواح تمام الأنبياء، ومن نجى ببركة مولده وشفاعته فطرس المعذب في السماء ومن بكت عليه جميع الموجودات ومن عجبت لصبره ملائكة السماء ومن له الشفاعة الكبرى يوم الجزاء و...

الأقوال في مدفن رأس الحسين عليه السلام

قد اُختُلف في مدفن الرأس الشريف، فعلى قول إنه دفن في مصر في هذا المشهد الموجود الذي ظهرت منه الكرامات والمعجزات الكثيرة والذي تقصده الناس من كل فج عميق بالزيارة والهدايا والنذور وبقصد قضاء الحاجات وحل المشكلات وشفاء المرضى والعاهات و...

وعلى قول إن رأسه الشريف دفن في الشام حين أتي به مع الأسرى إلى يزيد في جنبٍ المسجد الأموي وله مقام يزار.

وعلى قول إنه أُلحق بجسده الشريف في كربلاء، وتفصيل الكلام في كتب التاريخ والمقاتل.

---

(١) مشارق الأنوار للحمزاوي: ٩٢.

(٢) سبل الهدى لابن حجر العسقلاني ٤: ١٢٥، دعائم الإسلام للقاضي النعمان المغربي ١: ٣٧، ذخائر العقبى للطبري: ١٢٩.

وعلى أي حال، الاختلاف في مدفن الرأس الشريف لا يمنع من وجود المشاهد الشريفة وظهور الكرامات العجيبة لأن أرواح الأنبياء والأئمة عليهم السلام حاضرة في كل مكان وإنهم يعلمون ويسمعون كلام من يزورهم ويتوسل بهم إلى الله ويردون سلامهم ويتفقدونهم ولولا الحجاب لسمع الناس كلامهم.

وهذا من فضل الله على العباد حيث جعل لهم في كل مكان مشهداً شرفه وفضله على سائر الأماكن يزورونه ويجتمعون عنده ويذكرون الله فيه ويعبدونه سبحانه ويتقربون اليه، وببركة صاحب ذلك المشهد يقضي الله حوائج زائريه وينفس كربهم ويصلح أمر دينهم ودنياهم وآخرتهم، رغماً لأنف أعدائهم وحاسديهم والمنكري فضائلهم. والحمد لله.

١٠ ـ مزار نبي الله جرجيس عليه السلام في الموصل

قال ابن جبير في رحلته: خصّ الله هذه البلدة بتربة مقدسة، فيها مشهد جرجيس عليه السلام، وقد بُني فيها مسجد، وقبره في زاوية من أحد بيوت المسجد عن يمين الداخل إليه... فتبركنا بزيارة هذا القبر المقدس والوقوف عنده، نفعنا الله بذلك[١].

١١ـ مزار عمر بن عبد العزيز الخليفة الأموي المتوفى ١٠١هـ

قال الذهبي في تذكرة الحفاظ: قبره بدير سمعان يزار[٢].

أقول: إن عمربن عبدالعزيز هو الذي يروى أنه منع من سب علي أمير المؤمنين عليه السلام ورد فدكاً إلى أولاد فاطمة الزهراء عليها السلام.

---

(١) رحلة ابن جبير: ١٦٨ ط دار الكتب العلمية، رحلة ابن بطوطة: ٢٤٩ ط دار الكتب العلمية.

(٢) تذكرة الحفاظ للذهبي ١: ٩١ ـ منشورات محمد علي صبيح ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت

وروي عن أبي جعفر الباقر عليه السلام: إنّ نجيب بني أُمية عمر بن عبد العزيز،وأنه يبعث يوم القيامة أُمة وحده[١].

١٢ـ مزار أبو حنيفة النعمان بن ثابت إمام الحنفية

قبره في الأعظمية ببغداد وله مزار معروف.

روى الخطيب في تاريخه عن علي بن ميمون قال: سمعت الشافعي يقول: إني لأ تبرك بأبي حنيفة وأجيء إلى قبره في كل يوم زائراً،فإذا عرضت لي حاجة صليت ركعتين وجئت على قبره وسألت الله تعالى الحاجة عنده فما تبعد حتى تُقضى[٢].

وذكره الخوارزمي في مناقب أبي حنيفة[٣] والكردري في مناقبه[٤] وطاش كبرى زاده في مفتاح السعادة[٥] والخالدي في صلح الإخوان[٦] نقلاً عن السفيري وابن جماعة.

وقال ابن الجوزي في المنتظم: في هذه الأيام ـ يعني سنة ٤٥٩ ـ بنى أبو سعد المستوفي الملقب بشرف الملك مشهد أبي حنيفة وعمل لقبره ملبناً وعقد القبة وعمل المدرسة بإزائه، وأنزلها الفقهاء، ورتب لهم مدرساً،فدخل أبو جعفر ابن البياضي إلى الزيارة فقال ارتجالاً:

ألم تر أنّ العلم كان مضيعاً ... فجمّعه هذا المغيب في اللحد؟
كذلك كانت هذه الأرض ميتة ... فانشرها جود العميد أبي سعد[٧]

---

(١) تذكرة الحفاظ للذهبي ١: ٩٠.
(٢) تاريخ الخطيب ١: ١٢٣
(٣) مناقب الخوارزمي ٢: ١٩٩.
(٤) مناقب الكردري ٢: ١١٢.
(٥) مفتاح السعادة ٢: ٨٢.
(٦) صلح الإخوان: ٨٣.
(٧) المنتظم لابن الجوزي ٨: ٢٤٥.

وقال ابن بطوطة في رحلته:قبر الإمام أبي حنيفة ﷺ عليه قبة عظيمة وزاوية فيها الطعام للوارد والصادر، وليس بمدينة بغداد اليوم زاوية يطعم الطعام فيها ما عدا هذه الزاوية.

ثم عد جملة من قبور المشايخ ببغداد فقال: وبالقرب منها قبر الإمام أبي عبد الله أحمد بن حنبل، ولا قبة عليه، ويذكر أنها بنيت على قبره مراراً، فتهدمت بقدرة الله تعالى، وقبره عند أهل بغداد معظم، وأكثرها على مذهبه، وبالقرب منه قبر أبي بكر الشبل، من أئمة المتصوفة، وقبر سري السقطي، وقبر بشر الحافي وو... إلى أن قال: وأهل بغداد لهم في كل جمعة لزيارة شيخ من هؤلاء المشايخ ويوم لشيخ آخر يليه هكذا إلى آخر الأسبوع، وببغداد كثير من قبور الصالحين والعلماء[١].

وقال ابن خلكان في تاريخه: قبره مشهور يزار بني عليه المشهد والقبة سنة ٤٥٩[٢]. وقال ابن جبير في رحلته: وبالرصافة مشهد حفيل البنيان له قبة بيضاء سامية في الهواء فيه قبر الإمام أبي حنيفة[٣].

وقال الذهبي في دول الإسلام: وقبره عليه مشهد كبير وقبة عالية ببغداد[٤].

وقال ابن حجر في الخيرات الحسان في مناقب أبي حنيفة: إن الإمام الشافعي أيام كان هو ببغداد كان يتوسل بالإمام أبي حنيفة، ويجيىء إلى ضريحه يزور،فيسلم عليه،ثم يتوسل إلى الله تعالى به في قضاء حاجاته.

وقال: قد ثبت أن الإمام أحمد توسل بالإمام الشافعي حتى تعجب

---

(١) رحلة ابن بطوطة: ٢٤٠ ط دار الكتب العلمية.

(٢) تاريخ ابن خلكان ٢: ٢٩٧.

(٣) رحلة ابن جبير: ١٨٠.

(٤) الدول الإسلامية للذهبي ١: ٧٩.

ابنه عبد الله بن الإمام أحمد فقال له أبوه: إن الشافعي كالشمس للناس وكالعافية للبدن، ولما بلغ الإمام الشافعي: أن أهل المغرب يتوسلون بالإمام مالك لم ينكر عليهم[١].

وأنت تلاحظ أيها القارئ الكريم أن مثل قبر أبي حنيفة كيف يعظم ويزار ويبنى له المقام،وتلاحظ أن من يعتقد به كيف يتوسل به ويطلب منه الحاجات، وكانت هذه سنة متداولة بين الناس بالنسبة إلى أكابرهم ومشايخهم ولم يمنع منه مانع، والحال أن أبا حنيفة لا يجوز مقايسته مع النبي وعترته الأطهار وأنه كان تلميذاً من تلامذة الإمام الصادق عليه السلام وقد تعلم منه، وكان يعترف بفضائله ومقامه وتقدمه على الآخرين.

لكن من المؤسف أن نرى قبور أهل بيت العصمة والطهارة قد منعت من الزيارة وخرّبت وهتكت حرمتها وحرمة زائريها، وهل يبقى دليل لهذا العمل الشنيع غير العداوة والعناد والتحكم والفساد؟!

١٣ـ مزار مصعب بن الزبير في مسكن المتوفى سنة ١٥٧هـ

قال ابن الجوزي: زارت العامة قبره بمسكن كما يزار قبر الحسين[٢].

ولايخفى علىالقارئ الكريم أن مصعب هو الذي قتل المختار بن أبي عبيدة الثقفي أحد الشجعان الأفذاذ الذي ثار على بني أمية وتتبع قتلة الحسين بن علي عليهما السلام وقتلهم، وشفى بعمله قلوب أهل بيت الرسول ﷺ وسائرالمؤمنين.

---

(١) الخيرات الحسان لابن حجر، حكاه عنه أحمد زيني دحلان في خلاصة الكلام: ٢٥٢ والدرر السنية.

(٢) المنتظم لابن الجوزي ٧: ٢٠٦.

١٤ـ مزار ليث بن سعد الحنفي.

قال ابن أبي الوفاء: إمام مصر توفي سنة ١٧٥ هجرية ودفن بالقرافة الصغرى وقبره يزار، رأيته غير مرة[١].

١٥ـ مزار مالك بن أنس إمام المالكية المتوفى ١٧٩هـ

قبره ببقيع الغرقد في المدينة المنورة، قال ابن جبير في رحلته: عليه قبة صغيرة مختصرة البناء وأمامه قبر السلالة الطاهرة إبراهيم بن رسول الله ﷺ وعليه قبة بيضاء، إن الفقهاء في مناسكهم عدوا زيارته من آداب من زار قبر النبي الأقدس ﷺ[٢].

١٦ـ مزار الإمام الطاهر موسى بن جعفر عليه السلام

المعصوم الذي حبسه هارون في ظُلَم مطامير الأرض مقيداً بحِلَق القيود، وقتله بالسم، وقد القي جسده ثلاثة أيام على جسر بغداد، ثم دفن بالكاظمية سنة ١٨٣هـ.

قال في فضله ابن طلحة العدوي الشافعي في مطالب السؤول: هو الإمام الكبير القدر، العظيم الشأن، المجتهد الجاد في الإجتهاد المشهور بالعبادة المواظب على الطاعات، المشهود له بالكرامات، يبيت الليل ساجداً وقائماً، ويقطع النهار متصدقاً وقائماً، لفرط حلمه وتجاوزه على المعتدين عليه دُعي كاظماً.

كان يجازي المسيء بإحسانه إليه، ويقبل الجاني بعفوه عنه، ولكثرة عبادته كان يسمى بالعبد الصالح، ويعرف في العراق بباب الحوائج إلى الله

---

(١) الجواهر المضية لابن أبي الوفاء القرشي ١: ٤١٧.

(٢) رحلة ابن جبير: ١٤٤ دار الكتاب اللبناني.

لنجح مطالب المتوسلين إلى الله تعالى به، كراماته تحار منها العقول وتقضي بأن له عند الله تعالى قدم صدق لا تزل ولا تزول[١].

وأخرج الخطيب البغدادي في تاريخه بإسناده عن أحمد بن جعفر بن حمدان القطيعي قال: سمعت الحسن بن إبراهيم أبا علي الخلال (شيخ الحنابلة في عصره) يقول:

ما همني أمر، فقصدت قبر موسى بن جعفر، فتوسلت به إلا سهل الله تعالى لي ما أُحب[٢].

نعم: إن الإمام الكاظم قد لُقّب بباب الحوائج إلى الله، حيث إن كل من كانت له حاجة إلى الله ومهمة وبالأخص المرضى وقد تعسّر عليهم الأمر قصدوه وزاروه وتوسلوا به إلى الله، ففرج الله عنهم به وقضى حوائجهم وشفى مرضاهم.

وهذا أمر معروف حتى عند أهل المذاهب ولا اختصاص له بالشيعة، فقد توسل به كثير من أهل المذاهب ـ وحتى غير المسلمين ـ ولم يرجعوا خائبين، بل فائزين ناجحين بقضاء حوائجهم وشفاء مرضاهم، حيث إن الله قد جعل الأئمة الطاهرين أبواباً لرحمته وسُفُنا لنجاة خلقه، فإن الكرامات الصادرة منهم التي نقلها علماء المذاهب أحسن شاهد ودليل على بطلان كلام حاسديهم ومخالفيهم فراجع.

قصة عجيبة ظهرت من قبره عليه السلام:

لما دفن نائب الخليفة عند قبره عليه السلام رأى النقيب إشتعال النار من

---

(١) مطالب السؤول لمحمد بن طلحة العدوي الشافعي: ٢٨٩ ط مؤسسة البلاغ.

(٢) تاريخ الخطيب ١: ١٢٠.

جسده، وإنّه عليه السلام يقول: آذيتني بمجاورة هذا الظالم، فلما كشفوه وجدوه رماداً.

رواه جماعة من أعلام القوم،منهم محمد بن طلحة العدوي الشافعي الشامي قال:

ولقد قرع سمعي ذكر واقعة عظيمة، ذكرها بعض صدور العراق، أثبتت لموسى عليه السلام الشرف، وشهدت له بعلو مقامه عند الله وزلفى منزلته لديه،وظهرت بها كرامته بعد وفاته، ولا شك أن ظهور الكرامة بعد الموت أكبر دلالة منها حال الحياة.

وهي: أن من عظماء الخلفاء مَن كان له نائب كبير الشأن في الدنيا، من مماليكه الأعيان، في ولاية عامة طالت فيها مدته، وكان ذا سطوة وجبروت، فلمّا انتقل إلى الله تعالى اقتضت رعاية الخليفة له أن يقدم بدفنه في ضريح مجاور لضريح الإمام موسى بن جعفر عليه السلام بالمشهد المطهّر، وكان بالمشهد المطهّر نقيب معروف مشهود له بالصلاح كثير التردّد والملازمة لضريح السيد الجليل والخدمة له قائم بوظائفها، فذكر هذا النقيب أنه بعد دفن ذلك المتوفى في ذلك القبر بات في المشهد، فرأى في منامه أن القبر قد انفتح والنار تشتعل فيه، وقد انتشر منه دخان ورائحة قتار ذلك المدفون فيه إلى أن ملأت المشهد، وأن الإمام موسى عليه السلام واقف، فصاح لهذا النقيب باسمه، وقال له: تقول للخليفة يا فلان وسماه باسمه لقد آذيتني بمجاورة هذا الظالم، وقال كلاماً خشناً.

فاستيقظ ذلك النقيب وهو يرعد فرقاً وخوفاً، فلم يلبث أن كتب ورقة وسيّرها متهيئاً فيها صورة الواقعة بتفصيلها.

فلما جنّ الليل جاء الخليفة إلى المشهد المطهّر بنفسه ومعه خدم، واستدعى النقيب، ودخلوا إلى الضريح، وأمر بكشف ذلك القبر، ونقل ذلك المدفون إلى موضع آخر خارج المشهد، فلما كشفوه وجدوا فيه رماد

الحريق ولم يجدوا للميت أثراً.

ثم قال ابن طلحة: وفي هذه القصة زيادة استغناء عن بقية مناقبه،واكتفاء عن بسط القول فيها[١].

١٧ـ مزار الإمام المعصوم أبي الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام الذي قتله المأمون بالسم، ودفن بخراسان.

قال الحاكم في تاريخ نيسابور: أشخصه المأمون من المدينة إلى البصرة، ثم إلى الأهواز، ثم إلى فارس، ثم إلى نيسابور إلى أن أخرجه إلى مرو وكان ما كان، ـ يعني من قصة استخلافه ـ، ثم قال: استشهد علي بن موسى بسناباد من طوس، وقال سمعت أبا بكر محمد بن المؤمل بن الحسن بن عيسى يقول: خرجنا مع إمام أهل الحديث أبي بكر ابن خزيمة وعديله أبي علي الثقفي مع جماعة من مشايخنا وهم إذ ذاك متوافرون إلى علي بن موسى الرضا بطوس قال: فرأيت من تعظيمه ـ يعني ابن خزيمة ـ لتلك البقعة وتواضعه لها وتضرعه عندها ما تحيرنا[٢].

ولايخفى أن هذا التعظيم الموجب للتحير لا يكون من غير دليل، بل من جهة علم الزائر بالكرامات والفضائل والعنايات التي ظهرت منه، فقد قصد مشهده الشريف كثير من الناس من الملل المختلفة، وشملتهم عنايته ولطفه، وقد ألفت في باب معجزاته وكراماته الكتب الكثيرة وسردها خارج عن نطاق الكتاب.

قال الشبراوي في الإتحاف بحب الأشراف في ترجمة علي الرضا عليه السلام:

---

(١) مطالب السؤول في مناقب آل الرسول لابن طلحة الشافعي الشامي: ٢٩٢ ط مؤسسة البلاغ ـ بيروت.

(٢) تهذيب التهذيب للعسقلاني ٧: ٣٩٩ ط دار الفكر الطبعة الاولى.

وكانت مناقبه علية وصفاته سنية، ونفسه الشريفة هاشمية، وأرومته الكريمة نبوية، وكراماته أكثر من أن تحصر وأشهر من أن تذكر، ثم ذكر جملة من كراماته عليه السلام[١].

١٨ـ مزار الإمام المعصوم محمد بن علي الجواد عليه السلام :

جنب جده الكاظم عليه السلام. قال ابن عماد الحنبلي في شذارت الذهب: توفي ببغداد، الشريف أبو جعفر محمد الجواد بن علي بن موسى الرضا الحسيني أحد الاثني عشر إماماً الذين تدّعي فيهم الرافضة العصمة، ودفن عند جده موسى ومشهدهما ينتابه العامة بالزيارة[٢].

وقال السبط ابن الجوزي: كان ـ أي محمد الجواد ـ على منهاج أبيه في العلم والتقى والزهد والجود، وكان يلقّب بالمرتضى والقانع، وكانت وفاته ببغداد خامس ذي الحجة، ودفن إلى جانب جده موسى بن جعفر عليه السلام بمقابر قريش، وقبره ظاهر يزار[٣].

وقال ابن تيمية: محمد بن علي الجواد كان من أعيان بني هاشم، وهو معروف بالسخاء والسؤدد، ولهذا سمي الجواد،ومات وهو شاب ابن خمس وعشرين سنة[٤].

١٩ـ مزار معروف الكرخي.

قال إبراهيم الحربي: قبر معروف، الترياق المجرب.

---

(١) لاحظ جامع كرامات الأولياء للنبهاني ٢ : ٣١٢.

(٢) شذرات الذهب ٢ : ٤٨.

(٣) التذكرة للسبط ابن الجوزي: ٣٧٨ ط الغربي.

(٤) منهاج السنة لابن تيمية: ١٢٧ نقلاًمن احقاق الحق ١٢: ٤١٦.

وعن الزهري أنه قال: قبر معروف الكرخي مجرب لقضاء الحوائج ويقال: إنه من قرأ عنده مأة مرة قل هو الله أحد ويسأل الله ما يريد قضى الله حاجته.

وروي عن أبي عبد الله المحاملي أنه قال: أعرف قبر معروف الكرخي منذ سبعين سنة ما قصده مهموم إلا فرج الله همه[١].

قال ابن الشهرورزي في مناقب الأبرار: إن معروف الكرخي كان من موالي علي بن موسى الرضا عليه السلام وكان أبواه نصرانيين فسلّما معروفاً إلى المعلم وهو صبي،وكان المعلم يقول له: قل ثالث ثلاثة، وهو يقول: بل هو الواحد، فضربه المعلم ضرباً مبرحاً، فهرب ومضى إلى الرضا عليه السلام وأسلم على يده، ثم أنه أتى داره فدقّ الباب، فقال أبوه: مَن بالباب، فقال: معروف، فقال: على أيّ دين، قال: على دين الحنفية، فأسلم أبواه ببركات الرضا عليه السلام.

قال معروف: فعشت زماناً، ثم تركت كلما كنت عليه إلا خدمة مولاي علي بن موسى الرضا عليه السلام[٢].

ومع هذه الأوصاف كلها، يقال: إنه من الصوفية، والله العالم.

قال اليافعي: كان معروف الكرخي معروفاً بإجابة الدعوة،والدعاء عند قبره مستجاب، وكان أهل بغداد يسمونه الترياق المجرّب مات ببغداد سنة ٢٠١هـ، وقد زرته والحمد لله سنة ١٢٩٦هـ ودعوت عند قبره الكريم وحصلت لي بركته[٣].

---

(١) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ١: ١٢٢.

(٢) مناقب آل أبي طالب ٣: ٤٧١.

(٣) جامع كرامات الأولياء للنبهاني ٢: ٤٩١ ط دار الكفر.

وقال ابن الجوزي في صفة الصفوة عن أحمد بن الفتح قال: سألت بشراً (التابعي الجليل) عن معروف الكرخي، فقال: هيهات حالت بيننا وبينه الحجب... إلى أن قال: فمن كانت له إلى الله حاجة فليأت قبره وليدع فانه يستجاب له إن شاء الله تعالى.

وقال: قبره ظاهر يتبرك به في بغداد، وكان إبراهيم الحربي يقول: قبر معروف، الترياق المجرب[1].

ولابن الجوزي في المنتظم وابن خلكان في تاريخه والشعر اني في تاريخه حول معروف كلمات أخرى نظير ما تقدم.

فإذا كان معروف الكرخي هذا حاله ـ كما يدّعى ـ، فما بالك بالرسول المصطفى صلى الله عليه وآله وأهل بيت العصمة والوحي ومعادن العلم والحكمة.

٢٠ـ مزار أحمد بن موسى بن جعفر عليه السلام في شيراز.

قال ابن بطوطة: هو مشهد معظم عند أهل شيراز يتبركون به ويتوسلون إلى الله تعالى بفضله، وبنت عليه طاش خاتون أم السلطان أبي إسحاق مدرسة كبيرة وزاوية فيها الطعام للوارد والصادر.

والقراء يقرأون القرآن على التربة دائماً، ومن عادة الخاتون أنها تأتي إلى هذا المشهد في كل ليلة إثنين، ويجتمع في تلك الليلة القضاة والفقهاء والشرفاء[2].

وفي هذه البلدة مزارات كثيرة لأبناء الرسول صلى الله عليه وآله يقصدها الناس لحوائجهم وفي أيام مخصوصة.

---

(١) صفة الصفوة ٢: ١٨٣.

(٢) رحلة ابن بطوطة: ٢٢٥ ط دار الكتب العلمية.

٢١ـ مزار عبيد الله بن محمد بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام.

قال الخطيب البغدادي في تاريخه: باب البردان فيها أيضاً جماعة من أهل الفضل، وعند المصلى المرسوم بصلاة العيد قبر كان يعرف بقبر النذور، ويقال: إن المدفون فيه رجل من ولد علي بن أبي طالب عليه السلام، يتبرك الناس بزيارته، ويقصده ذو الحاجة منهم لقضاء حوائجه.

حدثني القاضي أبو القاسم علي بن الحسين التنوخي، قال: حدثني أبي قال: كنت جالساً بحضرة عضد الدولة ونحن مخيمون بالقرب من مصلى الأعياد في الجانب الشرقي من مدينة السلام نريد الخروج معه إلى همذان في أول يوم نزل المعسكر، فوقع طرفه على البناء الذي على قبر النذور، فقال لي: ما هذا البناء؟ فقلت: هذا مشهد النذور، ولم أقل قبره، لعلمي بطيرته من دون هذا، واستحسن اللفظة.

وقال: قد علمت أنه قبر النذور، وإنما أردت شرح أمره.

فقلت: هذا يقال أنه قبر عبيد الله بن محمد بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ويقال: أنه قبر عبيد الله بن محمد بن عمر بن أبي طالب، وأن بعض الخلفاء أراد قتله خفيّاً فجعلت له هناك زُبية وسير عليها وهو لا يعلم، فوقع فيها وهيل عليه التراب حياً، وإنما اشتهر بقبر النذور لأنه ما يكاد يُنذر له نذر إلا صح وبلغ الناذر ما يريد، ولزمه الوفاء بالنذور، وأنا أحد من نذرله مراراً لا أحصيها كثرة نذوراً على أمور متعددة فبلغتها ولزمني النذر فوفيت به.

فلم يتقبل هذا القول وتكلم بما دل على أن هذا إنما يقع منه اليسير إتفاقاً فيتسوق العوام بأضعافه ويسيرون الأحاديث فيه.

فأمسكت، فلما كان بعد أيام يسيرة ونحن معسكرون في موضعنا استدعاني في غدوة يوم وقال: اركب معي إلى مشهد النذور، فركبت وركب في نفر من حاشيته إلى أن جئت به إلى الموضع، فدخله وزار القبر وصلى عنده ركعتين سجد بعدهما سجدة أطال فيها المناجات بما لم يسمعه أحد، ثم ركبنا معه إلى خيمته وأقمنا أياماً ما، ثم رحل ورحلنا معه يريد همدان، فبلغناها، وأقمنا فيها معه شهوراً.

فلما كان بعد ذلك استدعاني وقال لي: ألست تذكر ما حدثت به في أمر مشهد النذور ببغداد؛ فقلت: بلى.

فقال: إني خاطبتك في معناه بدون ما كان في نفسي اعتماداً،لإحسان عشرتك، والذي كان في نفسي في الحقيقة أن جميع ما يقال فيه كذب، فلما كان بعد ذلك بمديدة طرقني أمرٌ خشيت أن يقع ويتم وأعملت فكري في الاحتيال لزواله ولو بجميع ما في بيوت أموالي وسائر عساكري.

فلم أجد لذلك فيه مذهباً فذكرت ما أخبرتني به في النذر لمقبرة النذور فقلت:

لِمَ لا أُجربُ لذلك؟ فنذرت: إن كفاني الله تعالى ذلك الأمر أن أحمل لصندوق هذا المشهد عشرة آلاف درهماً صحاحاً، فلما كان اليوم جائتني الأخبار بكفايتي ذلك الأمر، فتقدمت إلى أبي القاسم عبد العزيز بن يوسف ـ يعني كاتبه ـ أن يكتب إلى أبي الريان ـ وكان خليفته في بغداد ـ يحملها إلى المشهد.

ثم التفت إلى عبد العزيز ـ وكان حاضراً ـ فقال له عبد العزيز: قد كتب بذلك ونفذ الكتاب[1].

---

(١) تاريخ الخطيب ١: ١٢٣.

٢٢ـ مزار محمد بن إدريس الشافعي

إمام الشافعية المتوفى ٢٠٤هـ دفن بالقرافة الصغرى وقبره يزار بها بالقرب من المقطم[١].

وقال الجزري في طبقات القراء: والدعاء عند قبره مستجاب ولما زرته قلت:

زرت الإمام الشافعي ... لأن ذلك نافعي
لأنال منه شفاعة ... أكرم به من شافع[٢]

وقال الذهبي في دول الإسلام: إن الملك الكامل عمّر قبة على ضريح الشافعي[٣].

قال ابن جبير:

مشهد الإمام الشافعي من المشاهد العظيمة احتفالاً واتساعاً.

ثم عدد سائر المشاهد الموجودة بقربه المتعلقة بالعلماء والزهاد مثل مشهد المزني صاحب الشافعي ومشهد أشهب صاحب مالك ومشهد الفقيه أبي الحسن الدينوري ومشهد الصالح المعروف بصاحب إبريق ومشهد ذي النون بن إبراهيم المصري وو...[٤].

٢٣ـ مزار أبي سليمان الداراني العنسي المتوفى ٢٠٥هـ.

قال ابن كثير:أحد الأئمة وكان من الزهاد المتعبدين وله حكايات، دفن

---

(١) وفيات الأعيان لابن خلكان ٢: ٣٠.

(٢) طبقات القراء ٢: ٩٧.

(٣) دول الإسلام ٢: ١٠٥.

(٤) رحلة ابن جبير: ٥٠ ط دار الكتاب اللبناني.

في قرية داريا في قبلتها بجنب دمشق،وقبره بها مشهور، وعليه بناء، وقد جدد مزاره في زماننا هذا[١].

وذكره ابن بطوطة وأضاف: أن قبر أبي مسلم الخولاني في جنبه، وقبره مشهور يزار أيضاً[٢].

٢٤ـ مزار السيدة نفيسة ابنة أبي محمد الحسن بن زيد بن علي بن أبي طالب.

في أعلام النساء: كانت من ربات العبادة والصلاح والزهد والورع ولدت بمكة سنة ١٤٥ هجرية ونشأت بالمدينة ودخلت مصر مع زوجها إسحاق بن جعفر الصادق، وكانت حافظة للقرآن وتفسيره،وكانت كثيرة البكاء تديم قيام الليل وصيام النهار،وكانت لا تأكل إلا في كل ثلاث ليال أكلة واحدة، وحجت ثلاثين حجة وكانت تبكي بكاءً شديداً وتتعلقً بأستار الكعبة وتقول: إلهي وسيدي ومولاي متعني وفرحني برضاك عني.

قالت زينب بنت يحيى المتوّج: خدمت عمتي نفيسة أربعين سنة فما رأيتها نامت الليل ولا أفطرت بنهار، فقلت لها: أما ترفقين بنفسك، فقالت:كيف أرفق بنفسي وقدامي عقبات لا يقطعها إلا الفائزون.

ومن كراماتها: حكي أنه لما ظلم أحمد بن طولون على أهل مصر، إستغاث الناس من ظلمه وتوجهوا إلى السيدة نفيسة يشكونه إليها، فقالت: متى يركب؟ قالوا: في غد، فكتبت رقعة ووقفت بها في طريقه، وقالت:يا أحمد بن طولون، فلما رآها عرفها، فترجل عن فرسه وأخذ منها

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير ١٠: ٢٥٩

(٢) رحلة ابن بطوطة: ١١٨.

الرقعة، فلما قرأها، عدل لوقته[١].

ومن كراماتها الكثيرة ما رواه النبهاني: أن رجلاً تزوج بامرأة ذمية، فرزق منها ولداً وكبر الولد، ثم سافر فأُسِر في بلاد العدو، فجعلت أمه تدخل البيع وتتضرع وولدها لا يأتي.

فقالت لبعلها: بلغني أن بين أظهركم امرأة يقال لها نفيسة بنت الحسن الأنور، إذهب إليها لعلها تدعو لولدي أن يأتي، فإن نجا آمنت على يديها، فخرج الرجل فأتى معبدها فقص عليها القصة، فدعت له، فعاد إلى زوجته فأخبرها، فلما كان الليل إذا الباب يطرق، فقامت المرأة ففتحت الباب،فإذا بولدها قد جاء، فقالت له: كيف كان أمرك؟ قال: لم أشعر إلا ويد وقعت على القيد وسمعت قائلاً يقول: أطلقوه فقد شفعت فيه نفيسة بنت الحسن، فما شعرت حتى وقفت على هذا الباب، فأسلمت المرأة وحسن إسلامها.

وروى النبهاني أيضاً: إن النيل توقف في زمانها،فأتوا إليها، فأخرجت إليهم متاعاً فجعلوه في النيل فعلى الماء وأوفى النيل[٢].

وفي أعلام النساء: ولما مرضت حفرت قبرها بيدها في بيتها فكانت تنزل فيه وتصلي كثيراً فقرأت فيه مأة وتسعين ختمة وما برحت تنزل فيه وتصلي كثيراً وتقرأ كثيراً وتبكى بكاءً عظيماً حتى احتضرت سنة ٢٠٨ وهي صائمة فألزموها بالفطر وألّحوا وأبرموا فقالت: واعجباً منذ ثلاثين سنة أسأل الله تعالى أن ألقاه وأنا صائمة أأفطر الآن! هذا لا يكون، ثم قرأت

---

(١) أعلام النساء ـ عمر رضا كحالة ٥: ١٨٧، وراجع نور الأبصار في مناقب آل بيت النبي المختار للشبلجي: ٢٨٨ ط دار الكتب العلمية.

(٢) جامع كرامات الأولياء ـ يوسف بن إسماعيل النبهاني ٢: ٥١٠ وذكر لها كرامات عديدة فراجع.

سورة الأنعام وكان الليل قد هدأ فلما وصلت إلى قوله تعالى: ﴿لَهُمْ دارُ السَّلامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ غشي عليها ثم شهدت شهادة الحق وقبضت إلى رحمة الله.

فأراد زوجها أن يحملها إلى المدينة ويدفنها بالبقيع، فاجتمع أهل مصر إلى أمير البلد واستجاروا به عند إسحاق ليرده عمّا أراد فأبى فجمعوا له مالاً جزيلاً حتى وسق بعيره الذي أتى عليه، وسألوه أن يدفنها عندهم، فأبى، فباتوا منه في ألم عظيم، فلما أصبحوا اجتمعوا إليه فوجدوا منه غير ما عهدوه بالأمس، فقالوا له إن لك لشأناً عظيماً.

قال: نعم رأيت رسول الله ﷺ وهو يقول لي: ردّ عليهم أموالهم وادفنها عندهم، فدفنها في المنزل الذي كانت تسكنه، في محلّة كانت تعرف قديماً بدرب السباع، وقد بادت ولم يبق منها سوى قبرها. ولأهل مصر اعتقاد بها عظيم، فيقال: إن الدعاء يستجاب عند قبرها[1].

قال ابن كثير: توفيت سنة ٢٠٨هـ ودفنت في المنزل الذي كان تسكنه بمحلة كانت تعرف قديماً بدرب السباع ...ولأهل مصر فيها اعتقاد[2].

عزيزي القارئ: إن ما روي في فضائل هذه السيدة وكراماتها واستجابة دعائها وتوسل الناس إلى الله بها في حياتها وبعد مماتها يحتاج إلى سرد كتاب مستقل.

ولكني ذكرت لك من كراماتها ما فيه موعظة لنا وما يترتب عليه أثر تربوي خاصة لنسائنا، كي يعلم أن طريق الكمال والقرب إلى الله مفتوح أمام الجميع، وهو دليل على أن ليس للإنسان إلا ما سعى.

---

(١) أعلام النساء ـ عمر رضا كحّالة ٥ : ١٨٧ ـ ١٨٩.

(٢) البداية والنهاية ٧ : ٢٦٦ تحقيق محمد البقاعي طبع دار الفكر بيروت.

٢٥ـ مزار أحمد بن حنبل إمام الحنابلة المتوفى ٢٤١هـ

قبره ظاهر مشهور يزار ويتبرك به، كذا في مختصر الحنابلة: ١١ وقال الذهبي[١]: ضريحه يزار ببغداد، وحكى ابن الجوزي في مناقب أحمد: ٢٩٧ عن عبد الله ابن موسى قال: خرجت أنا وأبي في ليلة مظلمة نزور أحمد فاشتدت الظلمة فقال أبي: يا بني تعال حتى نتوسل إلى الله تعالى بهذا العبد الصالح حتى يضيء لنا الطريق فإني منذ ثلاثين سنة ما توسلت به الا قضيت حاجتي فدعا أبي وأمّنت على دعائه فاضاءت السماء كأنها ليلة مقمرة حتى وصلنا إليه.

وقال في صفحة ٤١٨ عن أبي الحسن التميمي،عن أبيه،عن جده أنه حضر جنازة أحمد بن حنبل قال: فمكثت طول اسبوع رجاء أن أصل من ازدحام الناس عليه، فلما كان بعد اسبوع وصلت إلى قبره.

وقال ابن بطوطة في رحلته[٢]: قبره لا قبة عليه، ويذكر أنها بنيت على قبره مراراً فتهدمت بقدرة الله تعالى وقبره عند أهل بغداد معظم.

فلاحظ إلى الحنابلة فيما يقولون في إمامهم من الفضائل والكرامات، وكيف شذ ابن تيمية الحنبلي وأتباعه عنهم، وجعلوا النبي وأهل بيته أدنى مرتبة من الآخرين.

٢٦ـ مزار ذي النون المصري المتوفى ٢٤٦هـ

قال ابن خلكان في تاريخه: دفن في القرافة الصغرى وعلى قبره مشهد مبني، وفي المشهد قبور جماعة من الصالحين وزرته غير مرة[٣].

---

(١) دول الإسلام للذهبي ١: ١١٤.

(٢) رحلة ابن بطوطة ١: ٢٤٠ دار الكتب العلمية.

(٣) تاريخ ابن خلكان ١: ١٠٩، ولاحظ رحلة ابن جبير: ٥١ ط دار الكتاب اللبناني.

٢٧ ـ مزار بكار بن قتيبة بن أسد الثقفي البكراوي البصري الحنفي الفقيه المتوفى بمصر سنة ٢٧٠.

دفن بالقرافة وقبره مشهور ويتبرك به ويقال: إن الدعاء عند قبره مستجاب[١].

وقال ابن خلكان: دفن بمصر عند مصلى بني مسكين قريباً من قبر الشريف ابن طباطبا وقبره مشهور هناك، معروف باستجابة الدعاء عنده[٢].

٢٨ـ مزار القطب أبي عبد الله خفيف المعروف بالشيخ في شيراز.

قال ابن بطوطة: ومشهده معظم عند أهل شيراز يأتون إليه بكرة وعشيا فيتمسحون به، وقد رأيت القاضي مجد الدين أتاه زائراً واستلمه، وتأتي الخاتون إلى هذا المسجد في كل ليلة جمعة.

وعليه زاوية ومدرسة ويجتمع به القضاة والفقهاء، ويفعلون به كفعلهم في مشهد أحمد بن موسى وقد حضرت الموضعين جميعاً، والشيخ أبو عبد الله بن خفيف كبير القدر في الأولياء شهير الذكر[٣].

٢٩. مزار يعقوب بن إسحاق أبي عوانة النيسابوري ثم الإسفرائيني الحافظ الشهير المتوفى ٣١٦.

صاحب الصحيح المسند المخرّج على صحيح مسلم، قال الذهبي في تذكرة الحفاظ: قبر أبي عوانة عليه مشهد مبني باسفراين يزار وهو بداخل

---

(١) الجواهر المضية لابن أبي الوفاء القرشي ١: ١٧٠.

(٢) وفيات الأعيان لابن خلكان ١: ٢٨٢.

(٣) رحلة ابن بطوطة: ٢٢٦ ط دار الكتب العلمية.

المدينة[١].

وقال الحافظ ابن عساكر: إن قبر أبي عوانة بإسفراين مزار العالم ومتبرك الخلق؛ وبجنب قبره قبر الراوية عنه أبي نعيم عبد الملك بن الحسن الأزهري الإسفرايني في مشهد واحد داخل المدينة، وقريب من مشهده مشهد الإمام الأستاذ أبي إسحاق الإسفرائيني... إلى أن قال: والعوام يتقربون إلى مشهد أبي إسحاق أكثر مما يتقربون إلى أبي عوانة، وهم لا يعرفون قدر هذا الإمام الكبير المحدث أبي عوانة، لبعد العهد بوفاته وقرب العهد بوفاة أبي إسحاق، وكان جدي إذا وصل إلى مشهد الأستاذ أبي إسحاق لا يدخله،إحتراماً، بل كان يقبل عتبة المشهد، وهي مرتفعة بدرجات، ويقف ساعة على هيئة التعظيم والتوقير، ثم يعبر عنه كالمودع لعظيم الهيبة والقدر، وإذا وصل إلى مشهد أبي عوانة كان أشد تعظيماً له وإجلالاً وتوقيراً ويقف أكثر من ذلك رحمهم الله أجمعين[٢].

٣٠ ـ مزار ابن طباطبا.

أبو محمد عبد الله بن أحمد بن علي بن الحسن ابن طباطبا المصري المتوفى ٣٤٨هـ، دفن بمصر وقبره معروف ومشهور بإجابة الدعاء.

قال ابن خلكان: وصلى عليه بمصلى العيد وحضر جنازته من الخلق ما لا يحصي عددهم إلا الله، وقبره معروف ومشهور بإجابة الدعاء.

وقال: روي أن رجلاً حج وفاتته زيارة النبي ﷺ فضاق صدره لذلك فرآه ﷺ في نومه فقال له: إذا فاتتك الزيارة فزر قبر عبد الله بن أحمد بن طباطبا، وكان صاحب الرؤيا من أهل مصر، وحكى بعض من له عليه

---

(١) تذكرة الحفاظ للذهبي ٣: ٧٧٩ ط مكتبة الحرم المكي.

(٢) لاحظ وفيات الأعيان لابن خلكان ٦: ٣٩٤ ط دار الثقافة ـ بيروت.

إحسان أنه وقف على قبره وأنشد:

وخلفت الهموم على أناس وقد كانوا بعيشك في كفاف

فرآه في نومه فقال: قد سمعت ما قلت، وحيل بيني وبين الجواب والمكافاة، ولكن صر إلى مسجد كذا وصلّ ركعتين وادع يستجب لك، رحمه الله تعالى[1].

٣١ ـ مزار الوزير إسماعيل بن عبّاد الملقب بالصاحب المتوفى ٣٨٥هـ

قال ابن العماد الحنبلي في شذرات الذهب: كان وزير مؤيد الدولة أبي منصور بن بويه وفخر الدولة، وكان رجلاً من رجال الدهر حزماً وعزماً وسؤدداً ونبلاً وسخاءً وحشمة وإفضالاً وعدلاً.

قال الثعالبي في اليتيمة في حقه: ليس تحضرني عبارة أرضاها للإفصاح عن علوّ محله في العلم والأدب وجلالة شأنه في الجود والكرم وتفرّده بالغايات في المحاسن وجمعه أشتات المفاخر، لان همة قولي تنخفض عن بلوغ أدنى فضائله ومعاليه... .

ومن أخباره أنه لم يسعد أحد بعد وفاته كما كان في حياته غير الصاحب، فإنه لما توفي أغلقت له مدينة الرىّ، واجتمع الناس على باب القصر ينتظرون خروج جنازته، وحضر مخدومه فخر الدولة وسائر القوّاد وقد غيّروا لباسهم، فلما خرج نعشه من الباب صاح الناس بأجمعهم صيحة واحدة، وقبلوا الأرض، ومشى فخر الدولة أمام الجنازة مع الناس، وقعد للعزاء أياماً[2]. إنتهى ما في شذرات الذهب ملخصاً.

قال الاميني في الغدير: صلى عليه أبو العباس الضبّي، وبعد الصلاة

---

(١) وفيات الأعيان لابن خلكان ٢: ٨٢ ط دار الثقافة بيروت.

(٢) شذرات الذهب ٣: ١١٣، ولاحظ معجم الأدباء ٦: ١٦٨.

علّق نعشه بالسلاسل في بيت إلى أن نقل إلى إصفهان فدفن في قبة هناك تعرف بباب درية.

وحكى عن ابن خلكان أنه قال: وهي عامرة إلى الآن وأولاد بنته يتعاهدونها بالتبييض.

وعن روضات الجنات: هي عامرة إلى الآن، وكان أصابها تشعث وانهدام فأمر الإمام العلامة محمد إبراهيم الكرباسي في هذه الأيام بتجديد عمارتها، ولا يدع زيارتها مع ما به من العجز في الأسبوع والشهر والشهرين، وتدعى في زماننا بباب الطوقجي والميدان العتيق، والناس يتبركون بزيارته ويطلبون عند قبره الحوائج من الله تعالى[1].

٣٢ ـ مزار إبراهيم الحربي المتوفى ٢٨٥.

قال ابن الجوزي: دفن في بيته وقبره ظاهر يتبرك الناس به[2].

٣٣ ـ مزار أبي الحسن علي بن الحسن المصري

فقيه الشافعية المتوفى ٤٩٢هـ، قال ابن الأثماطي: قبره بالقرافة يعرف بإجابة الدعاء عنده[3].

٣٤ ـ مزار الفقيه نصر بن إبراهيم بن داود المقدسي النابلسي

المتوفى ٤٩٠هـ، شيخ الشافعية بالشام، توفي بدمشق ودفن بباب الصغير وقبره ظاهر يزار.

---

(١) لاحظ الغدير ٤: ٧٤.

(٢) مناقب أحمد لابن الجوزي: ٥٠٩، وصفوة الصفوة لابن الجوزي ٢: ٢٣٢.

(٣) شذرات الذهب ٣: ٣٩٩.

قال النووي: سمعنا الشيوخ يقولون: الدعاء عند قبره يوم السبت مستجاب[١].

٣٥ ـ مزار أحمد بن جعفر الخزرجي أبو العباس السبت

نزيل مراكش والمتوفى بها سنة ٦٠١، قبره معروف مزار مزاحم عليه مجرب الإجابة.

قال صاحب نيل الابتهاج بعد كلام طويل حول هذا المزار: قلت: وإلى الآن ما زال الحال على ما كان عليه في روضته من ازدحام الخلق عليها وقضاء حوائجهم، وقد زرته ما يزيد على خمسمائة مرة وبت هناك ما ينيف على ثلاثين ليلة، وشاهدت بركته في الأمور. ثم ذكر قصة يهودي توسل به وقضيت حاجته[٢].

٣٦ ـ مزار الشيخ عبد القادر أبي رباح الدجاني اليافعي المتوفى سنة ١٢٩٤ هجرية.

قال النبهاني: كان أشهر علماء البلاد الشامية وأوليائها في ذلك الزمان، وهو أول شيخ أخذت عنه الطريق الخلوتية.

ثم ذكر له كرامات إلى أن قال في وفاته:لم يبق من أهالي يافا نساءً ورجالاً وأولاداً من المسلمين وغيرهم إلا حضر جنازته، وكذلك حضر من الخارج قوم لا يحصي عددهم إلا الله تعالى، وكان الحزن عليه شاملاً عاماً، فلا يرى في جنازته غير باك وآسف، ودفن في مقبرة يافا الشمالية إلى جانب حضرة عمه الشيخ سليم.

---

(١) شذرات الذهب ٣: ٣٩٦.

(٢) راجع نيل الابتهاج: ٦٢.

وعلى مقامه من الأنوار والبركات ما يدهش الأبصار، وعليه قبة جميلة وهو يزار ويتبرك بمقامه الشريف، ولا تخلو دائماً من زائر ومستجير[١].

٣٧ـ مزار الحافظ عبد الله الحاملي.

قال النبهاني: كان من أجلاء العلماء وأكابر الزهاد وأعاظم الحفاظ، مات في مصر ودفن بالبقعة بالقرب من قبر أبي بكر الأنباري، ويقال: إن من وقف بين قبريهما ودعا بما شاء أُستجيب له، قال إبراهيم بن سعيد الحوفي: كنت أرى أكابر العلماء يزرون قبره ويتبركون بالدعاء عنده[٢].

هذه نبذة من المزارات التي أوردها علماء المذاهب في كتب التاريخ والتراجم ووقع نظري عليها في تلك الكتب، وإلا فهي كثيرة جداً.

ومن القبور والمزارات التي زارها المسلون عامة: قبور الأنبياء في بيت المقدس وفي مقدمها قبر إبراهيم الخليل عليه السلام، فإن لهم مقامات مجللة ومزارات يتبرك بزيارتها، ومن المؤلم أنه قد سلب منا توفيق زيارتها، لوجود العدو الصهيوني.

ومن القبور التي زرتها وشاهدت من زارها، قبر نبي الله زكريا في حلب، وله مقام ومزار يزوره عامة الناس ويتبركون به.

وفي إصفهان قبر شعيا في بناء مجلّل وفي جنبه قبر إسماعيل أحد أولاد الأئمة عليهم السلام.

وفي تلك البلدة قبور ومزارات لآل بيت الرسول ﷺ مجللة أيضاً قد

---

(١) جامع كرامات الأولياء للنبهاني ٢: ٢١٧ ط دار الفكر بيروت.

(٢) جامع كرامات الأولياء للنبهاني ٢: ٢٢٧.

زرتها في بعض الأسفار، وشاهدت آثار البركة منها،وشاهدت من زارها من المسلمين أيضاً.

وفي شوش قبر دانيال عليه السلام عليه بناء مجلّل يقصده الناس بالزيارة ويتبركون به وقد زرته كراراً.

وفي الشام قبر يحيى بن زكريا في جامع دمشق رأيت الناس تزوره ويتبركون به حتى غير المسلمين.

وقبور ومشاهد أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله، منهم السيدة زينب بنت أمير المؤمنين عليه السلام قرب دمشق ولها مقام شامخ عظيم يقصدها بالزيارة وطلب الحاجة كثير من الناس حتى غير المعتنقين بالإسلام لما يرون منها من الكرامات.

وهكذا قبر السيدة رقية عليها السلام بنت الحسين الشهيد عليه السلام حيث توفيت ودفنت في خربة الشام مظلومة محسورة على فراق أبيها معتنقة لرأسه الشريف وصار قبرها معظماً محترماً عند العام والخاص، ومن أجلّ القبور وملجأ للناس أجمعين، وقد اشتهرت تلك السيدة الصغيرة بباب الحوائج إلى الله.

وفي العراق مضافاً إلى مشاهد الأئمة الطاهرين المعصومين، قبور بعض الأنبياء مثل نبي الله هود وصالح في وادي السلام وقبر أبي الفضل العباس بن أمير المؤمنين الذي يعتقد بكراماته جميع أهل المذاهب والأديان ويقصدونه بحوائجهم من كل مكان،وأيضاً قبر السيد محمد بن علي الهادي ببلد فإنه معروف باستجابة الدعاء عنده، ورأيت الناس من جميع المذاهب يقصدونه بالزيارة والحوائج وينذرون له النذورات ولهم به اعتقاد كبير،وله حكايات وكرامات كثيرة... وذلك من فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

ختام الكلام في سيرة المسلمين

عزيزي القارئ: قد لاحظت ما قدمنا لك مما تداول بين أجيال المسلمين منذ عهدهم المتقدم،من لدن عهد الصحابة الأولين، والتابعين لهم بإحسان، ثم في الأدوار المتتابعة من زيارة قبر نبيهم الأعظم ﷺ، ومراقد الأئمة والأولياء والصالحين والعلماء، وشد الرحال إليها، والتوسل والاستشفاع بها.

وفي الزائرين علماء أعلام وأئِمة يقتدى بهم ويعتمد عليهم في كل من المذاهب، مضافاً إلى أن من ذكر تلك الروايات كلهم علماء وقادة ارتضوا تلكم الأعمال بنقلهم لها في مقام فضيلة المزورين وأرباب تلك المزارات، فعلى ذلك وقع التسالم بين فرق المسلمين في قرونهم المتطاولة، وذلك ينبئ عن الإجماع العملي المتحقق بين طبقات الأمة الإسلامية على استحسان ذلك كله وكونه سنة متبعة.

وأنت أيها المسلم المنصف إذا أعرت لما تلوناه عليك أُذناً واعية وابتعدت عن التعصبات، والطائِفية، فهل تجد لما يصفه المخالف للزيارة مقيلاً من الصدق؟

فهل كان المسلمون الأولون يرون ما يأتون به من الأعمال في مشاهد الموتى كفراً ثم يتقربون به إلى الله تعالى؟ حاشا وكلا لا يجوز أن نتّهم فرق المسلمين عامة بمثل هذه الافتراءات الشائنة.

وفي خلال مطالعتك لما قدمناه هل وجدت شيئاً من تلك الأعمال مختصة بالشيعة فحسب؟

وهل الأعمال التي تأتي بها الشيعة عند قبور الأولياء ـ وقد زعم المخالفون أنها كاشفة عن الغلو والتأليه لعلي وولده عليهم السلام ـ غير ما يأتي به أهل السنة وفي مقدمتهم أئمتهم عند تلكم المزارات من لدن عصر الصحابة حتى

اليوم من سرد ألفاظ زيارة جامعة لفضايل المزور، ومن الدعاء عند قبره، والصلاة لديه، وختم القرآن عنده وإهدائه إليه، والتوسل والاستشفاع به، وطلب قضاء الحاجة من الله تعالى بوسيلته، والتبرك به بالتزام أو تمريغ أو تقبيل، وتعظيمه بكل ما اقتضته حرمته واستوجبه خطره.

فلو صحت كلمات المخالفين بأن هذه الأعمال بدعة، ومن مصاديق الغلو والشرك بالله عزوجل، وإن فاعلها خارج عن ربقة الإسلام، لم يبق عندئذ معتنق بالإسلام منذ يومه الأول إلا من شذ من المخالفين والمنحرفين عن سيرة المسلمين.

فمع هذا التفصيل الذي وقع في سيرة المسلمين وزيارتهم لأئمة المسلمين، على القارئ العزيز أن يكون على بصيرة من أن الشيعة ليس بينها وبين المذاهب الأربعة قط اختلاف في هذه المسائل المهمة.

وإنما هي مما تسالمت عليه الأمة الإسلامية ولا يبقى له أي شك وترديد في مشروعية زيارة الرسول المصطفى وعترته النجباء صلوات الله عليهم أجمعين وسائر العلماء والصالحين من أمته ﷺ وتعظيمهم والتبرك بهم أيضاً.

ولا يخفى: إن هذه الكلمات والافتراءات الواهية لا غاية فيها إلا التفرقة بين صفوف المسلمين وإيجاد الخلاف والعداوة بينهم.

وهو ما يطلبه أعداء الدين الأجانب التي تظهر في كل فترة من الزمان من رداء من شذ عن المسلمين وأغواه الشيطان الرجيم الذي يريد أن يلقي العداوة والبغضاء بين المؤمنين.

وعلامة تأثير المشركين أنهم يتكلمون بما تهوى أنفسهم وتطلبه أساتذتهم، حتى لوكان كلامهم بهتاناً ولا يستند إلى دليل وبرهان.

الامم وتعظيم الأنبياء والأولياء وتشييد قبورهم

قد علمت أن مسألة زيارة القبور وتعظيم الأنبياء والأولياء والصالحين وتشييد قبورهم ليست مختصة بالمسلمين فقط، بل قد جرت سيرة الأمم السابقة عليها أيضاً، وأن الناس قبل الإسلام كانوا يعظمون قبور أنبيائهم وكبرائهم ومن كان له دورٌ في حضارتهم وتكاملهم، بزيارتها وبأنحاء التعظيم وبحسب عاداتهم وتطور أزمنتهم، ويشيدونها ويجعلون لهم ذكرى سنوية، وهي طريقة عقلاء العالم، حيث يرون هذه الأمور نوعاً من أداء الحق وتقديراً لمن له الحق، ولا يرونها عبادة لغير الله ولا ينظرون لها نظر الوثنية.

فالذي يلاحظ التاريخ يرى أن عقلاء الأمم المتحضرة والراقية يسعون في حفظ آثار عظمائهم وأسلافهم وحراستها عن الإندثار، ويفتخرون بها، لأنها آثار حضارية وتراث فكري، حيث إن آثار الأسلاف والعظماء وفي مقدمهم الأنبياء هي التي ترسم حركة الشعوب والأمم في طريق التقدم والتكامل وتُضيئ لها مسير الهداية وتحرسها من الضلالة.

فالمحافظة على تلك الآثار وتعظيمها توجب تقوية اعتقاد الناس وإيمانهم بأنبيائهم وفكرتهم وما دلّوا عليه، من عبادة الرحمن واجتناب الآثام، ويكون لها أثر عميق في تقوية دعائمها وتجذيرها وتحكيمها، ولو لم يجتهدوا في الحراسة على آثارها لأدى إلى زوالها واندثارها، وعلى أثر الإندثار والإندراس يتدخل روح الشك والريب في نفوس أتباعهم وتؤول إلى الإبتعاد عن فكرتهم وشريعتهم وكثيراً ما إنكارها، كما هو هدف أعداء الموحدين وعليه سعيهم.

ولو أمعنت النظر لرأيت هذا الحال ملموساً في المجتمع الغربي المسيحي فإنهم بمرور الزمان وتغير الأوضاع أخذ الشك والترديد والإنكار يدبّ في نفوسهم وأصبحوا يشكون حتى في أصل المسيح عليه السلام، وهذا لعدم وجود آثار

ملموسة من السيد المسيح فصاروا يعتبرونه أسطورة تاريخية لا أكثر.

والحال أن المسلمين ببركة الإسلام ودساتير القرآن الكريم حيث أكد على تعظيم شعائر الله والاهتمام بها وجعلها من تقوى القلوب، تراهم قد ظلوا في منأى عن مثل هذه الحالة، فقد حافظوا في طول التاريخ بكل فخر واعتزاز على الآثار الكريمة التي خلّفها الرسول المصطفى ﷺ وأهل بيته الطاهرين، من الاضمحلال والإندثار بسبب الحوادث ومرور الزمان.

ومن أحد الامتيازات والمرجحات التي تفوق بها الإسلام والقرآن عن سائر الأديان هي أن آثاره وأحكامه باقية وجارية في جميع الأدوار ومنطبقة على جميع الأحوال ولا تتغيّر بتّغير الزمان واختلاف الأطوار، وأن المجتمع الإسلامي وحتى غير الإسلامي لا يزال يستفيد من معطياتها وثمارها في سبيل التقدم والتعالي، ولا يشك أحد قط لحد الآن في وجود مثل هذه الشخصية المصلِحة العظيمة ـ النبي الأعظم ﷺ ـ ولا في حضارته التي بناها وأرسى قواعدها وأبدى هو وأهل بيته المعصومون جميع التضحيات في سبيل بقائها، وهذا الخلود كله ليس الا من جهة بقاء آثاره والإحتفاظ بها إلى هذا اليوم.

ولو لا هذا الإهتمام والجد والاجتهاد وتلك التضحيات التي بذلها الأئمة من أهل بيته من أجل حفظ الدين لاندرست آثاره وانطمست قواعده، كما كان الأعداء في صدده.

وبعد التعرّف على هذه الحقيقة أقول:

يجب على المسلمين أكيداً: أن يعظموا نبي التوحيد وأهل بيته عليهم السلام ،بالاهتمام بزيارتهم ونشر فضائلهم وكلماتهم والاحتفاظ بآثارهم.

فمحل ولادته ومكان عبادته ومناجاته والموضع الذي بُعث منه والنقاط التي ألقى فيها خُطَبه الشريفة وكان يدعوا الناس فيها با على صوته إلى

كلمة التوحيد بقوله ﷺ: «قولوا لا إله إلا الله تفلحوا»، والأماكن التي دافع فيها عن فكرته العظيمة ورسالته القويمة،والرسائل التي أرسلها إلى ملوك العالم، والدساتير والوصايا التي أوصى بها خصوصاً بالنسبة إلى أهل بيته وعترته، لابدّ أن تقدّس وتعظّم، حتى تصان من آفة الاندراس وأيدي الأعداء.

ومن أهم موارد التعظيم وأجلّها وأكمل موارد الترفيع، زيارة قبره ﷺ وقبور أهل بيته عليهم السلام وتشييدها وتعظيمها، فإن في زيارة هذا الجمع العظيم لقبورهم تذكاراً وتوعية للناس تجاه عبادتهم وكلماتهم ودعوتهم إلى التوحيد، وهو الذي تحذر منه الأعداء، فأين هذا من الشرك والغلو والتأليه؟! بل هو الذي يوصل الإنسان إلى حقيقة التوحيد وعبودية الله.

كيف وهذا ممّا أيدته النصوص القرآنية وسيرة المسلمين، فقد قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ وسيأتي الكلام عن مفاد هذه الآية الشريفة.

وقال: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ*رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ﴾[1].

لا يقال: إن المراد من البيوت في الآية المساجد.

لأن لفظ البيوت جاء في القرآن الكريم في مقابل المساجد، فإن المسجد الحرام غير بيت الله الحرام.

فالمراد من البيوت في الآية الشريفة هو بيوت الأنبياء وخاصة بيت نبينا محمد ﷺ وذريته الطاهرة عليهم السلام.

---

(١) النور: ٣٩ ـ ٣٧.

فقد روى السيوطي في تفسيره الدر المنثور عن أنس بن مالك وبريدة قال: قرء رسول الله ﷺ هذه الآية، فقام إليه رجل فقال: أي بيوت هذه يا رسول الله؟ قال: «**بيوت الأنبياء**».

فقام إليه أبو بكر فقال: يا رسول الله هذا البيت منها؟ مشيراً إلى بيت علي وفاطمة، قال: «**نعم من أفاضلها**»[1].

وفي الآية قرائن أخرى دالة على أن المراد بيوت الأنبياء. وفي مقدمتهم بيت النبي ﷺ وأهل بيته عليهم السلام، ويؤيد هذا التفسير للبيت قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾[2].

وقد صح وتواتر تفسيرها من طرق السنة والشيعة، نزولها في خصوص الخمسة الطيبة الذين اجتمعوا تحت العباء الخيبرية.

وفي الأحاديث المعتبرة من طرق الخاصة عن الإمام جعفر بن محمد عليه السلام إنه قال: وصل الله طاعة ولي أمره بطاعة رسوله، وطاعة رسوله بطاعته، فمن ترك طاعة ولاة الأمر لم يطع الله ولا رسوله، وهو الإقرار بما أنزل من عند الله عز وجل: ﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾، والتمسوا البيوت التي أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه، فإن الله أخبركم انهم ﴿رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ﴾ إلى آخر الحديث[3].

ولما حصر قتادة قاضي قضاة البصره عند الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام قال

---

(١) تفسير الدر المنثور للسيوطي ٥: ٢٥٠

(٢) الأحزاب: ٣٣.

(٣) تفسير نور الثقلين للحويزي ٣: ٦٠٨.

أبو جعفر عليه السلام له: أنت فقيه أهل البصرة؟ قال: نعم، فقال له أبو جعفر عليه السلام: ويحك يا قتادة إن الله خلق خلقاً من خلقه فجعلهم حججاً على خلقه، فهم أوتاد في أرضه، قوام بأمره، نجباء في علمه، إصطفاهم قبل خلقه، أظلة عن يمين عرشه، قال: فسكت قتادة طويلاً ثم قال: أصلحك الله يا بن رسول الله، والله لقد جلست بين يدي الفقهاء وقدامهم، فما اضطرب قلبي قدام واحد منهم ما اضطرب قدامك؟

فقال أبو جعفر عليه السلام: أما تدري اين أنت؟ أنت بين يدي ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ ... رِجَالٌ ...﴾ إلى آخر الآية، فأنت ثَم، ونحن أولئك، فقال له قَتادة: صدقت واللهِ، جعلني الله فداك ما هي بيوت حجارة ولا طين إلى آخر الخبر[1].

فاتضح لك أيها القارئ المنصف، مما بيناه إن الشيعة في تعظيمهم وزيارتهم لأهل بيت الوحي والتحفظ على آثارهم، قد عملوا على طبق وظائفهم وليس هذا الأمر مختصاً بهم، بل جرت عليه سيرة المسلمين على اختلاف مذاهبهم، بل جميع عقلاء العالم من الامم الحاضرة والامم المتقدمة أيضاً.

إنتهى الكلام في سيرة المسلمين والحمد لله رب العالمين.

---

(١) تفسير نور الثقلين ٣: ٦١٠.

الدليل السادس

ما يستفاد من الفروع والآداب المذكورة للزيارة

مسائل الزيارة دليل على مشروعيّتها

آداب الزيارة عند العامّة والإماميّة ودلالتها

ذرائع المانعين من الزيارة

التبرك بآثار النبي صلى الله عليه وآله والأولياء

طواف القبور

النذور لأهل القبور

تعمير قبور الأنبياء والأولياء والصلاة عندها

الصلاة عند القبور وبناء المساجد عليها أو حولها

مسائل الزيارة

دليل على مشروعيتها

مسائل الزيارة
دليل على مشروعيتها

وبعد استقصاء أدلة الزيارة، ينبغي التنبيه على مسائل ترتبط بالزيارة وتفيدنا في تقوية تلك الأدلة أكثر فأكثر، حيث يستفاد من هذه المسائل تسالم علماء المذاهب على رجحان زيارة النبي ﷺ وتأكدها ومحبوبية شد الرحال إليها من أي مكان كان.

المسألة الأولى:

تقديم زيارة قبر النبي ﷺ على الحج أفضل أم العكس؟

فقد اختلفت آراء علماء المذاهب في تقديم كل من الحج والزيارة على الآخر ففي شفاء السقام قال السبكي: إختلف السلف رحمهم الله في أن الأفضل البداءة بالمدينة قبل مكة أو بمكة قبل المدينة.

وممن نص على هذه المسألة وذكر الخلاف فيها الإمام أحمد في كتاب المناسك الكبير من تأليفه، وهذه المناسك رواها الحافظ أبو الفضل بإسناده عن عبدالله بن أحمد، عن أبيه، وفي هذه المناسك سئل عمن يبدأ بالمدينة قبل مكة؟ فذكر بإسناده عن عبد الرحمن بن يزيد وعطاء ومجاهد إنهم قالوا: إذا أردت مكة فلا تبدأ بالمدينة وابدأ بمكة، وإذا قضيت حجك فامرر بالمدينة إن شئت[1].

---

(١) وقد ذكر هذا الإسناد في شفاء السقام: ١٤٥.

وذكر بإسناده عن الأسود قال: أُحب أن يكون نفقتي وجهازي وسفري أن أبدأ بمكة. وعن إبراهيم الحنفي: إذا أردت مكة فاجعل كل شيء لها تبعاً وعن مجاهد: إذا أردت الحج أو العمرة فأبدأ بمكة واجعل كل شيء لها تبعاً.

وعن إبراهيم قال: إذا حججت فأبدأ بمكة ثم مرّ بالمدينة بعد.

وذكر الإمام أحمد أيضاً بإسناده عن عدي بن ثابت: أن نفراً من أصحاب رسول الله ﷺ كانوا يبدئون بالمدينة إذا حجوا يقولون: نهلّ من حيث أحرم رسول الله ﷺ.

وذكر ابن أبي شيبة في مصنّفه هذا الأثر أيضاً[1] وذكر بإسناده عن علقمة والأسود وعمر بن ميمون: أنهم بدأوا بالمدينة قبل مكة.

وقال الموفق بن قدامة: قال ـ يعني أحمد ـ: وإذا حج الذي لم يحج قط ـ يعني من غير طريق الشام ـ لا يأخذ على طريق المدينة، لأني أخاف أن يحدث به حدث، فينبغي أن يقصد مكة من أقصر الطرق، ولا يتشاغل بغيره.

قلت: وهذا في العمرة متجه، لأنه يمكنه فعلها متى وصل إلى مكة، وأما الحج فله وقت مخصوص، فإذا كان الوقت متسعاً لم يفت عنه بمروره بالمدينة شيء.

وممن نص على هذه المسألة من الأئمة أبو حنيفة وقال: الأحسن أن يبدأ بمكة، روى ذلك الحسن بن زياد عنه فيما حكاه أبو الليث السمرقندي.

هذا ما نقله السبكي من الأقوال في البدءة بمكة أو المدينة.

ثم قال مستدلاً بهذه الأقوال على مشروعية الزيارة: فانظر كلام السلف والخلف في إتيان المدينة إما قبل مكة، وإما بعدها، ومن أعظم ما تؤتى له

---

(١) المصنف لابن أبي شيبة ٤: ٢١٨ ب ٣٢ في الرجل يبدأ بمكة أو بالمدينة:ح ١.

المدينة الزيارة، ألا ترى أن بيت المقدس لا يأتيه إلا القليل من الناس وإن كان مشهوداً له بالفضل، والصلاة فيه مضاعفة؟! فتوفر الهمم خلفاً عن سلف على إتيان المدينة، إنما هو لأجل الزيارة، وإن اتفق معها قصد عبادات أُخَر، فهو مغمور بالنسبة إليها.

وقال أيضاً: وأما ما نقل من تعليل بعض الصحابة بالإهلال من ميقات النبي ﷺ فذلك أمر مقصود، وليس هو كل المقصود، ولعلهم ﷺ رأوا أنه ميقاتهم الأصلي لما كانوا بالمدينة مع نبيهم ﷺ فأحبوا أن لا يغيروا ذلك، وإلا فالنبي ﷺ وقّت لأهل كل بلد ميقاتاً، ولعل الإحرام منه أولى، إلا أن يعارضه معارض.

والتابعون الكوفيون الذين اختاروا البداءة بالمدينة لم ينقل عنهم تعليل، فلعل سببه عندهم إيثار الزيارة، ولو كانت العلة الإحرام من ميقات النبي ﷺ لم يأتوها إذا اتفق لهم البداءة بمكة، لفوات الإحرام، فلما اتفقوا على إتيانها ـ وإنما اختلفوا في البداءة ـ دل على أن العلة غيره، وهي ما فيها من المشاهد، وأعظمها الزيارة، فهي إما كل المقصود، أو معظمه، وغيرها منغمر فيها[1].

فالذي يستفاد من خلال كلمات السبكي مضافاً إلى تأكد الزيارة هو ترجيحه البداءة بالزيارة فيما إذا كان الوقت واسعاً ولم يصل وقت الحج.

وقال الشيخ على القارئ: الأنسب أن تكون الزيارة بعد الحج كما هو مقتضى القواعد الشرعية من تقديم الفرض على السنة.

وقد روى الحسن عن أبي حنيفة تفصيلاً حسناً وهو: أنه إن كان الحج فرضاً فالأحسن للحاج أن يبدأ بالحج ثم يثني بالزيارة، وإن بدأ بالزيارة جاز، وإن كان الحج نفلاً فهو بالخيار فيبدأ بأيهما شاء....

---

(١) شفاء السقام: ١٤٧ الطبعة الرابعة.

ثم قال: والأظهر أن الإبتداء بالحج أولى لإطلاق الحديث ولتقديم حق الله على حقه ﷺ ولذا تقدم تحية المسجد النبوي على زيارة المشهد المصطفوي[١].

نظر الإمامية في المسألة

وإليك بعض فتاوى وكلمات علماء الإمامية في هذه المسألة:

قال النراقي في مستند الشيعة بعد ذكر الأحاديث المستفيضة والإجماع والضرورة في تأكد زيارة قبر النبي ﷺ:

واختلفت الأخبار في أفضلية البدأة بمكة والختم بالمدينة أو بالعكس، أو التساوي، ففي حسنة سدير عن أبي جعفر عليه السلام قال: «إبدأوا بمكة واختموا بنا»[٢].

وفي صحيحة البرقي[٣].

ورواية غياث بن إبراهيم، عن جعفر، عن أبيه، قال: سألت أبا

---

(١) شرح المشكاة للقارئ ٣: ٢٨٤ نقلاً من الغدير ٥: ١٢٦. وقال الأميني في الهامش حول مقتضى القواعد الشرعية التي ذكرها القارئ: هذه القاعدة إنما تؤخذ في موارد تزاحم الأمرين لا مطلقاً والمقام ليس منها ،كما لا يخفى ،فإن الحج فريضة موقوتة فلا بأس بتقديم المندوب عليها قبل ظرفها.إنتهى كلامه.

والظاهر أن مراد الشيخ علي القاري من الحديث في قوله (لإطلاق الحديث) هو قوله ﷺ: «من حج فزار قبري بعد وفاتي كان كمن زارني في حياتي».

(٢) الكافي ٤: ٥٥ ح ١، الفقيه ٢: ٣٣٤ / ١٥٥٢، الوسائل ١٤: ٣٢١ أبواب المزار وما يناسبه ٢.

(٣) الكافي ٤: ٥٥٠ / ٢، الوسائل ١٤: ٣٢٠ أبواب المزار وما يناسبه ١: ٤.

جعفر عليه السلام[١]: أبدأ بالمدينة أو بمكة؟ قال: إبدأ بمكة واختم بالمدينة، فإنه أفضل.

وفي صحيحة العيص قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام: عن الحاج من الكوفة يبدأ بالمدينة أفضل أو بمكة؟ قال عليه السلام: بالمدينة[٢].

وفي حسنة يقطين قال: سألت أبا الحسن عليه السلام عن الممر بالمدينة في البداية أفضل أو في الرجعة؟ قال عليه السلام: لا بأس بذلك أيه كان[٣].

وحمل الفقيه والتهذيبان الأخبار الأولية على المختار، وما بعدها على من حج على طريق يمر بالمدينة أولاً، فالبداءة بها أفضل، لئلا يُخترم دون ذلك أو لايرجع[٤].

ثم قال النراقي: أقول: لا شك في أفضلية البدأة بالمدينة مع المرور بها، لأن تركها حينئذ نوع من الجفاء، بل استخفاف، مضافاً إلى جواز الإخترام أو عدم الرجوع،وإنما الكلام في المختار، وحمل الأخبار الأخيرة على المار بلا شاهد، فتتعارض الأخبار، ولابد لنا من الحكم بالتخيير، كما هو مقتضى الأخيرة، إلا أن الاعتبار يحكم بأفضلية البدأة بالمدينة مع الاختيار لتحصيل الإستعداد، ولأنها مقتضى ترتيب الصعود ﴿وأْتُوا الْبُيُوتَ

---

(١) الفقيه ٢: ٣٣٤ / ١٥٥٥، التهذيب ٥: ٤٣٩ / ١٥٢٦، الوسائل ١٤: ٣١٩ أبواب المزار وما يناسبه ١: ١.

(٢) التهذيب ٥: ٤٣٩ / ١٥٢٧، الاستبصار ٢: ٣٢٩ / ١١٦٦ الوسائل ١٤: ٣١٩ أبواب المزار وما يناسبه ١ تحقيق مؤسسة آل البيت.

(٣) (حسنة يقطين) كذا في النسخ والموجود في المصادر: علي بن يقطين، التهذيب ٥ : ٤٤٠ / ١٥٢٨، الاستبصار ٢: ٣٢٩ / ١١٦٧، الوسائل ١٤: ٣١٩ أبواب المزار وما يناسبه ١: ٢.

(٤) الفقيه ٢: ٣٣٤، التهذيب ٥: ٤٤٠، الاستبصار ٢: ٣٢٩.

مِنْ أَبْوابِهَا﴾ البقرة: ١٨٩ إنتهى كلام النراقي. وهو كما ترى قد حكم بأفضلية البدأة بالمدينة[١].

قال السيد الطباطبائي في العروة الوثقى: مسألة ٥: تستحب البدأة بزيارة نبينا الأعظم ﷺ على إتيان مكة مع الإمكان.

وقال السيد السبزواري في مهذب الأحكام في شرحه على كلام صاحب العروة: لأن فناء الملك لا يؤتى به إلا من طريق سفيره، ولتحصيل الإستعداد للتشرف بحرم الله تعالى، ولأنه ﷺ باب الله تعالى ولابد من إتيان البيوت من أبوابها، وقد أفتى بذلك جمع من الفقهاء منهم الفاضل في القواعد، وفي خبر العيص قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن الحاج من الكوفة يبدأ بالمدينة أفضل أو بمكة؟ قال عليه السلام بالمدينة.

وأما خبر غياث: سألت أبا عبد الله جعفر عليه السلام ابدأ بالمدينة أو بمكة؟ قال عليه السلام ابدأ بمكة واختم بالمدينة فإنه أفضل[٢].

وخبر سدير عن الصادق عليه السلام إبدأوا بمكة واختموا بنا[٣].

وقوله عليه السلام في خبر ابن مهران: إذا حج أحدكم فليختم بزيارتنا لأن ذلك من تمام الحج[٤] إلى غير ذلك مما سبق من هذا المساق،فيمكن حملها على من لا يتمكن من البدأة، أو على أنه نحو اهتمام بالحج لئلا يفوته بعد تحمل متاعب السفر؛ أو على التخيير مع أولوية البدأة، لما ذكرناه من الخبر والاعتبار[٥].

---

(١) مستند الشيعة للنراقي ١٣: ٣٣٠ ـ ٣٢٩.

(٢) هذا الخبر وما قبله قد تقدم ذكرهما من النراقي مع مصادرهما.

(٣) الوسائل ١٤: ٣٢١ باب: ٢ من أبواب المزار حديث: ٢.

(٤) الوسائل ١٤: ٣٢٤ باب ٢: من أبواب المزار الحديث: ٧.

(٥) مهذب الأحكام للسبزواري ١٥: ٤٢.

ولعلماء الإمامية والعامة أيضاً فتاوى وأقوال كثيرة في هذه المسألة وحيث أنها متشابهة فلا حاجة إلى نقلها كلها، لحصول الغرض بهذا المقدار وهو بيان تسالم جميع علماء الأمة الإسلامية على تأكد زيارة قبر الرسول المصطفى ﷺ مطلقاً سواء كان بعد الحج أو قبله.

والذي يستفاد من خلال الروايات والجمع بينها وكلمات الأعلام في البدأة بمكة أو المدينة هو: أنّ من كان طريقه على غير المدينة وكان وقت الحج متسعاً فهو بالخيار، لكن إذا خاف حدوث مانع بحيث يصده عن الحج فالأولى تقديم الحج.

والحاصل: أن البداءة بزيارة قبر النبي ﷺ مع الإمكان وسعة الوقت أفضل، لما فيها من الإستعداد والتهيء الروحي والمعنوي لأداء تلك الفريضة العظيمة والوفود على حرم الله ﷻ، وكما قال السيد السبزواري: إن فناء الملك لا يؤتى إلامن طريق سفيره، ولأنه باب الله تعالى ولابد من إتيان البيوت من أبوابها،كما في قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[1] فالبدأة بزيارته ﷺ مقتضى ترتيب الصعود.

ويستفاد أيضاً من خلال الروايات المذكورة تأكيد زيارة الأئمة المعصومين عليهم السلام.

ويؤيده ما ورد عنهم عليهم السلام: إبدأوا بمكة واختموا بنا، أو أن ذلك من تمام الحج[2].

وما قاله أبو جعفر عليه السلام إنما أمر الناس أن يأتوا هذه الأحجار

---

(١) البقرة: ١٨٩.

(٢) مصدر هذا الحديث وما قبله تقدم في نقل كلام السبزواري.

فيطوفوا بها، ثم يأتونا فيخبرونا بولايتهم ويعرضوا علينا نصرهم[١].

وبالإسناد عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام في حديث، قال: قلت له: إن ذريحا حدثني عنك إنك قلت: «ليقضوا تفثهم» أي لقائهم الإمام «وليوفوا نذورهم» تلك المناسك، قال: صدق ذريح وصدقت، إن للقرآن ظاهراً وباطناً، ومن يحتمل ما يحتمله ذريح؟[٢].

ورواه الكليني في الكافي[٣] والصدوق في معاني الأخبار أيضاً[٤].

وفي الفقيه بإسناده عن الحسن بن علي الوشاء،عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: إن لكل إمام عهداً في عنق أوليائه وشيعته وإن تمام الوفاء بالعهد زيارة قبورهم، فمن زارهم رغبة في زيارتهم وتصديقاً بما رغبوا فيه كان أئمتهم شفعائهم يوم القيامة[٥].

والروايات في هذا الباب كثيرة اقتصرنا على بعضها تتميماً للفائدة.

المسألة الثانية

ومن المسائل التي تعطينا درس التسالم على مشروعية الزيارة هو:

---

(١) الفقيه ٢: ٣٣٤ / ١٥٥٣، وقد رواه أيضاً في العيون والعلل بالإسناد ورواه الكليني عن علي بن إبراهيم مثله، الكافي ٤: ١٥٥.

(٢) الفقيه ٢: ٢٩٠ / ١٤٣٧.

(٣) الكافي ٤: ٥٤٩ / ٤.

(٤) معاني الأخبار: ٣٤٠ / ١٠.

(٥) الفقيه ٢: ٣٤٥ / ١٥٧٧ ورواه المفيد في المقنعة مرسلاً: ٧٥ ورواه الصدوق أيضاً في العيون والعلل عن الوشاء، ورواه الكليني عن الوشاء أيضاً ،والشيخ بإسناده عن موسى بن عبد الله مثله، ولاحظ الوسائل ١٤: ٣٢٢ باب ٢ من أبواب المزار ح ٥.

أن المتسالم عليه بين جميع فرق المسلمين سلفاً وخلفاً، جواز استنابة النائب واستيجار الأجير لزيارة قبر النبي ﷺ لمن عاقه عنها عذر، ولو لم تكن الزيارة مشروعة لما أفتوا بجواز النيابة.

وقد ذكرنا سابقاً أن عمر بن عبد العزيز كان يبرد البريد من الشام ليقرأ السلام على النبي ﷺ، وأن يزيد بن أبي سعيد لما أراد أن يودعه قال له: إن لي إليك حاجة إذا أتيت المدينة سترى قبر النبي ﷺ فاقرأه مني السلام[1].

وقد استفاض هذا الأمر عن عمر بن عبد العزيز وذكره أكثر أئمة المذاهب منهم البيهقي في شعب الإيمان، وأبوبكر أحمد بن عمرو النيلي المتوفى ٢٨٧هـ في مناسكه، وتقي الدين السبكي في شفاء السقام، والقاضي عياض في الشفاء، والحافظ ابن الجوزي في مثير الغرام الساكن والقسطلاني في المواهب اللدنية، وغيرهم.

وقال أبو الليث السمرقندي الحنفي في الفتاوى في باب الحج: قال أبو القاسم: لما أردت الخروج إلى مكة قال القاسم بن غسان: إن لي إليك حاجة إذا أتيت قبر النبي ﷺ فاقرأه مني السلام، فلما وضعت رجلي في مسجد المدينة ذكرت.

وقال الفقيه في ذيل هذه الحكاية: فيه دليل أن من لم يقدر على الخروج يأمر غيره ليسلم عنه فإنه ينال فضيلة السلام[2].

قال عبد الحق بن محمد الصقلي المالكي المتوفى ٤٦٦هـ في تهذيب الطالب: رأيت في بعض المسائل التي سئل عنها الشيخ أبو محمد بن أبي

---

(١) الشفاء للقاضي عياض ٢: ٢٨٥ والمواهب اللدنية القسطلاني ٣: ٤٠٦ ط دار الكتب العلمية ـ بيروت والبيهقي في شعب الإيمان ٣: ٤٩٢.

(٢) شفاء السقام: ١٤٤.

زيد، قيل له في رجل إستوجر بمال ليحج به وشرطوا عليه الزيارة فلم يستطع تلك السنة أن يزور لعذر منعه من تلك؟ قال: يرد من الأجرة بقدر مسافة الزيارة، قال الحاكي لذلك عنه: وقال غيره من شيوخنا: عليه أن يرجع ثانية حتى يزور، وقال ابن عبد الحق: أُنظر إن استوجر للحج لسنة بعينها فهاهنا يسقط من الأجرة ما يخص الزيارة، وإن استوجر على حجة مضمونة في ذمته فهاهنا يرجع ويزور وقد اتفق النقلان[1].

وقالت الشافعية كما حكى عنهم السبكي: إن الإستيجار والجعالة إن وقعا على الدعاء عند قبر النبي ﷺ أو على إبلاغ السلام فلا شك في جواز الإجارة والجعالة كما كان عمر بن عبد العزيز يفعل، وإن كانا على الزيارة لا يصح لأنها عمل غير مضبوط[2].

وقال صاحب الحاوي في باب الإجارة على الحج: لو استأجره لزيارة قبر النبي لم يصح، وأما الجعالة على زيارة القبر فإن كانت لمجرد الوقوف عند القبر ومشا هدته لم تصح، لأنه لا تدخله النيابة وإن كانت على الدعاء عند زيارة قبره ﷺ صحت، لأن الدعاء تدخله النيابة ولا تضر الجعالة بنفس الدعاء[3].

وقال ابن بطة العكبري الحنبلي المتوفى ٣٨٧ في كتاب الإبانة: بحسبك دلالة على إجماع المسلمين واتفاقهم على دفن أبي بكر وعمر مع النبي، أن كل عالم من علماء المسلمين وفقيه من فقهائهم ألّف كتاباً في المناسك ففصّله فصولاً وجعله أبواباً يذكر في كل باب فقهه ولكل فصل

---

(١) تهذيب الطالب للصقلي ـ كما حكاه السمهودي في وفاء الوفا ٤: ١٣٧٠ ط دار إحياء التراث العربي.

(٢) راجع شفاء السقام: ١٦١، وفاء الوفا ٤: ١٣٧٠

(٣) المجموع للنووي ٧: ١٣٨.

عمله وما يحتاج الحاج إلى علمه والعمل به قولاً وفعلاً، من الإحرام والطواف والسعي، والوقوف، والنحر، والحلق والرمي، وجميع ما لا يسع الحاج جهله ولا غنى بهم عن عمله، حتى زيارة قبر النبي ﷺ، فيصف ذلك فيقول: ثم تأتي القبر فتستقبله وتجعل القبلة وراء ظهرك وتقول: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته... .

إلى أن قال: ولقد أدركنا الناس ورأيناهم وبلغنا عمن لم نره أن الرجل إذا أراد الحج فسلم عليه أهله وصحابته قالوا له: وتقرأ على النبي وأبي بكر وعمر منا السلام، فلا ينكر ذلك أحد ولا يخالفه[1].

وقال الديمي في التقفية: إن حاصل ما في مسألة الاستئجار للزيارة ثلاثة أوجه للأصحاب أصحها فيما حكاه ابن سراقة في مختصره جواز ذلك واختاره الإمام محمد بن أبي بكر الأصبحي صاحب الإيضاح والمفتاح وأفتى به[2].

وذكر محي الدين النووي في المجموع، والغزالي في الإحياء، والسبكي والسمهودي، والقسطلاني، وغيرهم: إن كان قد أوصاه أحد بتبليغ السلام على النبي ﷺ يقول: السلام عليك يا رسول الله من فلان بن فلان، أوفلان بن فلان يسلم عليك يارسول الله[3].

والحاصل: أن المستفاد من كلمات الأعلام في جواز الاستنابة وأحكامها هو الاتفاق على مشروعية الزيارة وتأكدها، وحيث أن علماء الشيعة متفقون على هذه المسألة قد اكتفينا بذكر بعض أقوال علماء

---

(١) الإبانة لابن بطة ،ولاحظ شفاء السقام: ١٤٨.

(٢) لاحظ وفاء الوفا ٤: ١٣٧١.

(٣) المجموع للنووي ٨: ٢٧٤، إحياء علوم الدين ١: ٣٠٧، شفاء السقام: ١٥٨، وفاء الوفا ٤: ١٣٩٨، المواهب اللدنية للقسطلاني ٣: ٤١٢.

العامة فقط، لحصول الغرض بها، والطالب لتفصيل مسائل النيابة يراجع إلى محالها من كتب الشيعة والعامة.

المسألة الثالثة

ومن جملة المسائل التي يستفاد منها الإتفاق على مشروعية زيارة قبر النبي الأعظم ﷺ ورجحانها هي مسألة النذر.

قال العبدي المالكي في شرح الرسالة: وأما النذر للمشي الى المسجد الحرام، أو المشي إلى مكة، فله أصل في الشرع وهو الحج والعمرة، وإلى المدينة المنورة لزيارة قبر النبي ﷺ أفضل من الكعبة ومن بيت المقدس، وليس عندهم حج ولا عمرة، فإذا نذر المشي إلى هذه الثلاثة لزمه، فالكعبة متفق عليها، واختلف أصحابنا وغيرهم في المسجدين الآخرين[١].

وقال ابن الحاج في المدخل بعد نقل هذه العبارة: وهذا الذي قاله مسلّم صحيح لا يرتاب فيه إلا مشرك أو معاند لله ولرسوله ﷺ[٢].

وقال السبكي في شفاء السقام بعد ذكر كلام العبدي، قلت: الخلاف الذي أشار إليه، في نذر إتيان المسجدين لا في الزيارة[٣].

وقال السبكي في موضع آخر بعد كلام طويل حول نذر العبادات حيث جعلها على أقسام، وصدّر كلامه بقوله:

فإن قلت: ما قولكم فيمن نذر زيارة قبر النبي ﷺ هل ينعقد نذره ويلزمه ذلك؟ أم لا، فإن مقتضى قولكم بإستحبابها أن يلزم النذر.

---

(١) شفاء السقام: ١٦٦، وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى ٤: ١٣٧٠.

(٢) المدخل لابن الحاج ١: ٢٥٦

(٣) الإبانة لابن بطة ولاحظ شفاء السقام: ١٦٦.

قلت: نعم نقول بانعقاد نذره، ولزوم الزيارة به، وبه صرح القاضي ابن كج من أصحابنا، ولم نر لغيره من الأصحاب خلافه، وقد قدمنا في الباب الرابع عن العبدي المالكي لزومه.

على أنه لا يلزم أنّ كل مستحب أو قربة يلزم بالنذر، فإن القربات نوعان... [١].

وفصل الكلام ونقل الأقوال فيها، ثم قال: إذا عرفت هذا، فزيارة قبر النبي ﷺ قربة، لحث الشرع عليها، وترغيبه، وقد قدّمنا أن فيها جهتين: جهة عموم، وجهة خصوص:

فأما جهة الخصوص، وكون الأدلة الخاصة وردت فيها بعينها، فيظهر القطع بلزومها بالنذر إلحا قاً لها بالعبادات المقصودة التي لا يؤتى بها إلا على وجه العبادة، كالصلاة والصدقة والصوم والاعتكاف.

ولهذا المعنى والله أعلم قال القاضي ابن كج: إذا نذر أن يزور قبر النبي ﷺ فعندي أنه يلزمه الوفاء وجهاً واحداً، ولو نذر أن يزور قبر غيره ففيه وجهان.

ثم قال: قلت: وما قاله من القطع بلزوم الوفاء بها هو الحق، لما قدمناه من الأدلة الخاصة عليها،وتردده في قبر غيره يحتمل أن يكون.... [٢].

إلى أن قال: وإذا نظرنا إلى زيارة النبي ﷺ من جهة العموم خاصة واجتماع المعاني التي تقصد بالزيارة فيه،فيظهر أن يقال أيضاً: أنه يلزم بالنذر قولاً واحداً، ويحتمل أن يكون على بعد، أن يقال: إنه كما لو نذر زيارة القادمين وإنشاء السلام فيجري في لزومها بالنذر ذلك الخلاف، مع

---

(١) شفاء السقام: ١٩٦ ـ ١٦٧.

(٢) شفاء السقام: ٢٠٠ ـ ٢٠٤.

كونها قربة في نفسها قبل النذر وبعده، وقد بان لك بهذا أنها تلزم بالنذر... [١].

وحيث إن هذه المسالة من المتسالم عليها عند الإمامية أيضاً، فإن من نذر إتيان قبر الرسول المصطفى ﷺ أو أحد الأئمة عليهم السلام، لزم نذره ووجب أداؤه بلا خلاف بينهم.

لهذا لم نذكر أقوالهم وكلماتهم رعاية للاختصار، لأن أصل غرضنا من ذكر هذه الفروع، هو إثبات التسالم والاتفاق على مشروعية الزيارة، وقد حصل الغرض بهذا المقدار، بل يحصل بأقل منه إن شاء الله.

ولكن مع هذه الأدلة الكثيرة والقرائن الجميلة، إذا أردت أن نكثر لك بالدليل في مشروعية الزيارة فنقول: إن الأداب المذكورة في زيارة الروضة المنورة ومتون الزيارات الواردة التي قد ذكرها جميع علماء المذاهب، أحسن دليل وبرهان على مشروعيتها وتأكدها فإنها تتفرع على استحباب الزيارة ومندوبية شد الرحال، ومحتواها أحسن جواب على من ادعى أنها شرك وبدعة وضلال.لأنها مشحونة من الألفاظ والكلمات التي تذكر الإنسان بعبادة الله والخضوع والخشوع له والتوجه إليه والشهادة بوحدانيته ورسالة أنبيائه وولاية أوليائه، وأنهم عباد الله وأحبائه.

فنذكر لك نبذة من الآداب الواردة التي ذكرها علماء المذاهب وأصحاب المناسك لما فيها من الفوائد والشواهد على ما نقول.

---

(١) شفاء السقام: ٢٠١ ط ٤.

آداب الزيارة

عند العامّة والإماميّة

أولاً:

آداب الزيارة عند العامّة

قد خصص علماء المذاهب في آداب الزيارة والقول فيها كتباً، منهم جمال الدين عبد الله الفاكهي المكي الشافعي المتوفى ٩٢٧هـ وقد سماه بحسن التوسل في آداب زيارة أفضل الرسل، وجمع أربعاً وتسعين أدباً من آداب الزائر.

ونحن نذكر الآن ملخصاً من الآداب والأعمال الواردة منذ دخول المدينة المنورة إلى حين الخروج منها، التي قد ذكرها علماء الجمهور في كتبهم ومناسكهم[1]:

١ ـ إخلاص النية، فإن الأعمال بالنيات، فلابد للزائر أن ينوي التقرب إلى الله تعالى بزيارته لرسول الله ﷺ وينوي معه زيارة مسجده

---

(١) الكتب التي اعتمدنا عليها: الشفاء للقاضي عياض ٢: ٨٤ ـ ٩٤، إتحاف الزائر لابن عساكر: ٣٠ ـ ١١٦، المجموع لمحي الدين النووي ٨: ٢٧٢ ـ ٢٨٠، إحياء علوم الدين للغزالي ١: ٣٠٧ ـ ٣٠٩، وفاء الوفا للسمهودي ٤: ١٣٨٨ ـ ١٤١٩، مغني المحتاج للخطيب الشربيني ١: ٥١٣، كنز المطالب للعدوي الحمزاوي: ٢١٦، شرح المواهب للزرقاني ١٢: ٢١٩، حسن الأدب لجمال الدين الفاكهي: ٨٣، الكفاية لذوي العناية للفاخوري: ١٢٥ ـ ١٣١، شرح الشفاء للخفاجي ٣: ١٧١.

وشد الرحل إليه والصلاة فيه.

٢ ـ يستحب أن يتصدق عند الخروج من منزله ولو بشي قليل.

٣ ـ أن يكثر من الصلوة والتسليم على النبي ﷺ وآله فإنها أفضل الأذكار، بل يحاول أن يستغرق أوقاته في الطريق بهذا الذكر الشريف وسائر الأذكار.

٤ ـ إذا خرج من بيته يقول: بسم الله وتوكلت على الله ولا حول ولا قوة إلا بالله، اللهم إليك خرجت وأنت أخرجتني، اللهم سلمني وسلم مني وردني سالماً في ديني كما أخرجتني، اللهم إني أعوذ بك أن أضِل أو أُضَل، أو أذل أو أذل، أو أظلم أو أظلم أو أجهل أو يُجهل علي، عز جارك وجل ثناؤك وتبارك إسمك ولا إله غيرك.

٥ ـ إذا مرّ في طريقه على الآثار والمساجد المنسوبة إلى النبي ﷺ يحيّيها بالزيارة والصلاة فيها.

٦ ـ إذا قرب من المدينة المنورة ووقع بصره على معالمها، فليستحضر حالة الخضوع والخشوع والتوجه ويشكر البارئ ﷻ على بلوغ المنى وحصول السعادة بالتشرف بزيارة النبي الأقدس ﷺ ويكثر من الصلاة والتسليم عليه ويسأل الله أن ينفعه بزيارته ويسعده بها في الدارين وأن لا يرده خائباً خاسراً، وأن يستحضر بأنها البقعة التي شرفها الله بأشرف بريته وأفضل رسله وأنها روضة من رياض الجنة.

٧ ـ يستحب إن أمكن الترجل والمشي عند رؤية ذلك المشهد الشريف كما كان يفعله كثير من المسلمين حيث كانوا ينزلون عن دوابهم ورواحلهم تعظيماً وتكريماً للنبي الأكرم ﷺ، وما كان يُنكِر عليهم أحد[1]،

---

(١) فإن وفد عبد القيس بن عاصم لما رأوا النبي ﷺ نزلوا عن راحلتهم ولم ينكر ﷺ

ذلك عليهم، وقد نقل حديث قيس بهذا النحو: إن قيس بن عاصم لما قدم مع وفده أسرعوا هم بالدخول، وثبت هو حتى أزال مهنته وآثار سفره ولبس ثيابه، وجاء على تؤدة ووقار ثم أتى النبي ﷺ فرضي له ذلك واثنى عليه بقوله: «إن فيك لخصلتين يحبهما الله»، الحلم والأناة. وفاء الوفا ٤: ١٣٩١ دار احياء التراث العربي - بيروت.

وقال أبو سليمان داود المالكي في الانتصار: إن ذلك يتأكد فعله لمن أمكن من الرجال وأنه يستحب تواضعاً لله تعالى وإجلالا لنبيه ﷺ. المصدر السابق.

وحكى القاضي عياض في الشفاء أن أبا الفضل الجوهري لما ورد المدينة زائراً وقرب من بيوتها ترجل باكياً منشدا:

ولما رأينا رسم من لم يدع لنا ... فؤاداً لعر فان الرسوم ولا لُبّاً
نزلنا عن الأكوار نمشي كرامة ... لمن بان عنه أن نلمّ به ركبا

لاحظ المواهب اللدنية للقسطلاني ٣: ٤٠٧.

وحكاها القسطلاني في المواهب بنحو آخر وهو:

إن العلامة أبا عبد الله بن رشيد قال: لما قدمنا المدينة سنة أربع وثمانين وستمائة، كان معي رفيقي الوزير أبو عبد الله بن أبي القاسم بن الحكيم، وكان أرمد، فلما دخلنا ذا الحليفة أو نحوها عن الأكوار، وقوي الشوق لقرب المزار، فنزل وبادر إلى المشي على قدميه إحتساباً لتلك الآثار وإعظاماً لمن حل تلك الديار فأحس بالشفاء، فأنشد لنفسه في وصف الحال لمن حلّ في تلك الديار:

ولما رأينا من ربوع حبيبنا ... بيثرب أعلاماً أثرن لنا الحبّا
وبالترب منها إذ كحلنا جفوننا ... شفينا فلا بأسا نخاف ولا كرباً
وحين تبدّى للعيون جمالها ... ومن بعدها عنّا أذيلت لنا قربا
نزلنا عن الأكوار نمشي كرامة ... لمن حلّ فيها أن نلمَّ له ركبا
نشح سجال الدمع في عرصاته ... ونلثم من حب لواطئه التربا

ولا يصح التفريق بين حياته ﷺ والممات لما ثبت من أن تعظيمه بعد الوفاة كتعظيمه في الحياة.

وإنه ﷺ حيٌّ حياة برزخية وإنه يعلم من يحضر عنده ويسمع كلامه ويردّ جوابه.

٨ ـ إذا بلغ حرم المدينة الشريفة فليصل على النبي ﷺ، ويقول: اللهم هذا حرم رسول الله ﷺ الذي حرمته على لسانه، ودعاك أن تجعل فيه من الخير والبركة مثلَي ما في حرم البيت الحرام، فحرمني على النار، وآمنّي من عذابك يوم تبعث عبادك وارزقني من بركاته ما رزقته أولياءك وأهل طاعتك، ووفقني لحسن الأدب وفعل الخيرات وترك المنكرات ثم تشتغل بالصلاة والتسليم أيضاً.

وقال بعضهم: فإذا عاين حيطان المدينة المنورة يصلي على النبي ﷺ ثم يقول: اللهم هذا حرم نبيك ومهبط وحيك فامنن عليّ بالدخول فيه واجعله وقاية لي من النار وأماناً من العذاب واجعلني من الفائزين بشفاعة المصطفى يوم المآب[1].

٩ ـ إن كان طريقه على ذي الحليفة ووصل إلى معرّس النبي ﷺ فلينزل بها ويصلي فيها، فإن كان وقت فريضة فيصلي، وإلا فنافلة، فإن النبي ﷺ كان يعرس فيه ويصلي.

١٠ ـ يستحب للزائر أن يغتسل قبل دخول المدينة أو بعده قبل التوجه للزيارة، ويتطيب ويلبس أحسن ثيابه تعظيماً للقدوم على النبي ﷺ ويدخل

فيا عجباً ممن يحب بزعمه ... يقيم مع الدعوى ويستعمل الكذبا

وزلات مثلي لا تعدّد كثرة ... وبُعدي عن المختار أعظمها ذنبا

المواهب اللدنية ٣: ٤٠٧.

(١) وهو الشر نبلالي في خاتمة مراقي الفلاح.

في المدينة ماشياً إن أمكن، للتأدب،وليستحضر أنه يضع قدمه على أرض قد تشرفت بأقدام النبي ﷺ، فإنه ما من موضع يطأه إلا وهو موضع قدمه ﷺ فإن كل المدينة، ترابها وطرقها ودورها وما حولها قد شملته بركته ﷺ، فإن أهل المدينة كانوا يتبركون بدخوله منازلهم ويدعونه إليها وإلى الصلاة في بيوتهم، ومن أجل ذلك روي أن مالك امتنع من ركوب دابته في المدينة وقال: لا أطأ بحافر دابة في أرض كان يمشي ﷺ فيها.

وعلى الزائر ألاّ يضع قدمه على مكان في أرض المدينة إلا مع الهيبة والسكينة مستحضراً خشوع النبي ﷺ وخضوعه وتعظيمه لله ﷻ حينما كان فيها، ويتأسف على فوت رؤيته في الدنيا.

١١ـ إذا شاهد المسجد والحرم الشريف فليكثر من الخضوع والخشوع أكثر فأكثر ويجتهد في أن يوفي للمقام حقه من التعظيم والقيام.

١٢ ـ الأفضل أن يدخل الزائر من باب جبرائيل.

١٣ ـ يلزم أن يقف بالباب لحظة كوقوف المستأذن في الدخول على العظماء، فإن جبرئيل كان إذا أراد الدخول على النبي ﷺ يستأذن،فيدخل، وهكذا الأصحاب وسائر المسلمين، فانه من الأمور المؤكدة، وقلنا سابقاً أنه لا فرق للنبي ﷺ بين حياته ومماته وكما يجب تعظيمه في حياته كذلك بعدها.

١٤ـ إذا أراد الدخول فليُصفّ فكره وضميره، ويقدم رجله اليمنى ويقول: أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وبنوره القديم من الشيطان الرجيم، بسم الله والحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله ما شاء الله لا قوة إلا بالله، اللهم صل على سيدنا محمد عبدك ورسولك وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً، اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك، رب وفقني وسددني وأصلحني وأعِني على ما يرضيك، ومُنّ علي بحسن الأدب في هذه الحضرة الشريفة، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله تعالى وبركاته،

السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين.

ولا يترك ذلك كلما دخل المسجد، وعند خروجه يقول نفس الدعاء، ولكن بدل وافتح لي أبواب رحمتك يقول: وافتح لي أبواب فضلك.

١٥ـ قال البعض: يستحب أن يصلي ركعتين قبل الزيارة تحية للمسجد بين القبر والمنبر وأن يسجد بعدها شكراً لله على توفيقه، وقيل: هذا ما إذا لم يكن مروره من جهة وجهه الشريف وإلا استحب الزيارة أولاً، ورخص بعضهم تقديم الزيارة مطلقاً، وقال بعض آخر: كل ذلك واسع.

١٦ ـ يستحب للزائر أن يكون واقفاً حين الزيارة، فإنه أليق بالأدب، فإذا طال الوقوف وشق عليه فلا مانع من أن يجلس جاثياً على ركبتيه لا مفترشاً ولا متربعاً، فإنه أقرب للأدب وأن يكون حين الزيارة فارغ القلب مستحضراً بقلبه جلالة موقفه وعظمته، وأنه حي عند ربه ناظر إليه ومطلع على أحواله وأنه يبلغه سلامه وصلاته ويرد جوابه، فلابد أن يكون ملتزماً لرعاية الأدب والحياء التام في ظاهره وباطنه.

١٧ـ أن يكون متوجهاً إلى القبر الشريف، ممثلاً صورته الكريمة في خياله بخشوع وخضوع محاذياً لوجهه الشريف مستدبراً للقبلة.

فقد قال الخفاجي: إستدبار القبلة واستقبال وجهه الشريف مذهب الشافعي ومذهب جمهور العلماء[١].

ويؤيده ما حكاه القاضي عياض عن مالك: إذا سلم على النبي ﷺ ودعا يقف ووجهه إلى القبر لا إلى القبلة[٢].

وإنه قال للمنصور: لم تصرف وجهك عنه، وهو وسيلتك ووسيلة

---

(١) شرح الشفاء للخفاجي ٣: ١٧١.

(٢) الشفاء للقاضي عياض ٢: ٨٥.

أبيك آدم عليه السلام إلى الله عزّ وجلّ يوم القيامة[١].

١٨ـ أن يكن مقتصداً في الزيارة بين الجهر والإخفات، وأن يخفض صوته مادام عند قبره صلى الله عليه وآله فإنه أدب لابد منه، ففي البخاري: إنّ عمر قال لرجلين من الطائف: لو كنتما من أهل البلد لأوجعتكما ضرباً ترفعان أصواتكما في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله[٢].

وروي عن عائشة أنها كانت تسمع صوت الوتد والمسمار يضرب في بعض الدور المطيفة بمسجد النبي صلى الله عليه وآله فترسل إليهم لا تؤذوا رسول الله صلى الله عليه وآله[٣].

وروي أن علي بن أبي طالب عليه السلام ما عمل مصراعي داره إلا بالمصانع ـ وهو مكان خارج المدينة ـ توقياً لذلك[٤].

وقد تقدم منا أن مالك ناظر أبا جعفر المنصور فقال له: يا أمير المؤمنين لا ترفع صوتك في هذا المسجد، فإن الله تعالى أدب قوماً فقال: ﴿لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾[٥]... ومدح قوماً فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ...﴾[٦] فقال: ولِم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك أدم عليه السلام إلى الله يوم القيامة؟ بل استقبله واستشفع به فيشفعك الله تعالى قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ...﴾[٧].

---

(١) المواهب اللدنية ٣: ٤٠٩.

(٢) إتحاف الزائر لابن عساكر: ١١٤ ـ ١١٥.

(٣) إتحاف الزائر لابن عساكر: ١١٤: ١١٥.

(٤) إتحاف الزائر: ١١٥.

(٥) الحجرات: ٢ ـ ٣.

(٦) الحجرات: ٢ ـ ٣.

(٧) إتحاف الزائر: ١١٥.

فتحصل من جميع ما ذكرناه أنه يجب الأدب معه كما في حياته صلى الله عليه وآله.

ولو كان التعظيم ولزوم الأدب مختصاً بالحياة لما تعرض عمر للرجلين من أهل الطائف لرفع صوتهيما، ولما قالت عائشة حينما سمعت صوت الوتد والمسمار: «لا تؤذوا رسول الله صلى الله عليه وآله»، ولما عمل أمير المؤمنين عليه السلام مصراعي داره بالمصانع، ولما قال مالك للمنصور: لا ترفع صوتك.

متن زيارة الرسول المصطفى صلى الله عليه وآله

١٩ـ وأما متن الزيارة فقد وردت زيارات متعددة، أوردها علماء المذاهب في كتبهم ومناسكهم ونحن نكتفي بذكر ثلاثة منها.

الأولى: السلام عليك أيها النبي الكريم ـ ثلاثاً ـ السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا نبي الله، السلام عليك يا خيرة الله، السلام عليك يا حبيب الله، السلام عليك يا سيد المرسلين، السلام عليك يا خاتم النبيين، السلام عليك يا خير الخلائق أجمعين، السلام عليك يا إمام المتقين، السلام عليك يا قائد الغر المحجلين، السلام عليك يا رحمة للعالمين، السلام عليك يا منة الله على المؤمنين، السلام عليك يا شفيع المذنبين، السلام عليك يا هادياً إلى صراط مستقيم السلام عليك يا من وصفه الله بقوله: وإنك لعلى خلق عظيم. وبالمؤمنين رؤف رحيم، السلام عليك وعلى سائر الأنبياء والمرسلين وآلك وأهل بيتك وأزواجك وأصحابك أجمعين وعباد الله الصالحين ورحمة الله وبركاته، جزى الله محمداً كما هو أهله، جزاك الله عنّا يا رسول الله أفضل ما جزى نبياً عن قومه ورسولاً عن أمته، وصلى الله عليك كلما ذكرك الذاكرون، وغفل عن ذكره الغافلون أفضل وأكمل ما صلى على أحد من خلقه أجمعين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنك عبده ورسوله وخيرته من

خلقه، فإنك قد بلّغت الرسالة، وأديت الأمانة، ونصحت الأمة، وجاهدت في الله حق جهاده، وكما نص الله في كتابه؛ اللهم آته الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته، اللهم صل على محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الأمي وعلى آل محمد وأزواجه وذريته كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد وأزواجه وذريته كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد، ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين، الحمد لله الذي أقر عيني برؤيتك يا رسول الله، وأدخلني بروضتك وحضرتك يا حبيب الله.

الثانية: زيارة اتفق عليها أعلام المذاهب الأربعة وهي: السلام عليك يا نبي الله ورحمة الله وبركاته، أشهد أنك رسول الله فقد بلّغت الرسالة وأديت الأمانة ونصحت الأمة وجاهدت في أمر الله حتى قبض الله روحك حميداً محموداً، فجزاك الله عن صغيرنا وكبيرنا خير الجزاء، وصلى عليك أفضل الصلاة وأزكاها، وأتم التحية وأنماها، اللهم اجعل نبينا يوم القيامة أقرب النبيين إليك، واسقنا من كأسه، وارزقنا من شفاعته، واجعلنا من رفقائه يوم القيامة، اللهم لا تجعل هذا آخر العهد بقبر نبينا ﷺ وارزقنا العود إليه يا ذا الجلال والإكرام.

الثالثة: السلام عليك يا سيدي يا رسول الله، السلام عليك يا نبي الله، السلام عليك يا حبيب الله، السلام عليك يا نبي الرحمة، السلام عليك يا شفيع الأمة، السلام عليك يا سيد المرسلين، السلام عليك يا خاتم النبيين، السلام عليك يا مزّمل، السلام عليك يا مدّثر، السلام عليك وعلى أصولك الطيبين وأهل بيتك الطاهرين الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، جزاك الله عنا أفضل ما جزى نبياً عن قومه ورسولاً عن أمته، أشهد أنك رسول الله بلغت الرسالة، وأديت

الأمانة، ونصحت الأمة، وأوضحت الحجة، وجاهدت في سبيل الله حق جهاده، وأقمت الدين حتى أتاك اليقين؛ صلى الله عليك وسلم وعلى أشرف مكان شرُف بحلول جسمك الكريم فيه،صلاة وسلاماً دائمين من رب العالمين، عدد ما كان وعدد ما يكون بعلم الله، صلاة لا انقضاء لأمرها، يا رسول الله: نحن وفدك وزوار حرمك تشرفنا بالحلول بين يديك، وجئنا من بلاد شاسعة وأمكنة بعيدة نقطع السهل والوعر بقصد زيارتك لنفوز بشفاعتك، والنظر إلى مآثرك ومعاهدك، والقيام بقضاء بعض حقك والإستشفاع بك إلى ربنا، فإن الخطايا قد قصمت ظهورنا، والأوزار قد أثقلت كواهلنا وأنت الشافع المشفع الموعود بالشفاعة العظمى والمقام المحمود والوسيلة، وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾. وقد جئناك ظالمين لأنفسنا، مستغفرين لذنوبنا، فاشفع لنا إلى ربك، واسأله أن يميتنا على سنتك، وأن يحشرنا في زمرتك، وأن يوردنا حوضك، وأن يسقينا بكأسك غير خزايا ولا نادمين، الشفاعة الشفاعة يا رسول الله «تقولها ثلاثاً» ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان، ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤف رحيم.

قال النووي: وأقله: السلام عليك يا رسول الله ﷺ.

وقال: إن كان أحد قد أوصاه بالسلام على رسول الله ﷺ فليقل: السلام عليك يا رسول الله من فلان بن فلان، أو فلان بن فلان يسلم عليك يا رسول الله أو نحو هذه العبارة[1].

٢٠ـ ومن الآداب: الدعاء عند رأس النبي ﷺ فإنه مستجاب إن شاء الله، يقف الزائر عند رأسه الشريف ويقول: اللهم إنك قلت وقولك

---

(١) المجموع للنووي ٨: ٢٧٦.

الحق: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ وقد جئناك سامعين قولك، طائعين أمرك، مستشفعين بنبيك: ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان، ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا، ربنا إنك رؤف رحيم، ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار، سبحان ربنا رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

ويدعو بما يحضره من الدعاء.

وروى الغزالي دعاء آخر عند الرأس الشريف:

ثم يرجع فيقف عند الرأس مستقبل القبلة بين القبر والاسطوانة وليحمد الله ﷻ ويمجّده وليكثر من الصلاة على رسول الله ﷺ ثم يقول:

اللهم إنك قلت وقولك الحق: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾.

اللهم إنا سمعنا قولك، وأطعنا أمرك وقصدنا نبيك مستشفعين به إليك في ذنوبنا وما أثقل ظهورنا من أوزارنا تائبين من زللنا معترفين بخطايانا وتقصيرنا، فتب اللهم علينا وشفع نبيك هذا فينا وارفعنا بمنزلته عندك وحقه عليك، اللهم اغفر للمهاجرين والأنصار، واغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان، اللهم لا تجعله آخر العهد من نبيك ومن حرمك يا أرحم الراحمين، ثم يأتي الروضة فيصلي فيها ركعتين ويكثر من الدعاء ما استطاع، لقوله ﷺ: **«ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة ومنبري على حوضي»**[1].

وقال العدوي: من أحسن ما يقول بعد تجديد التوبة في ذلك الموقف

---

(١) إحياء العلوم للغزالي ١: ٣٠٧ ط دار الكتب العلمية بيروت.

الشريف وتلاوة آية ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَّلَمُوا...﴾ إلخ: نحن وفدك يا رسول الله وزوارك جئناك لقضاء حقك والتبرك بزيارتك والإستشفاع بك مما أثقل ظهورنا وأظلم قلوبنا[١].

وزاد بعضهم: فليس لنا شفيع غيرك نؤمله ولارجاء غير بابك نصله، فاستغفر لنا واشفع لنا إلى ربك يا شفيع المذنبين، واسأله أن يجعلنا من عباده الصالحين.

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه ... فطاب من طيبهن القاع والأكم
نفسي الفداء لقبر أنت ساكنه ... فيه العفاف وفيه الجود والكرم[٢]

الصلاة على النبي وآله صلوات الله عليهم أجمعين

٢١ـ ومن الآداب المؤكدة في زيارته إكثار الصلوة عليه وعلى أهل بيته عليهم السلام، وإيثار ذلك على سائر الأذكار مادام هناك فقد قال ﷺ.

عندما سئله عبد الرحمن بن عوف عن طول سجوده: «**أخبرني جبرئيل إن من صلّى عليّ مرة ﷺ صلى الله عليه عشراً، فسجدت شكراً لله تعالى**»[٣].

وقال ﷺ: «**صلّوا عليّ فإن صلاتكم عليّ زكاة لكم**»[٤].

وقال ﷺ: «**أكثروا الصلاة عليّ فإن صلاتكم عليّ مغفرة لذنوبكم**

---

(١) كنز المطالب: ٢١٦ للعدوي الحمزاوي.

(٢) وهذه الأبيات متخذة من حكاية الأعرابي التي ذكرناها في دليل الكتاب.

(٣) فتح العزيز للرافعي ٤: ٢٠٣.

(٤) الجامع الصغير للسيوطي ١: ٢١٠.

واطلبوا لي الدرجة والوسيلة، فإن وسيلتي عند ربي شفاعتي لكم»[١].

وعن أمير المؤمنين علي عليه السلام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **«ما من دعاءٍ إلاّ وبينه وبين السماء حجاب حتى يصلى على محمد وآل محمد، فإن فعل انخرق ذلك الحجاب ودخل الدعاء، وإذا لم يفعل رجع ذلك الدعاء»**[٢].

فإذا كان للصلوة عليه مطلقا، هذه الفضائل فكيف بالزائر وهو عند قبره.

فقد أخرج البخاري بإسناده مرفوعاً عنه صلى الله عليه وآله إنه قال: **«من صلّى علي عند قبري وكل الله به ملكاً يبلغني، وكفي أمر دنياه وآخرته وكنت له شفيعاً أو شهيداً يوم القيامة»**[٣].

وقال صلى الله عليه وآله: **«ما من أحد يسلم علي إلا ردّ الله علي روحي حتى أرد عليه السلام»**[٤].

وقال صلى الله عليه وآله: **«من صلّى عليّ عند قبري سمعته ومن صلى عليّ نائياً بُلِّغته»**[٥].

وقال كعب الأحبار: ما من فجر يطلع إلا أنزل الله سبعين ألفاً من الملائكة حتى يحفوا بالقبر الشريف، يضربون بأجنحتهم ويصلون على النبي صلى الله عليه وآله حتى إذا أمسوا عرجوا وهبط مثلهم، وصنعوا مثل ذلك حتى إذا

---

(١) فيض القدير شرح الجامع الصغير ٤: ٢٦٨.

(٢) حكاه البيومي في سيرته عن البيهقي وابن بشكوال ٣: ٩٨.

(٣) ذكره الخطيب الشربيني في المغني ١: ٥١٣، والسمهودي في وفاء الوفا ٤: ٣٥١، والبيهقي في حياة الأنبياء: ١٠٤، وإتحاف الزائر لابن عساكر: ٥٨.

(٤) الشفاء للقاضي عياض ٢: ٧٩.

(٥) نفس المصدر، والبيهقي في حياة الأنبياء: ١٠٣ وإتحاف الزائر لابن عساكر: ٥٨.

انشقت الأرض خرج رسول الله ﷺ في سبعين ألفاً من الملائكة يوقرونه[١].

وأهم من ذلك كله ما ورد في القرآن: ﴿إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾.

قال ابن حجر: عندما نزلت هذه الآية سئل النبي يا رسول الله ﷺ قد علمنا كيف نسلم عليك فكيف نصلي عليك؟ فقال ﷺ: «**قولوا: اللّهم صلّ على محمد وعلى آل محمد...**» وفي رواية الحاكم: فقلنا يا رسول الله كيف الصلاة على أهل البيت قال: «**قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد**».

فسؤالهم بعد نزول الآية وإجابتهم باللهم صل على محمد وعلى آل محمد، دليل ظاهر على أن الأمر بالصلاة على أهله وبقية آله مراد من هذه الآية، وإلا لم يسألوا عن الصلاة على أهل بيته وآله عقب نزولها ولم يجابوا بما ذكر، فلما أجيبوا به دل على أن الصلاة عليهم من جملة المأمور به وأنه ﷺ أقامهم في ذلك مقام نفسه، لأن القصد من الصلاة عليه مزيد تعظيمه ومنه تعظيمهم، ومن ثم لما أدخل من مرّ ـ أي أهل بيته ـ في الكساء قال: «**اللهم إنهم مني وأنا منهم فاجعل صلواتك ورحمتك ومغفرتك ورضوانك علي وعليهم**»، وقضية استجابة هذا الدعاء أن الله صلى عليهم معه فحينئذ طلب من المؤمنين صلاتهم عليهم معه[٢].

---

(١) رواه الدارمي في سننه: ٤٧ ح ٩٤، والبيهقي في شعب الإيمان ٣: ٤٩٢، وابن النجار في الدرة الثمينة: ٢٢١ ولاحظ إتحاف الزائر لابن عساكر: ٢٩ ط شركة دار الأرقم ـ بيروت.

(٢) الصواعق المحرقة لابن حجر الهيثمي: ١٤٦، ولا يخفى أن قوله وفي رواية الحاكم... لم يكن في هذه النسخة لكن حكاه القندوزي عن ابن حجر في ينابيع المودة وهو الصحيح لمناسبته مع قوله: وإلا لم يسألوا عن الصلاة عن أهل بيته وآله.

فلابد أن تكون الصلاة عليه مع ذكر آله ﷺ ولا تكون بتراء، حيث ورد في الحديث عنه ﷺ: «**لا تصلّوا عليّ الصلاة البتراء**» قالوا: وما الصلاة البتراء، قال: «**تقولون اللهم صل على محمد وتمسكون، بل قولوا اللهم صل على محمد وآل محمد**» فقيل من أهلك يا رسول الله قال ﷺ: «**علي وفاطمة والحسن والحسين**»[1].

وأخرج الدار قطني عنه ﷺ قال: «**من صلى صلاة ولم يصل فيها عليّ وعلى أهل بيتي لم تقبل منه**».

وأخرج الديلمي عنه ﷺ: «**الدعاء محجوب حتى يصلي على محمد وأهل بيته، اللّهم صل على محمد وآله**»[2].

والذي يستفاد من هذه الأحاديث وأدلة أُخر هو وجوب الصلاة على الآل في التشهد وقد اعترف به كثير من أعلام المذاهب.

ولأجل هذا الأمر قال الشافعي:

يا آل بيت رسول الله حبكم ... فرض من الله في القرآن أنزله
كفاكم من عظيم القدر أنكم ... من لم يصل عليكم لا صلاة له[3]

وذكر الفخر الرازي: أن أهل بيته ﷺ يساوونه في خمسة أشياء: في السلام، قال السلام عليك أيها النبي، وقال: ﴿سَلَامٌ عَلَىٰ آلِ يَاسِينَ﴾، وفي

---

(١) أخرجه الشعراني في كشف الغمة ١: ٢١٩ فصل الأمر بالصلاة على النبي ط مصر ١٣٢٧ المطبعة الميمنية نقلاً عن المقريزي في كتاب فضل آل البيت: ٤٣، ينابيع المودة للقندوزي ٢: ٤٣٤، الصواعق المحرقة لابن حجر: ١٤٦.

(٢) الصواعق المحرقة لابن حجر: ٢٣٣ باب مشروعية الصلاة عليهم تبعاً وفي صفحة ١٤٨ ذيل آية إن الله وملائكته.

(٣) ذخائر العقبى للشبلنجي: ١٩، الصواعق المحرقة: ١٤٨.

الصلاة عليه وعليهم في التشهد، وفي الطهارة، وقال تعالى: ﴿طه﴾ أي يا طاهر، وقال: ﴿وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ وفي تحريم الصدقة، وفي المحبة، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ﴾ وقال: ﴿قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ (١).

وفي الدر المنثور للسيوطي: عن طلحة قال: أتى رجل النبي ﷺ فقال: سمعت الله يقول: ﴿إِنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ فكيف الصلاة عليك؟ فقال: «قل: **اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم إنك حميد مجيد**»(٢).

وأما كيفية الصلاة عليه: فهي مختلفة ومتفاوتة، ومن المعلوم أن الأفضل هو الإتيان بالمأثور وما يكون أتمها وأكملها.

قال المجد اللغوي: ويأتي بأتم أنواع الصلاة وأكمل كيفياتها والإختلاف في ذلك مشهور، والذي أختاره لنفسي:

اللهم صل على سيدنا محمد وآله وصحبه وأزواجه عدد ما خلقت وعدد ما أنت خالق، وزنة ما خلقت وزنة ما أنت خالق، وملأ ما خلقت وعدد ما أنت خالق وملأ سماواتك وملأ أرضك ومثل ذلك وأضعاف ذلك، وعدد خلقك وزنة عرشك ومنتهى رحمتك، ومداد كلماتك ومبلغ رضاك، وحتى ترضى، وعدد ما ذكرك به خلقك في جميع ما مضى وعدد ما هم ذاكروك فيما بقي في كل سنة وشهر وجمعة ويوم وليلة وساعة من الساعات ونسيم ونفَس ولمحة وطرفة من الأبد إلى الأبد، أبد الدنيا

---

(١) الصواعق لابن حجر: ١٤٩.

(٢) الدر المنثور للسيوطي ٥: ٢١٦، وذكر روايات أخر أيضاً بهذه المضامين.

والآخرة، وأكثر من ذلك لا ينقطع أوله ولا ينفد آخره، يقوله مرة أو ثلاث، ثم يقول: اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد[١].

وقد وردت صلوات كثيرة من طرق الامامية أيضاً نذكر بعضاً منها.

روى الكفعمي عن الصادق عليه السلام: من أراد أن يسرّ محمداً وآله في الصلاة عليهم، فليقل: اللهم يا أجود من أعطى ويا خير من سئل ويا أرحم من استرحم، اللهم صل على محمد وآله في الأولين، وصل على محمد وآله في الآخرين وصلّ على محمد وآله في الملأ الأعلى، وصلّ على محمد وآله في المرسلين، اللهم أعط محمداً وآله الوسيلة والفضيلة، والشرف والرفعة، والدرجة الكبيرة، اللهم إني آمنت بمحمد صلى الله عليه وآله ولم أره، فلا تحرمني يوم القيامة رؤيته، وارزقني صحبته وتوفني على ملته، واسقني من حوضه مشرباً رويّاً سائغاً هنيئاً لا أظمأ بعده أبداً إنك على كل شيء قدير، اللهم إنّي آمنت بمحمدٍ صلى الله عليه وآله ولم أره فعرفني في الجنان وجهه، اللهم بلّغ محمداً مني تحية كثيرة وسلاماً[٢].

وفي جامع البزنطي: روى عن الصادق عليه السلام أنّه قال: من صلى على النبي وآله بهذه الصلوات محيت خطاياه، وأعين على عدوه وهيّيء له أسباب الخير، وأعطي أمله، وبسط في رزقه، وكان من رفقاء محمد صلى الله عليه وآله في الجنة، والصلوات هي:

اللهم صل على محمد وآل محمد حتى لا يبقى من صلواتك شيء، وارحم محمداً وآل محمد حتى لا يبقى من رحمتك شيء وبارك على محمد وآل محمد حتى لا يبقى من بركاتك شيء، وسلّم على محمد وآل محمد حتى

---

(١) لاحظ وفاء الوفا ٤: ١٤٠٠.

(٢) بحار الأنوار ٩١: ٨٥ كتاب الذكر والدعاء: ٥، نقله عن الكفعمي في المصباح: ٤٢٣.

لا يبقى من سلامك شيء.

وذكرها أبو القاسم الطبراني في كتاب الدعوات وصاحب كتاب الوسائل إلى المسائل، وذكر لها قصة، ملخصها أن النبي ﷺ قد أُتي له برجل قد شهد عليه جماعة أنه سرق ناقة، فهمّ النبي ﷺ بقطعه، فقال هذه الصلوات، فتكلمت الناقة ببرائته وقالت إنه بريء من سرقتي، فقال النبي ﷺ : «**لما قال هذه الصلواة نظرت إلى الملائكة يخرقون سكك المدينة يحولون بيني وبينه**»، ثم قال النبي ﷺ: «**لتردنَّ على الصراط ووجهك أضوء من القمر ليلة البدر**»[1].

التوسل والتشفع بالنبي ﷺ

٢٢ـ قال النووي وغيره: ثم يرجع الزائر إلى موقفه الأول قبالة وجه رسول الله ﷺ فيتوسل به في حق نفسه ويستشفع به إلى ربه ﷻ، ومن أحسن ما يقول ما حكاه الماوردي والقاضي أبو الطيب وسائر أصحابنا عن العتبي مستحسنين له قال: كنت جالساً عند قبر رسول الله ﷺ فجاء أعرابي، فقال: السلام عليك يا رسول الله سمعت الله يقول: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾.

وقد جئتك مستغفراً من ذنوبي مستشفعاً بك إلى ربي...، وقد أضاف السمهودي ويقول: نحن وفدك يا رسول الله وزوارك جئناك لقضاء حقك والتبرك بزيارتك والاستشفاع بك إلى ربك تعالى، فإن الخطايا قد أثقلت

---

(١) بحار الأنوار ٨٧: ٦٧ نقله عن الكفعمي في المصباح: ٤٢٣ والقصة في الهامش ٤٢٤. وقال بعض الأعلام: هذه الصلواة وردت في مصادر العامة أيضاً.

ظهورنا وأنت الشافع المشفع الموعود بالشفاعة العظمى والمقام المحمود، وقد جئناك ظالمين لأنفسنا، مستغفرين لذنوبنا سائلين منك أن تستغفر لنا إلى ربك فأنت نبينا وشفيعنا، فاشفع لنا إلى ربك واسأله أن يميتنا على سنتك ومحبتك، ويحشرنا في زمرتك وأن يوردنا حوضك غير خزايا ولا نادمين.

وقال النووي: ثم يتقدم إلى رأس القبر ويدعو لنفسه، بما شاء ولوالديه ومن شاء من أقاربه ومشايخه وإخوانه وسائر المسلمين.

قال القسطلاني في المواهب اللدنية: وينبغي للزائر له ﷺ أن يكثر من الدعاء والتضرع والاستغاثة والتشفع والتوسل به ﷺ فجدير بمن استشفع به أن يشفعه الله فيه.

ثم قال: وإن الإستغاثة هي طلب الغوث فالمستغيث يطلب من المستغاث به أن يحصل له الغوث منه، فلا فرق بين أن يعبر بلفظ الإستغاثة، أو التوسل، أو التشفع، أو التوجه، أو التجوه لأنهما من الجاه والوجاهة ومعناهما علو القدر والمنزلة، وقد يتوسل بصاحب الجاه إلى من هو أعلى منه.

وقال: ثم إن كلاً من الاستغاثة والتوسل والتشفع والتوجه بالنبي ﷺ، كما ذكر في «تحقيق النصرة، ومصباح الظلام» واقع في كل حال قبل خلقه وبعد خلقه في مدة حياته في الدنيا وبعد موته في البرزخ وبعد البعث في عرصات القيامة.

فأما الحالة الأولى فحسبك ما قدمته في المقصد الأول من استشفاع آدم عليه السلام به لما أُخرِج من الجنة، وقول الله تعالى له: (**يا آدم لو تشفعت إلينا بمحمد في أهل السموات والأرض لشفعناك**).

وفي حديث عمر بن الخطاب عن الحاكم والبيهقي وغيرهما: (**وإن**

سألتني بحقه فقد غفرت لك). ويرحم الله ابن جابر،حيث قال:

به قد أجاب الله آدم إذ دعا ونجي في بطن السفينة نوح
وماضرّت النار الخليل لنوره ومن أجله نال الفداء ذبيح

وصح أن رسول الله ﷺ قال: **لما اقترف آدم الخطيئة قال يا ربّ أسألك بحق محمد لما غفرت لي**، قال الله تعالى: **يا آدم، وكيف عرفت محمداً ولم أخلقه**، قال: **يا رب، إنك لما خلقتني بيدك ونفخت فيّ من روحك رفعت رأسي فرأيت قوائم العرش مكتوباً عليها لا إله إلا الله محمد رسول الله، فعرفت أنك لا تضيف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك.**

فقال الله تعالى: **(صدقت يا آدم ولولا محمد ما خلقتك)**.

ذكره الطبري، وزاد فيه: **(وهو آخر الأنبياء من ذريتك)**.

وأما التوسل به بعد خلقه في مدة حياته، فمن ذلك الإستغاثة به ﷺ عند القحط وعدم الأمطار وكذلك الاستغاثة به من الجوع ونحو ذلك مما ذكرته في مقصد المعجزات ومقصد العبادات في الاستسقاء، ومن ذلك استغاثة ذوي العاهات به، وحسبك ما رواه النسائي والترمذي عن عثمان بن حنيف، أنّ رجلاً ضريراً أتاه ﷺ فقال: ادع الله أن يعافيني، قال: **فأمره** ﷺ أن يتوضأ فيحسن وضوئه ويدعو بهذا الدعاء: «اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد، يا محمد إني أتوجه بك إلى ربك في حاجتي لتقضى، اللهم شفعه فيّ».

وصححه البيهقي وزاد: فقام وقد أبصر.

ثم قال القسطلاني: وأما التوسل به ﷺ بعد موته في البرزخ فهو أكثر من أن يحصى أو يدرك باستقصاء، وفي كتاب مصباح الظلام في المستغيثين بخير الأنام للشيخ أبي عبد الله بن النعمان طرف من ذلك، ثم ذكر ما حصل له ولغيره من العنايات.

وأما التوسل به في عرصات القيامة، فمما قام عليه الإجماع وتواترت به الأخبار في حديث الشفاعة.

وقال: فعليك أيها الطالب إدراك السعادة الموصل لحسن الحال في حضرة الغيب والشهادة، بالتعلق بأذيال عطفه وكرمه، والتطفل على موائد نعمه، والتوسل بجاهه الشريف والتشفع بقدره المنيف، فهو الوسيلة إلى نيل المعالي واقتناص المرام، والمفزع يوم الجزع والهلع لكافة الرسل الكرام، واجعله أمامك فيما نزل بك من النوازل، وإمامك فيما تحاول من القرب والمنازل، فإنك تظفر من المراد بأقصاه وتدرك رضى من أحاط بكل شيء علماً وأحصاه، واجتهد مادمت بطيبة الطيبة حسب طاقتك في تحصيل أنواع القربات، ولازم قرع أبواب السعادات بأظافير الطلبات، وارق في مدارج العبادات، ولج في سرادق المرادات...[1].

وقال الزرقاني في شرح المواهب اللدنية: ونحو هذا في منسك العلامة خليل، وزاد: وليتوسل به ﷺ ويسأل الله تعالى بجاهه في التوسل به، إذ هو محط جبال الأوزار وأثقال الذنوب، لأن بركة شفاعته وعظمها عند ربه لا يتعاظمها ذنب، ومن اعتقد خلاف ذلك فهو المحروم الذي طمس الله بصيرته وأضل سريرته، ألم يسمع قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ ...﴾؟ ثم قال: ولعل مراده التعريض بابن تيمية[2].

فأنت تلاحظ أيها القارئ المنصف الطالب للحقيقة هذه الآداب والزيارات، فهل ترى فيها شيئاً من الشرك والبدعة والضلال، الذي نسبه أهل الشذوذ والعدوان إلى المسلمين الزوار.

---

(١) المواهب اللدنية ٣: ٤١٩.

(٢) شرح المواهب١٢: ٢١٩ ط دار الكتب العلمية ـ بيروت.

ألم يحصل عندك من خلال هذه الآداب والزيارات حالة التوبة والإنابة إلى الله والإنقطاع إليه وتقوية أركان التوحيد والمعرفة بالله في أركان وجودك وأعماق قلبك؟ وهل هذا كله إلا ببركة زيارة رسول الله والتوجه إليه والتوسل به إلى الله؟

والذي لاحظته هو قليل من أقوال العلماء الكثيرة في الزيارة وآدابها، خصوصاً في باب التوسل والإستشفاع به ﷺ، فإنها حجة على كل مَن بعُد عن التعصب والعناد، ولولا أن استقصاء كلماتهم وبسط الكلام في التوسل يخرجنا عن المقصود، لقدّمنا لك من أقوالهم وكلماتهم والمعجزات والكرامات التي ظهرت لكثير من الناس أكثر فأكثر.

ولكن نذكر لك أسماء بعض المؤلفات في التوسل والشفاعة من أعلام السنة، وهي:

١ ـ الوفاء في فضائل المصطفى للحافظ ابن الجوزي وقد جعل فيه بابين الاول: باب التوسل بالنبي، الثاني: باب الاستشفاع بقبره.

٢ ـ مصباح الظلام في المستغيثين بخير الأنام لمؤلفه محمد بن النعمان المالكي المتوفى سنة ٦٧٣هـ.

الذي قال الخالدي في صلح الإخوان حوله: هو كتاب نفيس نحو عشرين كراساً.

ونقل عنه كثيراً السمهودي في وفاء الوفا في باب التوسل بالنبي ﷺ.

٣ ـ البيان والإختصار كتبه أبو داود المالكي، وذكر في كتابه عدداً كثيراً من العلماء الذين توسلوا بالنبي ﷺ عند الشدائد والكربات ففرج الله عنهم شدائدهم ببركته.

٤ ـ شفاء السقام في زيارة خير الأنام لقاضي قضاة مصر تقي الدين السبكي الشافعي، وهذا الكتاب وإن كان في تحقيق مشروعية زيارة خير

الأنام، إلا أنه قد عقد في آخره بابين حول التوسل والشفاعة، لأجل ارتباطهما بموضوع الزيارة، وقد فصّل الكلام في البابين وأجاد في التحقيق في جميع موضوعات الكتاب، وقد اعتمدنا على آرائه في بعض مطالب كتابنا هذا لجلالته ووثاقته عند أئمة المذاهب، ولدقّته في التحقيق.

٥ ـ وفاء الوفا للسمهودي المتوفى ٩١١، وقد جعل فصلاً من المجلد الرابع في بحث التوسل والشفاعة وكان قد اعتمد كثيراً في كتابه هذا على شفاء السقام.

٦ ـ المواهب اللدنية للقسطلاني المتوفى ٩٢٣هـ.

٧ ـ شرح المواهب للزرقاني المصري المالكي المتوفى ١١٢٢ هـ.

٨ ـ صلح الإخوان للخالدي البغدادي المتوفى ١٢٩٩هـ وهو من أحسن ما أُلّف في هذا الموضوع عند العامة، وقد أفرد فيه رسالة في الرد على الآلوسي في التوسل بالنبي ﷺ.

٩ ـ رفع المنارة في التوسل والزيارة للشيخ محمود سعيد ممدوح وهو من العلماء المعاصرين، وقد أدى الحق فيه عند البحث عن مشروعية الزيارة والتوسل والإستشفاع بالنبي ﷺ، وتوجد كتباً كثيرة أخرى لعلماء المذاهب في هذا الباب إكتفينا بذكر هذا المقدار منها.

ليكون عبرة لأولي البصيرة وحجة على أهل الضغينة.

زيارة الشيخين

٢٣ـ ومن الآداب التي ذكرها أعلام السنة هي زيارة الشيخين فإنهم قد أبدعوا زيارات ذات عبارات خاصة ولم يرد فيها حديث ولا نص خاص، فقد ذكر في كتاب الفقه على المذاهب الأربعة لفظ زيارتهما:

ثم يقف حيث يحاذي رأس الصديق ويقول:

السلام عليك يا خليفة رسول الله، السلام عليك يا صاحب رسول الله في الغار السلام عليك يا رفيقه في الأسفار السلام عليك يا أمينه في الأسرار جزاك الله عنا أفضل ما جزى إماماً عن أمة نبيه، ولقد خلفته بأحسن خلف، وسلكت طريقه ومنهاجه خير سلك وقاتلت أهل الردة والبدع، ومهدت الإسلام، ووصلت الأرحام ولم تزل قائماً للحق ناصراً لأهله حتى أتاك اليقين والسلام عليك ورحمة الله وبركاته. اللهم أمتنا على حبه ولا تخيب سعينا في زيارته برحمتك يا أرحم الراحمين.

ثم يتحول حتى يحاذي قبر عمر ويقول:

السلام عليك يا أمير المؤمنين السلام عليك يا مظهر الإسلام السلام عليك يا مكسر الأصنام جزاك الله عنا أفضل الجزاء ورضي الله عمن استخلفك فقد نصرت الإسلام والمسلمين حياً وميتاً فكفلت الأيتام فقيرهم وجبرت كسرهم السلام عليك ورحمة الله وبركاته.

٢٤ـ وينبغي بعد الزيارة أن يأتي الروضة الشريفة وهي ما بين القبر والمنبر فيصلي فيها ركمتين ويهديها للمزور ويكثر من الصلاة والدعاء وتلاوة القرآن فيها، حيث أنها روضة من رياض الجنة كما قال ﷺ: **«ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة»**[1].

وفي بعضها قال رسول الله ﷺ: **«ما بين حجرتي إلى منبري روضة من رياض الجنة وإنّ منبري على ترعة من ترع الجنة»**[2].

٢٥ـ ومن الأدب، إذا أراد الخروج أن يمرّ على القبر الشريف ويقف

---

(١) أخرجه البخاري في فضائل الصلاة، باب فصل ما بين القبر والمنبر: ١١٩٥، ومسلم في الحج، باب ما بين القبر والمنبر روضة من رياض الجنة ١٣٩٠، وراجع إتحاف الزائر لابن عساكر: ٧٠.

(٢) إتحاف الزائر لابن عساكر ٧٣ ،وحكاه عن أحمد في مسنده ٣: ٣٥٢ ح ١٠٥٢٥.

ويسلم عليه، فإذا خرج يقدم رجله اليسرى أولاً، ثم اليمنى.

زيارة أهل البقيع

٢٦ـ ثم يتوجه إلى البقيع متطهراً ويزور أهله خاصة أهل بيت النبوة الأئمة المعصومين وأولاد الرسول ﷺ وأقربائه ونسائه وصحبه الصالحين.

ويقول: السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، اللهم اغفر لنا ولهم، أو اللهم اغفر لاهل البقيع الغرقد.

وزاد القاضي حسين بعد الزيارة: اللهم ربّ هذه الأجساد البالية والعظام النخرة التي خرجت من الدنيا وهي بك مؤمنة أدخل عليها روحاً منك وسلاماً مني، اللهم برّد مضاجعهم عليهم واغفر لهم[1].

ويدعوا الله بما أحب ويقرأ آية الكرسي وسورة الحمد والإخلاص ويهديها لهم.

وحكى البيومي في سيرته عن النبهاني أنه قال: وينبغي للزائر بعد زيارة النبي ﷺ أن يقصد المزارات التي بالمدينة الشريفة والآثار المباركة والمساجد التي صلى فيها النبي ﷺ التماساً لبركته ﷺ، ويزور البقيع، فقد دفن فيه أكثر الصحابة ممن توفي بالمدينة وكذلك سادات آل البيت النبوي الشريف.

وروي عن مالك: مات بالمدينة من الصحابة عشرة آلاف، وكذا أمهات المؤمنين ما عدا خديجة بمكة وميمونة بسوف.

وفي صحيح مسلم عن بريدة قال: كان رسول الله ﷺ إذا زار القبور يقول: **السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين وإنا إن شاء الله**

---

(١) حكاه السمهودي في وفاء الوفا ٤: ١٤١٠.

بكم لاحقون، نسأل الله لنا ولكم العافية.

وأخرج الترمذي عن ابن عباس أنه قال: مر النبي ﷺ بقبور المدينة فأقبل عليهم بوجهه، فقال: «**السلام عليكم يا أهل القبور يغفر الله لنا ولكم، أنتم سلفنا ونحن بالأثر**»[١].

وفي إحياء العلوم: يستحب أن يخرج كل يوم إلى البقيع بعد السلام على رسول الله ﷺ، وكذا قال النووي وابن عساكر وزاد النووي وابن عساكر: خصوصاً يوم الجمعة، قال النووي: ويزور القبور الطاهرة في البقيع كقبر إبراهيم بن رسول الله ﷺ وعثمان بن مظعون والعباس والحسن بن علي وعلي بن الحسين ومحمد بن علي وجعفر بن محمد الصادق وغيرهم ويختم بقبر صفية عمة رسول الله ﷺ[٢].

وزاد ابن عساكر زيارة قبر عقيل بن أبي طالب وأزواج النبي ﷺ وعمته صفية وكثيراً من الصحابة والتابعين، فقال: واعلم أن أكثر الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين مدفونون بالبقيع وكذلك أزواج النبي ﷺ فيه ماخلا خديجة رضوان الله عليها، فإنها بالحجون، وكذلك فيه أيضاً قبور جماعة من سادات التابعين ومن بعدهم من العلماء والزهاد المشهورين لا تعرف قبورهم، فينبغي للزائر أن يسلم عليهم أجميعين، فيقول: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين.

ثم قال وليس بالبقيع قبر يعرف سوى سبعة قبور، قبر العباس وقبر الحسن بن علي ومعه في القبر ابن أخيه علي بن الحسين زين العابدين، وأبو جعفر محمد بن علي الباقر، وابنه جعفر الصادق، رضوان الله عليهم

---

(١) لاحظ السيرة النبوية للدكتور محمد بيومي مهران ٣: ١٣٨.

(٢) إحياء علوم الدين للغزالي ١: ٣٠٧، المجموع للنووي ٨: ٢٧٥، إتحاف الزائر لابن عساكر: ٨٧.

أجمعين، وعليهم قبة عالية في الهواء قديمة البناء في أول البقيع[١].

زيارة شهداء أحد

٢٧- ثم يتوجه الى قبور الشهداء بأحد ويزور الشهداء ويبتدأ بحمزة سيد الشهداء ﷺ وقال بعضهم: أفضلها أن تكون يوم الخميس خصوصاً قبر سيدنا حمزة ويستحب أن يكون متطهراً[٢].

وقد ورد في فضل زيارتهم عنه ﷺ: **«زوروهم وسلموا عليهم والذي نفسي بيده لا يسلم عليهم أحد إلا ردوا عليه إلى يوم القيامة»**[٣].

وقال ابن أبي الحديد المعتزلي: كان سعد بن أبي وقاص يذهب إلى ماله بالغابة فيأتي من خلف قبور الشهداء،فيقول السلام عليكم ثلاثا، ويقول لا يسلم عليهم أحد إلا ردوا عليه السلام إلى يوم القيامة، قال ومرّ رسول الله على قبر مصعب بن عمير، فوقف عليه ودعا وقرأ: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ ثم قال: **«إن هؤلاء شهداء عند الله يوم القيامة فأتوهم فزوروهم وسلموا عليهم والذي نفسي بيدي لا يسلم عليهم أحد إلى يوم القيامة إلا ردّوا عليه»**.

وكان أبو سعيد الخدري يقف على قبر حمزة فيدعو ويقرأ مثل ذلك.

وكانت أم سلمة تذهب فتسلم عليهم في كل شهر فتظل يومها،

---

(١) إتحاف الزائر: ٩٠.

(٢) قاله النووي في المجموع ٨: ٢٧٦، وابن عساكر في تحفته: ٩٢.

(٣) كنز العمال للمتقي الهندي ١٠: ٣٨١، وفاء الوفا للسمهودي ٣: ٩٣١، حسن الأدب للفاكهي: ٨٣.

فجائت يوماً ومعها غلامها النبهان، فلم يسلم، فقالت: أي لكع! ألا تسلم عليهم! والله لا يسلم عليهم أحد إلاّ ردّوا عليه إلى يوم القيامة.

ثم قال: وكان أبو هريرة وعبد الله بن عمر يذهبان فيسلمان عليهم.

قالت فاطمة الخزاعية: سلمت على قبر حمزة يوماً ومعي أخت لي، فسمعنا من القبر قائلاً يقول: وعليكما السلام ورحمة الله، ولم يكن قُربنا أحد من الناس[١].

وأخرج البيهقي عن الواقدي: إن فاطمة الخزاعية قالت: زرت قبر حمزة، فقلت: السلام عليك يا عم رسول الله، فسمعت كلاماً رُدّ علي: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته[٢].

وكيف لا يكون كذلك وقد قال رسول الله ﷺ في حقه: «**والذي نفسي بيده إنه مكتوب في السماء السابعة: حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله**»[٣].

وقال ﷺ: «**خير أعمامي حمزة**»[٤].

ولما استشهد حمزة وقف النبي عليه ورآه قد مُثّل به، فلم ير منظراً كان أوجع لقلبه الشريف منه، فقال: «**رحمك الله أي عم فلقد كنت وصولاً للرحم فعولاً للخيرات...**»[٥].

أقول: إن ردّ الشهداء السلام دعاء منهم بالسلامة ودعاؤهم مستجاب

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٥: ٤٠.

(٢) جامع كرامات الأولياء للنبهاني ٢: ١٢٢.

(٣) ذخائر العقبى للطبري: ١٧٦ مؤسسة الوفاء ـ بيروت.

(٤) نفس المصدر السابق.

(٥) ذخائر العقبى: ١٨٠.

وهنيئاً لمن شمله دعاء الشهداء الذين كان رسول الله ﷺ يزورهم ويأمر بزيارتهم.

فإذا كان في زيارة الشهداء هذا الحث وهذه الفضائل، فكيف بزيارة الرسول المصطفى وأهل بيته النجباء صلوات الله عليهم أجمعين وسائر الأنبياء والأوصياء حيث ثبت أنهم أكمل حياة من حياة الشهداء ولا يصح المقايسة بينهم.

وأما الزيارة: فيبدأ الزائر بزيارة عم رسول الله ﷺ ويقول: السلام عليك يا عم المصطفى، السلام عليك يا سيد الشهداء، السلام عليك يا أسد الله، السلام عليك يا أسد رسول الله رضي الله عنك وأرضاك وجعل الجنة منقلبك ومثواك.

ثم يتوجه إلى قبور الشهداء، والمشهور أنهم سبعون نفراً، فيقول:

السلام عليكم ياشهداء السلام عليكم يا سعداء، رضي الله عنكم وأرضاكم.

وفي لفظ آخر يقول: السلام عليكم أيها الشهداء ورحمة الله وبركاته.

وفي كنز المطالب: ويتوسل بهم إلى الله في بلوغ آماله لأن هذا المكان محل مهبط الرحمات الربانية، وقد قال خير البرية عليه الصلاة وأزكى التحية: «**إن لربكم في دهركم نفحات، ألا فتعرضوا لنفحات ربكم**».

ولا شك ولا ريب أن هذا المكان محل هبوط الرحمات الالهية، فينبغي للزائر أن يتعرض لهاتيك النفحات الإحسانية، كيف لا؟ وهم الأحبة والوسيلة العظمى إلى الله ورسوله، فجدير لمن توسل بهم أن يبلغ المنى وينال بهم الدرجات العلى، فإنهم الكرام لا يخيب قاصدهم وهم الأحياء،

ولا يُردّ من غير إكرامٍ زائرهم[١].

وقال بعضهم: ويزور جبل أحد نفسه، ففي الصحيح عنه ﷺ: «**إنّ أحداً جبل يحبنا ونحبه**»[٢].

وفي رواية أخرى زيادة: «**اللّهم إني أحرّم ما بين لابتيها كما حرم إبراهيم مكة**».

وقال النووي في ذيل هذا الحديث: الصحيح المختار أن معناه أنّ أُحداً يحبنا حقيقة، جعل الله تعالى فيه تميزاً يحب به، كما قال سبحانه: ﴿**وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ**﴾ وكما حن الجذع اليابس، وكما سبّح الحصى وكما فرّ الحَجر بثوبَ موسى عليه السلام، وكما قال نبيّنا ﷺ: «**إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم علي**»، وكما دعا الشجرتين المفترقتين فاجتمعا، وكما رجف حراء فقال ﷺ: «**أُسكن حراء فليس عليك إلا نبيّ أو صديق...**» وكما كلمه ذراع الشاة، وكما قال سبحانه: ﴿**وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ**﴾[٣]...

زيارة مسجد قبا

٢٩ـ ويستحب لزائر النبي ﷺ أن يزور مسجد قبا، لما ورد عنه ﷺ: «**من تطهر في بيته ثم أتى مسجد قبا، فصلى فيه صلاة كان له كأجر عمرة**»[٤].

---

(١) كنز المطالب للحمزاوي: ٢٣٠.

(٢) صحيح البخاري ٢: ١٣٣ و٣: ٢٢٣ و٤: ١١٧، صحيح مسلم ٤: ١٢٤، سنن ابن ماجة ٢: ١٠٤، السنن الكبرى ٥: ١٩٧.

(٣) شرح صحيح مسلم للنووي ٩: ١٣٩.

(٤) رواه الإمام أحمد والنسائي وابن ماجة والحاكم عن سهل بن حنيف، ولاحظ كنز العمال ١٢: ٢٦٣.

وفي الصحيح عنه ﷺ: «**من خرج حتى يأتي هذا المسجد ـ يعني مسجد قبا ـ فيصلي فيه كان كعدل عمرة**»[١].

وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى﴾ (يعني مسجد قباء).

وأخرج أبو داود والترمذي وابن ماجة وأبو الشيخ وابن مردويه عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «**نزلت هذه الآية في أهل قبا، فيه رجال يحبون أن يتطهروا، قال كانوا يستنجون بالماء، فنزلت فيهم هذه الآية**»[٢].

وورد في صحيح مسلم من حديث ابن عمر قال: كان النبي ﷺ يزور قبا راكباً وماشياً ويصلي فيه ركعتين[٣].

وكان ابن عمر يأتيه كل سبت ويقول: رأيت النبي ﷺ يأتيه كل سبت[٤].

ويمكن أن يكون لهذا قيّد بعضهم زيارته في السبت وقال إنه أولى.

فإذا أتى المسجد، يصلي فيه، ويقول بعد دعائه بما أحب: يا صريخ المستصرخين يا غياث المستغيثين يا مفرج كرب المكروبين، يا مجيب دعوة المضطرين، صل على سيدنا محمد وآله واكشف كربي وحزني كما كشفت عن رسولك حزنه وكربه في هذا المقام، يا حنان يا منان يا كثير المعروف

---

(١) المستدرك للحاكم ٣: ١٢ وصححه الذهبي، وسنن النسائي ٢: ٢٧، كنز العمال ١٢ : ٢٦٥، الدر المنثور للسيوطي ٣: ٢٧٨.

(٢) الدر المنثور للسيوطي ٣: ٢٧٧.

(٣) صحيح مسلم ٤: ١٢٨، مسند أحمد ٢: ٣٠، السنن الكبرى للبيهقي ٥: ٢٤٨.

(٤) صحيح مسلم ٤: ١٢٨، مسند أبي داود الطيالسي: ٢٥٢.

والإحسان يا دائم النعم يا أرحم الراحمين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

٣٠ ـ ينبغي للزائر بعد زيارة النبي ﷺ وأهل البقيع وأُحد أن يقصد سائر المزارات والآثار النبوية والأماكن المتبركة والمساجد التي صلى فيها النبي ﷺ، التماساً لبركته ﷺ.

قال السمهودي: صرح جماعة من الشافعية باستحباب ذلك كله، وقد كان ابن عمر يتحرّى الصلاة والنزول والمرور حيث حل النبي ﷺ ونزل، وغير ذلك[1].

وقال القاضي عياض: ومن إعظامه ﷺ وإكباره إعظام جميع أسبابه وإكرام مشاهده وأمكنته ومعاهده، وما لمسه ﷺ أو عرف به[2].

أقول: ومن المعلوم إنّ تحقق هذا الإعظام والإكرام بزيارة تلك المشاهد والآثار والتبرك بها.

٣١ـ إذا أراد الخروج من المدينة استحب أن يذهب إلى القبر الشريف ويعيد الزيارة ودعائها ويصلي ركعتين في الروضة ويسأل الله ﷻ أن يرزقه العود إليه والسلامة في سفره ويقول: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، ولا تجعله آخر العهد لنبيك وحط أوزاري بزيارته، واصحبني في سفري السلامة، ويسر رجوعي إلى أهلي ووطني سالماً يا أرحم الراحمين.

ويقول: اللهم إنا نسألك في سفرنا هذا البر والتقوى ومن العمل ما تحب وترضى، اللهم كن لنا صاحباً في سفرنا وخليفة على أهلنا، اللهم

---

(١) وفاء الوفا للسمهودي ٤: ١٤١٢.

(٢) الشفاء بتعريف حقوق المصطفى ٢: ٥٦.

ذلل لنا صعوبة سفرنا واطوعنا بعده، اللهم إنا نعوذ بك من وعثاء السفر، وكآبة المنظر، وسوء المنقلب في الأهل والمال، اللهم أصحبنا بنصح واقلبنا بذمة اللهم اكفنا ما أهمنا وما لا نهتم له، وارجعنا سالمين مع القبول والمغفرة والرضوان ولا تجعله آخر العهد بهذا المحل الشريف.

ويعيد السلام والدعاء المتقدم في الزيارة ويقول: اللهم لا تجعل هذا آخر العهد بحرم رسولك ﷺ وحضرته الشريفة ويسر لي العود إلى الحرمين سبيلاً سهلة وارزقني العفو والعافية في الدنيا والآخرة. وليخرج مع التأدب مقدماً رجله اليسرى على اليمنى أيضاً ويكون متألماً متحزناً على فراق الحضرة النبوية، متأسفاً على ما يفوته من تركه ملازمتها، وليقل: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ولا تجعله آخر العهد بنبيك وحط أوزاري بزيارته وأصحبنى في سفري السلامة ويسّر رجوعي إلى أهلي ووطني يا أرحم الراحمين.

٣٢ـ ويستحب أن يشتري بعض الهدايا لأهله وعِياله حين الرجوع إلى وطنه وإذا أمكن فمن تمر المدينة وماء آبارها، وأن يتصدق على الفقراء والمستحقين من جيران رسول الله ﷺ بما أمكن.

٣٣ـ أن يكون حال الخروج من المدينة المنورة باكياً حزيناً على فراق الحضرة النبوية، ويستحب أن يكبر على كل شرف من الأرض ويقول: آئبون تائبون لربنا حامدون، صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده اللهم لا تجعل هذا آخر العهد بحرم رسولك ويسر لي العود إلى الحرمين سبيلاً سهلة وارزقني العفو والعافية والمعافاة الدائمة في الدين والدنيا والآخرة وردنا سالمين غانمين.

وعن الفاخوري: إذا قفل منصرفاً قاصداً وطنه كبّر في طريقه على كل مرتفع ثلاثاً ثم يقول: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، آئبون تائبون عابدون ساجدون لربنا حامدون

صدق الله وعده ونصر عبده وعز جنده، وهزم الأحزاب وحده[1].

هذا حاصل ما ورد من الآداب في الزيارة عند علماء العامة وأكابرهم.

فأنت أيها القارئ الكريم عندما تطالع هذه الآداب مضافاً إلى المعرفة بها تجد أن الزائر من ابتداء سفره إلى انتهائه يقصد التقرب بزيارته إلى الله تعالى ونيل جزيل الثواب والأمن من العقاب، وتراه يجعل هذه العبادات والزيارات طريقاً وسُلّماً لتحصيل معرفته ورضاه سبحانه، وهل ترى فيها شيئاً من الشرك والبدعة والضلال كما قال المخالف المرتاب؟! أو تراها مشحونةً من الشهادة بوحدانية الله ﷻ وأن محمداً عبده ورسول الله، وهكذا في زيارة سائر الأنبياء والأولياء.

ولأجل إزدياد يقينك بكذب ما يدعيه المخالف، نذكر لك آداب طائفة أخرى من المسلمين، وهم أتباع وصي رسول رب العالمين وأهل بيته المعصومين سلام الله عليهم أجمعين.

---

(١) الكفاية لذوي العناية للفاخوري: ١٣٠.

ثانياً:

آداب الزيارة عند الإمامية

١ ـ ينبغي لزائر المدينة إذا كان طريقه على مسجد غدير خم أن ينزل ويصلي فيه ركعتين للتحية أو ما شاء من الصلاة، فإنه المكان الذي أقام النبي ﷺ علي بن أبي طالب عليه السلام مقامه بأمر من الله تعالى فقال: «**ألست أولى بكم من أنفسكم**»؟ قالوا: بلى يا رسول الله، فقال: «**من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله والعن على من ظلمه**».

وقد بايعه الناس على إمرة المؤمنين فأنزل الله سبحانه: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا**﴾[1]، فهو موضع أظهر الله فيه الحق، ويلزم تكريمه وتعظيمه، وتذكر مقام النبي ﷺ وأمير المؤمنين صلوات الله عليه فيه، فقد ورد في الروايات فضيلة الصلاة فيه.

٢ ـ يستحب النزول في معرس النبي ﷺ إن كان المرور عليه، والصلاة فيه[2].

---

(١) الأحاديث فيه قد بلغت حد التواتر من الفريقين، فراجع الكتب المعدة لهذا الأمر، وراجع روضة المتقين حول هذا الأدب ٥: ٣١٦.

(٢) كما في روضة المتقين للتقي المجلسي ٥: ٣١٨. مسجد ذي الحليفة الحالي، وهو الموضع الذي كان ينزل فيه للأستراحة ويصلي فيه ثم يرحل لغزاة أو غيرها،

٣ ـ إذا وقع نظره على حيطان المدينة وحرم الرسول يشكر الله على توفيقه ويحمده على ما أنعم عليه ويكثر من ذكر الله، والإستعداد والتهّيؤ الروحي للتشرف بحرم الرسول المصطفى ﷺ.

والتأدب عند وروده المدينة وأن يكون على سكينة ووقار، وينبغي ترك اللغو في الكلام والمخاصمة في كل ما يشغله عن ذكر الله ويزيل حالة الحضور والخشوع من الزائر في المدينة وخصوصاً في المشاهد المشرفة.

٤ ـ يستحب أن يغتسل قبل دخول المشهد الشريف وأن يكون على طهارة من الحدث والخبث ويلبس أحسن ثيابه وأن يأتيه بخضوع وخشوع.

٥ ـ ينبغي الوقوف على بابه ﷺ والإستيذان بالمأثور والدخول من باب جبرئيل وأن يقدم رجله اليمنى حين الدخول واليسرى حين الخروج، ويكبر الله مائة مرة ويصلي ركعتين تحية للمسجد الشريف ويسعى في تحصيل الخضوع والخشوع،لأن الغرض الأهم هو حضور القلب لتلقي الرحمة النازلة من الرب.

٦ ـ يذهب إلى جانب الحجرة الشريفة ويقف عند الضريح ويمسح يده عليه ويقبله ويتبرك به إن أمكن، وإلا فليس بواجب، فيتوجه إليه بحضور القلب وكأنه ينظر إلى رسول الله ﷺ، وتوهم أن البعد وعدم لمسه وتقبيله من الأدب، وهمٌ لاوجه له، فقد نُصّ على الإتكاء على الضريح وتقبيله، وسوف نتعرض إلى هذه المسألة بعد ذكر الآداب إن شاء الله.

٧ ـ إستقبال وجه المزور واستدبار القبلة حال الزيارة، وأن يزور

والموضع معروف قرب مسجد الشجرة.

عن الجوهرى: التعريس نزول القوم في السفر من آخر الليل يقعون فيه وقعة للاستراحة يرتحلون....

واقفاً ويزور بالمأثور، ويكفي السلام والحضور أيضاً، وأما المأثور من الزيارة، فيقول:

السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا نبي الله، السلام عليك يا محمد بن عبد الله، السلام عليك يا خاتم النبيين، أشهد أنك قد بلغت الرسالة وأقمت الصلاة، وآتيت الزكاة، وأمرت بالمعروف، ونهيت عن المنكر، وعبدت الله مخلصاً حتى أتاك اليقين، فصلوات الله عليك ورحمته وعلى أهل بيتك الطاهرين.

٨ ـ يقف عند الإسطوانة المتقدمة في الجانب الأيمن من القبر مستقبل القبلة ويكون جانبه الأيسر محاذياً للقبر وجانبه الأيمن محاذيا للمنبر، فإنه موضع رأس رسول الله ﷺ، ويقول:

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وأشهد أنك رسول الله، وأنك محمد بن عبد الله، وأشهد أنك قد بلغت رسالات ربك ونصحت لأمتك وجاهدت في سبيل الله وعبدت الله حتى أتاك اليقين بالحكمة والموعظة الحسنة، وأديت الذي عليك من الحق، وأنك قد رؤفت بالمؤمنين، وغلظت على الكافرين، فبلغ الله بك أفضل شرف محل المكرمين، الحمد الذي استنقذنا بك من الشرك والضلالة، اللهم فاجعل صلواتك وصلوات ملائكتك المقربين وأنبيائك المرسلين وعبادك الصالحين وأهل السماوات والأرضين ومن سبّح لك يا رب العالمين من الأولين والآخرين على محمد عبدك ورسولك ونبيك وأمينك ونجيك وحبيبك وصفيك وخاصتك وصفوتك وخيرتك من خلقك، اللهم أعطه الدرجة الرفيعة وآته الوسيلة من الجنة وابعثه مقاماً محموداً يغبطه به الأولون والآخرون، اللهم إنك قلت: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾.

وإني أتيتك مستغفراً تائباً من ذنوبي وإني أتوجه بك إلى الله ربي وربك ليغفر لي ذنوبي.

ثم يرفع يده للدعاء ويدعوبما شاء ويطلب حوائجه لدنياه وأُخراه، فإنه مستجاب إن شاء الله، وينبغي أن يعمّ في الدعاء إخوانه المؤمنين، فإنه أسرع للإجابة.

وقد روى ابن قولويه بسنده عن محمد بن مسعود قال: رأيت أبا عبد الله عليه السلام عند قبر رسول الله ﷺ وقد وضع يده على القبر وقال: أسئل الله الذي اجتباك واختارك وهداك وهدى بك أن يصلي عليك، فقال: ﴿إِنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾.

ويستحب أن ينوب في الزيارة والسلام عن أهله وأحبته وكل من وصاه بالسلام، بأن يقول: السلام عليك يا رسول الله نيابة عن فلان، فإن شاء ذكرهم كلهم بسلام واحد وإن شاء سلم نيابة عن كل واحد منهم.

٩ ـ ويذهب إلى المنبر ويمسح يده على قبته ويمسح بها وجهه ويحمد الله عز وجل ويثني عليه ويطلب حوائجه، فقد صح عنه ﷺ: «**ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة ومنبري على تُرعة من تَرع الجنة**»[1]. فينبغي أن يكثر من الصلاة على محمد وآل محمد، والدعاء والتوبة وتلاوة القرآن، ويكثر الصلاة في هذه الروضة الشريفة مادام موجودا فيها، فإن الصلاة فيها تعدل ألف صلاة في غيرها، وتقدم ذكر بعض الاحاديث في فضلها.

---

(١) تقدم مصدر هذا الحديث في آداب العامة. وعند الإمامية فراجع روضة المتقين للتقي المجلسي ٥: ٣٣٠، وقد أخرج المجلسي هذا الحديث من طرق متعددة وبألفاظ متفاوتة، التُرعة: الباب.

١٠ـ ويذهب إلى مقام جبرئيل وهو الموضع الذي كان يقف عنده جبرئيل حين الدخول على النبي ﷺ ليأذن له، ومحله تحت الميزاب، فيقول: أسألك أي جواد أي كريم أي قريب أي بعيد أن تردّ علي نعمتك.

زيارة فاطمة الزهراء عليها السلام

١١ـ ثم يزور فاطمة الزهراء عليها السلام في الروضة المطهرة، فقد اختلف في موضع قبرها، حيث إن أمير المؤمنين دفنها ليلاً وسراً وعفا موضع قبرها عملاً بوصيتها، فقد أوصته صلوات الله عليها أن يغسلها بالليل ويكفنها بالليل ويدفنها بالليل ولا يعلم أحدا.

فعلى قول: إنها دُفنت في الروضة الشريفة، وعلى قول: إنها دفنت في بيتها ولما وُسّع المسجد صاربيتها في المسجد، وعلى قول: إنها دفنت بالبقيع.

والذي عليه أكثر الأصحاب أن تزار في البيت أو الروضة الشريفة، ومن يزورها في المواضع الثلاثة، فهو الأفضل وفيه أداء لحقها وتعظيماً لها أكثر فأكثر، وأما زيارتها، فهي:

يا ممتحنة امتحنك الله الذي خلقك قبل أن يخلقك فوجدك لما امتحنك صابرة وزعمنا أنا لك أولياء ومصدقون وصابرون لكل ما أتانا به أبوك ﷺ وأتى به وصيه، فإنا نسألك إن كنا صدقناك إلا الحقتنا بتصديقنا لهما لنبشر أنفسنا بأنا قد طهرنا بولايتك.

ويستحب أن يقول أيضاً: السلام عليك يا بنت رسول الله، السلام عليك يا بنت نبي الله، السلام عليك يا بنت حبيب الله، السلام عليك يا بنت خليل الله السلام عليك يا بنت صفي الله، السلام عليك يا بنت أمين الله، السلام عليك بنت خير خلق الله، السلام عليك يا بنت أفضل أنبياء

الله ورسله وملائكته، السلام عليك يا ينت خير البرية، السلام عليك يا سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين، السلام عليك يا زوجة ولي الله وخير الخلق بعد رسول الله، السلام عليك يا أم الحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنة، السلام عليك أيتها الصديقة الشهيدة، السلام عليك أيتها الرضية المرضية، السلام عليك أيتها الفاضلة الزكية، السلام عليك أيتها الحوراء الانسية، السلام عليك أيتها التقية النقية، السلام عليك أيتها المحدثة العليمة، السلام عليك أيتها المظلومة المغصوبة، السلام عليك أيتها المضطهدة المقهورة، السلام عليك يا فاطمة بنت رسول الله ورحمة الله وبركاته، وصلى الله عليك وعلى روحك وبدنك، أشهد أنك مضيت على بينة من ربك وأن من سرك فقد سر رسول الله صلى الله عليه وآله، ومن جفاك فقد جفا رسول الله صلى الله عليه وآله، ومن وصلك فقد وصل رسول الله صلى الله عليه وآله، ومن قطعك فقد قطع رسول الله صلى الله عليه وآله، لأنك بضعة منه وروحه الذي بين جنبيه ـ كما قال صلى الله عليه وآله ـ أُشهد الله ورسله وملائكته أني راض عمّن رضيت عنه، ساخط على من سخطت عليه، متبرء ممن تبرئت منه، موال لمن واليت، معاد لمن عاديت،مبغض لمن أبغضت،محب لمن أحببت. وكفى بالله شهيداً وحسيباً وجازياً ومثيبا.

ثم تصلي عليها وعلى أبيها وعلى الأئمة الأطهار عليهم السلام.

وقد ذكر العلماء زيارات أخرى لها فراجع الكتب المعدة لهذا المجال.

قال الشيخ في التهذيب: إن ما ورد في فضيلة زيارتها من الروايات أكثر من أن تحصى.

وروى المجلسي رحمه الله عن أمير المؤمنين عليه السلام، عن فاطمة أنها قالت: قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله: «**يا فاطمة! إنّ من صلى عليك غفر الله تعالى له وألحقه بي حيث كنت من الجنة**»[1].

---

(١) بحار الأنوار ١٠٠: ١٩٤.

وعن يزيد بن عبد الملك، عن أبيه،عن جده،قل: دخلت على فاطمة عليها السلام فبدأتني بالسلام، ثم قالت: ما غدا بك؟ قلت: طلب البركة، قالت: أخبرني أبي وهوذا حي أنه:«من سلم عليه وعلي ثلاثة أيام أوجب الله له الجنة».قلت لها: في حياته وحياتك؟ قالت: نعم وبعد موتنا[1].

١٢ـ ينبغي بعد الفراغ من الزيارة أن يصلي ركعتين في الروضة ويهديها إلى المزور، وأن يدعو بعدها بالمأثور، أو بما شاء ويكثر من الصلوات وتلاوة القرآن وإهداءه إلى المزور والمنتفع بذلك الزائر نفسه، وفيه تعظيم للمزور، والأفضل أن تكون الصلاة عند رأس المزور إن كان المزور أحد الأئمة عليهم السلام، وينبغي أن لا يتقدم عليه، وينبغي أن يكثر من الاستغفار والتوبة والاقلاع وإحضار القلب في جميع أحواله ما استطاع وينبغي أن يكون الزائر بعد الزيارة خيراً منه قبلها، فإنها تُحط الأوزار إذا صادف القبول.

١٣ـ تعجيل الخروج عند قضاء الوطر من الزيارة والدعاء، لتعظيم الحرمة وأن يشتدّ الشوق، وروي أن الخارج يمشي القهقرى حتى يتوارى.

زيارة أئمة البقيع

١٤ ـ فإذا خرج من الروضة النبوية يتوجّه إلى البقيع لزيارة أئمة البقيع عليهم السلام وسائر السادة والصالحين والصالحات والشهداء المدفونين فيه.

والأئمة المدفونون فيه هم:

١ ـ الإمام السبط الشهيد الحسن المجتبى عليه السلام .

---

(١) التهذيب ٦: ٩. ووردت هذه الرواية في المناقب لابن المغازلي الشافعي بنفس الطريق باختلاف يسير في اللفظ، فلاحظ المناقب: ٢٤٤، ط منشورات دار مكتبة الحياة ـ بيروت.

٢ ـ الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام .

٣ ـ الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام .

٤ ـ الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام.

فإن احترامهم وتعظيمهم تعظيم النبي ﷺ واحترامه، لأنهم أبناؤه وأحفاده وورثة علمه وخلقه الكريم، فإن المرء يكرم في ولده.

ولا يخفى: أن الآداب التي وردت في زيارة قبر النبي ﷺ واردة في زيارة سائر الأئمة عليهم السلام .

فإذا ذهب إليهم، فليقف عند الباب ويستأذن للدخول ويقول: يا موالي يا أبناء رسول الله عبدكم وابن أمتكم الذليل بين أيديكم والمضعف في علو قدركم، والمعترف بحقكم، مستجيراً بكم، قاصداً إلى حرمكم،متقرباً إلى مقامكم، متوسلاً إلى الله تعالى بكم، أأدخل يا موالي، أأدخل يا أولياء الله، أأدخل يا ملائكة الله المحدقين بهذا الحرم المقيمين بهذا المشهد، وبعد الاستئذان وتحصيل حالة الخشوع والرقة واستحضار وجوههم الكريمة ومناقبهم العظيمة وتذكّر مصائبهم ومظلوميتهم، يقدم رجله اليمنى في الدخول ويقول: الله أكبر كبيراً، والحمد لله كثيراً، وسبحان الله بكرة وأصيلاً، والحمد لله الفرد الصمد الماجد الأحد المتفضل المنان المتطول الحنان الذي منّ بطوله وسهل زيارة ساداتي بإحسانه ولم يجعلني عن زيارتهم ممنوعاً، بل تطوّل ومنح.

ثم يتوجه إلى القبور الشريفة ويقرب منها ويقف أمامها، ويقول مع التأدب والاحترام: السلام عليكم أئمة الهدى، السلام عليكم أهل التقوى، السلام عليكم أيها الحجج على أهل الدنيا، السلام عليكم أيها القوامون في البرية بالقسط، السلام عليكم أهل الصفوة، السلام عليكم آل رسول الله، السلام عليكم أهل النجوى، أشهد أنكم قد بلغتم

ونصحتم وصبرتم في ذات الله وكُذّبتم وأسيئ إليكم فغفرتم، وأشهد أنكم الأئمة الراشدون المهتدون، وأن طاعتكم مفروضة، وأن قولكم الصدق، وأنكم دعوتم فلم تجابوا، وأمرتم فلم تطاعوا، وأنكم دعائم الدين وأركان الأرض، لم تزالوا بعين الله ينسخكم من أصلاب كل مطهر وينقلكم من أرحام المطهرات،لم تدنسكم الجاهلية الجهلاء،ولم تشرك فيكم فتن الأهواء، طبتم وطاب منبتكم،منّ بكم علينا ديان الدين، فجعلكم في بيون أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه، وجعل صلواتنا عليكم رحمة لنا وكفارة لذبوبنا، إذ اختاركم الله لنا وطيب خلقنا بما منّ علينا من ولايتكم، وكنا عنده مسّمين بعلمكم معترفين بتصديقنا إياكم، وهذا مقام من أسرف وأخطأ واستكان وأقر بما جنى ورجى بمقامه الخلاص، وأن يستنقذه بكم مستنقذ الهلكى من الردى، فكونوا لي شفعاء فقد وفدت إليكم إذ رغب عنكم أهل الدنيا واتخذوا آيات الله هزوا واستكبروا عنها، يا من هو قائم لا يسهو ودائم لا يلهو ومحيط بكل شيء لك المنّ بما وفقتني وعرفتني بما أقمتني عليه إذ صد عنه عبادك وجهلوا معرفته واستخفوا بحقه ومالوا إلى سواه، فكانت المنة منك علي مع أقوام خصصتهم بما خصصتني به.

فلك الحمد إذ كنت عندك في مقامي هذا مذكوراً مكتوباً،فلا تحرمني ما رجوت ولا تخيبني فيما دعوت، بحرمة محمد وآله الطاهرين وصلى الله على محمد وآل محمد.

فيدعو ويطلب من الله ما يشاء من حوائجه ولسائر المؤمنين والمؤمنات، ويصلي ثمان ركعات ويهدي كل ركعتين لواحد منهم.

ثم يزور العباس بن عبد المطلب عم رسول الله ﷺ وفاطمة بنت أسد الهاشمية أم أمير المؤمنين عليه السلام بنفس البقعة التي فيها الأئمة الأربعة عليهم السلام.

وهناك مراقد أخرى تتعلق بآل الرسول ينبغي الحضور عندها وزيارتها وقراءة الفاتحة عندها، وقد ذكر لكل واحدة منها زيارة نحيل الطالب إلى الكتب

المدونة لها.

وفي البقيع قبور أخرى أيضا تتعلق بشهداء الإسلام وبعض الصلحاء والمؤمنين والمؤمنات ينبغي زيارتها وإهداء الفاتحة والصلوات لأهلها، وإذا شئت فاقرء الزيارة الخاصة لأهل القبور التي كان رسول الله يقرأها عند مجيئه إلى البقيع الغرقد وكان يعلّم الأصحاب بقراءتها، وقد ذكرناها في الآداب التي وردت عند العامة.

١٤ـ ويستحب أن يذهب إلى أحد، وهو جبل قريب من المدينة قد استشهد عنده جمع كثير من المسلمين ودُفنوا في نفس المكان، ومن أعظمهم شأناً سيد الشهداء حمزة عم النبي ﷺ.

زيارة حمزة سيد الشهداء عم النبي ﷺ

وقد تقدمت نبذة من الأحاديث في فضائله وفضائل زيارته في آداب العامة، تقول في زيارته كما ورد:

السلام عليك يا عم رسول الله ﷺ، السلام عليك يا خير الشهداء، السلام عليك يا أسد الله وأسد رسوله، أشهد أنك قد جاهدت في الله ﷻ حق جهاده، وجدت بنفسك، ونصحت رسول الله، وكنت فيما عند الله سبحانه راغباً،بأبي أنت وأمي، أتيتك متقرباً إلى الله ﷻ بزيارتك، راغباً إليك في الشفاعة أبتغي بزيارتك خلاص نفسي، متعوذا بك من نار إستحقها مثلي بما جنيت على نفسي، هارباً من ذنوبي التي احتطبتها على ظهري، فزعاً إليك رجاء رحمة ربي أتيتك من شقة بعيدة، طالباً فكاك رقبتي من النار، وقد أوقرت ظهري ذنوبي وأتيت ما أسخط ربي ولم أجد أحداً أفزع إليه خيراً لي منكم أهل بيت، فكن شفيعاً يوم فقرى وحاجتي، فقد سرت إليك محزوناً وأتيتك مكروباً وسكبت عبرتي عندك باكياً، وصرت إليك مفرداً، وأنت ممن أمرني الله بصلته وحثني على بره ودلني على فضله

وهداني لحبه ورغبني في الوفادة إليه وألهمني طلب الحوائج عنده أنتم أهل بيت لا يشقى من تولاكم ولا يخيب من أتاكم ولا يخسر من يهواكم ولا يسعد من عاداكم.

فتصلي ركعتين وتهديها إلى عم رسول الله ﷺ، وتضع يدك على قبره إن أمكن وتقول: اللهم إني تعرضت لرحمتك بلزومي لقبر عم نبيك ﷺ ليجيرني من نقمتك في يوم تكثر فيه الأصوات وتشغل كل نفس لما قدمت وتجادل عن نفسها، فإن ترحمني اليوم فلا خوف علي ولا حزن، وإن تعاقب فمولى له القدرة على عبده ولا تخيبني بعد اليوم،ولا تصرفني بغير حاجتي، فقد لصقت بقبر عم نبيك وتقربت به إليك ابتغاء مرضاتك ورجاء رحمتك، فتقبل مني وعُدعلي بحلمك على جهلي وبرأفتك على جناية نفسي، فقد عظم جرمي وما أخاف أن تظلمني ولكن أخاف سوء الحساب، فانظر اليوم تقلبي على قبر عم نبيك، فبهما فُكّني من النار ولا تخيب سعيي ولا يهونن عليك ابتهالي ولا تحجبن عنك صوتي ولا تقلبني بغير حوائجي، يا غياث كل مكروب ومحزون، ويا مفرجاً عن الملهوف الحيران الغريق المشرف على الهلكة، فصل على محمد وآل محمد وانظر إلي نظرة لا أشقى بعدها أبداً وارحم تضرعي وعبرتي وانفرادي فقد رجوت رضاك وتحريت الخير الذي لا يعطيه أحد سواك فلا ترد أملى،اللهم إن تعاقب فمولى له القدرة على عبده وجزائه بسوء فعله فلا أخيبن اليوم ولا تصرفني بغير حاجتي ولا تخيبن شخوصي ووفادتي، فقد أنفدت نفقتي وأتعبت بدني وقطعت المفازات وخلفت الأهل والمال وما خولتني وآثرت ما عندك على نفسي ولذت بقبر عم نبيك ﷺ وتقربت به ابتغاء مرضاتك، فعُد بحلمك على جهلي وبرأفتك على ذنبي فقد عظم جرمي، برحمتك يا كريم يا كريم.

وفي فضل زيارته قال المحدث القمي ﷺ نقلاً عن فخر المحققين: إن رسول الله ﷺ قال: «**من زارني ولم يزر عمي حمزة فقد جفاني**».

وقال المفيد رحمه الله: كان رسول الله ﷺ يأمر في حياته بزيارة قبر حمزة عليه السلام وكان يسلم عليه وعلى الشهداء، ولم تزل فاطمة عليها السلام بعد وفاته ﷺ تغدو إلى قبره وتروح والمسلمون ينتابون على زيارته وملازمة قبره[١].

وقد ظهرت منه لزائريه كرامات كثيرة، منها ما أخرجه البيهقي عن الواقدي: أن فاطمة الخزاعية قالت: زرت قبر حمزة، فقلت: السلام عليك يا عمّ رسول الله، فسمعت كلاماً ردّ علي: وعليكم السلام ورحمة الله[٢].

زيارة قبور سائر الشهداء رضوان الله عليهم بأحد

فتقول: السلام على رسول الله، السلام على نبي الله، السلام على محمد بن عبد الله، السلام على أهل بيته الطاهرين، السلام عليكم أيها الشهداء المؤمنون، السلام عليكم يا أهل بيت الإيمان والتوحيد... إلى آخر ما ورد في زيارتهم فراجع[٣].

وتقرء من القرآن ما شئت، وقد ورد قراءة سورة القدر،وتهديه إلى الشهداء.

زيارة مسجد قبا
ومسجد الفضيخ ومسجد الفتح وسائر آثار النبوة

١٥ـ ويستحب أن تذهب إلى مسجد قبا وتصلي فيه صلاة التحية وتدعو فيه بما شئت، وقد ورد تسبيح فاطمة الزهراء عليها السلام، وورد دعاء آخر أيضا لا يسع الكراس ذكره.

---

(١) مفاتيح الجنان للمحدث القمي رحمه الله زيارة شهداء أحد.

(٢) حكاه النبهاني عن البيهقي في جامع كرامات الأولياء: ١٣٢.

(٣) مفاتيح الجنان للمحدث القمي رحمه الله زيارة شهداء أحد.

وكان رسول الله ﷺ يذهب إلى مسجد قبا يصلي فيه، فإنه المسجد الذي أسّس على التقوى من أول يوم.

وتذهب إلى مسجد الفضيخ ويقال له مسجد رد الشمس، لما روي بأن الشمس قد رُدّت فيه لأمير المؤمنين عليه السلام،فتصلي فيه.

ثم تذهب إلى مسجد الفتح، ويسمى مسجد الأحزاب وتصلي فيه وتدعو الله فيه، فإن رسول الله ﷺ دعا فيه يوم الأحزاب وقال:«**يا صريخ المستصرخين ويا مجيب دعوة المضطرين ويا مغيث المهمومين إكشف عني ضري وهمي وكربي وغمي فقد ترى حالي وحال أصحابي**».

ولكنك تقول بدل فقد ترى حالي... كما كشفت عن نبيك ﷺ وكفيته هول عدوه واكفني ما أهمني من أمر الدنيا والآخرة يا أرحم الراحمين.

وتذهب أيضاً إلى مشربة أم هاني وهو بيت سكن فيه رسول الله ﷺ.

وبيت الإمام زين العابدين عليه السلام، وبيت الإمام جعفر الصادق عليه السلام. ومسجد سلمان، ومسجد أمير المؤمنين وهو محاذٍ لقبر حمزة عليه السلام، ومسجد المباهلة، وتصلي وتذكر الله فيها.

وتذهب إلى سائر آثار النبوة في المدينة على قدر إمكانك.

١٦ ـ ويستحب التصدق على المحتاجين سيما سادات المدينة وذرية آل الرسول ﷺ فإن الصدقة مضاعفة هناك.

١٧ ـ يستحب للزائر أن يغتنم الفرص في الإكثار من الزيارات في كل يوم والدعاء والتوسلات وكثرة الصلاة في مسجد النبي ﷺ وتلاوة القرآن مادام في المدينة، وأن يسلم على النبي ﷺ كلما شاهد المشهد الشريف وهكذا زيارة أئمة البقيع والسلام عليهم.

وينبغي أن يحفظ نفسه من ارتكاب المعاصي والاشتغال بالأمور الدنيوية وكل ما يشغل فكره عن عبادة الله.

وأن يستحضر في نفسه شرافة الحرم النبوي وبالأخص المسجد النبوي، حيث كان النبي ﷺ يصلي فيه ويضع قدمه الشريف عليه وعلى سائر مواضع أرض المدينة، وكان جبرئيل وسائر الملائكة المقربين ينزلون فيها، ولنعم ما قيل:

أرض مشى جبريل في عرصاتها والله شـرّف أرضـهـا وسمائها

فإن لأرض المدينة شرف وفضل على سائر البقاع لتشرفها بقدم خاتم الأنبياء وأقدام أهل بيته الشرفاء صلوات الله عليهم أجمعين، وإنها صارت حرم رسول الله، كما أن مكة حرم الله ﷻ، فلها من الحرمة كما لمكة، وأما تعيين مسافة حرم المدينة ومقدار حرمتها فيُرجع به إلى الكتب المدونة في هذا المجال.

والحاصل: أنه ينبغي لزائر المدينة حينما وفقه الله للتشرف بها أن لا يفوّت وقته عبثاً وأن لا يقضيه بالأكل والنوم والتردد في الأسواق والإشتغال بغير ذكر الله، فإن إضاعة الفرصة غصة، والفرصة تمر كمر السحاب،كما ورد في الأحاديث.

وليس من المعلوم أن يمهله الأجل ويوفقه الله تعالى مرة أخرى للتشرّف بزيارة سيد المرسلين، فيندم على ما فوته وضيعه ولن ينفعه الندم.

فلابد للإنسان أن يسعى عند تشرفه بأن يكون قد أصلح فيما بينه وبين الله وطهّر نفسه من درن الذنوب والآثام والشرك والعصيان وأن يكون حاله حين الرجوع أحسن من حاله حين الدخول في المدينة.

زيارة الوداع

١٨ ـ وإذا أراد الانصراف والسفر إلى وطنه فليتطهر وليغتسل ويذهب إلى قبر رسول الله ﷺ، ويأتي بتلك الآداب التي ذكرت في الزيارة ويزور النبي ﷺ ويودعه ويكون متأثراً على فراقه ويطلب من الله العود إلى زيارته وأن لا يرده خائباً خاسراً.

ويقول: السلام عليك يا رسول الله، أستودعك الله وأسترعيك، وأقرأ عليك السلام، آمنت بالله وبما جئت به ودللت عليه، اللهم لا تجعله آخر العهد مني لزيارة قبر نبيك، فإن توفيتني قبل ذلك فإني أشهد في مماتي على ما شهدت عليه في حياتي أن لا إله إلا أنت وأن محمداً عبدك ورسولك ﷺ، فيصلي ركعتين ويهديها إليه ﷺ وهكذا يزور فاطمة الزهراء عليها السلام.

وإذا أراد الخروج يخرج متأدباً متأثراً على الفراق ويحاول أن يخرج مع القهقرى، فإنه أقرب للأدب وأن يُخرج رجله اليسرى أولا.

ويتوجه إلى أهل البقيع فيزور أئمة البقيع وسائر المدفونين، بنفس الآداب المتقدمة ويودع أئمته ويطلب من الله تعالى أيضاً العودة إليهم ويُظهر التألم على الفراق ويقول في وداعه:

السلام عليكم أئمة الهدى ورحمة الله وبركاته أستودعكم الله وأقرء عليكم السلام آمنّا بالله وبالرسول وبما جئتم به ودللتم عليه اللهم فاكتبنا مع الشاهدين.

تنبيه ينبغي الإلتفات إليه

وإليك تنبيه ذكره الشهيد بعد الآداب، وهوأن: من دخل المشهد والإمام يصلي بدأ بالصلاة قبل الزيارة، وكذلك لو كان قد حضر وقتها، وإلا فالبدأة

بالزيارة أولى، لأنها غاية مقصده، ولو أقيمت الصلاة استحب للزائرين قطع الزيارة والإقبال على الصلاة ويكره تركه، وعلى الناظر أمرهم بذلك.

وإذا زارت النساء فليكنّ منفردات عن الرجال، ولو كان ليلاً فهو أولى، وليكنّ متنكرات مستترات، ولو زرن بين الرجال جاز، وإن كره.

وينبغي مع كثرة الزائرين أن يخفف السابقون إلى الضريح في الزيارة وينصرفوا، ليحضر مَن بعدهم فيفوزوا من القرب إلى الضريح والتبرك به بما فاز أولئك[1].

إلى هنا قد تم ما تيسر لي من ذكر الآداب والزيارة في المدينة المنورة الواردة عند الشيعة، وقد حاولت الاختصار وهربت من الإيجاز الموجب للإخلال في تحصيل الغرض وهو: إثبات مشروعية تلك الزيارات بشد الرحال إليها، حيث إن تلك الآداب خاصة للمسافر.

وإنّ من كان أهل التحقيق وبعيداً عن التعصب والعناد لم يجد فيها أي دليل ولا قرينة على الشرك والضلال، بل يجد هذه الأمور من أقرب الطرق إلى التقرب بالواحد القهار والابتعاد عن إطاعة النفس والشيطان، ويحصل له العلم بأن المخالف لهذا الأمر العظيم ومن كفّر المسلمين هو في ضلال مبين.

وقد اقتبست هذه الآداب من كتب الأعلام، منها الدروس للشيخ الشهيد، وروضة المتقين للتقي المجلسي، وبحار الأنوار للباقر المجلسي، والحدائق الناضرة للبحراني،ومفاتيح الجنان للمحدث القمي.

ونعيد مرة أخرى: بأن الزيارة بشد الرحال لو لم تكن مشروعة لما ذكر لها علماء الأمة الاسلامية مع اختلاف مذاهبها هذه الآداب، فذكرها يفيدنا

---

(١) الدروس: ١٥٨ ط ايران سنة ١٢٦٩.

التسالم عليها.

مضافاً إلى أن السفر للزيارة حتى لو لم يكن مطلوباً وراجحاً بالذات فإنه مطلوب وراجح بالعرض، لأنه مقدمة للوصول إلى المطلوب وهو الزيارة، حيث قد اعترف بمطلوبيتها ولو ظاهراً حتى الوهابية إلا أنهم منعوا من شد الرحال.

إلى هنا أثبتنا لك بهذه الأدلة الكثيرة مشروعية زيارة القبور ورحجانها وشد الرحال إليها خصوصاً زيارة الأنبياء والمرسلين، وبالأخص خاتم المرسلين وعترته الطبيين الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين.

ولولا خوف اغترار البعض بسبب تدليسات العدوان لما أطلت فيها الكلام واقتصرت على أقل البيان.

وسنوافيك بذرائع المانعين مع جوابها بعون الله تعالى.

ذرائع
المانعين من الزيارة

ذرائع المانعين من الزيارة

تساؤل:

ازاء كل ما ذكرناه، نجد أنّه لابدّ من الإجابة على تساؤل قد يطرأ في بال الكثيرين، وهو:

مع وجود هذه الأدلة الكثيرة من الكتاب والسنة والعقل والإجماع وسيرة المسلمين سلفاً وخلفاً وعلمائهم وعوامهم وهذه الدلائل المستفادة من بعض الفروع التي ذُكرت والآداب التي إذا اطلع عليها من كان له أدنى معرفة بالدين وأقل نصيب من العقل والإنصاف يخضع لها برغبة واشتياق، كيف إذا كان عالماً بارعاً ومن أهل العقل والسداد.

فما الذي أوقع المانعين في هذه الشذوذات التي لم ينتفع منها إلا الاعداء، وهل يمكن أن تكون مخالفة هذه الجماعة بدون دليل وبرهان؟!

الجواب: أن مخالفتهم ارتكزت على ثلاثة أمور:

١ ـ جهلهم الفاحش أو حقدهم وعداوتهم الكامنة لساحة النبي ﷺ ولآله الأطهار.

٢ ـ وجود روايات بعيدة عن المقام، بل دلالتها تؤيد المرام مثل قوله ﷺ: «**لا تشد الرحال...**» وقوله ﷺ: «**لاتجعلوا قبري عيداً...**»

٣ ـ وجود بعض الاشتباهات والخرافات من بعض العوام الخالين من الأغراض.

الكلام في حديث «لا تشد الرحال»

فقد استدل الخصم على عقيدته الباطلة بهذا الحديث وهو على فرض صحته ووثاقة سنده، لا ربط له بزيارة خير الأنام ﷺ، فإنه في مقام بيان أفضلية بعض المساجد على غيرها، وهذا الاستدلال دليل على غباوته وعدم معرفته بأدنى علوم العربية وأصول علم الحديث، أو أنه مع علمه بعدم الدلالة اضطر إلى التمسك به لفقدان الدليل، وبهذا النحو أراد أن يغوي جهال المسلمين.

أما متن الحديث فقد روي على ثلاثة أنحاء:

١ـ رواه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد، المسجد الحرام، ومسجد الرسول ﷺ ومسجد الأقصى**».

ورواه مسلم في الحج والصلاة، إلا أنه قال بدل (مسجد الرسول) مسجدي هذا.

٢ـ ورواه مسلم في الحج والصلاة أيضاً بنحو آخر، وهي رواية معمر عن الزهري، عن أبي هريرة: «**تشد الرحال إلى ثلاثة مساجد**»، من غير حصر.

٣ـ ورواه مسلم بنحو ثالث في الحج والصلاة: «**إنما يسافر إلى ثلاثة مساجد: مسجد الكعبة ومسجدي ومسجد إيليا**»، وورد بألفاظ أخر أيضاً قد ذكرت أشهرها، والأشهر منها هو النحو الأول الذي فيه «**مسجدي هذا**»[1].

فقد استدل بهذا الحديث ابن تيمية وأتباعه على حرمة شد الرحال.

---

(١) أوردها مسلم في صحيحه: ٤ باب الحج باب لا تشد الرحال، وذكرها أبو داود في سننه: ١ كتاب الحج والنسائي في سننه المطبوع مع شرح السيوطي ٢: ٣٧ ـ ٣٨.

كلمة المانعين للزيارة

ففي الهدية السنية لعبد الله بن محمد بن عبد الوهاب: تسن زيارة النبي ﷺ إلا أنه لا يشد الرحل إلا لزيارة المسجد والصلاة فيه، وإذا قصد مع ذلك الزيارة فلا بأس[١].

ويقول عبد العزيز بن باز: ولو كان شد الرحال لقصد قبره ﷺ أو قبر غيره مشروعاً لدل الأمة عليه وأرشدهم إلى فضله، لأنه أنصح الناس وأعلمهم بالله وأشدهم له خشية، وقد بلغ البلاغ المبين، ودل أمته على كل خير، وحذرهم من كل شر، كيف وقد حذر من شد الرحل لغير المساجد الثلاثة، وقال: «**لا تتخذوا قبري عيداً ولا بيوتكم قبوراً، وصلوا علي فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم**» والقول بشرعية شد الرحال لزيارة قبر الرسول ﷺ يفضي إلى اتخاذه عيداً، ووقوع المحذور الذي خافه النبي ﷺ من الغلو والإطراء، كما قد وقع الكثير من الناس في ذلك بسبب اعتقادهم شرعية شد الرحال لزيارة قبره عليه السلام[٢].

وقال قدوتهم ابن تيمية: وإن كان قصده بالسفر زيارة قبره ﷺ دون الصلاة في مسجده فهذه المسألة فيها خلاف، والصحيح أنها ليست واجبة باتفاق المسلمين، بل ليس فيها أمر في الكتاب ولا في السنة، وإنما الأمر الموجود في الكتاب والسنة بالصلاة عليه والتسليم، فصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً، فالذي عليه الأئمة وأكثر العلماء: أن شدّ الرحل لزيارة قبره ﷺ غير مشروع ولا مأمور به، بل المشروع والمأمور به شد الرحال إلى الثلاثة مساجد: المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى، إذن التقرب إلى الله ﷻ بما ليس بطاعة

---

(١) الهدية السنية الرسالة الثانية من مجموع الرسائل.

(٢) الحج والعمرة والزيارة على ضوء الكتاب والسنة لعبد العزيز بن باز.

معصية، ولأنه نهى عن ذلك والنهي يقتضي التحريم.

وقد نص العلماء على أن من نذر السفر لزيارة قبر النبي لا يجب عليه الوفاء،لأن النذر إنما يجب الوفاء به إذا كان في طاعة، ونذر زيارة قبر النبي وغيره من الأنبياء والصالحين والأولياء معصية لذا لم يجب الوفاء بها.

وأيضاً نص بعض أهل العلم كابن عقيل وغيره على أن المسافر لزيارة قبور الأنبياء والصالحين لا يقصر الصلاة في هذا السفر، لأنه معصية لكونه معتقداً أنها طاعة وليس بطاعة والتقرب إلى الله ﷻ بما ليس بطاعة هو معصية[1].

هذا وقد مشى سائر أتباعه على هذا المرام تقليداً للباطل.

الجواب:

والجواب عن هذه المقالة من وجوه؟

الأول: لاحاجة لنا للبحث هنا في صحة السند؛ لأننا لو سلمنا بصحته فانّه لا دلالة فيه على مرادهم، حيث إن المراد من هذا الحديث بيّن وواضح لمن له أدنى معرفة بالعلوم العربية وأصول الفقه وعلم الحديث، فإن المتبادر العرفي من مثل هذا الكلام الذي يذكر فيه كلمة المساجد هو: أنه لا فضيلة لشد الرحال لمسجد إلا المساجد الثلاثة.

الثاني: إن الحصر في هذه الأخبار إضافي لا حقيقي[2]، فإن جملة لا

---

(١) فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٢٧، ٢٨، ٢٩، نقلاً عن كتاب تنبيه زائر المدينة لصالح السدلان: ٣٤.

(٢) إن الحصر الحقيقي والإضافي إصطلاحان في علوم العربية والأصول، والمراد منها: أن الحكم إذا كان منحصراً بموضوع أو موضوعات متعددة قليلة فالحصر إضافي، مثلاً إذا قلنا أن الحكم الفلاني لم يقله من الفقهاء إلا فلان فقيه فهذا

تشد الرحال إلا إلى ثلاثة... جملة إستثنائية ويسمى الإستثناء مفرغاً حيث لم يذكر فيه المستثنى منه، وعليه فلابد من تقديره، وأن يكون المقدر مناسباً مع المستثنى، والمناسب له لا يخرج عن إثنين، وهو إما أن يكون « المكان » أو « المساجد » فيصير: لا يشد الرحال إلى مكان إلا إلى ثلاثة، أو لا يشد الرحال إلى مسجد إلا إلى ثلاثة مساجد...

وأما تقدير كلمة القبر، بأن تكون الجملة لا تشد الرحال إلى قبر إلا إلى ثلاثة مساجد فواضح بطلانه عند كل من له ذوق سليم وقرأ شيئاً من العربية فضلاً عن العالمين بها، لأنه لا مناسبة بينه وبين المستثنى أبداً، ودليل عدم تقديره أيضاً عدم خطوره ببال أحد من أهل العرف، بل الذي يخطر بالبال هو تقدير المسجد.

وأما المكان إذا أردنا تقديره فمعناه: لا يشد الرحال إلى أي مكان سواء كان للتجارة أو النزهة أو طلب العلم أو الجهاد أو زيارة العلماء والصلحاء أو التداوي أو غيرها إلا إلى المساجد الثلاثة، وهذا النوع من التحديد في السفر مخالف للضرورة الفقهية، للاتفاق على جواز السفر إلى أي مكان سواء كان للنزهة أو التجارة أو الزيارة أو الجهاد أو طلب العلم أو للصلاة في مسجد من المساجد غير الثلاثة أو غيرها، بل السفر في بعض الموارد مستحب وفي بعضها واجب كفائي أو عيني.

فلا شك في أن شد الرحال إلى عرفة والمشعر ومنى لقضاء المناسك واجب بإجماع المسلمين والحال أنه ليس من المساجد الثلاثة ولطلب العلم في أي مكان كان جائز، وقد يكون مستحباً أو واجباً كفائياً أو عينياً، لقوله ﷺ: «**طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة**» وقوله تعالى: ﴿**فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ**

الحصر إضافي، وأما إذا قلنا لم يقله أحد من البشر إلا فلان فهو حصر حقيقي، والحصر في أحاديث لا تشد الرحال من قبيل الحصر الإضافي.

كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾[1].

وهكذا للجهاد ولزيارة الوالدين وبرهما وزيارة الأقارب والصالحين وزيارة الأنبياء والمرسلين سيما خاتم النبيين ﷺ وأهل بيته المعصومين، لما ورد من الروايات والدلائل المتقدمة، فإنه مستحب، وللتجارة والسياحة وسائر الأغراض فإنه مستحب.

فتحصل مما ذكرنا أنه لا يصح تقدير المكان، مضافاً إلى أنه لا يتبادر عند العرف، بل العرف لمّا يرى كلمة المساجد في المستثنى يفهم أن المستثنى منه هو المسجد، فحينئذ يتعين تقدير(المسجد).

فإن قلت: إن سائر الأسفار قد خرجت بالدليل ويبقى تحت النهي السفر للزيارة فقط.

قلنا: يلزم من هذا تخصيص الأكثر وهو مستهجن وغير جائز، كما ثبت في الأصول،هذا أولاً.

مضافاً إلى أنه إذا قلنا بالتخصيص فالسفر للزيارة أيضاً خارج من تحت النهي، لما ورد من الدليل الوافر على استحبابه، فلماذا تفرقون بين الزيارة وسائر الأغراض؟ وهل هذا إلا علامة العناد؟

ومن جهة أخرى إذا صار المقرر تقدير أحد اللفظين،فتقدير ما لم يلزمه تخصيص الأكثر المستهجن أولى.

وعليه فهذه الأحاديث أجنبية عن زيارة النبي ﷺ وأهل بيته الكرام صلوات الله عليهم أجمعين والسفر إليها ولا تعم المشاهد المشرفة كما لا تعم سائر الأسفار، ولم يقل بعمومها للزيارة أحد.

---

(١) التوبة: ١٢٢.

وهذا نظير ما لو قال شخص خبير: لا تمض إلا إلى ثلاثة أطباء فلان وفلان وسماهم بأسمائهم، فلا يفهم منه في أي محاورة وأي لسان حرمة المضي إلى غير الأطباء من العلماء والصلحاء وأمثالهم، وهكذا لا تشد الرحال فإنه لا يفهم أحد منها حرمة سائر الأسفار التي منها سفر الزيارة.

ويؤيد ما أثبتناه أنه ورد في الصحيحين من حديث أبي هريرة وأبي سعيد أن النبي قال ﷺ: «**لا تشد الرحال إلى مسجد إلا لثلاثة مساجد...**» فهو تصريح بما ذكرناه من التقدير وبه أيضاً يرتفع الإشكال وينتهي المقال، وقد ذكر هذا الحديث سليمان بن عبد الوهاب النجدي في الهدية السنية[1].

ويؤيده أيضاً الحديث الآخر لمسلم: « **تشد الرحال إلى ثلاثة مساجد...** » بصيغة الإثبات، أي أن هذه المساجد الثلاثة تستحق وتستأهل شد الرحال إليها لعظم فضلها فهي جديرة بذلك، ومن شد الرحل إليها لا يكون تعبه ضائعاً أو فائدته قليلة، بل يحصل من الثواب ما يقابل العناء وزيادة.

ويؤيده ما أخرجه أحمد بن حنبل من طريق شهر بن حوشب،قال سمعت أبا سعيد، وذكرت عنده الصلاة والسلام في الطور فقال: قال رسول الله ﷺ: « **لا ينبغي للمطي أن يشد رحاله إلى مسجد تبتغي فيه الصلاة غير المسجد الحرام والمسجد الأقصى ومسجدي** ».

وفي لفظ آخر: « **لا ينبغي للمطي أن تشد رحالها إلى مسجد ينبغي فيه الصلاة غير المسجد الحرام والمسجد الأقصى ومسجدي هذا** ».

ويؤيده ما رواه البزار عن عائشة، قالت: قال رسول الله ﷺ: «**أنا خاتم الأنبياء ومسجدي خاتم مساجد الأنبياء وأحق المساجد أن يزار وتشد**

---

(١) الهدية السنية لسليمان النجدي: ١١٥ نقلاً عن البراهين الجلية: ١١٥ وقد روي مثله في مسند أحمد بسند مرفوع حسن، ذكره القسطلاني في إرشاد الساري شرح صحيح البخاري في شرح قوله لا تشد الرحال...

إليه الرواحل: المسجد الحرام ومسجدي، صلاة في مسجدي أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد، إلا المسجد الحرام»[1].

٣ ـ وعلى فرض دلالتها على منع السفر للزيارة فهي معارضة بتلك الروايات الكثيرة المتعاضدة المتقدمة وعند التعارض تقدم الروايات المؤكدة على السفر إلى الزيارة بعد الحج وقبله المؤيدة بالكتاب وبحكم العقل والإجماع وسيرة المسلمين وإعراض المسلمين عن مثل لا تشد الرحال لاستمرار سيرتهم على شد الرحال من الأماكن البعيدة إلى زيارة قبر النبي ﷺ بعد وفاته.

فحينئذ لا يبقى أي مانع من السفر إلى زيارة النبي ﷺ بعد وفاته كما كان حين حياته.

وينبغي التنبيه إلى أن النبي ﷺ ليس مراده من لا تشد الرحال أن شد الرحال إلى سائر المساجد حرام، بل مراده ﷺ أن سائر المساجد غير هذه الثلاثة ليست بتلك المرتبة من الفضيلة بحيث تستحق أن يشد الرحال إليها ويتحمل الإنسان مشقات السفر وصرف الأموال للسفر إليها، فإن المساجد تختلف رتبتها من حيث الفضيلة مع المساجد الثلاثة،حيث إن لكل مسجد في العالم فضيلة تختلف عن الآخر فإن الصلاة في المسجد الجامع أكثر فضيلة من الصلاة في مسجد المحل وهكذا فإن مسجد الكوفة أكثر فضيلة من كثير من المساجد، والمساجد الثلاثة أكثر فضيلة من سائر المساجد.

فتحصل أن المساجد التي ينبغي ويستحب شد الرحال إليها هي تلك المساجد الثلاثة، لا أن السفر إلى سائر المساجد حرام، والدليل على ذلك هو ما ورد في الأحاديث وقد ذكره أصحاب الصحاح مثل البخاري:

أن النبي ﷺ كان يأتي مسجد قبا كل سبت ماشياً وراكباً وأن ابن عمر كان يفعل كذلك والحال أنه لم يكن من المساجد الثلاثة، ولا يفرق في

---

(١) لاحظ السيرة للبيومي ٣: ١٢٣.

السفر كونه بعيداً أو قريباً لعموم النهي لو كان صحيحاً وارداً عنه.

وهكذا كان عمل الصحابة وسائر المسلمين بالنسبة إلى المساجد، ولم نر أحداً من أئمة المسلمين يفتي بحرمة السفر إلى مسجد من المساجد، وحتى الوهابية لم يصرحوا في كتبهم بهذا المطلب.

و بعد هذا البيان في معنى الحديث يثبت لك بوضوح أن تمام الهدف من الاستدلال والتشبث بهذه الروايات:هو منع المسلمين من السفر لزيارة سيد المرسلين ﷺ وسائر المشاهد المشرفة.

ولا يبقى أي دليل لهذا المنع إلا وجود الضغائن الكامنة بالنسبة إلى مظاهر التوحيد، فقد ثبت عند أعداء الدين أن تلك المشاهد لو يتركوها بحالها ولم يمنعوا الناس عنها لأدت إلى انتشار كلمة التوحيد وعلو الإسلام وتقوية أركانه، وعندئذ تخيب آمالهم وتفشل مؤامراتهم في تخريب الدين وانحراف المسلمين والسيطرة عليهم، ولهذا تراهم قد حشدوا جميع قواهم بإهتمام تام من أجل تخريب تلك البيوت المرفوعة التي أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه.

وترى أنهم حاولوا في تنفيذ هذه الأهداف، ولولا خوفهم من صيحة المسلمين لخربوا قبر الرسول المصطفى ﷺ كما قد خربوا قبور عترته في البقيع، ولخربوا الكعبة المعظمة كما أنهم قد سعوا في منع الناس من الحج.

هذا ولنا إشكال آخر عليهم وهو أنهم يقولون إذا قصد مع زيارة المسجد النبوي زيارة القبر المطهر فلا بأس به، فنقول لهم: إنّ هذا المطلب محقق عند قاطبة المسلمين لأن كل من يزور قبر النبي ﷺ يزور المسجد الشريف ويصلي فيه ومع أنه قبل زيارته للنبي يصلي ركعتين تحية المسجد، فإذا كان المنع مرتفعاً بهذا القصد وهو متحقق عاده عند الزائرين، فما هذا القيل والقال وكثرة الإصرار على المنع من شد الرحال، وإيذاء المسلمين عند

تشرفهم في ذلك المقام والتعرض عليهم بالضرب والشتم وبكلمات شنيعة مثل عباد القبور والمشرك وأمثالها من ألفاظ التكفير التي لا تليق بشان أي مسلم فضلاً عن خدمة الحرمين الشريفين فإنهم أولى بالأدب والتقوى وحفظ حرمة المسلمين.

وأنت تعلم أن كبارهم قد حكموا وأفتوا بكفر المسلمين الزائرين والمعظمين للمشاهد المشرفة واستحلوا دمائهم ونواميسهم وأموالهم، فأين هذا من الدين ومن سنة خاتم النبيين الذي قد ورد عنه روايات كثيرة في حرمة من كفر المسلمين وتجاسر عليهم، وما سيواليك نبذة منها:

النهي عن تكفير المسلمين

قوله ﷺ: **«كفوا عن أهل لا إله إلا الله لا تكفروهم بذنب فمن كفر أهل لا إله إلا الله فهو إلى الكفر أقرب »**.

وقوله ﷺ: **«بني الإسلام على خصال: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله والإقرار بما جاء من عند الله والجهاد ماض منذ بعث رسله إلى آخر عصابة تكون من المسلمين فلا تكفروهم بذنب ولا تشهدوا عليهم بشرك»**.

وقوله ﷺ **«لا تكفروا أحداً من أهل القبلة بذنب وإن عملوا الكبائر»**.

وعن أبي ذر أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: **«لا يرمي رجل رجلاً بالفسق أو بالكفر إلا ارتدت عليه إن لم يكن صاحبه كذلك»**.

وعن ابن عمر: أن رسول الله ﷺ قال: **«من قال لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما»**.

وعنه ﷺ: **«ما شهد رجل على رجل بكفر إلا باء بها أحدهما إن**

كان كافراً فهو كما قال وإن لم يكن كافراً فقد كفر بتكفيره إياه»[1].

وما ورد من الروايات التي تنهى عن تكفير المسلم الذي أقر بالشهادتين، فضلاً عما كان يمارس الواجبات الدينية والعبادات الشرعية، كثيرة قد ذكرها علماء المذاهب، فراجع.

وأنت يا اخي المسلم لما تتأمل قي خصوصيات هذه الفرقة المنحرفة وجناياتهم وعقائدهم الفاسدة في أصول الدين، والقرائن الواضحة في ارتباط شيخهم مع الأعداء واستخدامه في تنفيذ الأهداف والمطامع تتيقن بضلالتهم.

وترى أن هذه الروايات التي ذكرناها في حرمة تكفير المسلمين وهكذا تلك الروايات الواردة عن النبي ﷺ في ذم أهل نجد كلها تنطبق عليهم، وعند ذلك أراك تضرب شبهاتهم وتشكيكاتهم على الجدار.

ومن بعد الجواب عن استدلالهم بروايات شد الرحال نأتي إليك بأقوال الأعلام حول أحاديث شد الرحال، تأييداً لما قدمناه لك من الجواب.

كلمات الأعلام حول أحاديث شد الرحال

قال القسطلاني في إرشاد الساري في شرح قوله ﷺ: «**لا تشد الرحال...**»: أي إلى مسجد للصلاة فيه، ثم قال وقد بطل بما مر من التقدير المعتضد بحديث أبي سعيد المروي في مسند أحمد بإسناد حسن مرفوع « **لا ينبغي للمطي أن تشد رحاله إلا مسجد الحرام والأقصى ومسجدي هذا** » قول ابن تيمية حيث منع من زيارة قبر النبي ﷺ وهو من أشنع المسائل المنقولة عنه.

---

(١) هذه الأحاديث قد وردت مفصلاً في جامع الأصول ١: ١٠ ـ ١١ وقد أوردها على كثرتها أئمة المذاهب في الصحاح والمسانيد وسائر الكتب المعتبرة عندهم

ومن جملة ما استدل به على دفع ما ادعاه غيره ـ من الإجماع على مشروعية زيارة النبي ﷺ ـ ما نقل عن مالك أنه كره أن يقول زرت قبر النبي ﷺ، وأجاب عنه المحققون من أصحابه: أنه كره اللفظ أدباً لا أصل الزيارة، فإنها من أفضل الأعمال وأجل القرب الموصلة إلى ذي الجلال وأن مشروعيتها محل إجماع بلا نزاع.

ثم قال القسطلاني: فشد الرحال للزيارة ونحوها كطلب العلم ليس إلى المكان،بل إلى من فيه وقد التبس ذلك على بعضهم ـ كما قاله المحقق التقي السبكي ـ فزعم أن شد الرحال إلى الزيارة في غير الثلاثة داخل في المنع، وهو خطأ كما مر،لأن المستثنى إنما يكون من جنس المستثنى منه، كما إذا قلت ما رأيت إلا زيداً، أي ما رأيت رجلاً وأحداً إلا زيداً، لاما رأيت شيئاً أو حيواناً إلا زيداً[1].

وقال في موضع آخر: الإستثناء مفرغ والتقدير لا تشد الرحال إلى موضع ولازمه منع السفر إلى كل موضع غيرها كزيارة صالح أو قريب أو صاحب أو طلب علم وتجارة أو نزهة، لأن المستثنى منه في المفرغ يقدر بأعم العام، لكن المراد بالعموم هنا الموضع المخصوص وهو المسجد[2]. انتهى كلام القسطلاني.

كلام النووي

قال النووي في شرح صحيح مسلم: قوله: « **لا تشد الرحال...**» فيه عظيم فضيلة هذه المساجد الثلاثة ومزيتها على غيرها لكونها مساجد الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، ولفضل الصلاة فيها....

---

(١) إرشاد الساري للقسطلاني ٢: ٣٢٩.

(٢) إرشاد الساري للقسطلاني ٢: ٣٣٣.

إلى أن قال: واختلف العلماء في شد الرحال وإعمال المطي إلى غير المساجد الثلاثة كالذهاب إلى قبور الصالحين وإلى المواضع الفاضلة ونحو ذلك، فقال الشيخ أبو محمد الجويني من أصحابنا: هو حرام، وهو الذي أشار القاضي عياض إلى اختياره، والصحيح عند أصحابنا وهو الذي اختاره إمام الحرمين والمحققون: أنه لا يحرم ولا يكره، قالوا: والمراد أن الفضيلة التامة إنما هي في شد الرحال إلى هذه الثلاثة خاصة[1].

وقال النووي في موضع آخر: في هذا الحديث فضيلة هذه المساجد الثلاثة وفضيلة شد الرحال إليها، لأن معناه عند جمهور العلماء: لا فضيلة في شد الرحال إلى مسجد غيرها، وقال الشيخ محمد الجويني من أصحابنا: يحرم شد الرحال إلى غيرها، وهو غلط[2]. انتهى كلام النووي.

كلام الفيروز آبادي

قال الفيروز آبادي في (الصلاة على خير البشر).

إن حديث «**لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد...**» **لا دلالة فيه** على النهي عن الزيارة، بل هو حجة في ذلك، ومن جعله دليلاً على حرمة الزيارة فقد أعظم الجرأة على الله ورسوله، وفيه برهان قاطع على غباوة قائله، وقصوره عن نيل درجة كيفية الاستنباط، والاستدلال، والحديث فيه دليل على استحباب الزيارة من وجهين.

الأول: إن موضع قبره ﷺ **أفضل** بقاع الأرض وهو **أفضل الخلق** وأكرمهم على الله، لأنه لم يُقسم بحياة أحد غيره، وأخذ الميثاق من الأنبياء بالإيمان به وبنصره، كما قال تعالى في آل عمران: ﴿**وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ**

---

(١) هامش إرشاد الساري ٦: ٢٧.

(٢) هامش إرشاد الساري ٦: ١١١.

النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾، شَرّفه بفضله على سائر المرسلين، وكرّمه بأن ختم به النبيين، ورفع درجته في عليين، فإذا تقرر أنه أفضل المخلوقين، وأن تربته أفضل بقاع الأرض، إستحب شد الرحال إليه وإلى تربته بطريق أولى.

الثاني: أنه يستحب شد الرحال إلى مسجد المدينة، ولا يتصور من المؤمنين الخالصين إنفكاك قصده عنه ﷺ، وكيف يتصورأن المؤمن المعظّم قدر النبي ﷺ يدخل مسجده ويشاهد حجرته، ويتحقق أنه يسمع كلامه، ثم بعد ذلك يسعه أن لا يقصد الحجرة والقبر ويسلم على رسول الله ﷺ، هذا ما لا خفاء به عند أحد، وكذلك لو قصد زيارة قبره لم ينفك قصده عن المسجد.

ومن الدليل الأحاديث الكثيرة الصحيحة في فضل زيارة الإخوان في الله، فزيارة النبي ﷺ أولى فأولى.

ومنها: أن حرمته واجبة حياً وميتاً، ولا شك أن الهجرة إليه في حياته من أهم الأشياء فكذلك بعد موته.

ومنها: الأحاديث الدالة على استحباب زيارة القبور، وهذا في حق الرجال مجمع عليه، وفي حق النساء فيه خلاف، وهذا في غير قبر النبي ﷺ ، وأما زيارة قبره ﷺ فالإجماع على استحبابها للرجال والنساء.

ومنها: الإجماع على جواز شد الرحال للتجارة وتحصيل المنافع الدنيوية، فهذا أولى، لأنه من أعظم المصالح الأخروية.

ومنها: إجماع الناس العملي على زيارته وشد الرحال إليه بعد الحج

من بعد وفاته ﷺ إلى زماننا هذا.

ومنها: الإجماع القولي على أن زيارة قبره ﷺ سنة من سنن المسلمين مجمع عليها.

ومنها: ما ذكره السمهودي في وفاء الوفا بأخبار المصطفى من شد الرحال إلى عرفة لقضاء النسك، وهو واجب بالإجماع، وكذا سفر الجهاد والهجرة من دار الكفر بشرطه، وغير ذلك[1]. إنتهى كلامه

أقول: الظاهر أنه أراد أن يستدل بقول السمهودي على أنه لو كان شد الرحال إلى غير المساجد الثلاثة منهي عنه فيشمل كل سفر حتى الأسفار الواجبة لأنه عام، ومنها السفر إلى عرفة والجهاد والهجرة من دار الكفر.

والحال أن تلك الموارد واجبة بالإجماع فظهر منه أن المراد هو شد الرحل إلى مسجد غير المساجد الثلاثة.

كلام ابن حجر

ويقول الحافظ ابن حجر في فتح الباري شرح صحيح البخاري عند قوله ﷺ: «**لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد**»:

إن المستثنى منه محذوف، فإما أن يقدر عاماً فيصير: لا تشد الرحال إلى مكان في أي أمر كان، إلا لثلاثة، أو أخص من ذلك، ولا سبيل إلى الأول، لإ فضائه إلى سد باب السفر للتجارة وصلة الرحم وطلب العلم وغيرها، فتعين الثاني.

والأولى أن يقدر ما هو أكثر مناسبة وهو: لا تشد الرحال إلى مسجد

---

(١) راجع السيرة النبوية للبيومي مهران ٣: ١٢٣.

للصلاة فيه، إلا إلى الثلاثة، فيبطل بذلك قول من منع شد الرحال إلى زيارة القبر الشريف وغيره من قبور الصالحين، والله أعلم[1].

كلام السبكي

فقد تكلم السبكي في معنى الحديث مفصلاً ومن كلامه: وأما معناها فاعلم: أن هذا الاستثناء مفرغ، تقديره؛ لا تشد الرحال إلى مسجد إلا إلى المساجد الثلاثة، أو لا تشد الرحال إلى مكان إلا إلى المساجد الثلاثة. ولابد من أحد هذين التقديرين ليكون المستثنى مندرجاً تحت المستثنى منه. والتقدير الأول أولى؛ لأنه جنس قريب، ولما سنبينه من قلّة التخصيص أو عدمه على هذا التقدير.

وقال: ثم اعلم: أن السفر فيه أمران... [2] إلى آخر كلامه، فإنه قد فصَّل، فراجع إذا شئت.

كلام السمهودي

قال السمهودي: ويستدل بقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾ على مشروعية السفر للزيارة بشموله المجيئ من قرب ومن بعد، وبعموم «من زار قبري...» وقوله ﷺ في الحديث الذي صححه ابن السكن «من جائني زائراً...»، وإذا ثبت أن الزيارة قربة فالسفر إليها كذلك، وقد ثبت خروج النبي ﷺ من المدينة لزيارة قبور الشهداء،فإذا جاز الخروج للقريب جاز للبعيد، وقبره ﷺ أولى وقد انعقد الإجماع على ذلك، لإطباق السلف والخلف عليه.

---

(١) لاحظ السيرة النبوية للدكتور محمد بيومي مهران ٣: ١٢٦.

(٢) شفاء السقام: ٢٣٤ ط الرابعة.

وأما حديث: «**لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد**» فمعناه لا تشدوا الرحال إلى مسجد إلا إلى المساجد الثلاثة، إذ شد الرحال إلى عرفة لقضاء النسك واجب بالإجماع وكذلك سفر الجهاد والهجرة من دار الكفر بشرطه، وغير ذلك، وأجمعوا على جواز شد الرحال للتجارة ومصالح الدنيا، وقد روى ابن شبة بسند حسن أن أبا سعيد ـ يعني الخدري ـ ذُكر عنده الصلاة في الطور فقال:قال رسول الله ﷺ: «**لا ينبغي للمطي أن تشد رحالها إلى مسجد ينبغي فيه الصلاة غير المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى**»، فهذا الحديث صريح فيما ذكرناه.

على أن في شد الرحال، لماسوى هذه المساجد الثلاثة مذاهب نقل إمام الحرمين عن شيخه أنه أفتى بالمنع، قال: وربما كان يقول يكره، وربما كان يقول يحرم، وقال الشيخ أبو علي لا يكره ولا يحرم.

ثم قال: قال الماوردي من أصحابنا ـ يعني الشافعية ـ عند ذكر ما يلي أمر الحج: فإذا قضى الناس حجهم سار بهم على طريق مدينة رسول الله ﷺ رعاية لحرمته وقياماً بحقوق طاعته، وذلك وإن لم يكن من فروض الحج،فهو من مندوبات الشرع المستحبة وعبادات الحجيج المستحسنة.

وقال القاضي حسين: إذا فرغ من الحج فالسنة أن يأتي المدينة ويزور قبر النبي ﷺ.

وقال القاضي أبو الطيب: ويستحب أن يزور النبي ﷺ بعد أن يحج ويعتمر. وقال المحاملي في التجريد: ويستحب للحاج إذا فرغ من مكة أن يزور قبر النبي ﷺ، وقال أبو حنيفة: إذا قضى الحاج نسكه مر بالمدينة.

إلى أن قال: وفي كتاب تهذيب الطالب لعبد الحق، سئل الشيخ أبو محمد بن أبي زيد في رجل استؤجر بمال ليحج به وشرطوا عليه الزيارة فلم

يستطع أن يزور قال: يرد من الأجرة بقدر مسافة الزيارة[١].

وفي موضع آخر ذكر السمهودي من سافر إلى زيارة النبي ﷺ مثل بلال وذكر قصته، وأن عمر بن عبد العزيز كان يبرد البريد من الشام لأن يسلم على النبي ﷺ، وأن عمر لما فتح الشام قال لكعب هل لك أن تسير معي إلى المدينة وتزور قبر النبي ﷺ وتتمتع بزيارته؟ فقال: نعم، وأن عمر لما قدم المدينة كان أول ما بدأ بالمسجد وسلم على النبي[٢].

وقال أيضاً: وأن الصحابة كانوا يقصدون زيارته ﷺ قبل وفاته ﷺ، بل روى أحمد بإسنادين أحدهما برجال الصحيح عن يعلي بن مرة من حديث قال فيه: ثم سرنا فنزلنا منزلاً فنام النبي ﷺ فجاءت شجرة تشق الأرض حتى غشيته ثم رجعت إلى مكانها، فلما استيقظ ذكرت له فقال: «**هي شجرة استأذنت ربها ﷻ أن تسلم على رسول الله فأذن لها**» فإذا كان هذا حال شجرة فكيف بالمؤمن المأمور بتعظيم هذا النبي الكريم الممتلي بالشوق إليه، وحديث حنين الجذع ذكر في محله[٣]. انتهى كلام السمهودي.

ومراده أنه لا فرق بين حياته ومماته لأنه حي يسمع من سلم عليه، وقد جعل هذا كله دليل على جواز شد الرحال وأنه لو كان منع لمنع الصحابة والتابعون منها.

كلام الغزالي

وقال الغزالي في إحياء العلوم:القسم الثاني: هو أن يسافر لأجل العبادة إما لحج أو جهاد... ويدخل في جملته زيارة قبور الأنبياء عليهم السلام وزيارة

---

(١) وفاء الوفا للسمهودي ٤: ١٣٦٤ ـ ١٣٧٠.

(٢) وفاء الوفا ٤: ١٣٥٦ ـ ١٣٥٧.

(٣) وفاء الوفا ٤: ١٦٦٩.

قبور الصحابة والتابعين وسائر العلماء والأولياء، وكل من تبرك بمشاهدته في حياته يتبرك بزيارته بعد وفاته، ويجوز شد الرحال لهذا الغرض.

ولا يمنع من هذا قوله ﷺ: «**لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد مسجدي هذا ومسجد الحرام ومسجد الأقصى**»، لأن ذلك في المساجد، فإنها متماثلة في الفضيلة بعد هذه المساجد، وإلا فلا فرق بين زيارة قبور الأنبياء والأولياء والعلماء في أصل الفضل.

وإن النهي عن شد الرحل إلى المساجد الأُخرى لأجل أن فيه إتعاب النفس دون جدوى أو زيادة ثواب، لأنه في الثواب سواء، لأن العبادة في المسجد...[1] انتهى كلامه ملخصاً.

عزيزي القارئ: ما قدمناه لك هو بعض كلمات الأعلام حول مسألة شد الرحال ليطمئن قلبك بما ذكرنا لك من الجواب عما استدل به لمنع زيارة النبي ﷺ وآله الأطياب.

وقد رأيت أن عمدة دليل الخصم على منع الزيارة بشد الرحال وتكذيب الأحاديث الكثيرة الواردة في الحث على الزيارة، تلك الأحاديث التي لا تدل على ما ادعاه، بل يستفاد منها بطلان ما رآه وتقوية ما رويناه من أحاديث الزيارة، لأن شد الرحال بقصد المسجد الشريف ـ على ما يقول ـ لا ينفك عن قصد حرمه الشريف.

وحينئذ لا يبقى له أي عذر وأي دليل على منع الزيارة لا مطلقاً ولا بشد الرحال، إلا بعض الوساوس الشيطانية والإلقاءات الأجنبية التي تطرحها أيدي الأعداء في البلدان الإسلامية لأجل إلقاء الشبهة والاختلاف في صفوف المسلمين، والحال أنها لا صحة لها ولا أساس.

---

(١) إحياء العلوم كتاب آداب السفر ٢: ٢٤٧ طبعة دار المعرفة ـ بيروت.

ذريعة أخرى للمانعين

وهي قولهم: إن شد الرحال لزيارة قبره ﷺ يفضي إلى اتخاذه عيداً،ووقوع المحذور الذي خافه النبي ﷺ من الغلو والإطراء، وتشبثوا هذه المرة بقول النبي ﷺ: «**لاتتخذوا قبري عيداً ولابيوتكم قبوراً وصلوا علي فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم**»[1].

والجواب: أن هذه الكلمات كلها لا صحة لها، وأنها ناشئة عن حسدهم وحقدهم لساحة النبي الأعظم وأهل بيته وأصحابه، وأنك يا عزيزي القارئ بوسعك أن تفحص وتتحقق، من بعد وفاة النبي ﷺ إلى زماننا هذا هل ترى أحداً من المسلمين علمائهم وعوامهم قد وقع في هذا المحذور الذي صنعته أنفسهم الحاسدة؟، وهل ترى له من أثر في جميع المشاهد المشرفة؟

بل إنك ترى عكسه حتماً وقطعاً، فإن هؤلاء المسلمين الذين تشرفوا بزيارة من دفن في تلك المشاهد وتذكروا حياتهم وحالاتهم وعبادتهم وكلماتهم يحصل عندهم، التوجه إلى الله والانقطاع إليه، وتحصل عندهم حالة التوبة والإنابة إلى الله ويتقوى في قلوبهم وأفكارهم توحيد الله وعبادته وترك معصيته وجميع ما يبعدهم عنه تعالى.

ولذا ترى هؤلاء الزائرين عندما يرجعون إلى أوطانهم قد تغيرت حالاتهم السابقة وتحسنت أحوالهم وكثرت عباداتهم وطاعاتهم وتقيدهم بالنسبة إلى صلاتهم وفرائضهم وتراهم قد ابتعدوا عما كانوا عليه من المعاصي قبل زيارتهم، وليس هذا كله إلا بسبب زيارتهم لمظاهر التوحيد وأركان الهدى وأعلام التقى، وهذا أثر من آثار الزيارة لا كلها.

---

(١) المصنف لابن أبي شيبة ٣: ٢٥٥ ط دار الفكر، عون المعبود شرح سنن أبي داود للعظيم آبادي ٦: ٢٤ ط دار الكتب العلمية.

فلو فرض أن لم يكن للزيارة إلا هذا الأثر المهم، لكان المفروض على جميع علماء المسلمين وكل من فيه روح إسلامية وتوحيدية ترغيب الناس وتشويقهم لهذا الأمر العظيم لما فيه من الأثر الكبير والفوز العظيم بالقرب من الرب الرحيم.

فإنا لما نلاحظ جهود الأنبياء والمرسلين سيما من هو رحمة للعالمين وصاحب الخلق العظيم وهكذا أهل بيته المكرمين وأصحابه ومن سار بسيرتهم من علماء المسلمين.

نرى أن كلها كانت من أجل الوصول إلى هذا الأثر العظيم وهو قد حصل بسبب زيارتهم للرسول الأمين وعترته الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين، وما أحسن من هذا الطريق وأقربه للوصول إلى التوحيد الواقعي وعبادة رب العالمين؟.

فإن المانعين لو كانوا صادقين في مقالتهم وكان دافعهم مسألة التوحيد، فلماذا يمنعون الناس عن زيارة رسول الله ﷺ والصالحين من عترته وأصحابه، ويسعون في إيذائهم ويستحلون دمائهم وأموالهم وينسبوهم إلى الشرك والكفر؟

وما الفرق بين الزائرين المجاورين والمسافرين إذا كان في زيارتهم الوقوع في هذا المحذور، حيث إن محذور الغلو والإطراء يتحقق للمجاورين أيضاً وأنهم ليسوا مصونين من هذه الجهة على فرض كلامهم.

فهذه التفرقة وهذه الأعذار كلها لأجل إغواء الجهال وإغفالهم من أن يلتفتوا إلى سوء سريرتهم ومخالفتهم في أصل الزيارة لو تمكنوا منها.

فمن هذه الأمور يثبت لك ما نقول من عداوتهم لصاحب هذا الدين المبين وعدم اعتقادهم بما أتى به، وما يجري على ألسنتهم من الكلمات المدلسة كلها كلمات حق يراد بها باطل، وكلها في سبيل تنفيذ أهداف أعداء الدين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

الكلام في حديث
«لا تتخذوا قبري عيداً»

فقد بينا أن الخصم حين لم يبق له أي دليل على منع الزيارة بالأخص بشد الرحل إليها تشبث بشبهة الخوف من الإطراء والشرك بسبب الزيارة، كما قد وقع اليهود والنصارى في هذا المحذور وأيّد شبهته الفاسدة التي أجبنا عنها آنفاً بحديث نسب إليه ﷺ وهو قوله:

«لا تتخذوا قبري عيداً ولا بيوتكم قبوراً وصلوا علي فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم»

وذيلوه بكلامه ﷺ: **«لعن الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»**[1]، وادعى بأن هذا المنع كله محافظة على التوحيد، وأن أصول الشرك بالله إتخاذ القبور مساجد.

وقد ورد هذا الحديث بألفاظ مختلفة منها:

«لاتتخذوا بيتي عيداً ولا تتخذوا بيوتكم مقابر، لعن الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، وصلوا علي فإن صلاتكم تبلغني حيثما كنتم، ما أنتم ومن بالأندلس إلاّ سواء».

وفي بعضها: **«لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا...»**[2].

فنقول وبالله نستعين ومع صرف النظر عن البحث في اعتبار الحديث سنداً:

أولاً: لا يذهب عن خاطرك ما قلنا كراراً من أن ابن تيمية وأتباعه

---

(١) المصنف لابن أبي شيبة ٣: ٢٢٥ ط دار الفكر، عون المعبود شرح سنن أبي داود للعظيم آبادي ٦: ٢٤ ط دار الكتب العلمية.

(٢) مسند أحمد ١: ٢١٨ و٢: ٣٦٦ دار الصادر ـ بيروت.

مخالفون لأصل الزيارة، وهذه الشبهة أحد الشواهد على ذلك فإنها عامة لا تختص بالسفر.

وثانياً: إن هذه الشبهة أيضاً مثل سائر شبهاته وكلماته الخاوية التي لا تصدر إلا عن معاند بليد قد ألقى نفسه في البحر لا يعرف السباحة ولأجل النجاة يتشبث بكل طحلب، فإن هذه الروايات أيضاً غير ناظرة إلى الزيارة وبعيدة عنها، فإن المراد منها على نظر الخصم النهي عن اتخاذ القبور مساجد، فأي ربط لها بزيارة القبور.

لأن جميع المسلمين أعم من الإمامية والسنة، لا يتخذ أحد منهم قبره الشريف مسجداً ولا يصلي عليه ولا يجعلونه قبلة، بل كلهم يزورونه ويدعون الله عنده مع الأدب والخشوع والخضوع لله، ويطلبون منه الدعاء والاستغفار والشفاعة، لعلمهم بأنه حي عند ربه يسمعهم ويجيبهم كما قد ثبت بالدليل، وقد أعطاه الله ذلك المقام العظيم وهو مقام الشفاعة والإستغفار للامة وقد حث الناس على المجيء عنده وزيارته وطلب الشفاعة والإستغفار منه ووعدهم بالإجابة والتوبة والمغفرة كما في الآية الشريفة ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَّلَمُوا...﴾.

وأين هذا من الشرك واتخاذ القبر وثناً ومسجداً، والحال أنه بأمر الله سبحانه، وبقصد إطاعته والتقرب إليه؟.

والعجب من كثرة جسارته على المسلمين حيث يقيسهم باليهود والنصارى الذين اتخذوا القبور مساجد، وتمسك بهذا الحديث لتكفير المسلمين ومنعهم من الزيارة بادعاء المحافظة على التوحيد.

والأعجب من ذلك أنه أراد أن يقوي فكرته وإغواء الجهال بقوله: فهم دفنوه في حجرة عائشة خلاف ما اعتادوه من الدفن في الصحاري، لئلا يصلي أحد عند قبره ويُتخذ مسجداً، فيتخذ قبره وثناً.

وهذا الكلام أيضاً من التدليس الناشي عن سوء الفهم، حيث إنه غفل عن الحديث الشريف عنه ﷺ «**إن الأنبياء عليهم السلام يدفنون حيث يقبضون**»[1] فقد دفن ﷺ في الحجرة الشريفة لوصيته وعملاً بالحديث الشريف.

وأما قوله: وكانت الصحابة والتابعون لما كانت الحجرة النبوية منفصلة عن المسجد لا تدخل للصلاة هناك ولا يتمتع بالقبر، ولا دعاء هناك.

فهو دليل عليه لا له، حيث إنه ادعى عدم زيارة السلف من الأصحاب والتابعون لقبره الشريف، وكلامه هذا يدل على أنهم كانوا يزورون النبي ﷺ ولكن بإدعائه بدون هذه الأفعال إلا الدعاء، ولو أن هذا الإدعاء أيضاً مردود عليه، لما تقدم منا من أن الصحابة والتابعين كانوا يزورون قبر النبي ﷺ.

منهم: أبو أيوب الأنصاري، فقد زار والتزم القبر وقبله، وجابر بن عبد الله الأنصاري، وهكذا بلال الحبشي لما شد رحله لزيارة قبره ﷺ ولما وصل إليه جعل يمرغ وجهه على القبر ويبكي وغيرهم من الذين تقدم ذكرهم خلال البحوث الماضية، والأهم من الكل أن ابنته الصديقة الكبرى فاطمة الزهراء عليها السلام كانت تأتي عنده وتقبّل قبره وتبكي وتقول:

ماذا على من شم تربة أحمد ... أن لا يشم مدى الزمان غواليا
صبت علي مصائب لوأنها ... صبت على الأيام صرن لياليا

وأماسائر كلماته في هذا المقام، فهي مثل ما تقدم منها في السخافة والبطلان، فلا نطيل الكلام بذكرها جميعاً.

والحاصل: أن ادعائه بأن الزيارة تؤدي إلى الشرك والوثنية، خيال فاسد، لأن المحذور بادعائهم هو اتخاذ القبور مساجد وعيداً ووضع تصوير

---

(١) المواهب اللدنية ٣: ٣٩٩، وتجده في كثير من كتب القوم أيضاً.

الموتى عليها وهو المؤدي إلى الشرك عند تطاول الزمان وهو ممنوع كما ورد عنه ﷺ: «**لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»[١] فحذّر ﷺ عما صنعوا، كما هو مستفاد من قوله ﷺ لما أُخبر بكنيسة بأرض الحبشة فيها تصاوير قال: «**إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيه تلك الصورة، أولئك شرار الخلق عند الله ﷻ يوم القيامة**»[٢].

فهذا هو الذي حذر منه، لا الزيارة والسلام على الميت والدعاء له وعنده، فإنه لا يؤدي إلى ذلك قطعاً، كما ترى أنه لا يوجد أحد من المسلمين وقع في هذا المحذور، بل ما تراه وتشاهده فهو العكس، والحمد لله.

وأُزيدك جواباً: أنه لو كان الحضور عند القبر مؤدٍ إلى الشرك لما شرعه الله ولا رسوله الذي ورد عنه أحاديث كثيرة في الحث على زيارة القبور وزيارة قبره وأهل بيته خاصة، وأوضح من ذلك فعله ﷺ حيث خرج بأمر الله تعالى إلى البقيع الغرقد وإلى قبور الشهداء، وفعل أصحابه أيضاً حيث كانوا يزورون قبره وسائر القبور.

فلو كان فيه المحذور لنهى الله نبيه وأطلعه على غيبه، ولنهى النبي أُمته ﷺ لأنه أرأف بهم من غيره، وأن الله جعله رحمة للعالمين وبعثه لأن يستنقذهم من الضلالة وظلمة الجهالة، فمن المستحيل أن يكون في زيارته هذا المحذور العظيم ولم يبينه لهم ولم يصرح به.

وإن قلت: إنه قد بين ونهى بسبب هذه الأحاديث.

قلنا: إنها لا دلالة لها على النهي عن الزيارة، ولما كان المحذور أمر

---

(١) صحيح البخاري ١: ١١٠ ط دار اللفكر بيروت، مسند أحمد ١: ٢١٨ و٢: ٣٦٦ ط دار الصادر ـ بيروت.

(٢) صحيح البخاري ١: ١١٠ ـ ١١١.

هام جداً فلابد من التصريح حتى لا يخفى على أحد.

مضافاً إلى أن الخصم قد استدل لمدعاه بمنع الزيارة في دعائه ﷺ حيث قال: «**اللهم لا تجعل قبري وثناً وعيداً**» فإذا كان النبي ﷺ قد دعا بهذا الدعاء وأنت تعلم بأن دعاء النبي ﷺ مستجاب وليس فيه شك ولا ارتياب فمن أي شيء تخاف وترتاب؟ فمع هذا الدعاء، كيف يُتخيل فضلاً عن أن يُعتقد بأن قبره الشريف يصير وثناً يعبد حتى في تطاول الزمان؟.

فلابد أن يحصل الإطمئنان واليقين عند كل المسلمين بأن قبره لن يعبد وأن المسلمين لا يقعون في هذا المحذور أبداً، وإذا حصل الاطمئنان من هذه الجهة يلزم على جميع المسلمين الحث والترغيب والسعي في زيارته أكثر فأكثر لا المنع عنها، لما فيه من تقوية جانب التوحيد ونشره ورسوخه في قلوب جميع الناس حتى غير المسلمين، وفي الحقيقة أن خوف الخصم من هذا الأمر العظيم لا من الوثنية، ولكن لعدم جرأته بالتصريح تراه قد اعتل بعلل واهية لأجل إغواء الأفكار الخالية.

سائر الاحتمالات في الحديث

وأما سائر الاحتمالات، فهي مضافاً إلى عدم دلالتها على المنع، تدل على الحث على الزيارة وأن لا تُهمل.

قال الحافظ زكي الدين المنذري: يحتمل أن يكون المراد به الحث على كثرة زيارة قبره ﷺ وأن لا يهمل بحيث لا يزار إلا في بعض الأوقات كالعيد الذي لا يأتي في العام إلا مرتين ويؤيده قوله: «**ولا تجعلوا بيوتكم قبوراً**» أي لا تتركوا الصلاة فيها حتى تجعلوها كالقبور التي لا يُصلّ فيها[1].

وقال السبكي: ويحتمل أن يكون المراد: لا تتخذوا له وقتاً مخصوصاً

---

(١) أورده السمهودي في وفاء الوفا، والسبكي في شفاء السقام: ١١٧.

لا تكون الزيارة إلا فيه، ويحتمل أيضاً أن يراد لا تتخذوه كالعيد في العكوف عليه وإظهار الزينة والاجتماع وغير ذلك مما يعمل في الأعياد، بل لايأتي إلا للزيارة والسلام والدعاء، ثم ينصرف عنه[١].

وقال محقق شفاء السقام في الهامش: إن المحفوظ من بعض النصوص قوله ﷺ: «**لا تجعلوا بيتي عيداً**» والظاهر أن من رواه بلفظ «قبري» إنما حرفه والقرينة على ذلك لفظ بيوتكم في ما ورد بلفظ قبري، وعلى هذا فالمراد منعهم من مراودة بيته ﷺ والجلوس فيه، للسهر والسمر، وهو أذية للرسول ومزاحمة لحياته، ولمن يريد الإستفادة من علمه، كما ورد في القرآن الكريم في سورة الأحزاب آيه: ٥١: ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلاَّ أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ**﴾. ثم قال وللتفصيل محل آخر فراجع رسالتنا حول الزيارة[٢].

أقول: ويؤيد ما ذكره من النص أنه قد أورده صالح السدلان في تنبيه زائر المدينة بهذا اللفظ أي «**لا تتخذوا بيتي عيداً**»[٣].

وقال المجلسي: هذا الخبر رواه في الفردوس الأعلى وغيره من كتب

---

(١) شفاء السقام: ١٧٧ ـ ١٧٨.

(٢) لم يكتب إسمه في شفاء السقام إلا أني حسب ما رأيت في كتاب آخر هو السيد محمد رضا الحسيني الجلالي، وقد أورد هذه التعليقة في هامش شفاء السقام: ١٨٨.

(٣) راجع كتاب تنبيه زائر المدينة: ٣٣ وهو من الكتب التي كتبت للمنع من الزيارة ونشرت في موسم الحج مجاناً لتشويش أذهان المسلمين وقد تقدم ذكره في أول الكتاب.

العامة عن علي عليه السلام، وقال الطيب في شرح المشكاة في قوله ﷺ: «**لا تتخذوا قبري عيداً**»، أي لا تجعلوا زيارة قبري مظهرعيد، أي لا تجعلوا زيارتي كاجتماعكم للعيد، فإنه يوم لهو وسرور وحال الزيارة بخلافه، وكان دأب أهل الكتاب، فأورثهم القسوة، ومنهج عبدة الأوثان حتى عبدوا الأموات.

أو إسم من الإعتياد من عاده واعتاده إذا صارعادة له، واعتياده يؤدي إلى سوء الأدب وارتفاع الحشمة، ويؤيده قوله ﷺ:«**فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم**»، أي لا تتكلفوا المعاودة إليّ فقد استغنيتم عنه بالصلاة علي[1].

وبعد اطلاعك على معنى الحديث، فاعلم أنه على هذا المعنى يحمل ما نسب إلى أهل البيت مع الإغضاض عن صحته.

فقد روى عبد الرزاق في مصنفه بسنده إلى الحسن بن الحسن بن علي عليهما السلام: أنه رأى قوماً عند القبر فنهاهم وقال: إن النبي ﷺ قال: «**لاتتخذوا قبري عيداً، ولا تتخذوا بيوتكم قبوراً، وصلوا علي حيث ما كنتم فإن صلاتكم تبلغني**»[2].

ويؤيد ماذكرنا من المعنى ما قد رواه القاضي إسماعيل بسنده إلى علي بن الحسين بن علي: أن رجلاً كان يأتي كل غداة، فيزور قبر النبي ﷺ ويصلي عليه، ويصنع من ذلك ما انتهره عليه علي بن الحسين، فقال له علي بن الحسين ما يحملك على هذا؟ قال أحب التسليم على النبي ﷺ.

---

(١) راجع مصابيح الأنوار للسيد الشبر: ١٩١، أقول وقد ظهر جواب ابن تيمية في استفادته المنع من قوله: «**وصلوا علي حيث ما كنتم**» حيث أنه ﷺ أراد التسهيل ورفع التكلف في المعاودة إلى زيارته دائماً لا المنع من الزيارة فإن في الحضور فضلاً لا يحصل في البعد.

(٢) المصنف لعبد الرزاق: ٥٧٧ ج ٣ ح ٦٧٢٧ وراجع شفاء السقام: ١٧٥.

فقال له علي بن الحسين عليه السلام: هل لك أن أحدثك حديثاً عن أبي؟ قال: نعم.

فقال له علي بن الحسين عليه السلام: أخبرني أبي عن جدي أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**لا تجعلوا قبري عيداً، ولا تجعلوا بيوتكم قبوراً، وصلوا علي وسلموا حيث ما كنتم، فسيبلغني سلامكم وصلاتكم**»[١].

وفي بعضها إنّه عليه السلام رأى رجلاً يجيء إلى فرجة كانت عند قبر النبي صلى الله عليه وآله فيدخل فيها فيدعو فقال: ألا أحدثك بحديث سمعته من أبي عن جدي رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «**لا تتخذوا قبري عيداً ولا بيوتكم قبوراً وصلوا علي فإنّ صلاتكم تبلغني حيثما كنتم**»[٢].

وقال السبكي في ذيل هذا الحديث: وهذا الأثر يبين لنا أن ذلك الرجل زاد في الحد، وخرج عن الأمر المسنون، فيكون كلام علي بن الحسين موافقاً لما تقدم عن مالك، وليس إنكاراً لأصل الزيارة، أو يكون أراد تعليمه: أن السلام يبلغ من الغيبة، لمّا رآه يتكلف الإكثار من الحضور[٣].

وأنت أيها القارئ المحترم عند مطالعتك لمعنى الحديث وبعد الإغضاء عن سنده، سواء اتخذت المعنى الذي تمسك به الخصم أو سائر المعاني التي ذكرها أكابر العلماء وإن كان الحق هو ما ذكره العلماء وبعد هذه المقدمات وذكر الإحتمالات، فهل ترى فيه منعاً للزيارة؟

خصوصاً مع ذكر الروايات المنسوبة لأهل البيت والقرائن الموجودة

---

(١) فضل الصلاة على النبي للقاضي إسماعيل: ٣٣ وراجع شفاء السقام: ١٧٥. وقد تقدم ذكر هذه الأحاديث وبعض الكلام حولها في دليل السيرة أيضاً.

(٢) المصنف لابن أبي شيبة الكوفي ٢: ٢٦٨ ط دار الفكر، مجمع الزوائد للهيثمي ٤: ٣.

(٣) راجع شفاء السقام: ١٧٦.

فيها، مثل قوله: ـ رأى قوماً عند القبر ـ فإن الظاهرمنه أنه رآهم مجتمعين كاجتماعهم في العيد وإن الامور التي تقع من الناس في تلك الأوقات لاتناسب أدب الحضور وتوجب إيذاء الرسول ﷺ كما تقدم، أو إنه رآهم عاكفين عند القبر في حلقة الذكر كحلقات الصوفية التاركين لشؤناتهم الإجتماعية والخارجين عن النظام والإعتدال، فنهاهم وعلمهم الطريقة الصحيحة، بدليل قوله: «**صلوا علي وسلموا حيث ما كنتم**» وقوله: «**لاتجعلوا بيوتكم قبوراً**» لأن البيت الذي لم يذكر الله فيه ولم يصلّ فيه يصير كالقبور الموحشة.

فالمطلوب هو الزيارة وإتيان آدابها المسنونة والإنصراف لا العكوف، لأن البقاء عند القبر الشريف يوجب إما إيذاء المزور، وإما مزاحمة الآخرين، وإما بروز حالة الملل وعدم التوجه الناشئ من الإعتياد وكثرة البقاء، وكلها غير مطلوبة، وقد ورد في آداب الزيارة الإنصراف عند الفراغ من الزيارة والسلام والدعاء ـ زر وانصرف ـ .

ثم ألا ترى فيه تأييداً وترغيباً على الزيارة خصوصاً إذا أخذت بما قاله العلماء؟

هذا السؤال، وأنت يجب أن تجيب عليه، فإنك إن كنت خالياً من التعصب وطالباً للحقيقة بعد هذا التحقيق الذي عرضته عليك، ما أراك تقع فيما وقع فيه المانعون من الإنحراف، وقد رأيت أن هذا الحديث هو آخر ما تشبث به الخصم في المنع من الزيارة، بل تراهم أتعبوا أنفسهم وأوقعوها في التناقض والتدليس وإخفاء الحقائق ومخالفة المسلمين.

وكل هذا من جهة حقدهم وعداوتهم لساحة النبي وآله صلوات الله عليهم أجمعين.

واعلم: أن لهم كلمات في أمور أخرى قد هجموا بها على المسلمين وبالأخص شيعة أمير المؤمنين عليه السلام ونسبوهم إلى الشرك والضلال والغلو،

لأجل تلك الأمور، وأنت لو تأملت في كلماتهم واعتراضاتهم، وتباعدت عن التمايلات الطائفية والحالات النفسانية، لرأيتها بأجمعها ناشئة عن ضغينتهم الكامنة بالنسبة إلى أصحاب تلك المراقد العامرة، وليس لها توجيه منطقي ودليل شرعي.

وحيث إنها ترتبط بالمزارات وزوارها نتعرض لها ولجوابها، حتى لا يغتر بها عوام الناس أو الذين لا يرون إلا ظاهر الحياة الدنيا وغفلوا عن الحقائق الإلهية والأمور الباطنية.

التبرك بآثار النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام والأولياء

التبرك بآثار
النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام والأولياء

لطالب الحقيقة أن يقول: لقد اقتنعنا بأدلة مشروعية الزيارة والأجوبة التي وردت في إبطال كلام المخالف فيها، وثبت لنا فضلها والحث عليها وزال الشك فيها لكن السؤال الذي بقي عندنا هو:

ما الدليل على مشروعية التبرك بآثار النبي وآله صلوات الله عليهم أجمعين وسائر الأنبياء والأولياء، من قبيل لمس وتقبيل قبورهم وعتبات مشاهدهم وأضرحتهم وحيطانهم وكل ما يتعلق بهم، وما الدليل على تعظيمها، والطواف بها والنذر لها وتقديم القرابين إليها، وما الدليل على الإستشفاء بهم وبآثارهم وطلب البركة والحاجة منهم؟

وأليس هذا من الشرك بالله وتعظيم وعبادة غيره، وأنه فعل الجاهلية وعبدة الأصنام والأوثان الذين كانوا يتخذون ما لاينفع ولا يضر، أرباباً من دون الله؟

الجواب: إن هذه المسألة من المسائل التي خالفت الوهابية فيها ـ تبعاً لقدوتها ابن تيمية ـ جماهير المسلمين سلفاً وخلفاً وهكذا الأمم الماضية الموحدة، حيث قامت سيرتهم على تعظيم كبرائهم خاصة أنبيائهم والتبرك بكل ما يرتبط بهم، حُباً واشتياقاً لهم وتكريماً وتعظيماً لأمرهم، لمكانتهم وقربهم من الله، ولأن تعظيمهم تعظيم الله، وأنه تعظيم شعائر الدين ﴿وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾، وهذا أمر راجح عقلي يحكم

بحسنه كل ذي عقل سليم، ولم يدل دليل على تحريمه لا شرعاً ولا عقلاً، ولا يفرّق العقل في الإحترام والتكريم بين من كان حياً منهم أو ميتاً، ولا يُعد ذلك عبادة لهم ولا لقبورهم، فإن القبر بنفسه لا خصوصية له وإنما اكتسب الإحترام والشرافة بسبب من اتصل به، ولو كان ذلك عبادة لكان تعظيم النبي ﷺ حياً وزيارته والتسليم عليه عبادة له وشركاً.

والدليل على أنه ليس بعبادة لهم، واضح، لأنه ليس كل تعظيم وخضوع للغير يُعدّ عبادة لغير الله، بل إذا كان بقصد عبادته، فإذا كان بقصد احترام وتكريم من كرمه الله وعظمه فهو تكريم وتعظيم له سبحانه لا شرك به، فليس كل خضوع واحترام وتبرك موجباً للشرك كما ادعاه المخالف.

حقيقة التبرك

ثم إن من وصف المتبركين بالنبي ﷺ وآله وآثاره والأولياء والصلحاء، بالشرك والضلال،كما هوحالهم في كل شيء وأمرلم يوافق طبعهم وأفكارهم ويقصر عن إدراكه فهمهم، فينسبونه إلى البدعة والكفر والضلال، فهم لا يفهمون مفهوم التبرك وإلا لما تفوهوا بهذه الكلمات الشاذة.

فإن التبرك حقيقة، ليس إلا توسل الى الله سبحانه وتعالى وتقرب إليه بذلك المتبرك به، سواء كان أثرا أو مكانًا أوشخصاً.

أما التبرك بالأعيان فلأجل إظهار الحب لصاحبها، والاعتقاد بأن لها فضلاً وقرباً من الله تعالى مع عجزها عن جلب أي خير أو دفع أي شرٍ إلا بأذن الله.

وأما التبرك بالآثار، فلنسبتها واتصالها بتلك الأعيان، فشرفها وكرامتها بسبب انتسابها وإلا فبذاتها ليس لها شرف وكرامة، ولا فرق بينها وبين سائر الآثار العادية، وأما الأمكنة فلا فضل لها أيضاً لذاتها، بل صارت مباركة

ومشرّفة بسبب من حلّ فيها ولأجل انتسابها إليه ونزول الملائكة فيها كما جاء في بعض الاخبار، ولما يقع فيها من الطاعات والمبرات وأنواع العبادات التي توجب نزول الرحمة الإلهية وجلب نظره تعالى ونزول ملائكته وإحاطتهم بمن يحضر في تلك المشاهد ونزول البركة والمغفرة على زاورها.

فهاهي البركة التي تطلب من الله تعالى في تلك الأماكن، فأين هذا من الشرك؟

ونتيجة الكلام: أنه إذا طلبت البركة منها بما هي مؤثرة ومن غير إضافتها إلى الله، فهو الكفر والشرك وإلا فلا.

ونزيدك توضيحاً في المسألة: وهو أن هناك فرقاً بين القول بأن الله هو المؤثر المباشر في كل شيء والقول بأنه هو المؤثر الأصيل لكن من طريق جعل الأسباب، فالله تعالى هو المؤثر والمخرج للثمرات من الأشجار، لكن بسبب الماء،كما في قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ﴾[1].

فتبين أن الله سبحانه هو المؤثر التام والقيوم المطلق الذي يقوم به كل شيء ويؤثر في كل شيء، وغيره لا يوجِد ولا يؤثِّر إلا بإرادته وإذنه وهذه هي حقيقة التوحيد وخالقية الله سبحانه.

واعلم: أنه كما جرت سنة الله على إيصال الفيض إلى الناس من طريق العلل الطبيعية غالباً، جرت أيضاً في بعض الموارد على إيصاله من غير العلل المعروفة، والدليل عليه هو المعجزات والكرامات الكثيرة التي لا تُنكر، وقد أشار القرآن الكريم إلى بعض منها وهي:

قوله سبحانه: ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ

---

(١) إبراهيم: ٣٢.

فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ﴾[1] حيث أجرى الله تعالى فيضه على قوم موسى وسقاهم من طريق غير عادي.

وقوله تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾[3].

وقوله سبحانه بعد ما بشرتها الملائكة بالمسيح: ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[4].

فمن خلال هذه الآيات نشاهد بوضوح، ظهور فيضه تعالى على أوليائه عن الطرق غير العادية، وهي من قبيل الكرامات لا المعجزات[5]، لأن الكليم على نبينا وآله وعليه السلام لم يكن في مقام التحدي وهكذا مريم عليها السلام، بل هذا فضل الله وكرامته ولطفه الخاص الذي يتفق في بعض الأوقات حينما تقتضي المصلحة.

والغرض من ذكر هذه الآيات: هو إثبات أن هناك عللاً وأسباباً

---

(١) البقرة: ٦٠.

(٢) آل عمران: ٣٧.

(٣) مريم: ٢٥.

(٤) آل عمران: ٤٧.

(٥) هذا بناءً على القول بأن المعجزة تكون في مقام التحدي والكرامة لم تكن كذلك، وإلاّ فلا فرق بينهما.

مؤثرة في الوجود لم نكن نعتادها ولم تكن مألوفة عندنا، وقد أثرت في أمور بإذن الله، فلا يحق لنا أن ننكر تلك الأمور الخارقة للعادة إذا وقعت في الخارج، فإن معناه إنكار جميع الأمور الخارقة التي قد وقعت طيلة الزمان بإذن الله وقدرته،معجزة كانت أو كرامة والتي قد أشار إلى بعضها القرآن الكريم.

والمتحتم علينا أن نرجع إلى أنفسنا ونعترف بأن عقولنا قاصرة عن أن تدرك جميع الأمور خاصةً الأُمور الخارقة للعادة منها، ونذعن أمام قدرة الله وإرادته فإنه ﴿**إذا أراد شيئاً يقول له كن فيكون**﴾، و﴿**لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون**﴾.

فهذه عصا موسى مع أنها خشبة قد ظهر منها ما ظهر بإذن الله وهذا خاتم سليمان كان سبب حكومته، وهذا قميص يوسف مع أنه كان من صوف قد ألقي على وجه يعقوب فارتد بصيراً بقدرة الله.

فإنك إن أردت أن تحلل هذه الأمور تحليلاً علمياً وعقلياً،لن تستطيع أن تكشف ربطاً علمياً ظاهراً بين الصوف وعود البصر أو بين الخشب وبروز تلك الأمور العجيبة وهكذا في سائر الامور الخارقة، حتى إذا استخدمت لهذا الأمر الأجهزة المهمة الحديثة التي قد استخدمت في المراكز العلمية العالمية.

والسبب في ذلك أن هذه الأمور ليست عادية ولا مبتنية على الأمور الطبيعية الظاهرة.

فإذا ثبت لك هذا الأصل المهم في إرادته وتدبيره سبحانه وتعالى تنحل لك كثير من الأمور التي يقصر العقل والفكر عن دركها.

ومنها: مسألة التبرك بالأنبياء والأولياء وآثارهم، فإن المسلمين قد ابتنى عملهم في التبرك بهذا الأصل الأصيل ومن أجل هذه العقيدة

والإيمان الراسخ بقدرة الله تراهم يجدون شفاء مرضاهم وقضاء حوائجهم وحصول كثير من أمورهم بفضله وقدرته وأحسن شاهد على تحقق هذه الأمور وقوعها الخارجي الذي قد ثبت كثير منها في صفحة التاريخ وعجز عن إنكارها وتحليلها عبيد الدنيا وزخرفها.

هذا فيما إذا كان التبرك بالآثار بقصد الحوائج وحصول المقاصد.

لكن قد يكون التبرك بالآثار ناشئاً عن الحب والاشتياق والتكريم والتعظيم من غير التفات إلى قضاء الحوائج وحصول المقاصد، بل ناشئاً عن شدة الود والوله فمن أحب شيئاً أحب آثاره ومن عشق شيئاً عشق آثاره، فإذا قبّل المحب آثار محبوبه لا يُلام عليه، لأنه إن لم يره فهو يرى آثاره ويشم رائحته ويتذكر خصوصياته من خلال آثاره فحينما يقبّل آثاره ويتبرك بها،كأنما قبّله وتبرك به، وهذا مجنون ليلى يبيّن حبه وشوقه بقوله:

أمر على الديار ديار ليلي ... أقبل ذا الجدار وذا الجدارا
وما حب الديار شغفن قلبي ... ولكن حب من سكن الديارا

فالآثار من قبيل الأضرحة والحيطان وأمثالها ليست مقصودة بالذات.

بل بالعرض والإضافة، ودليله أنها لو قطعت عن الإضافة لما اعتنى بها أحد، فيرجع هذا التعظيم والتقبيل إلى تعظيمهم وتكريمهم وإحياء أمرهم وهو أمر راجح عقلاً، لأنه تعظيم من عظمه الله.

مضافاً إلى أنها من الأمور العاطفية الذاتية الموجودة في كل أفراد البشر وحتى في الحيوانات، فالأم تحنّ على ولدها وتقبّل وجهه ويديه والأب هكذا، فإذا غاب أو مات عزيزهم تراهم يقبلون آثاره من قبيل صورته ولباسه ومكانه الذي كان يصلي أو ينام فيه ويبكون عليه ويقبلون قبره أيضاً، وهذا كله من شدة حبهم وشوقهم له وتأسفهم على فراقه وهكذا الولد بالنسبة إلى والديه والأرحام بعضهم بعضاً والأصدقاء أيضاً،

فهل ترى في هذه الأمور العاطفية بين البشر شيئاً من العبادة لغير الله والشرك به، فلو كانت كذلك وأن الله لا يحب أن يشرك به ويُعبد غيره لَما جعل في الإنسان هذه الأمور الذاتية حتى لا يقعوا في الشرك.

فقد ورد عن النبي ﷺ: «**من قبّل رجل أُمه كأنما قبّل عتبة الجنة**»[1].

وفي كفاية الشعبي وفتاوى الغرائب وخزانة الرواية ما هذا لفظه: لا بأس بتقبيل قبر الوالدين،لأن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إني حلفت أن أُقبّل عتبة الجنة وجبهة حور العين، فأمره أن يقبل رجل أمه وجبهة أبيه،فقال:يا رسول الله لم يكن أبواي حيين، قال:«**قبّل قبرهما**»، قال: فإن لم أعرف قبرهما، قال: «**خط خطين إنو أحدهما قبر الأم والآخر قبر الأب فقبلهما ولا تحنث في يمينك**»[2].

فلو كانت هذه الأمور من عبادة غير الله فلماذا أمر النبي ﷺ بها ولماذا كان يقبل ابنته فاطمة الزهراء ويشم صدرها ويقول: «**إني أشم منها رائحة الجنة**»، ويقبل ولديها الحسن والحسين ويجلسهما في حضنه[3].

وروي أن رسول الله ﷺ كان يوماً مع جماعة ماراً في بعض طرق المدينة وإذا هم بصبيان يلعبون، فجلس النبي ﷺ عند صبي منهم وجعل يقبّل ما بين عينيه... فقال بعض الاصحاب يارسول الله: قد شرفته بتقبيلك... قال: «**فإني رأيت هذا الصبي يوماً يلعب مع الحسين ورأيته يرفع التراب من تحت قدميه ويمسح به وجهه وعينيه**»[4].

---

(١) المبسوط للسرخسي ١٠:١٤٩ نشر دار المعرفة، الدر المختار للحصكفي ٦: ٦٨٥.

(٢) حكاه السيد الامين في كشف الارتياب: ٣٥٠.

(٣) راجع كتب القوم، فإنها مملوة من هذه الاحاديث وقد بلغت حد التواتر.

(٤) المنتخب للطريحي ١: ٢٠٢، البحار ٤٤: ٢٤٢.

فلاحظت أن النبي ﷺ قبّل ذلك الصبي من أجل حبه لولده الحسين عليه السلام وتبركه بتراب قدمه، وهذا الحديث مضافاً إلى جواز التقبيل فيه دلالة على جواز التبرك بتراب أقدام الائمة أو موضع دفنهم واحترام ذلك التراب، حيث إن النبي قبَّل ذلك الصبي وحنّ عليه لاجل ذلك العمل الجميل الذي رآه منه.

فتحصل مما ذكرنا: أنه ليس لنا دليل على المنع من هذه الامور، بل الدليل قائم على الرجحان.

وإذا شئت الاطلاع عليها فإليك نبذة منها.

أدلة التبرك

ولا بأس بأن نذكر أولاً ما كتبه بعض الأعلام حول تبرك الصحابة بآثار النبي ﷺ قال المحقق محمد طاهر بن عبد القادر في تبرك الصحابة: لا شك أن آثار رسول الله ﷺ صفوة النبيين أثبت وجوداً وأشهر ذكراً وأظهر بركة،فهي أولى بذلك ـ أي التبرك ـ وأحرى، وقد شهدها الجم الغفير من أصحابه وأجمعوا على التبرك بها والاهتمام في جمعها وهم الهداة المهديون والقدوة الصالحون، فتبركوا بشعره وبفضل وضوئه، وبعرقه وثيابه، وآنيته وبمس جسده الشريف وبغير ذلك مما عرف من آثاره الشريفة التي صحت به الأخبار عن الأخيار.

فلا جرم كان التبرك بها سنة الصحابة واقتفى آثارهم في ذلك من نهج نهجهم من التابعين والصالحين، وقد وقع التبرك ببعض آثاره في عهده وأقره ولم ينكر عليه، فدل ذلك دلالة قاطعة على مشروعيته، ولو لم يكن مشروعاً لنهى عنه وحذر منه.

وكما تدل الأخبار الصحيحة وإجماع الصحابة على مشروعيته تدل

على قوة إيمان الصحابة وشدة محبتهم وموالاتهم ومتابعتهم للرسول الأعظم ﷺ على حد قول الشاعر:

أمر على الديار ديار ليلى ... أقبل ذا الجدار وذا الجدارا
وما حب الديار شغفن قلبي ... ولكن حب من سكن الديارا[1]

بل إن المسلمين لشدة علاقتهم بنبيهم سجلوا كثيراً من خصوصياته الأخلاقية والأشياء التي تمتّ إليه بصلة.

فذكروا صفة قراءته في صلاته وحسن صوته وحسن خلقه وعشرته وكيفية مشيه وأكله وشربه وسائر خصوصياته في حياته.

قال ابن هشام في سيرته:

إن قريش بعثت عروة بن مسعود الثقفي إلى رسول الله ﷺ فجلس بين يديه وبعدما وقف على نية الرسول من خروجه إلى مكة رجع إلى قومه وأخبرهم بما دار بينهم وبين الرسول ﷺ.

ثم قال: إن محمداً لا يتوضأ إلا وابتدر أصحابه بماء وضوئه ولا يسقط من شعره شيء إلا وأخذوه.

ثم قال: يا معشر قريش لقد رأيت كسرى في ملكه وقيصر في ملكه، والنجاشي في ملكه، والله ما رأيت ملكاً في قومه قط مثل محمد في أصحابه، ولقد رأيت قوماً لا يسلمونه بشيء أبداً فروا رأيكم، فإنه عرض عليكم رشداً فاقبلوا ما عرض عليكم فإني لكم ناصح...[2]

---

(١) تبرك الصحابة للمحقق محمد طاهر بن عبد القادر من علماء مكة المكرمة: ٥.

(٢) سيرة النبي ﷺ لابن هشام في صلح الحديبية، وقد أورده البخاري في صحيحه بسنده، السيرة الحلبية ٣: ١٨، مسند أحمد ٣: ٣٢٤ ط دار الكتب العلمية بيروت، المصنف لابن عبد الرزاق ٥: ٣٣٦.

نماذج التبرك بالنبي صلى الله عليه وآله في حياته

قد تبرك المسلمون بالنبي في تحنيك أطفالهم.

قال ابن حجر: كل مولود ولد في حياته رآه وذلك لتوفر دواعي إحضار الأنصار أولادهم عند النبي للتحنيك والتبرك، ونقل ذلك جم غفير من أعلام السنة والحديث والتاريخ، بل قيل: إنه لما أفتتحت مكة جعل أهل مكة يأتون إليه بصبيانهم يمسح على رؤوسهم ويدعو لهم بالبركة.

ثم روى عن عائشة: أن النبي كان يؤتى بالصبيان فيبرّك عليهم.

وعن عبد الرحمان بن عوف: ما كان يولد لأحد مولود إلا أتى به النبي، فدعا له[1].

وورد أن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب لما ولد أتى به أبوه إلى النبي وهو في الشعب فحنكه بريقه، وذلك قبل الهجرة بثلاث سنين[2].

وورد أيضاً أن إبراهيم بن أبي موسى الأشعري أتى به أبوه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فسماه (إبراهيم) وحنّكه بتمرة وكان أكبر ولده[3].

---

(١) الإصابة ١: ٥، والاستيعاب على هامش الإصابة ٣: ٦٣١، ومثله في صحيح مسلم ٣: ١٦٩١. وفي النهاية لابن أثير: فحنكه وبرّك عليه: أي دعا له بالبركة، ١: ١٢٠ المكتبة العلمية ـ بيروت.

(٢) أسد الغابة ٣: ١٩٣، وذخائر العقبى: ٢٢٧، السيرة الحلبية ١: ٢٢٦، تاريخ الخلفاء للسيوطي: ١٥.

(٣) صحيح البخاري ٨: ٥٤، وصحيح مسلم ٣: ١٦٩٠ ،والإصابة ١: ٩٦، مسند أحمد ٤: ٣٩٩، أُسد الغابة ١: ٤٢، كنز العمال ١٥: ٢٣٩. ومن المعلوم أن تلك التمرة كان قد برّكها رسول الله صلى الله عليه وآله ثم حنكه بها، كما يستفاد من روايات أُخر.

وقد تقدم منا ما قاله عروة بن مسعود مفوض قريش في عقد صلح الحديبية، وهو: إن محمداً لا يتوضاء إلا ابتدر أصحابه بماء وضوئه ولا يسقط من شعره شيئ إلا أخذوه... .

ونقل أصحاب الصحاح والمسانيد وغيرهم من العلماء من هذه النماذج موارد كثيرة لا يسع المجال لذكرها، ومنهاكتاب (تبرك الصحابة) للشيخ محمد طاهر المكي، يسعك أيها القارئ مراجعته.

تبرك كثير من الصحابة به ﷺ بالمسح والمس

فقد تباهى وتفاخر جمع كثير من الصحابة بمسح رسول الله ﷺ رؤوسهم وقد نقلوه في حياتهم بإعتزاز.

منهم: زياد بن عبد الله: لما وفد على النبي ﷺ فدخل على ميمونة زوج النبي، فدخل رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله هذا ابن أختي، ثم خرج حتى أتى المسجد وبعده زياد فصلى الظهر، ثم أدنى زياداً فدعا له، ووضع يده على رأسه، ثم حدرها على طرف أنفه، فكانت بنو هلال تقول: مازلنا نتعرف البركة في وجه زياد، وقال الشاعر لعلي بن زياد:

يا ابن الذي مسح النبي برأسه ودعا له بالخير عند المسجد[1]

ومنهم: خزيمة بن سواد، فقد مسح رسول الله وجه خزيمة بن سواد فضاءت غرة بيضاء[2].

ومنهم: السائب بن يزيد: ذهبت خالته إلى النبي ﷺ، فقالت: يا رسول الله: إن ابن اختي وجع، فمسح رأسه ودعا له بالبركة، وتوضأ

---

(١) الطبقات ١: ٥١ ،والإصابة ١: ٥٥٨.

(٢) الطبقات ١: ٤٣.

فشرب من وضوئه[١].

وحيث إن البحث في هذه المسألة إستطرادي، قد اكتفينا في إحصاء أسماء من تبركوا بمسح النبي ومسه ومن استشفى به بهذا المقدار.

التبرك بماء وضوئه وغسله ﷺ

إن الصحابة كانت تتبرك بفضل ماء وضوئه ﷺ وكانوا يتنافسون ويتسابقون عليه،كما أشار إليه عروة بن مسعود بقوله: لا يتوضاء إلا ابتدروا وضوئه.

وورد أن العباس بن عبد المطلب بعد فتح مكة انتزع دلواً من ماء زمزم فشرب منه النبي ﷺ وتوضأ، فابتدر المسلمون يصبون على وجوههم منه ولا تسقط قطرة إلاّ في يد إنسان،إن كانت قدر مايشربها شربها، وإلا مسح بها جلده[٢].

ثم إن جابر بن عبد الله الأنصاري بعد ما توضأ النبي في طست أخذ ماء وضوئه فصبه في بئره[٣].

وعن أبي جُحيفة قال: أتيت النبي ﷺ وهو في قبة حمراء من أدم، ورأيت بلالاً أخذ وضوء النبي ﷺ والناس يتبادرون الوضوء فمن أصاب شيئاً تمسح به ومن لم يصب منه شيئاً أخذ من بلل يد صاحبه[٤].

---

(١) أسد الغابة لابن كثير ٢: ٢٥٦.

(٢) السيرة الحلبية ٣: ١٠١.

(٣) كنز العمال ١٦: ٢٤٩.

(٤) صحيح البخاري ١: ٥٤، مسند أحمد ٤: ٣٠٧ ـ ٣٠٨، السنن الكبرى للبيهقي ٣: ١٥٧، تبرك الصحابة: ٧، دلائل النبوة ١: ١٨٣.

التبرك بسؤر شراب النبي وطعامه ﷺ

فقد تبرك كثير من الصحابة بسؤر طعامه وشرابه وكانوا يأخذونه للاستشفاء وربما قدّم بعضهم التبرك بفضل شرابه وطعامه على الصيام المستحب.

هذا أبو أيوب الأنصاري، مضيّف رسول الله ﷺ عند وصول النبي إلى المدينة، تبرك هو وزوجته بآثار أصابع رسول الله ﷺ في قطعه الطعام عندما كان يُردّ عليه فضل طعام النبي ﷺ.

فقد روي عنه: كنا نضع له العشاء ثم نبعث فإذا رد علينا فضله تيممت أنا وأم أيوب موضع يده فأكلنا منه نبتغي بذلك البركة،حتى بعثنا إليه ليلة بعشائه وقد جعلنا له بصلاً وثومافرده رسول الله ﷺ ولم أر ليده فيه أثراً فجئته فزعاً فقلت يا رسول الله بأبي أنت وأمي رددت عشائك ولم أر فيه موضع يدك وكنت حينما ترد علينا فضل طعامك أتيمم أنا وأم أيوب موضع يدك نبتغي بذلك البركة.

وفي لفظ أحرام هو؟ فقال النبي ﷺ لا ولكني أكرهه.

وروي هذا الحديث بألفاظ أُخر أيضاً[1].

وعن حنش بن عقيل، الذي كان من أصحاب النبي ﷺ قال: سقاني رسول الله شربة سويق شرب أولها وشربت آخرها، قال: ما برحت أجد شبعها إذا جعت، وريّها إذا عطشت[2].

---

(١) صحيح مسلم ٣: ١٦٢٣، مسند أحمد ٥: ٤١٥ ـ ٤٢٠، الطبقات الكبرى ١: ١١٠، أُسد الغابة ١: ٨١، كنز العمال ٢٠: ١٤، سيرة ابن هشام ٢: ١٤٤، تبرك الصحابة: ١١، ورواه غيرهم من الأعلام أيضاً.

(٢) السيرة النبوية لزيني دحلان ٢: ٢٤٦.

وقال أبو موسى: كنت عند النبي وهو نازل بالجعرانة ـ بين مكة والمدينة ـ ومعه بلال، فأتى النبي أعرابي فقال: ألا تنجز لي ما وعدتني؟ فقال له:«**أبشر**» فقال: قد أكثرت علي من أبشر، فأقبل ﷺ على أبي موسى وبلال كهيئة الغضبان فقال: «**إن هذا قد رد البشرى فاقبلا أنتما**»،قالا: قبلنا، ثم دعا بقدح فيه ماء فغسل يديه ووجهه ومجّ فيه ثم قال: «**إشربا منه وأفرغا على وجوهكما ونحوركما وأبشرا**»، فأخذا القدح ففعلا، فنادت أم سلمة أن أفضِلا لأُمكما، فأفضلا لها منه طائفة[1].

التبرك بشعره ﷺ

روى البخاري بسنده عن عثمان بن عبد الله بن موهب قال: أرسلني أهلي إلى أم سلمة بقدح من ماء فجاءت بجلُجُل من فضة فيه شعر من شعر النبي ﷺ وكان اذا أصاب الإنسان عين أو شيء بعث إليها مِخضبه، قال: فاطلعتُ في الجلجل فرأيت شعرات حُمراً[2].

وفي عمدة القارئ شرح صحيح البخاري: وبيان ذلك على التحرير، أن أم سلمة كان عندها شعرات من شعر النبي ﷺ حمر، في شيء مثل الجلجل وكان الناس عند مرضهم يتبركون بها، ويستشفون من بركتها، ويأخذون من شعره ﷺ ويجعلونه في قدح من الماء، فيشربون الماء الذي فيه الشعر، فيحصل لهم الشفاء.

وكان أهل عثمان أخذوا منها شيئاً وجعلوه في قدح من فضة فشربوا الماء الذي فيه فحصل لهم الشفاء، ثم أرسلوا عثمان بذلك القدح إلى أم

---

(١) صحيح مسلم ٤: باب فضائل أبي موسى: ١٩٤٣، فتح الباري ١: ٢٥٦.

(٢) صحيح البخاري ٧: ٢٠٧ ـ مطبع الشعب ١٣٧٨. المراد من المخضب هو الشعر الخضيب.

سلمة فأخذته ووضعته في الجلجل، فاطلع عثمان في الجلجل فرأى فيه شعرات حمراً[١].

وروى مسلم في صحيحه من حديث أنس: أن رسول الله ﷺ أتى منى فأتى الجمرة، فرماها، ثم أتى منزله بمنى ونحر، ثم قال للحلاق: «خذ»، وأشار إلى جانبه الأيمن ثم الأيسر، ثم جعل يعطيه للناس، وكان الناس يتبركون بشعره ﷺ[٢].

وروى البخاري عن ابن سيرين قال: قلت لعبيدة عندنا من شعر النبي أصبناه من قِبَل أنس فقال: لأن تكون عندي شعرة منه أحب إلي من الدنيا وما فيها[٣].

وعن أنس: أن رسول الله ﷺ لما حلق رأسه كان أبو طلحة أول من أخذ من شعره[٤].

ومن هذه الروايات يظهر أنه كان متداولاً عند الصحابة أن يأخذوا شعر النبي ﷺ ويحتفظوا به للتبرك ولم يكن الرسول ﷺ يمنعهم، وفيه أحاديث كثيرة قد وردت في كتاب (التبرك).

نعم: إن الصحابة لم يكونوا يقتصرون في التبرك بما ذكر، بل كانوا يتبركون بكل ما يمت ويرتبط بالنبي ﷺ، فقد كانوا يتبركون بالماء الذي وضع فيه يده الشريفة، وبماء الآبار التي شرب منها، وبشعره وظفره والقدح الذي شرب منه وموضع فمه، وعَرَقه وملابسه، وموضع منبره

---

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري لمحمد بن محمود العيني ٢٢: ٧٦ ط دار الكتب العلمية ـ بيروت. الجلجل: ما يشبه القارورة.

(٢) صحيح مسلم ٣: ٩٤٧.

(٣) صحيح البخاري ١: ٥٢.

(٤) البخاري ١: ٣٥.

والدنانير التي أعطاها، وعصاه وخاتمه والأماكن التي صلى بها، أو مشى عليها، وآثار أقدامه وغيرها مما قد ثبت في كتب السيرة والتاريخ، وإذا أردت نصوصها ومصادرها فراجع كتب القوم.

فقد ثبت عن عبد الله بن عمر وأنس بن مالك وغير واحد من الصحابة التبرك بآثار النبي وتوخي مواضع صلاته ومواطن أقدامه والشرب من قدحه، وكان عند أنس قدح النبي ﷺ وعند عائشة بعض ملابسه وعند جماعة، منهم الشافعي شعر النبي ﷺ حتى أنه أمر أن يدفن معه في قبره توسلاً وتبركاً[1].

وكل هذه الأمور تدل على جواز التوسل والتبرك به وبآثاره، وأن ذلك ثابت ومشروع.

ويؤيده أيضاً ما ورد عنه ﷺ في بيان فضائل أمير المؤمنين عليه السلام.

عن جابر بن عبد الله قال: لما قدم علي بن أبي طالب بفتح خيبر قال له النبي ﷺ: «**ياعلي لولا أن تقول طائفة من أمتي فيك ما قالت النصارى في عيسى بن مريم، لقلت فيك مقالاً لا تمر بملأٍ من المسلمين إلا أخذوا من تراب رجليك، وفضل طهورك يستشفون بهما، ولكن حسبك أن تكون مني وأنا منك ترثني وأرثك وأنت مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي**»[2].

---

(١) قد اورد هذه الاحاديث من مصادر أعلام السنة الشيخ الاحمدي في كتاب التبرك، فراجع.

(٢) علل الحديث للحافظ ابن أبي حاتم ١: ٣١٣، ومقتل الحسين للخوارزمي: ٤٥، وشرح نهج البلاغة ٢: ٤٤٩، ومجمع الزوائد ٩: ١٣١، وينابيع المودة ١: ٢٠٠ ط دار الأسوة، وأرجح المطالب: ٤٤٨ ومناقب إبن المغازلي: ١٥٧ ط مكتبة الحياة ـ بيروت، ومناقب الخوارزمي: ١٣٠ ح ١٤٤. وذيل الحديث كما في مناقب

فإذا كان التبرك بأهل بيته والتوسل بهم مشروع، فالتبرك به ﷺ مشروع بطريق أولى،كما أن في ذلك دلالة على أنهم عليهم السلام منه وهو منهم.

التبرك به وبآثاره بعد حياته

منها: عمل ابنته الصديقة الطاهرة وريحانته ومهجة قلبه فاطمة الزهراء سلام الله عليها، وقد تقدم منا ذكره، فقد أخرج الحافظ ابن عساكر في التحفة من طريق طاهر بن يحيى الحسني قال: حدثني أبي عن جدي، عن جعفر بن محمد،عن أبيه،عن علي عليه السلام قال: لما رمس رسول الله ﷺ جاءت فاطمة فوقفت على قبره ﷺ وأخذت قبضة من تراب القبر ووضعت

ابن المغازلي: «**وأنت تبرئ ذمتي وتستر عورتي وتقاتل على سنتي وأنت غداً في الآخرة أقرب الخلق مني وأنت على الحوض خليفتي، وإن شيعتك على منابر من نور مبيضة وجوههم حولي أشفع لهم ويكونون في الجنة جيراني، وإن حربك حربي وسلمك سلمي ،وسريرتك سريرتي وعلانيتك علانيتي وإن ولدك ولدي، وأنت تقضي ديني وتنجز وعدي، وإن الحق على لسانك وفي قلبك ومعك وبين يديك ونصب عينيك، والايمان مخالط لحمك ودمك كما خالط لحمي ودمي، لايرد علي الحوض مبغض لك، ولا يغيب عنه محب لك**».

فخرّ علي ساجداً وقال: «الحمد لله الذي منّ علي بالاسلام وعلمني القرآن، وحببني إلى خير البرية وأعز الخليقة ،وأكرم أهل السموات والارض على ربه ،وخاتم النبيين ،وسيد المرسلين وصفوة الله في جميع العالمين إحساناً من الله العلي إلي وتفضلاً منه علي.

فقال النبي ﷺ: «**لولا أنت ياعلي ما عرف المؤمنون بعدي، لقد جعل الله جل وعز نسل كل نبي من صلبه وجعل نسلي من صلبك يا علي فأنت أعز الخلق وأكرمهم علي وأعزهم عندي، ومحبك أكرم من يرد علي من أمتي**».

على عينيها وبكت وأنشأت تقول:

ماذا على من شم تربة أحمد ... أن لا يشم مدى الزمان غواليا
صُبّت عليَّ مصائب لو أنها ... صبت على الأيام عدن لياليا[1]

فعمل فاطمة الزهراء أكبر دليل وحجة لجميع المسلمين على صحة وجواز التبرك بآثار رسول الله ﷺ، وهو غير قابل للإنكار، لما قد اعترف به جميع الأعلام.

وقد تقدم أيضاً عن أبي الدرداء أن بلالاً رأى في منامه رسول الله ﷺ وهو يقول: «**ما هذه الجفوة يا بلال، أما آن لك أن تزورني يا بلال؟**» فانتبه حزيناً وجلاً خائفاً، فركب راحلته وقصد المدينة فأتى قبر النبي ﷺ فجعل يبكي عنده ويمرغ وجهه عليه، فأقبل الحسن والحسين عليهما السلام فجعل يضمهما ويقبلهما... إلخ[2].

وعن علي عليه الصلاة والسلام قال: (قدم علينا أعرابي بعدما دفنّا رسول الله بثلاثة أيام، فرمى بنفسه على قبر النبي ﷺ وحثا من ترابه على رأسه وقال...) وقد تقدم منا تفصيله وذكر مصادره الكثيرة فلو كان عمله غير راجح لمنعه أمير المؤمنين عليه السلام[3].

وهذه وصية الإمام الحسن المجتبى سبط الرسول المصطفى الذي قال ﷺ في حقه وحق أخيه: «**الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا**»، قد أوصى أخيه الحسين الشهيد عليه السلام أن يذهب بجنازته إلى قبر رسول الله ﷺ لكي يحدث عهداً به وتتبرك جنازته بقبر رسول الله ﷺ ثم يصرفه إلى أمه

---

(١) قد تقدمت مصادره الكثيرة في سيرة المسلمين.

(٢) قد تقدمت مصادره الكثيرة.

(٣) قد تقدم منا مصادره على كثرتها.

فاطمة الزهراء لكي يتبرك بقبرها ثم يرده إلى البقيع لكي يدفن بها[١].

وهذا العمل يعطي حجة للمسلمين في مشروعية التبرك ورجحانه، فإن الحسن ابن رسول الله ومن نزلت فيه آية التطهير ولا أقل من أن يكون في عداد الصحابة العدول وقوله وعمله حجة على المسلمين وواجب إتباعه، فليس من الإنصاف أن يُنكر على الشيعة الإمامية في إتيانهم جنائز موتاهم إلى المشاهد المشرفة لأجل التبرك بها،خاصة أن العامة أيضاً يدفنون في أماكن معينة يقصدون منها البركة، وبعضهم يُدفن في مقابر الشيعة لنفس العلة.

وقد تقدم كراراً أن أبا أيوب الأنصاري مضّيف رسول الله ﷺ كان واضعاً جبهته على القبر يقبّله، فأقبل مروان وأخذ برقبته وقال هل تدري ما تصنع؟ فأقبل عليه فإذا أبو أيوب الأنصاري فقال: نعم لم آت الحجر إنما جئت رسول الله ﷺ ولم آت الحجر، سمعت رسول الله يقول: «**لا تبكوا على الدين إذا وليه أهله ابكوا على الدين إذا وليه غير أهله**».

وقال السبكي بعد ذكر هذه الحكاية: فإن صح هذا الإسناد لم يكره مس جدار القبر، وإنما أردنا بذكره القدح في القطع بكراهة ذلك[٢].

وقد روي أن عبد الله بن عمر كان يتبرك بمقعد النبي من منبره، ونقل أنه كان كثير الإتباع لآثار رسول الله ﷺ،حتى أنه كان ينزل منازله

---

(١) ومتن وصيته: وجهني إلى رسول الله لأُ حدث به عهداً ثم إصرفني إلى أمي ثم ردني إلى البقيع. الصواعق المحرقة: ٨٤، القصول المهمة: ١٥١، وفاء الوفا ٣: ٥٤٨. ويظهر منه أن قبر أمه فاطمة بالقرب من قبر رسول الله ﷺ.

(٢) مجمع الزوائد ٥: ٢٤٥، تاريخ دمشق لابن عساكر ٥٧: ٢٥٠ ط دار الفكر، المستدرك ٤: ٥١٥ وصححه هو والذهبي في تلخيصه، وفاء الوفا ٢: ٤١٠ و ٤٣٣.

ويصلي في كل مكان صلى فيه، وحتى أن النبي ﷺ نزل تحت شجرة فكان عبد الله بن عمر يتعاهدها بالماء لئلا تيبس[١].

واعترف ابن تيمية بذلك في كتابه إقتضاء الصراط وروى عن الإمام أحمد أنه رخص في التمسح بالمنبر والرمانة وذكر أن ابن عمر وسعيد بن المسيب ويحيى بن سعيد من فقهاء المدينة، كانوا يفعلون ذلك[٢].

وروى القاضي عياض عن يزيد بن عبد الملك بن قسيط قال: رأيت نفراً من أصحاب النبي إذا خلالهم المسجد قاموا إلى رمانة المنبر فمسحوها[٣].

وهكذا كان جماعة من الصحابة ومعهم يزيد بن قسيط التابعي، كما يقول الشريف الصديق الغماري في مقدمة كتاب (اعلام النبيل»): يتمسحون بمنبر رسول الله ﷺ ويدعون عنده لأجل التبرك ورجاء استجابة الدعاء عنده، ولم يروا في ذلك حرجاً ولا بأساً،بل رأوا فيه الفضل والتقرب إلى الله تعالى بالدعاء عنده تبركاً بآثار رسول الله ﷺ المباركة المشرفة عند الله تعالى[٤].

التبرك بأصحاب
رسول الله ﷺ فضلاً عنه وعن آثاره

روى الهيثمي عن يحيى بن الحارث الدُماري قال: لقيت واثلة بن الأسقع رضي الله عنه فقلت: بايعت بيدك هذه رسول الله، فقال: نعم، قلت: أعطني يدك أقبلها فأعطانيها فقبّلتها.

---

(١) الشفاء للقاضي عياض ٢: ٥٤، ولاحظ الطبقات الكبرى ١: ١٣.

(٢) لاحظ السيرة النبوية للبيومي ٣: ١٦٥.

(٣) الشفاء للقاضي عياض ٢: ٨٦، ولاحظ الطبقات الكبرى ١: ١٣.

(٤) السيرة النبوية للبيومي ٣: ١٦٥.

وعن أبي نعيم في (الحلية) عن يونس بن مسرّة قال: دخلنا على يزيد بن الأسود عائدين، فدخل عليه واثلة بن الأسقع رضي الله عنه،فلما نظر إليه،مدّ يده فمسح بها وجهه وصدره،لأنه بايع رسول الله ﷺ فقال له: يا يزيد، كيف ظنك بربك، فقال حسن، فقال: أبشر، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الله تعالى يقول: أنا عند ظن عبدي بي، إن خيراً فخير وإن شراً فشر**».

وروى الحافظ ابن حجر في المطالب العالية عن ثابت قال: كنت إذا أتيت أنساً يخبر بمكاني، فأدخل عليه وآخذ يديه وأقبلهما وأقول: بأبي هاتين اليدين اللتين مستا رسول الله ﷺ وأُقبّل عينيه وأقول: بأبي هاتين العينين اللتين رأتا رسول الله ﷺ[1].

والذي يستفاد من الأخبار وعمل الأخيار: أن كل من كان له صلة برسول الله سواء كان بتشرفه لرؤيته وتقبيله وسماع كلامه، ومن كان نقل حديثه ومن كان حامل القرآن الذي أُنزل عليه ومن كان عالماً بشريعته فهو مكرم عند الله ومعظم، وينبغي تعظيم وتكريم واحترام كل من عظمه الله، والتبرك به وبآثاره، لما فيه من تعظيم الله الواجب، فإن من كان رؤيته وسماع كلامه وآثاره يذكر الإنسان بالله ويوجب الاهتمام بعبادة الله وذكره والتقرب إليه، فهو من شعائر الله ﴿**وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ**﴾.

وعلى هذا الاصل فما بالك بأهل بيت الرسول وعترته الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، ومن بالغ النبي ﷺ بمودتهم ومتابعتهم والأخذ منهم وحذر عن مخالفتهم وأذيتهم والعدول عنهم.

فإذا كان لمن رأى رسول الله وقبّله وحفظ آثاره هذا الفضل عند الله

---

(١) السيرة النبوية للبيومي ٣: ١٦٦.

فما قولك فيمن كان لحمه من لحم رسول الله ودمه من دمه وحربه حربه وسلمه سلمه ومن كان منه بمنزلة هارون من موسى إلا النبوة وما نظرك بريحانتي رسول الله ومهجتا قلبه وبضعتاه الذينِ كان يقبلهما ويعظمهما ويشمهما ويضمهما إلى صدره.

هذه فاطمة الزهراء أم أبيها وأم الأئمة النجباء صلوات الله عليهم أجمعين كانت عندما تدخل على رسول الله يقوم لها ويقبلها ويشم صدرها ويجلسها في مجلسه.

فقد روى الحاكم في المستدرك عن عائشة أنها قالت: ما رأيت أحداً كان أشبه كلاماً وحديثاً برسول الله ﷺ من فاطمة، وكانت إذا دخلت على أبيها فقبلها ورحب بها، وأخذ بيدها فأجلسها في مجلسه، وكانت هي إذا دخل عليها رسول الله قامت إليه مستقبلة وقبلت يده[1].

فهل يبقى لك تأمل في فضل التبرك بهم وبآثارهم والتقرب بهم إلى الله تعالى؟

وتحصّل من جميع ما أوردناه في مسألة التبرك أن ما يترتب على هذا الأصل ليس أمراً معيناً، بل إن كل ما صدق عليه عنوان التبرك بآثار النبي ﷺ وأهل بيته والصالحين من أتباعه يكون أمراً جائزاً لا يحق لأحد المنع منه بادعاء أنه شرك أو أنه محرم، وإلا فيلزم منه إنكار جميع الأحاديث والقضايا التي وردت حول التبرك وقد ذكرنا بعضها.

لكن مضافاً الى ما قدمناه، نذكر لك أراء علماء المذاهب حول هذه المسالة حتى لا يبقى أي خفاء.

---

(١) المستدرك للحاكم النيسابوري ٣: ١٥٩، وقد ورد في كثير من كتب الاعلام بألفاظ مختلفة، فلاحظ السيرة الحلبية ٣: ٥٦، الإستيعاب ٤: ٣٧٧، سنن أبي داود ٤: ٣٥٥، السنن الكبرى ٧: ١٠١، وغيرها.

آراء أئمة المذاهب في التبرك

لم نر لأئمة المذاهب ممن يعتنى به وبرأيه في المجتمع الإسلامي في مسألة التبرك قول بالمنع والتحريم، نعم هناك شرذمة قليلة قد خالفت في مسائل كثيرة منها مسألة التبرك، وشذوا عن الحق وأهله إعتمادا على أفكارهم السخيفة واتباعاً لأهوائهم المنحرفة، فقد كفّروا عليها المسلمين وسموهم القبوريين أو عُبّاد القبور وأمثال هذه الكلمات الشنيعة التي لا تناسب أهل الملة والشريعة.

ومن قال بالنهي عنه من الأعلام ليس مراده التحريم،بل التنزيه احتراماً وأدباً لصاحب القبر، فقوله بالكراهة لزعم أن الدنو من القبر الشريف يخالف حسن الأدب وأن البعد منه أنسب للأدب، وليس هذا من باب الإفتاء، لأنه ليس من شأن الفقيه أن يفتي في الدين إستناداً على هذه الاعتبارات التي لا أساس لها إلا الأذواق المختلفة باختلاف الأنظار والحالات، فبعض الناس يرى كمال الأدب في التبعد وعدم اللمس ورعاية حالة الخضوع والتواضع إلى المزور، وبعض آخر يرى كمال المحبة والأدب والاحترام في الدنو من القبر والتمسح به وتقبيله والتبرك به، ولا يذم بعضهم البعض الآخر، لأن هذه الأمور كلها ناشئة عن منشأ الشوق والمحبة وتعظيم واحترام المحبوب، والكل يرى فيه رضا الله والتقرب إليه، وكلهم على خير إن شاء الله، فلابد للفقيه أن يفتي عن دليل وبرهان يعتمد عليه علماء الإسلام وإلا فلا يصح الاستدلال. وفيما يلي بيان لأقوالهم.

رأي أحمد بن حنبل حول التبرك

حكى العز بن جماعة الحموي الشافعي عن كتاب العلل والسؤالات لعبد الله بن أحمد، قال عبد الله بن أحمد بن حنبل: سألت أبي عن الرجل يمس منبر رسول الله ﷺ ويتبرك بمسه ويقبله ويفعل بالقبر مثل ذلك رجاء الثواب.

فقال: لا بأس به[١].

وقال العز بن جماعة في ذيل كلام أحمد: وهذا يبطل ما نقل عن النووي من الإجماع.

وقد تعجب ابن تيمية حين رأى هذا الكلام من أحمد بن حنبل، حيث قال العلامة أحمد بن محمد المقري المالكي في كتابه ـ فتح المتعال ـ نقلاً عن ولي الدين العراقي:

أخبر الحافظ أبو سعيد بن العلا قال: رأيت في كلام أحمد بن حنبل في جزء قديم عليه خط ابن ناصر وغيره من الحفاظ، أن الإمام أحمد سئل عن تقبيل قبر النبي ﷺ وتقبيل منبره؟ فقال: لا بأس بذلك قال: فأريناه التقي ابن تيمية، فصار يتعجب من ذلك.

ويقول: عجبت من أحمد، عندي جليل، هذا كلامه أو معنى كلامه، وقال: وأي عجب في ذلك وقد روينا عن الإمام أحمد أنه غسل قميصاً للشافعي وشرب الماء الذي غسله به؟[٢].

والعجب من ابن تيمية ومن وافقه على ادعائهم الحنبلية كيف يخالفون إمامهم وقدوتهم في كثير من المسائل ويقلدونه فيما تهوى أنفسهم ويوافق رأيهم، فإن إمامهم يقول: لابأس وهم يقولون بالبأس والحرمة والشرك ويمنعون عنه أشد المنع!!

واذا كان هذا تعظيم أحمد لرجل مثل الشافعي ـ باعتراف ابن تيمية ـ فما بالك بمقادير الصحابة وكيف بآثار الانبياء وأبناء الأنبياء خصوصاً أبناء الرسول المصطفى صلوات الله عليهم أجمعين.

---

(١) كتاب العلل والسؤالات لعبد الله بن أحمد بن حنبل نقلاً من السيرة النبوية للبيومي ٣: ١٦٣، والتبرك للأحمدي ١٦٩، ووفاء الوفا ٤: ١٤٠٤.

(٢) ذكره ابن الجوزي في مناقب أحمد: ٤٥٥، وابن كثير في تاريخه ١٠: ٣٣١.

وذكر الخطيب ابن حملة أن ابن عمر كان يضع يده اليمنى على القبر الشريف وأن بلالاً رضي الله عنه وضع خديه عليه أيضاً، ثم قال: ورأيت في كتاب السؤلات والعلل لعبد الله بن الإمام أحمد، وذكر ما تقدم عن ابن جماعة نقله عنه من قول أحمد: لا بأس به.

ثم قال أيضاً: ولاشك أن الاستغراق في المحبة يحمل على الأذن في ذلك، والمقصود من ذلك كله الاحترام والتعظيم، والناس تختلف مراتبهم كما كانت تختلف في حياته، فأناس حين يرونه لا يملكون أنفسهم،بل يبادرون إليه وأناس فيهم أناة تراهم يتأخرون، والكل محل خير، انتهى كلامه[1].

قال الحافظ ابن حجر: استنبط بعضهم من مشروعية تقبيل الحجر الأسود جواز تعظيم كل من يستحق التعظيم من آدمي وغيره، فأما تقبيل يد الآدمي فسبق في الأدب، وأما غيره، فنقل عن أحمد أنه سُئل عن تقبيل منبر النبي ﷺ وقبره، فلم ير بأساً، واستبعد بعض أتباعه صحته عنه[2].

ونُقل عن أبي الصيف اليماني أحد علماء مكة من الشافعية جواز تقبيل المصحف وأجزاء الحديث وقبور الصالحين.

ونقل الطيب الناشري عن المحب الطبري أنه يجوز تقبيل القبر ومسه قال: وعليه عمل العلماء الصالحين. وأنشد:

أمر على الديار ديار ليلى أقبل ذا الجدار وذا الجدار[3]

---

(١) وفاء الوفا للسمهودي ٤: ١٤٠٥.

(٢) وفاء الوفا للسمهودي ٤: ١٤٠٥. أقول والمستبعد ليس هو إلا أبن تيمية ومن حذا حذوه من أهل الأهواء المضلة الذين لا يعبأ بهم وبآرائهم، وإلا فقد نقل قوله كثير من العلماء واستند به.

(٣) وفاء الوفا ٤: ١٤٠٦

ونقل بعضهم عن أبي خيثمة قال: حدثنا مصعب بن عبد الله، حدثنا إسماعيل ابن يعقوب التيمي قال: كان ابن المنكدر يجلس مع أصحابه، قال: وكان يصيبه الصمات، فكان يقوم كما هو يضع خده على قبر النبي ﷺ ثم يرجع، فعوتب في ذلك، فقال: إنه يصيبني خطرة فاذا وجدت ذلك إستشفيت بقبر النبي ﷺ وكان يأتي موضعاً من المسجد في الصحن فيتمرغ فيه ويضطجع، فقيل له في ذلك، فقال: إني رأيت النبي ﷺ في هذا الموضع، ـ أراه قال في النوم ـ [1].

وقال القاضي عياض المالكي في الشفاء بعد كلام طويل وبيان جميل في تعظيم قبر النبي ﷺ:

وجدير لمواطن عمرت بالوحي والتنزيل، وتردد بها جبرئيل وميكائيل، وعرجت منها الملائكة والروح وضجت عرصاتها بالتقديس والتسبيح، واشتملت تربتها على سيد البشر، وانتشر عنها من دين الله وسنة نبيه ما انتشر، مدارس آيات ومساجد وصلوات، ومشاهد الفضائل والخيرات، ومعاهد البراهين والمعجزات، ومناسك الدين، ومشاعر المسلمين ومواقف سيد المرسلين، ومتبوأ خاتم النبيين، حيث انفجرت النبوة وأين فاض عُبابها، ومواطن طُويت فيها الرسالة، وأول أرض مس جلد المصطفى ترابها، أن تُعظّم عرصاتها، وتُنَسّم نفحاتها، وتُقبّل ربوعها وجدرانها.

ثم ذكر هذه الأبيات، والظاهر أنه هو قائلها:

يا دار خير المرسلين ومن به	هُدِي الأنام وخص بالآيات
عندي لأجلك لوعة وصبابة	وتشوّق متو قد الجمرات
وعليّ عهد إن ملأت محاجري	من تلكم الجدران والعرصات
لأُعفرنّ مصون شيبي بينها	من كثرة التقبيل والرشفات

---

(١) وفاء الوفا ٤ ـ ١٤٠٦.

لولا العوادي والأعادي زرتها ... أبداً ولو سحباً على الوجنات
لكن سأهدي من حفيل تحيتي ... لقطين تلك الدار والحجرات
أزكى من المسك المفتق نفحة ... تغشاه بالآصال والبكرات
وتخصه بزواكي الصلوات ... ونوامي التسليم والبركات[1]

وقال السبكي في الرد على إبن تيمية في مسألة الزيارة: منع التمسح بالقبر ليس مما قام الإجماع عليه.

واستدل بما رواه يحيى بن الحسين عن عمر بن خالد،عن ابن نباتة،عن كثير بن يزيد، عن المطلب بن عبد الله، قال: أقبل مروان بن الحكم، فإذا رجل ملتزم القبر، فأخذ مروان برقبته ثم قال: هل تدري ماذا تصنع؟!

فأقبل عليه فقال: نعم إني لم آت الحجر ولم آت اللبن، إنما جئت رسول الله ﷺ، وقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا تبكوا على الدين إذا وليه أهله ولكن ابكوا عليه إذا وليه غير أهله**»،قال المطلب: وذلك الرجل أبو أيوب الأنصاري.

ثم قال السبكي: وأبو نباتة يونس بن يحيى ومن فوقه ثقات وعمر بن خالد لم أعرفه، فإن صح هذا الإسناد لم يكره مس جدار القبر، وإنما أردنا بذكره القدح في القطع بكراهة ذلك. انتهى كلامه[2].

---

(١) الشفاء للقاضي عياض ٢: ٥٨ ط دار الكتب العلمية.

(٢) شفاء السقام: ٢٨٠، ولا يخفى أن حديث أبي أيوب الأنصاري، والتزامه القبر واحتضانه له، قد رواه المحدثون وأئمة المذاهب في كتبهم مثل مسند أحمد ٥: ٤٢٢، مسند أبي أيوب، ومستدرك الحاكم ٤: ٥١٥، وكنز العمال ٦: ٨٨ عن أحمد والحاكم ،ومجمع الزوائد ٥: ٢٤٥ عن أحمد، والطبراني في الكبير والأوسط وصححه الذهبي في تلخيصه، وذكره السمهودي في وفاء الوفا نقلاً عن أحمد بن حنبل وقال رأيته بخط الحافظ أبي الفتح المراغي المدني.

عزيزي القارئ هذا الحديث فيه دلالة على أن المخالفين للزيارة والتبرك هم المعاندين والحاقدين لرسول الله ﷺ تلك الشجرة الملعونة والعصابة التي بذلت جميع جهودها في إيذاء الرسول الامين ومنعه من تأسيس هذا الدين القويم وإطفاء نوره العظيم ولما لم ينالوا منه ﷺ في حياته أخذوا ينفّذون مؤامراتهم بعد رحلته ففعلوا ما فعلوا، وقد أخبر ﷺ المسلمين بخبث طينتهم ومنوياتهم ولعنهم وحذر المسلمين من اتباعهم في مواطن عديدة.

فقد صح عنه ﷺ: «**إذا بلغت بنو أمية أربعين اتخذوا عباد الله خولا ومال الله نحلا وكتاب الله دغلاً**».

وصح عنه ﷺ: «**إني أُريت في منامي كأنّ بني الحكم بن أبي العاص ينزون على منبري كما تنزوا القردة**»، قال الراوي: فما رؤي النبي ﷺ مستجمعاً ضاحكاً حتى توفي.

وصح عنه ﷺ: لما استأذن الحكم بن أبي العاص عليه: «**عليه لعنة الله وعلى من يخرج من صلبه إلا المؤمن منهم وقليل ما هم، يشرّفون في الدنيا ويضعون في الآخرة، ذوو مكرٍ وخديعة، يُعطون في الدنيا ومالهم في الآخرة من خلاق**».

وصح عنه ﷺ لما أدخل عليه مروان بن الحكم: «**هو الوزغ ابن الوزغ الملعون ابن الملعون**».

وصح عن عبد الله بن الزبير أن رسول الله ﷺ لعن الحكم وولده.

وصح عن عائشة: إن رسول الله ﷺ قال: لعن الله أبا مروان ومروان في صلبه، فمروان فضض من لعنة الله عز وجل[1].

---

(١) قد أخرج هذه الروايات جمع من الأعلام وجمعها وصححها الحاكم النيسابوري في مستدركه ٤: ٤٧٩

فمع هذه الروايات الواردة في مخالف الزيارة والتبرك، بل مخالف الشريعة المحمدية وصاحبها، ومع عمل الصحابي الجليل الذي وقف أمام مروان وأخبره بما قاله النبي ﷺ حول شجرته الخبيثة، هل يبقى لك تأمل في مشروعية الزيارة والتبرك بقبره ﷺ وبسائر آثاره وآثار أهل بيته المعصومين؟

وهل يبقى لك تأمل في إنحراف المخالفين عن الصراط المستقيم وسنة خير المرسلين.

فلا يحق لمسلم أن يسير خلف تلك الشجرة الملعونة ويقول بقولهم ويحقق أُمنياتهم في إمحاء الدين، ولا يحق له أن يتبع أثر الذين اتخذوا دين الله دغلاً وعباد الله خولاً، وكتاب الله حولاً.

وقد تعرض الشيخ سلامة العزامي الشافعي لكلام ابن تيمية وهو: (من طاف بقبور الصالحين أو تمسح بها كان مرتكباً أعظم العظائم) فقال في جوابه ما ملخصه: وأتى بكلام ملتبس، فمرة يجعله من الكبائر، وأخرى من الشرك إلى مسائل من أشباه ذلك، قد فرغ العلماء المحققون والفقهاء المدققون من بحثها وتدوينها قبل أن يولد هو بقرون، فيأبى إلا أن يخالفهم، وربما ادعى الإجماع على ما يقول وكثيراً ما يكون الإجماع قد انعقد قبله على خلاف قوله،كما يعلم ذلك من أمعن في كلام مَن قبله وكلام مَن بعده ممن تعقبه من أهل الفهم المستقيم والنقد السليم.

وإليك مثالاً: التمسح بالقبر أو الطواف به من عوام المسلمين، فأهل العلم فيه على أقوال: الجواز مطلقا والمنع مطلقا على وجه كراهة التنزيه الشديدة، ولكنها لا تبلغ حد التحريم، والتفصيل بين من غلبه شدة شوق إلى المزور فتنتفي عنه هذه الكراهة، ومن لا فالأدب تركه.

وأنت إذا تأملت في الأمور التي كفّر بها المسلمين وجعلها عبادة لغير الله، وجدت حجته ترجع إلى مقدمتين صدقت كبراهما وهي: كل عبادة لغير الله شرك، وهي معلومة من الدين بالضرورة، ثم يسوق عليه الأدلة بالآيات

الواردة في المشركين، وكذبت صغراهما وهي قوله: كل نداء لميت أو غائب أو طواف بقبر أو تمسح به أو ذبح أو نذر لصاحبه... فهو عبادة لغير الله: ثم يسوق الآيات والأحاديث الصحاح التي لم يفهمها أو تعمد في تأويلها على غير وجهها، ثم يخرج من هذا القياس الذي فسدت إحدى مقدمتيه بنتيجة لا محالة كاذبة وهي: أن جمهور المسلمين إلا إياه ومن شايعه مشركون كافرون.

ثم قال: ولقد تعدى هذا الرجل حتى على الجناب المحمدي فقال: إن شد الرحال إلى زيارته معصية، وأن من ناداه مستغيثاً به عليه الصلاة والسلام بعد وفاته فقد أشرك، فتارة يجعله شركاً أصغرا، وأخرى يجعله شركاً أكبرا، وإن كان المستغيث ممتلي القلب بأنه لا خالق ولا مؤثر إلا الله، وأن النبي ﷺ إنما ترفع إليه الحوائج ويستغاث به، على أن الله جعله منبع كل خير، مقبول الشفاعة مستجاب الدعاء كما هي عقيدة جميع المسلمين مهما كانوا من العامة....[1]

وقال جمال الدين عبد الله محمد الأنصاري: رحلنا مع شيخنا تاج الدين الفاكهي إلى دمشق فقصد زيارة نعل سيدنا رسول الله ﷺ التي بدار الحديث الأشرفية بدمشق وكنت معه فلما رأى النعل المكرمة حسر عن رأسه وجعل يقبله ويمرغ وجهه عليه ودموعه تسيل، وأنشد:

فلو قيل للمجنون ليلى ووصلها ... تريد أم الدنيا وما في طواياها
لقال: غبار من تراب نعالها ... أحب إلى نفسي وأشفى لبلواها[2]

وأخرج محب الدين الطبري حديثاً طويلاً فيما اتفق بالأبواء بين عمر بن الخطاب لما خرج حاجاً في نفر من أصحابه وبين شيخ استغاث به،

---

(١) فرقان القرآن: ١٣٣ للعزامي الشافعي.

(٢) لاحظ الغدير ٥: ١٥٥.

وفيه: لما انصرف عمر ونزل ذلك المنزل واستخبر عن الشيخ وعرف موته، فكأني أنظر إلى عمر وقد وثب مباعداً ما بين خطاه حتى وقف على القبر ـ قبر الشيخ ـ فصلى عليه ثم اعتنقه وبكى[1].

تساؤل!!!

يا أخي المسلم أطلب منك أن تعطي الإنصاف من نفسك وتجيبني عن هذا التساؤل وهو:

لو جاز لمثل عمر الوقوف على قبر رجل علاي كان قد استغاث به، واعتناقه والبكاء عليه، فما وازع الأمة عن الوقوف على قبر رسولها الكريم وإظهار الشوق والمحبة له واعتناق قبره الشريف والبكاء عليه، أو على قبور عترته الطاهرة التي قد وجبت علينا مودتهم وولايتهم؟!

ولو أنصفت وابتعدت عن الهوى،هل تفرّق بين نعال رسول الله ﷺ وسائر آثاره التي كانت الصحابة والأكابر من علماء المذاهب تتبرك بها، وبين قبره الشريف الذي ضمن جسده الشريف المبارك وبورك به طيلة السنين والأعوام؟

أو أراك تقول في تقبيل قبره والتبرك به بالأولوية، خصوصاً مع العلم بحياته البرزخية، فإن هذا القبر منذ دهور قد تبرك وتشرف بالالتصاق ببدن مبارك ما التصق ببدنه مسلم وتمسه النار، فأولوية التبرك بقبره وبسائر الآثار واضحة.

ثم أسألك مرة أخرى: أليس من الظلم بساحة الرسول المصطفى وعترته النجباء صلوات الله عليهم أجمعين أن يُمنع من التبرك بقبورهم وتقبيلها؟ والحال أنه قد ورد النص في رجحان تقبيل قبور الصالحين والآباء

---

(١) الرياض النضرة ٢: ٥٤.

وقد جرت عليه سيرة السلف وسائر المسلمين، فإذا كان الرجحان بالنسبة الى سائر القبور ثابت فالتبرك بقبره وسائر آثاره وتقبيلها ثابت بالطريق الاولى.

ففي السيرة الحلبية عن الخصائص الكبرى: ومن خصائصه أنه ما التصق ببدنه مسلم وتمسه النار[١].

ومن المعلوم أن هذا ليس إلا ببركة بدنه الشريف، فمن التصق بقبره المبروك بالتصاقه ببدنه الشريف يرجى له ذلك.

فقد تقدم أن النبي ﷺ قال: «**من قبّل رجل أُمه كأنما قبّل عتبة الجنة**»[٢].

وتقدم من كفاية الشعبي وفتاوى الغرائب ومطالب المؤمنين وخزانة الرواية ما هذا لفظه: لا بأس بتقبيل قبر الوالدين، لأن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إني حلفت أن أقبّل عتبة باب الجنة وجبهة حور العين، فأمره أن يقبّل رجل الأم وجبهة الأب، قال: يا رسول الله إن لم يكن أبواي حيين قال: «**قبّل قبرهما**»، قال: فإن لم أعرف قبرهما،قال: «**خطّ خطين إنو أحدهما قبر الأم والآخر قبر الأب فقبلهما فلا تحنث في يمينك**»[٣].

ويناسب هنا تكرار ذكر كلام السبكي في الرد على ابن تيمية، ما لفظه: نحن نقطع ببطلان كلامه ـ ابن تيمية ـ وأن المعلوم من الدين وسيرة الصالحين التبرك ببعض الموتي من الصالحين فكيف بالأنبياء والمرسلين؟ ومن ادعى أن قبور الأنبياء وغيرهم من موتى المسلمين سواء فقد أتى أمراً عظيماً نقطع

---

(١) السيرة الحلبية ٢: ١٧١ ط سنة ١٣٢٠

(٢) المبسوط للسرخسي ١٠: ١٤٩، الدر المختار ٦: ٦٥٨.

(٣) لاحظ كشف الارتياب للسيد محسن الأمين: ٣٥٠.

ببطلانه وخطأه فيه، وفيه حط لدرجة النبي ﷺ إلى درجة من سواه من المسلمين وذلك كفر متيقن، فإن من حط رتبة النبي ﷺ عما يجب له فقد كفر.

فإن قال: إن هذا ليس بحط ولكنه منع من التعظيم فوق ما يجب له.

قلت: هذا جهل وسوء أدب ونحن نقطع بأن النبي ﷺ يستحق من التعظيم أكثر من هذا المقدار في حياته وبعد موته ولا يرتاب في ذلك من في قلبه شيء من الإيمان. إنتهى[1].

ويمكن أن يقال: إن التبرك بقبر النبي بجميع أنواعه أو لا أقل بعض أنواعه بدعة ولم يرد فيه نص.

فنقول في الجواب ـ على فرض فقدان النص الصريح ـ: إنه يكفي في كون الشيء سنة دخوله في عمومات الأدلة وفحاويها ولا يلزم أن يرد نص بخصوصه، وبه يخرج من كون الشيء بدعة، فقد فهم من ضرورة الشرع أن في القبر الذي ضم جسد سيد ولد آدم بركة وفضلاً يمتاز به عن غيره وهو كاف في جواز التبرك بجميع أنواعه التي يرجى بها نيل بركته.

إلى هنا قد انتهينا من استقصاء الأدلة على مشروعية التبرك وإثبات عدم النهي عنه وأنه معلوم من الدين وقد وقعت عليه سيرة المسلمين سلفاً وخلفاً.

وقد ذكرنا آراء علماء الأمة على جوازه ورجحانه، خلافاً لما ادعاه ابن تيمية من الإجماع على خلافه.

والذي بقي من الكلام ويمكن أن يقع مورداً للسؤال، هو أنّه:

مع وجود هذه الأدلة الكثيرة على جواز أنواع التبرك، فما بال بعض أئمة المذاهب والعلماء في نهيهم عن التبرك بقبر النبي ﷺ وسائر الأنبياء؟

---

(١) شفاء السقام للحافظ السبكي: ٢٤٩ ـ ٢٥٠ ط الرابعة.

وهل أنهم جهلوا تلك الأدلة الوافرة والأقوال الباهرة، وأفتوا بخلافها؟ أو كانوا عالمين بها ولكن نهوا عن التبرك لسبب آخر؟

والجواب قد تقدم سابقاً منا وهو: إن ما وقع في كلماتهم من النهي عن التبرك ليس هو النهي التحريمي، بل هو التنزيهي والإرشاد إلى أن البعد أقرب إلى الأدب والتعظيم بزعمهم، وقد صرح أكثرهم به ومن لم يصرح منهم فكلامه أيضاً محمول عليه، فلنذكر كلماتهم حتى يتضح الحال:

الكلمات الموهمة للمنع من التبرك

قال الشافعي الصغير محمد بن أحمد الرملي: ويكره أن يجعل على القبر مظلة، وأن يقبل التابوت الذي يجعل فوق القبر واستلامه وتقبيل الاعتاب عند الدخول لزيارة الأولياء.

نعم: إن قصد التبرك لا يكره كما أفتى به الوالد رحمه الله تعالى، فقد صرحوا ـ أي العلماء ـ بأنه إذا عجز عن استلام الحجر سن له أن يشير بعصاً وأن يقبلها[1].

وقد قال أحمد الرملي الكبير الأنصاري: ولا يستلم القبر ولا يقبله، ويستقبل وجهه للسلام والقبلة للدعاء وذكره أبو موسى الإصبهاني: قال شيخنا: نعم إن كان قبر نبي أوولي أو عالم واستلمه أو قبّله بقصد التبرك فلا بأس به[2].

وقال الزرقاني المصري المالكي: تقبيل القبر الشريف مكروه إلا لقصد التبرك فلا كراهة، كما اعتقده الرملي[3].

---

(١) شرح المنهاج لشيخ مشايخ الشافعية محمد ين أحمد الرملي المتوفى ١٠٠٤.

(٢) حاشية روض الطالب المطبوعة في هامش أسنى المطالب ١: ٣٣١.

(٣) شرح المواهب للزرقاني ٨: ٣١٥.

قال شهاب الدين الخفاجي الحنفي في شرح الشفاء: ونقل من كتاب أحمد بن سعيد الهندي فيمن وقف بالقبر، أن لا يلصق به ولا يمسه بشيء من جسده فلا يقبله فيكره مسه وتقبيله وإلصاق صدره، لأنه ترك أدب، وكذا كل ضريح يكره فيه، وهذا أمر غير مجمع عليه، ولذا قال أحمد والطبري: لا بأس بتقبيله والتزامه، وروي أن أبا أيوب الأنصاري كان يلتزم القبر الشريف، قيل: وهذا لغير من لم يغلبه الشوق والمحبة وهو كلام حسن.

وقال الخفاجي في موضع آخر عند قول أبي مليكة ـ من أحب أن يكون وجاه النبي فيجعل القنديل الذي في القبلة عند القبر على رأسه ـ: هو إرشاد لكيفية الزيارة وأن يكون بينه وبين القبر فاصل، فقيل: إنه يبعد عنه بمقدار أربعة أذرع وقيل ثلاثة، وهذا مبني على أن البعد أولى وأليق بالأدب كما كان في حياته ﷺ وعليه الأكثر، وذهب بعض المالكية إلى أن القرب أولى، وقيل: يعامل معاملته في حياته فيختلف ذلك باختلاف الناس، وهذا باعتبار ما كان في العصر الأول، وأما اليوم فعليه مقصورة تمنع من دنو الزائر فيقف عند الشباك[1].

وقال الشيخ إبراهيم الباجوري الشافعي في حاشيته على شرح ابن قاسم الغزي: يكره تقبيل القبر واستلامه ومثله التابوت الذي يجعل فوقه وكذلك تقبيل الأعتاب عند الدخول لزيارة الأولياء، إلا إن قصد به التبرك بهم فلا يكره، وإذا عجز من ذلك لازدحام ونحوه كاختلاط الرجال بالنساء كما يقع في زيارة سيدي أحمد البدوي، وقف في مكان يتمكن فيه من الوقوف بلا مشقة وقرأ ما تيسر وأشار بيده أونحوها ثم قبّل ذلك، فقد صرحوا بأنه إذا عجز عن استلام الحجر الأسود يسن له أن يشير بيده أو عصا ثم يقبلها[2].

---

(١) شرح الشفا للخفاجي ٣: ٥٧٧ ـ ٥٧١.

(٢) لاحظ الغدير ٥: ١٥٤.

أقول: ويمكن أن يكون استناده الى ما رواه مسلم وأبي داود من أن النبي ﷺ طاف راكباً وكان يستلم الركن بمحجنه ويقبل المحجن[١].

فعليه إذا جاز تقبيل المحجن لملامسة الركن، أفلا يجوز تقبيل قبر حلّ فيه أشرف الانبياء والمرسلين؟.

فان قلت: جواز تقبيل المحجن إقتداء بفعل رسول الله ﷺ ولو رأيناه يقبل القبر ما توقفنا في جوازه والعبادة بناءاً على الاتباع.

قلنا: استفدنا من تقبيله ﷺ المحجن[٢] الذي تبرك بملامسة الركن،جواز تقبيل كل مستحق للتعظيم على نحو ما استفاد ذلك بعض العلماء من تقبيل الحجر الأسود كما تقدم، حيث إن الخصوصية منتفية.

وقد حكى القسطلاني عن أصحاب المذاهب استلامه باليد وتقبيلها والإشارة إليه باليدين وتقبيلهما[٣].

وقال الشيخ حسن العدوي الحمزاوي المالكي بعد نقل عبارة الرملي المتقدم ذكرها: ولا مرية حينئذ أن تقبيل القبر الشريف لم يكن إلا للتبرك، فهو أولى من جواز ذلك لقبور الأولياء عند قصد التبرك،فيحمل ما قاله العارف على هذا المقصد، لا سيما وأن قبره الشريف روضة من رياض الجنة[٤].

فالمتحصل من هذه الطائفة من الأقوال أن التبرك بالقبر الشريف

---

(١) شرح صحيح مسلم للنووي ٩: ٢٠ ط دار الكتاب العربي ـ بيروت، عون المعبود شرح سنن أبي داود للعظيم آبادي ٥: ٢٣٤ ط دار الكتاب العلمية ـ بيروت.

(٢) المحجن بكسر الميم وسكون الحاء: عصا محنية الرأس.

(٣) إرشاد الساري للقسطلاني ٢: ١٦١ وراجع كشف الإرتياب: ٣٣٩.

(٤) كنز المطالب: ٢٠ ومشارق الأنوار للحمزاوي: ٦٦.

وسائر الآثار جائز خصوصاً إذا كان بقصد التبرك فإنه ممدوح، ولم يقل أحد بأنه عبادة لصاحب القبر وحرام كما قالته أتباع ابن تيمية.

ومنشأ الكراهة هو البعد عن الأدب بزعمهم لاغير.

وإليك طائفة أخرى من الكلمات الموهمة للمنع:

منها: ما قاله النووي: لا يجوز أن يطاف بقبره ﷺ ويكره إلصاق البطن والظهر بجدار القبر، قاله الحليمي وغيره، قال: ويكره مسحه باليد وتقبيله، بل الأدب أن يبعد كما يبعد منه لو حضر في حياته، هذا هو الصواب، وهو الذي قاله العلماء وأطبقوا عليه، ومن خطر بباله أن المسح باليد ونحوه أبلغ في البركة فهو من جهالته وغفلته، لأن البركة إنما هي فيما وافق الشرع وأقوال العلماء.انتهى كلام النووي[1].

فهذا ما قاله النووي، وهل يستفاد منه إلا كراهة التبرك الذي منشأه البعد عن الأدب، حيث إن الأدب ـ بزعمه ـ بأن يبعد عنه كما لو حضر في حياته.

وأين الإجماع الذي نُسب إليه ادعائه؟ فإن الذي قاله هو أن العلماء أطبقوا على أن الأدب هو البعد عنه ﷺ لا الإطباق على حرمة القرب من القبر والالصاق به.

مضافاً إلى أنه قال إن البركة بمطابقة الشرع وأقوال العلماء، ومسح القبر وتقبيله من سنن العلماء الموافقة للشرع كما ذكرنا سابقاً في مواضع كثيرة.

وقال الغزالي: مس المشاهد وتقبيلها عادة النصارى واليهود، وقال

---

(١) وفاء الوفا للسمهودي ٤: ١٤٠٢.

الأقشري: قال الزعفراني في كتابه: وضع اليد على القبر ومسه وتقبيله من البدع التي تنكر شرعاً[١].

وروي أن أنس بن مالك رأى رجلاً وضع يده على قبر النبي ﷺ، فنهاه، وقال: ما كنا نعرف هذا على عهد رسول الله ﷺ، وقد أنكره مالك والشافعي وأحمد أشد الإنكار[٢].

وقال ابن عساكر في تحفته: ليس من السنة أن يمس جدار القبر المقدس ولا أن يقبله ولا يطوف به كما يفعله الجهال، بل يكره ذلك ولا يجوز، والوقوف من بعد أقرب إلى الاحترام.

ثم روى من طريق أبي نعيم قال: أنبأنا عبد الله بن جعفر بن فارس، حدثنا أبو جعفر محمد بن عاصم، حدثنا أبو أسامة عن عبيد الله، عن نافع، أن ابن عمر كان يكره أن يكثر مس قبر النبي ﷺ.

وقال البرهان بن فرحون بعد ذكره: وهذا تقييد لما تقدم ـ وهو عن ابن عمر في القبر نفسه ـ فالجدر الظاهرة أخف، إذا لم يكثر منه، قال: وهو دال على قرب موقف الزائر، ويفسر معنى الدنو الذي عبر به مالك[٣].

وقال أبو بكر الأثرم: قلت لأبي عبد الله يعني ـ أحمد بن حنبل ـ قبر النبي يلمس ويتمسح به؟

قال لا أعرف هذا،قلت: فالمنبر، قال: أما المنبر فنعم، قد جاء فيه شيء يروونه عن ابن أبي فديك،عن ابن أبي ذئب، عن ابن عمر :أنه

---

(١) وفاء الوفا للسمهودي ٤: ١٤٠٢.

(٢) وفاء الوفا للسمهودي ٤: ١٤٠٢.

(٣) وفاء الوفا للسمهودي ٤: ١٤٠٣.

مسح المنبر، ويروونه عن سعيد بن المسيب في الرمانة، أي رمانة المنبر قبل احتراقه.

ويروى عن يحيى بن سيعد شيخ مالك أنه حيث أراد الخروج إلى العراق جاء إلى المنبر فمسحه ودعا، فرأيته استحسن ذلك، قلت لأبي عبد الله: إنهم يلصقون بطونهم بجدار القبر، وقلت له: ورأيت أهل العلم من أهل المدينة لا يمسونه، ويقومون ناحيته، ويسلمون، فقال أبو عبد الله: نعم، وهكذا كان ابن عمر يفعل ذلك، نقله ابن عبد الهادي عن تأليف ابن تيمية[1].

وأكثر شيء يتحصل من هذه الأقوال: هو أن مس القبر وتقبيله وأمثال ذلك شيء لم يعرف عند هؤلاء، وليس معناه أن التبرك عبادة لصاحب القبر كما ذهب إليه الخصم وكفّر المسلمين به.

وما يستفاد من بعضهم، أن عدم قربهم للقبر الشريف وعدم مسه كان للإحترام، بقرينة أن ابن عمر كان يكره أن يكثر مس القبر لا أصله.

وأما الجواب عن هذه الاقوال الموهمة للمنع:

فنقول: أما ما ورد عن أحمد أنه كان ينكره أشد الإنكار فهو معارض بما تقدم من حكاية عبد الله إبنه عنه من الترخيص، وقوله: هكذا كان ابن عمر يفعل، لا يدل على أنه رجح فعل ابن عمر، ولا يبعد أن ابن عمر لزعمه أن البعد أقرب من الأدب كان قد ابتعد عن القبر.

والدليل على أنه ليس مخالفاً لمس القبر والتبرك به، ما ورد من أنه كان يضع يده على القبر وأنه كان يكره إكثار المس لا أصله، وكراهته الإكثار لظنه سوء الأدب.

---

(١) وفاء الوفاء ٤: ١٤٠٣

مضافاً إلى أنه معارض أيضاً بما تقدم من وضع الزهراء البتول تراب القبر على عينها وبكائها وإنشادها: ما ذا على من شم تربة أحمد.....

والتزام أبي أيوب الأنصاري للقبر ورده على مروان.

وتمريغ بلال وجهه ووضعه على القبر الشريف.

ووضع الأعرابي وجهه على القبر وتلاوته تلك الآية ولم يعترضه أحد، مع أنّه كان في حضور أمير المؤمنين علي عليه السلام على رواية أو العتبي على الرواية الاخرى.

ومعارض أيضاً بما تقدم من استشفاء ابن المنكدر به بوضع خده عليه والاستشفاء أعظم من التبرك ودليل على أثر التبرك، وأمثال هذه المعارضات كثيرة.

ولذلك نرى أنه قد أجازه أبو الصيف اليماني أحد علماء مكة من الشافعية والمحب الطبري، وقال: إن عليه عمل العلماء الصالحين، وأنشد:

لو رأينا لسليمى أثراً ليجدنا ألف ألف للأثر[1]

وكيف يمكن أن يكون ابن عمر مخالفاً لمس القبر وتقبيله مع أنه كان يتبرك بمسح موضع جلوس النبي من المنبر، وهكذا مالك وسعيد ابن المسيب ويحيى بن سعيد شيخ مالك كما مر، فإنهم كانوا يمسحون المنبر الذي تبرك بجلوس النبي صلى الله عليه وآله برهة من الزمان، فما ظنك بالقبر الذي بورك بضم جسده الشريف طيلة الزمان؟ لا القبر فقط، بل قد تبركت البقعة، بل كل أرض المدينة بسبب حلول نبي الرحمة صلى الله عليه وآله فيها، فإن تلك البقعة تفتخر على سائر البقاع بسبب كونها روضة من رياض الجنة، وأن استجابة الدعاء ونزول البركات فيها، وعبادة الله تقع عليها وكلها لأجل

---

(١) وفاء الوفا ٤: ١٤٠٦.

من ضمتها، فمن حقها أن يكون فيها البركة والشفاء.

وأما أرض المدينة فليس بخفي فضائلها وشرافتها على ما سواها، فقد ورد في فضل المدينة روايات كثيرة وذكر السمهودي فصلاً في الاستشفاء بتراب المدينة وبتمرها، وذكر روايات منها:

قوله ﷺ: «**والذي نفسي بيده أن في غبارها شفاء من كل داء**».

وفي رواية زيادة: «**ومن الجذام والبرص**».

وقوله ﷺ: «عجوة المدينة شفاء من السقم وغبارها شفاء من الجذام».

وفي حديث رواه مسلم: «**من أكل سبع تمرات مما بين لابتيها حين يصبح لم يضره شيء حتى يمسي**».

وروي في الصحيحين: «**من تصبّح بسبع تمرات عجوة لم يضره في ذلك اليوم سم ولا سحر**». الى غير ذلك من الروايات[1].

ويقال أن العجوة مما غرسه النبي ﷺ بيده الشريفة بالمدينة وهو ضرب من التمر أكبر من الصيحاني يضرب إلى السواد، حكاه السمهودي عن إبن الأثير والبزار، وقال: فلعل الأوداء التي كاتب سلمان الفارسي أهله عليها وغرسها ﷺ بيده الشريفة بالفُقَير أو غيره من العالية كانت

---

(١) وفاء الوفا للسمهودي ١: ٦٧ نشر دار الكتب العلمية ـ بيروت، وتجد هذه الروايات في مجمع الزوائد للهيثمي ٥: ٤٤ و٨٩، فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي ٦: ١٣٦ ط دار الكتب العلمية، المعجم الأوسط للطبراني ٦: ١٣٠ ط مطبعة دار الحرمين، كنز العمال للمتقي الهندي ١٠: ٥٥، سبل الهدى والرشاد للصالحي الشامي ١٠: ٣٢٠ و١٢: ٢٠٣ ط دار الكتب العلمية ـ بيروت، السنن الكبرى ٨: ١٣٥، سنن أبي داود ٢: ٢٢٣ ط دار الفكر.

عجوة والعجوة توجد بالفقير إلى يومنا هذا. إنتهى كلام السمهودي[١].

والمتحصل من روايات فضل المدينة هو ما قاله السمهودي:

إنعقد الإجماع على تفضيل ما ضم الأعضاء الشريفة حتى على الكعبة، وأجمعوا على تفضيل مكة والمدينة على سائر البلاد، واختلفوا بان أيهما أفضل، فذهب عمر بن الخطاب وابنه عبد الله ومالك بن أنس وأكثر المدنيين إلى تفضيل المدينة.

ثم قال: وأحسن بعضهم فقال: الخلاف في غير الكعبة، فهي أفضل من المدينة ما عدا ما ضم الأعضاء الشريفة، وحكاية الإجماع على تفضيل ما ضم الأعضاء الشريفة نقله القاضي عياض والقاضي أبو الوليد الباجي قبله، كما قال الخطيب بن حملة.

وكذا نقله أبو اليمن بن عساكر وغيرهم مع التصريح بالتفضيل على الكعبة، بل نقل التاج السبكي عن ابن عقيل الحنبلي: بان تلك البقعة أفضل من العرش.

وقال التاج الفاكهي: قالوا: لاخلاف أن البقعة التي ضمنت الأعضاء الشريفة أفضل بقاع الأرض على الاطلاق حتى موضع الكعبة، ثم قال: وأقول أنا: أفضل بقاع السموات أيضاً، ولم أرَ من تعرض لذلك والذي أعتقده أن ذلك لو عرض على علماء الأمة لم يختلفوا فيه، وقد جاء أن السموات تشرقت بمواطئ قدميه ﷺ... إلى آخر ما ذكره السمهودي[٢].

فأسألك عزيزي القارئ: ما هو السبب والدليل الذي به بلغت المدينة من الفضل ما بلغت، بحيث صارت أفضل البلدان وحتى أفضل من مكة المكرمة أو ما عدا الكعبة الشريفة على بعض الاقوال أو على السموات؟

---

(١) وفاء الوفا ١: ٧١. والأوداء جمع ودى وهو صغير النخل.

(٢) وفاء الوفا ١: ٢٨ ط دار الكتب العلمية.

وإذا كنت طالباً للحق ومن أهل السداد لا أراك تقول في الجواب غير ما يؤيده الفؤاد، وهو أن هذه الفضائل كلها من بركات وجود الرسول المصطفى ﷺ فيها حياً وميتاً.

فإذا كان موضع القبر الشريف مفضّلاً على الكعبة وقد يُدّعى عليه الإجماع، فما المحذور في التبرك به وتعظيمه،لما قد فضله الله وعظمه؟، ولماذا يجعله المخالف كفراً وشركاً ويجعله من الوثنية، مع أنه قد اعترف بروايات فضل المدينة فضلاً عن القبر الشريف؟ أليس هذا من الحقد والعناد؟

نعم: إن المدينة المنورة وأهلها قد نالوا من الفضل بوجوده الشريف، بحيث ورد الحث على حفظ أهلها وإكرامهم وأنهم جيرانه ﷺ، وورد التحريض على الموت فيها وجوارها، وإن الله ﷻ ببركة النبي ﷺ عصمها من الدجال والطاعون وقد وردت الأحاديث الكثيرة في تحريمها.

ومن المعلوم أن هذه الفضائل كلها بسبب تشرف هذه البلدة بقدم النبي ﷺ وسكناه بها حياً وميتاً، وقد ثبت أن الأنبياء أحياء يرزقون، وإلا فهي كسائر البلدان، فمن كانت هذه حرمته وهذا فضله عند الله، بحيث سبق الأولين والآخرين، وبلغ من القرب الإلهي إلى حد لم يصله ملك مقرب ولا نبي مرسل حتى جبرئيل الأمين الذي توقف عند سدرة المنتهى وتجاوز نبينا الكريم إلى مقام قاب قوسين أو هو أدنى ووو...

أفلا يستحق ويسوغ أن يتبرك بقبره ويتمسح بتراب هذه حرمته عند الله تعالى، فقد روي: أن مالك مع ضعفه وكبر سنه لم يركب قط في أرض المدينة وكان يمشي عليها غير متنعل إحتراماً لمن مشى عليها وحلّ فيها.

ولكن من عجائب الزمان أن تأتي حثالة من الناس يحرمون زيارته ويكفرون من يتبرك بقبره وآثاره ﷺ ويجعلونه شركاً وكفراً، ويستدلون على مرامهم الفاسد بخبر عبادة يغوث ونسر الذين كانوا قوماً صالحين، والحال أن الذم الذي ورد،كان على عبادة صورهم، فقد ورد أن الآباء

تبركت بهم والأبناء الذين أتوا من بعدهم عبدت صورهم،فالذم للأبناء على العبادة لا للآباء على التبرك.

ومن المعلوم أن المسلمين سلفاً وخلفاً على اختلاف مذاهبهم لم يكن ولا واحد منهم كذلك ولا تجد أحداً يعظم كتاباً أو نبياً أو مكاناً أو عبداً صالحاً من غير قصد التقرب إلى الله أو إضافته إلى الله وطلب الثواب منه سبحانه.

والدليل عليه كما قلنا سابقا: أنه لو لم يُنسب ويضاف إلى الله لما كُرِّم وما عُظِّم وكان مع غيره سواء، فظهر أن هذا كله من باب طاعة الله وتعظيمه والتقرب إليه لا غير.

ومن هنا يظهر جواب ما قاله الغزالي من الشباهة باليهود والنصارى، على أن صرف كون عمل يشبه عمل النصارى واليهود ليس دليلاً على المنع، فإن كثيراً من عادات وسنن الأولين أنبيائهم وعقلائهم كانت متداولة بين المسلمين وقد عمل بها الرسول الأمين وأمضاها، فما ثبت من الشرع جوازه لا ينبغي أن يمنع إلا بدليل وهو مفقود في المقام.

وأما من زعم أن إطالة الوقوف ولمس القبر وإلصاق البطن والظهر به مناف للأدب، والأقرب للأدب الإجتناب عن هذه الأمور والإبتعاد عن القبر الشريف، فزعمه صرف توهم، لأن تلك الأفعال إذا كانت بقصد التبرك، فهي من كمال الأدب وهكذا إكثارها وإطالة الوقوف طلباً لزيادة البركة والثواب من الله وليس فيه شيئاً منافياً للأدب.

نعم إن الناس تختلف سلائقهم وحالاتهم، فبعض يرون تمام الأدب في عدم الالتصاق بقبره وأن يكون الزائر في مقابله مع حالة الحضور والخضوع، وبعض من شدة علاقته وشوقه لا يتمالك نفسه في أن يبتعد عنه، بل يلقي نفسه ويلتصق به ويقبله كما لو كان حياً ﷺ، فإذا كان قصد الجميع هو الأدب والاحترام معه وأن الأعمال بالنيات، فما هذا

الإصرار والتعصب على تخطئة بعض وتأييد بعض آخر، والحال أن كلهم سواء والكل ينالون من الثواب على قدر معرفتهم ونياتهم وإن الله لا يضيع أجر العاملين.

تنبيه:

لا ينبغي الإشكال في التبرك بالرسول المصطفى ﷺ وأهل بيته وآثارهم، بما يصدر من فعل عوام المسلمين، حيث يتخيل بعضهم أن الزيارة معناها إلقاء البدن على القبر والالتصاق به وتقبيله وأمثال ذلك وإن لم يتمكن منه فلا تصح زيارته.

فإن هذه الأفكار من قلة معرفتهم وعدم إطلاعهم وبساطتهم، ولابد من إرشادهم وتعليمهم الآداب الصحيحة في الزيارة والقراءة والكتابة.

فقد صادف بعض الأوقات حين الحضور في المشاهد لزيارة الأنوار المقدسة أن سألني بعض البسطاء بأني لم أتمكن من تقبيل الضريح المقدس ومسه لكثرة الزائرين وازدحامهم، فهل تقبل زيارتي؟

فقلت له بلسان طيب: نعم تقبل زيارتك، لان معنى الزيارة وحقيقتها هو الحضور عند المزور ومن آدابها أن يقف الزائر أمام المزور بتواضع وأدب وأن يتذكر حالات مزوره وخصوصياته وفضله وقربه عند الله، ثم يزوره بالزيارات الواردة إن أمكنه، وإلا فنفس السلام كاف في تحققها، ولا يشترط في الزيارة تقبيل الضريح ولمسه وأن يتحمل المشقة أو يصير سبباً لإيذاء الآخرين عند الإزدحام،وتارة يوجب رفع الأصوات التي هي خلاف الأدب والاحترام.

ثم قلت له: نعم لو لم يشق عليك ولا على الآخرين وتمكنت من تقبيله مع رعاية الأدب والاحترام قاصداً بذلك التبرك وزيادة الثواب والتقرب به إلى الله تعالى فهو راجح ومطلوب وفيه الثواب وتعظيم من

عظمه الله، وإلا فلا حاجة إليه ولا هو مشروط.

والحاصل أنه لابد لأهل المعرفة من إرشاد العوام إلى الصواب لا منعهم وزجرهم وهتك حرمتهم أو لاسمح الله تكفيرهم، لأنهم عباد الله وأحبائه وأعمالهم هذه ناشئة عن محبتهم وشوقهم ورجاءً لرضا الله وفضله والقرب منه، لكنهم جهلوا الطريقة والاسلوب اللائق.

فلا ينبغي لمنصف أن يحتج بعمل بعض العوام ويحرّم أصل المرام وهو التبرك بقبر خير الأنام وعترته الكرام عليهم صلوات الملك العلام.

فقد تحصل من جميع ما قدمناه لحد الآن: أن التبرك بالأنبياء والأولياء وآثارهم مهما كان وخصوصاً التبرك بالنبي وأهل بيته صلوات الله عليهم أجمعين وسائر آثارهم أمر راجح لا مانع منه شرعاً ولا عقلاً وفيه تعظيم ما عظمه الله مضافاً إلى أنه أمر عاطفي ذاتي بشري لا يُمنع منه.

ومنه يعلم أن كل ما له نسبة وإضافة إلى الله وإلى أولياء الله فهو مستحق للاحترام والتعظيم، لما ناله من الشرافة والفضل والبركة، سواء كان قبراً أو حجراً أوشعراً أو لباساً أو مكاناً أو موضع قدم، وحتى الأمكنة والأحجار المنسوبة إلى النبي المكرم أو أحد من أهل بيته مثل غار حراء أو شعب أبي طالب أو جبل فلان أو مقام فلان أو موضع قدم النبي ﷺ أو محل ولادته أو موضع قدم أحد من أهل بيته، ومن الجدير أن نذكر بعضها:

منها: موضع قدم الإمام الرضا عليه السلام بالقرب من نيشابور المسمى بـ (قدمگاه)، فهناك أثر قدم بضعة رسول الله ﷺ وقد نبع الماء من تحت قدمه المبارك وصار مكاناً مباركاً ولحد الآن يأتونه الناس ويتبركون به ويأخذون من ماء ذلك البئر الذي نبع ببركته.

ومنها: موضع يقال: إن أمير المؤمنين عليه السلام مرّ به وقد نبع الماء من تحت قدمه الشريف ويسمى ذلك الموضع بشاهان گرم آب بالقرب من

مشهد، فبركة أمير المؤمنين عليه السلام قد أعطى الله لهذه البئر خصوصية شفاء الأمراض الجلدية والعظمية وقد بني فيه حمامات وإلى حد الآن ينبع منه ماء حار ولهذا سمي به كَرم آب.

وأمثال هذه المواضع والمقامات التاريخية المباركة كثيرة وفي كثير من الأقطار والبلدان.

ومنها: ما يسمى بسرداب الغيبة الذي غاب في ذلك الموضع الإمام الحجة صلوات الله وسلامه عليه في مدينة سامراء على قولٍ.

ومنها: ما يسمى بمشهد النقطة، ومنها ما يسمى بمشهد السقط في حلب من سوريا، ويلحق بها أيضاً المواضع والأماكن التي ظهرت فيها كرامة من أحد أولياء الله المقربين وصار ذلك المكان مباركاً، ويلحق أيضاً بها كل مكان يذكر فيه اسم الله ويعبد فيه ويذكر فيه أولياءه المقربون وعباده الصالحون خاصة أهل بيت النبوة وموضع الرسالة صلوات الله عليهم أجمعين.

فمن المعلوم أن المكان الذي يذكر فيه الله سبحانه وفيه ذكر أوليائه يمتاز عما لا يذكر فيه الله ولا يعبد.

فقد ورد عن نافع، عن أم سلمة قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما من قوم اجتمعوا يذكرون فضائل محمد وآل محمد إلا هبطت ملائكة من السماء حتى لحقت بهم تحدثهم، فإذا تفرقوا عرجت الملائكة إلى السماء وتقول الملائكة الأُخر لهم إنا نشم رائحة منكم ما شممنا رائحة أطيب منها فتقول لهم: كنا مع قوم كانوا يذكرون فضل محمد ﷺ وآل محمد فعطّرونا، فتقول: اهبطوا بنا إليهم، فيقولون: إنّهم تفرقوا، فيقولون: اهبطوا**

بنا إلى المكان الذي كانوا فيه»[1].

وعن الصادق عليه السلام قال: إنّ من الملائكة الذين في سماء الدنيا ليطلعون على الواحد والاثنين والثلاثة وهم يذكرون فضل آل محمد عليهم السلام فيقولون: أما ترون هؤلاء في قلتهم وكثرة عدوهم يصفون آل محمد عليهم السلام فتقول الطائفة الأخرى من الملائكة: ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم[2].

فتحصل أن في تلك الأماكن من البركة ما ليس في غيرها والذي يستفاد مما قدمناه، أن الحسينيات وأمثالها في الفضل والشرافة من بعد المساجد، فكما أن الصلاة والذكر في المسجد يمتاز عن غيره من الأماكن العادية، فهكذا من بعد المساجد، الحسينيات وبعض المشاهد والمزارات التي تتعلق بأهل بيت النبي صلوات الله عليهم أجمعين من أولاد الأئمة عليهم السلام.

فلا تشك في أن هذه الأماكن والمقامات والآثار كلها مشمولة للأدلة ولا ريب في فضلها وشرفها عند الله وأن الدعاء أقرب للإجابة فيها من غيرها ونزول البركات من الله أكثر مما في غيرها من الأماكن العادية.

ولا ريب في جواز التبرك بها والصلاة فيها و.... بشرط أن يثبت صحتها بالطرق الصحيحة، لا بقول الجهال وعمل العوام الذي ربما لا أساس له في الكتب والتاريخ.

وإليك نموذجاً من هذه الأحجار المباركة التي قد أمضى بركتها الشارع المقدس.

---

(١) ينابيع المودة ٢: ٢٧٢، الكافي ٨: ١٥١ وفيه يذكرون فضل علي بن أبي طالب عليه السلام، مستدرك سفينة البحار ٢: ٧٩ وفيه بدل قوله (حتى لحقت بهم...) حتى تحف بهم وبدل (تقول الملائكة الآخر) فيقول لهم الملائكة.

(٢) روضة الكافي: ٣٤٤ ح ٥٢١، تفسير نور الثقلين ٥: ٣٢٤، بحار الأنوار ٧١: ٢٦٠، الوسائل للحر العاملي ١٦: ٣٤٦.

فقد روى السمهودي عن يحيى بن عباد أنه قال: أن بيت فاطمة الزهراء عليها السلام لما أخرجوا منه فاطمة بنت الحسين وزوجها حسن بن حسن وهدّموا البيت بعث الحسن إبنه جعفر وكان أكبر ولده فقال له: إذهب ولا تبرحن حتى يبنوا، فتنظر الحجر الذي من صفته كذا وكذا،هل يدخلونه في بنيانهم،فلم يزل يرصدهم حتى رفعوا الأساس وأخرجوا الحجر فجاء جعفر إلى أبيه فأخبره فخرّ ساجداً وقال: ذلك حجر كان النبي صلى الله عليه وآله يصلي إليه إذا دخل إلى فاطمة ـ أو كانت فاطمة تصلي إليه ـ الشك من يحيى ـ.

وقال علي بن موسى الرضا عليه السلام: ولدت فاطمة عليها السلام الحسن والحسين على ذلك الحجر.

قال يحيى: ورأيت الحسين بن عبد الله بن عبد الله بن الحسين ولم أر فينا رجلاً أفضل منه إذا اشتكى شيئاً من جسده كشف الحصى عن الحجر فيتمسح به الحديث.... [1].

وفي قصص الأنبياء: أن إبراهيم عليه السلام لما جاء لزيارة ولده إسماعيل بمكة، جاءته زوجة إسماعيل بحجر وهو حجر المقام الذي بنى عليه الكعبة، فجلس عليه فغاضت رجلاه في الحجر، فغسلت شقيه الأيمن والأيسر وأفاضت الماء على رأسه وبدنه وانصرف،فلما جاء إسماعيل وجد رائحة أبيه، فسأل زوجته، فأخبرته وقالت هذا موضع قدميه، فقبّل موضع قدم أبيه من الحجر وحفظه يتبرك به إلى أن بنى عليه فيما بعد إبراهيم عليه الصلاة والسلام الكعبة[2].

فهذا حال حجر تبرك بولادة فاطمة الزهراء عليها السلام ولديها عليه وبصلاة

---

(١) وفاء الوفا للسمهودي ٢: ٥٧٢.

(٢) تاريخ مكة المكرمة «بأعلام بيت الله الحرام» لقطب الدين الحنفي نقلاً عن كشف الارتياب: ١٤١.

أبيها أو صلاتها عليه،وهذا حال السلف الصالح في التبرك به والاستشفاء به، فما تقول في قبره الشريف وسائر آثاره؟ فهل يبقى عندك شك في جواز التبرك والتمسح والاستشفاء بها وطلب الحوائج من الله عندها؟ وما تقول في قبور أهل بيته المعصومين وسائر آثارهم؟

وما أظنك تفرق بينه وبينهم حيث أنهم من شجرة واحدة ونور واحد لحمهم من لحمه ودمهم من دمه، مَن أحبهم وعظمهم فقد أحب وعظم رسول الله ﷺ ومن عظمهم وأحبهم فقد عظم الله وأحبه،فحبهم وتعظيم شأنهم والتبرك بهم يرجع إلى الله ﷻ لأنهم من أشرف عباد الله وأفضلهم وأقربهم منزلة منه.

ثم إن تقبيل إسماعيل الحجر وتبركه به لابد أن يكون عند المخالفين كفراً وشركاً! العياذ بالله من هذه النسبة إلى أنبياء الله، وإلا فما مزية هذا الحجر على بقعة حَوَتْ جسد أشرف الأنبياء والمرسلين وسيدهم وقدوتهم، التي قد حرموا تقبيلها وزجروا الناس عن التبرك بها والوقوف عندها وجعلوه شركاً ومن عبادة غير الله.

والعجيب أنهم منعوا أيضاً عن التبرك بالبناء الذي على مقام إبراهيم عليه السلام الذي بلغ من الفضل عند الله ببركة وقوف خليله عليه أن أمر سبحانه بأن يتخذ مصلى فقال عزوجل: ﴿واتَّخذُوا مِنْ مَقَامِ إبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ فإذا كان الصلاة عند المقام مأموراً به وهو أعظم من تقبيله ولم ينهى عنه ولم يعدّه شركاً وعبادة لغيره، فما بال المانعين يمنعون التبرك به ويعدونه من العبادة لغيره، ويضربون الناس عليه إلى حد قد أدى في بعض الموارد إلى قذف الدم وتنجيس المسجد الحرام، فإنهم قد خالفوا الله بفعلهم هذا فضلاً عن خلق الله.

طواف القبور

طواف القبور

بقي الجواب عما أدعي من نسبة الطواف بالقبور.

فنقول وبالله نستعين: إن هذه النسبة لا أساس ولا صحة لها وهي من افتراءات الأعداء على زائري المشاهد المشرفة عموماً والشيعة خصوصاً، فقد اتهموهم بتهم سخيفة، منها: أنهم يطوفون حول القبور وينحرون الذبائح عندها ويطلبون من أصحاب القبور أموراً لا يقدر عليها إلا الله.

وقد تعدى بعضهم في الافتراء والكذب فقال: صنف المفيد أحد علمائهم كتاباً سماه (مناسك حج المشاهد)، وقال: إن معظمهم يعتقد أن الحج إليها أفضل من الحج إلى مكة.

وفي بعض كلماتهم: إنهم يحجون إليها كما يحجون إلى مكة، ومن هذا القبيل من الأكاذيب الواهية التي ينكرها كل من له أذن واعية.

والجواب عنها: أولاً: إن طواف الحج له كيفية خاصة ويتحقق بسبعة أشواط كاملة وهو أحد واجبات حج بيت الله الحرام بتمام أنواع الحج ولم يقل أحد من المسلمين من الشيعة والعامة علمائهم وعوامهم بجوازه في غير حج بيت الله الحرام، ولو فرض أن قال أحد به،فهو كافر ومبتدع.

وعليه فما يدعى من رؤية بعض الناس أنهم يطوفون حول القبور، فإن كان بقصد الطواف المخصوص الذي يقع في الحج وبتلك الكيفية أي كونه سبعة أشواط وبنية أنه مأمور به وعبادة فهو تشريع محرم قطعاً من أي أحد كان ولابد من النهي عنه.

لكن من المتيقن أن هذا النحو من الطواف لم يأت به أحد من المسلمين حتى عوامهم فضلاً عن علمائهم ولا يعتقد به أحد، بل الذي يقع عند بعض المسلمين هو التداور أطراف الأضرحة ولمسها وتقبيلها بقصد حصول البركة أكثر فأكثر بحيث لا يبقى جانب من القبر أو الضريح إلا وتناله بركته بلمسه وتقبيله، وهذا النحو من التبرك ليس شبيهاً بالطواف.

ولو فرض كونه شبيها بطواف الكعبة فإنه ليس بحرام ولا تشريع، حيث إنه ليس كل شبيه بالعبادة الخاصة يكون محرماً وممنوعاً، وإلا لحرم تقبيل الميت مثلاً، لشباهته بتقبيل الحجر الأسود ولا يقول به أحد، فإن ملاك الحرمة في أمثال هذه الموارد هو القصد والنية.

فلو فرض أن شخصاً طاف حول الضريح ولم يكن قصده طواف الحج وبنية العبادة ولا يعتقد بأنه من شرط صحة الزيارة، فهذا العمل ليس بحرام ولا إشكال فيه قطعا.

ولو فُرض أيضاً أن شخصاً وقع على العتبة لا بقصد أنه مأمور به أو جزء من الزيارة، فلم يكن محرماً ولا إشكال فيه، بل إذا كان بقصد التبرك والاحترام فهو مطلوب وفيه تعظيم من عظمه الله، فإن العتبة والقبر والحائط والضريح والباب وأمثالها كلها متعلقة بذلك المزور ومضافة إليه ومن آثاره، وقد ثبت أن التبرك بالآثار أيضا لا مانع منه، بل هو مطلوب أيضاً، وورد: إن الأعمال بالنيات،وليست كل شباهة بعبادة منهي عنها.

وأزيدك تأييداً ومثلاً: إن الشكر بنحو عام ولكل من له فضل على الانسان جائز وممدوح وإذا وقع لله كان عبادة له سبحانه، ولذا جاء الأمر به لغير الله في قوله تعالى: ﴿أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ﴾[1]، فلو كان الشكر لغيره عبادة للغير لما أمر به، وقد ورد كثيراً في الروايات الحث على الشكر لمن

---

(١) سورة لقمان: ١٤.

أحسن إلى الإنسان.

وأهم مثال هو: أن السجود لله عبادة وهي خاصة به، فلو سجد شخص لأحد السلاطين كان عبادة لغير الله ويُعدّ شركاً، وهكذا إذا سجد لصنم أو غيره، ولكن مع ذلك نرى صدور الأمر به لغيره تعالى، فقد سجدت الملائكة لآدم إلا إبليس أبى واستكبر فكان من الغاوين[1]، لعدم امتثاله لأمر رب العالمين، وقد أجمع المفسرون بأن سجدتهم لآدم ما كانت سجدة عبادة، بل كانت سجدة تعظيم لما في صلبه من الأنوار المقدسة وهو نور محمد وأهل بيته المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين.

فتبين أن المشابهة الظاهرية ليست ملاكاً في الشرك، بل الملاك هو القصد. فلو كانت المشابهة لعمل المشركين مؤثرة في الشرك، لما أمر به الله.

والمثال الآخر: هو سجود يعقوب وأبناؤه ليوسف، كما في قوله تعالى: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا﴾[2] وهو أيضاً سجود تعظيم لا عبادة، ومنه سجود الكواكب والشمس والقمر ليوسف، حيث قال: ﴿يا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا والشَّمْسَ والْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾[3]. فلو كان هذا النوع من السجود عبادة لغيره وشركاً به لما أمر الله به ولما أمضاه، كما في قصة يوسف.

وهكذا خفض جناح الذل للوالدين والخضوع لهما وتقبيل أيديهما وأرجلهما، كما ورد في القرآن الكريم: ﴿واخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ

---

(١) سورة الحجر: ٢٩ قوله تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾.

(٢) يوسف: ١٠٠.

(٣) يوسف: ٤.

الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً﴾ [١]. فإنه بأمر الله ويُعدّ طاعة له وعبادة له، مع أنه مشابه لعبادة الأصنام والخضوع لها في الظاهر، فلو كانت الشباهة موجبة للشرك لما أمر الله به وما رغّب فيه.

ومثله بيت الله الحرام والصفا والمروة، فالبيت من جهة الظاهر شبيهٌ بالأحجار والطين الذي يتخذه المشركون صنماً ويعبدونه، ولكن الله سبحانه قد أمر عباده بالطواف حول هذه الأحجار، قال سبحانه: ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ [٢].

وهكذا السعي بين الجبلين صفا ومروة، بحيث أصبحت من شعائر الله، فقال تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا...﴾ [٣].

فطواف المسلم حول هذه الأحجار عبادة لله وامتثال لأمره، والسعي بين الصفا والمروة عبادة لله ومَظهر لتوحيده وتذكر لعمل امرأة صالحة موحدة سعت بينهما لطلب الماء.

وبعكسه لو طاف شخص حول الأصنام التي صنعت من الحجر أو الطين أو سعى بين جبلين قد وُضع عليهما صنم لصار مشركاً.

فتحصل أنه لو كان ملاك الحرمة والشرك صرف الشباهة لما أمر الله سبحانه بهذه الأفعال، وظهر أن ملاك العبادة هو القصد والنية.

ويبتني على هذا الأصل سائر الأمور التي وقعت شبهة الشرك فيها.

---

(١) الإسراء: ٢٤.

(٢) الحج: ٢٥.

(٣) البقرة: ١٥٨.

ففي تقبيل واستلام الحجر الأسود شباهة شكلية وظاهرية لتقبيل الصنم واستلامه والتبرك به مع أن ذاك مستحب مؤكد وعبادة لله، وهذا حرام وشرك بالله.

فقد روي: أن عمر جاء إلى الحجر فقبّله وقال: إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أني رأيت رسول الله يقبلك ما قبلتك[1].

وفي رواية: أنه لما دخل المطاف استقبل الحجر وقال: إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولو لا أني رأيت رسول الله ﷺ قبلك ما قبلتك ثم قبله، فقال له علي عليه السلام: بلى يا أمير المؤمنين هو يضر وينفع، قال: بِمَ؟ قال: بكتاب الله، قال الله تعالى: ﴿وإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾[2].

خلق الله آدم ومسح على ظهره، فقررهم بأنه الرب وأنهم العبيد وأخذ عهودهم ومواثيقهم وكتب ذلك في رق وكان لهذا الحجر عينان ولسان، فقال له افتح فاك ففتح فاه فألقمه ذلك الرق، وقال اشهد لمن وافاك بالموافاة يوم القيامة، وإني أشهد لسمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يؤتى بالحجر الاسود يوم القيامة له لسان ذلق يشهد لمن يستلمه بالتوحيد**»، فهو يا أمير المؤمنين يضر وينفع، فقال عمر: أعوذ بالله أن أعيش في قوم لست فيهم يا أبا الحسن[3].

فإذا كان الملاك هو القصد فلا مانع أيضاً من التقبيل والطواف حول

---

(١) صحيح البخاري ٢: ١٨٣ ـ ١٨٦، صحيح مسلم ٢: ١٦٠، مسند أحمد ١: ١٦ و٤٦ و٢٦ و٣٦ و٥٣، سنن النسائي ٥: ٢٢٧، السنن الكبرى ٥: ٧٤، البداية والنهاية ٥: ١٥٣ بأسانيد متعددة، وقد ورد في كتب القوم مع اختلاف في اللفظ.

(٢) الاعراف: ١٧٢.

(٣) المستدرك للحاكم ١: ٤٥٧ وقد أورده الذهبي في تلخيصه للمستدرك بنفس الصفحة، فتح الباري ٣: ٣٧٠، الدر المنثور ٣: ١٤٤، وأورده إبن الجوزي في سيرة عمر ١٠٦، شرح ابن أبي الحديد ٣: ١٢٢، كنز العمال ٥: ٩٣، وتراه في كثير من كتبهم.

القبر النبوي الشريف وسائر آثاره والتبرك بها وقبور أهل بيته وسائر الأولياء وآثارهم إن كان لله ﷻ.

وهكذا الأمر أيضاً في تقديم الهدي في منى وشباهته بعمل المشركين في تقديمهم القرابين لأصنامهم، فإذا كان الملاك هو القصد فلا مانع من تقديم ثواب الذبائح والقرابين إلى النبي وأهل بيته وسائر الأولياء والصالحين إن كان العمل لله تعالى.

فقد ورد في الأحاديث: إن الاعمال بالنيات، وإنما لكل أمرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها وامرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه[1].

إذن للقصد دور مهم وحساس في تقبّل الأعمال وفسادها، وهو الملاك في تمييز العبادة لله والشرك به، وأما المشابهة فليس لها أي أثر في المسألة.

فاتضح مما تقدم: أن شبهة الخصوم في مسألة الطواف والتقبيل والتبرك كلها فاسدة.

لأن الطواف والتقبيل والتمسح من الأفعال التي لا تكون عبادة لغيره إلا إذا أتى بها بقصد عبادة غير الله، وإذا كان القصد لله فهي راجحة مطلوبة.

وقس على هذه الشبهة سائر شبهاتهم واتهاماتهم للمسلمين خاصة شيعة أمير المؤمنين عليه السلام.

وقد يتحير الإنسان من قلة حيائهم وكثره جرأتهم في نشر الأكاذيب والافتراءات المرسلة من خارج بلاد الإسلام، حيث ادعوا:

أن الشيعة يحجون إلى القبور وأن معظمهم يعتقد أن الحج إليها أفضل من الحج إلى مكة.

---

(١) فيض القدير للمناوي ١: ٣٠ ط مصر.

والحال أنك لم تعثر على واحد من الشيعة الإمامية من يتخيل بهذا الخيال الفاسد فضلاً عن اعتقاده، فإن حِجة الإسلام واجبة بنص القرآن والسنة ولا خلاف فيها بين الشيعة والسنة، وأن زيارة قبور الأئمة المعصومين وحتى زيارة قبر النبي الأمين صلوات الله عليهم أجمعين مستحبة، والمستحب لا ينوب ولا يقوم عن الواجب أصلاً ولا يسقط الفرض بالمستحب أبداً.

والعجب من غباء هؤلاء المخالفين في جعلهم الأكاذيب التي لم تلصق حتى بعوام المسلمين فضلاً عن علماء الدين، لأن الحج فريضة مركبة من مجموعة أجزاء وشرائط التي منها الطواف وليس الطواف لوحده حج، فلو فرضنا وسلمنا جدلاً أن بعض المسلمين يطوفون حول القبور، فهل تتحقق هذه الفريضة بصرف الطواف وهل يمكن تسمية هذا الطواف بالحج؟! فمن أين أتوا بهذه التهمة المضحكة؟!

فظهر أن نسبة أفضلية حج القبور على حج بيت الله الغفور صرف افتراء لا يصدر إلا من العدو.

وينبغي التنبيه على كلمة وهي: أنه قد وقع الكلام بين الأعلام حول زيارة الحسين عليه السلام في يوم عرفة لمن كان قد حج حجة الإسلام وسقطت عنه الفريضة وصار له مندوباً، فأيهما يقدم؟ الكون في عرفة أو كربلاء؟ فقال جمع من الأكابر بتقديم زيارة الحسين عليه السلام لمن لم تكن عليه فريضة الحج، وإلا فيقدم الفريضة عند الاستطاعة والإمكان.

وهذا القول ليس من عند أنفسهم، بل مستند إلى روايات كثيرة معتبرة وردت عن أئمة الهدى عليهم السلام في فضل زيارة الحسين عليه السلام وأهميتها، وقد تقدم ذكر بعضها.

هذا وقد تجاوز غباؤهم عن الحد حيث اتهموا أحد كبار علماء الشيعة بلا مدرك وتحقيق، فقالوا: بأن المفيد كتب كتاباً وسماه (مناسك حج المشاهد) وقد غفلوا من أن ليس كل الناس مثلهم أغبياء، فإن طالب الحقيقة يطالبهم

بالمدرك ويسألهم أين هذا الكتاب الذي لم يطلع عليه ولا يراه أحد لا من الشيعة ولا من السنة ولا يوجد اسمه وأثره في مصنفات الإمامية؟

فراجع الكتب الرجالية لهم والكتب التي ورد فيها أسماء مصنفاتهم، فهل ترى لهذا الكتاب من أثر؟

هذا العالم الرجالي الكبير أحمد بن علي النجاشي قد ذكر في كتابه ـ فهرست أسماء مصنفي الشيعة ـ في ترجمة الشيخ المفيد مائة وأربعين كتاباً له غير الرسائل ولم يذكر له كتاباً ولا رسالة بهذا الاسم.

نعم قد ألّف أكثر علماء الشيعة كتباً في مناسك الحج، كسائر علماء المذاهب ومن الشيعة الشيخ المفيد رحمه الله حيث ألف ثلاثة كتب باسم مناسك الحج، وقد خُصّصت هذه الكتب ببيان أعمال فريضة الحج.

وللمفيد أيضاً كتاباً باسم (المزار الصغير) وهو خاص بآداب الزيارة في المشاهد المشرفة،كما أن كثيراً من العلماء قد ألفوا في هذا الباب وسموه بالمزار، وليس ببعيد من هذه العصابة عند ما يحسّوا بهذه الفضيحة أن يضعوا كتاباً بهذا الاسم وينسبوه إلى المفيد، كما فعل أسلافهم في دسّ الروايات الموضوعة.

ولكن الباحث المنصف لا يغفل من أن علم الرجال قد أُسّس لأجل تشخيص هذه الأمور،فتمام مؤلفات رجال العلم مضبوطة محفوظة ولا يمكن الدس فيها، وإغواء المؤمنين بسببها. فبعد بيان هذه الحقائق والاطلاع على هذه الأكاذيب المدسوسة من الأيادي المرموزة أراك تقول: لعن الله كل كذاب أثيم ومفتر زنيم.

أو تقول: والدعاوي إن لم يقام عليها ببينات فأبناؤها أدعياء.

النذور

لأهل القبور

النذور لأهل القبور

هذه المقولة أيضاً من المقولات التي تفوه بها المخالفون لزيارة القبور من أجل تكفير الشيعة وسائر فرق المسلمين، فاتهموهم بأنهم يقدّمون القرابين والنذور التي لا تصح إلا لله، للنبي وآله صلوات الله عليهم أجمعين.

ففي كتاب فتح المجيد: والاحجار التي تقصد للتبرك والنذر لا يجوز إبقاء شيء منها على وجه الأرض مع القدرة على إزالتها[1].

وفي موضع آخر منه: المشاهد والأماكن وقبور الأولياء التي صارت محلاً للزيارة والخيرات والنذورات... كلها محل الشيطان، والتوقف في أماكن مثل الزينبية ورأس الحسين في سورية وكربلا والنجف حرام، وكان فيما مضى مثلها في الحجاز وبحمد الله قد أخربها عبد العزيز آل السعود، ونأمل من الله أن يخرب أمثالها[2].

ونقل عن ابن تيمية ومن تبعه: أن من نذر شيئاً لنبي من النبيين والأولياء من أهل القبور أو ذبح له ذبيحة، كان كالمشركين الذين يذبحون لأوثانهم وينذرون لها فهو عابد لغير الله فيكون بذلك كافراً[3].

وفي فرقان القرآن نقلاً عن ابن تيمية: من نذر شيئاً للنبي أو غيره من النبيين والأولياء من أهل القبور أو ذبح ذبيحة كان كالمشركين الذين

---

(١) فتح المجيد: ٢٧٤.

(٢) فتح المجيد: ١٣٧ وما نقلته ملخص ومضمون عبارته.

(٣) راجع كتاب مع الوهابيين للسبحاني.

يذبحون لأوثانهم وينذرون لها، فهو عابد لغير الله فيكون بذلك كافراً[1].

فنقول وبالله نستعين: إن هذه الفرية مثل سائر افتراءاتهم التي لصقوها بالمسلمين وخاصة شيعة أمير المؤمنين عليه السلام، لا صحة لها ولا أساس، بل هي ناشئة عن عداوتهم وحسدهم لآل المصطفى صلوات الله عليهم أجمعين.

فإن المتفق عليه عند الإمامية هو أن النذر والعهد والأضحية لا تكون إلا لله تعالى وهي جائزة في كل مكان ولا اختصاص لها بالمشاهد المشرفة وزائري قبور الأنبياء والأولياء، بل يمكن للإنسان أن ينذر لله في بيته أو أي مكان.

وللنذر صيغة خاصة لا يتحقق إلا بها، وهي بأن يقول: لله عليَّ نذر أن أفعل كذا وكذا ويُعيّن ما ينويه، وإن كان لنذره شرط فيظهر شرطه، مثلاً بأن يقول لله عليَّ نذر: إن قضيت حاجتي أو عوفي مرضي أوكذا وكذا أن أهدي المبلغ المعين أو الهدية المعينة أو ثواب عمل معين إلى شخص صالح معين سواء كان نبياً أو إماماً أو من أبناء الأئمة وغيرهم من الصالحين، وهذا النذر لله وليس لهم، والشاهد عليه كلمة (لله عليَّ) في نفس الصيغة.

وأما قول بعض الناس: نذرت للنبي أو نذرت للحسين عليه السلام أو لأبي الفضل العباس أو لمريضي أو لميتي أو لمسافري وأمثال ذلك، فالمراد من اللام هنا هي الجهة التي يصرف فيها الصدقة أو النذر من مصالح النبي أو الولي في حياته ومماته، وإلا فالنذر لله، نعم جهته إهداء الثواب للنبي أو الإمام أو ابن الامام أو الميت، أو جهته شفاء المريض وقضاء الحاجة، فليس اللام هنا هي نفس اللام الموجودة في نذرت لله أو لله عليَّ أو تصدقت لله، بل هي كاللام في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ﴾،

---

(١) فرقان القرآن: ١٣٢ للعزامي نقلاً من ابن تيمية في الرد عليه، وراجع الغدير ٥: ١٨١.

فإذا نذر الشيء له فهو لا يقصد إلا أن يتصدق بذلك عنه ويجعل ثوابه إليه، فيكون من هدية الاحياء للأموات أو الأحياء للأحياء المشروعة المثاب عليها.

ويؤيد ما ذكرنا من أن النذر إذا كان لله فهو راجح ولو في أي مكان سوى مكان يوجد فيه الأوثان، وبأي جهة سوى معصية الله، ما روى أبو داود السجستاني عن ثابت بن الضحاك قال: نذر رجل على عهد رسول الله ﷺ أن ينحر إبلاً ببوُانة فأتى رسول الله ﷺ فأخبره فقال ﷺ: «**هل كان فيها وثن يعبد من أوثان الجاهلية**» قال: لا، قال: «**فهل كان فيها عيد من أعيادهم**»؟ قال: لا، قال رسول الله ﷺ: «**أوف بنذرك فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله، ولا في ما لا يملك ابن آدم**»[1].

ويؤيده أيضاً ما نقل عن ميمونة بن كردم،ومضمونه أن أباها قال للنبي ﷺ إني نذرت أن أذبح خمسين شاة على بوانة، فقال ﷺ: «**هناك شيء من هذه النُصُب؟**»، فقال: لا، قال: «**فأوف بنذرك**»، فذبح تسعاً وأربعين وبقيت واحدة فجعل يعدو خلفها ويقول: اللهم أوف بنذري، حتى أمسكها فذبحها[2].

ويؤيده أيضاً ما قاله علماء السنة في هذه المسألة:

حيث قال الخالدي: إن المسألة تدور مدار نيات الناذرين، وإنما الأعمال بالنيات فإن كان قصد الناذر، الميت نفسه والتقرب إليه بذلك لم يجز قولاً واحداً، وإن كان قصده وجه الله تعالى وانتفاع الأحياء بوجه من الوجوه به

---

(١) أخرجه أبو داوود السجستاني في سننه ٢: ٨٠ بإسناده عن ثابت بن الضحاك.
البوانة: بضم الميم وتخفيف الواو، قصبة وراء ينبع قريبة من ساحل البحر كان يعبد فيها الأوثان.

(٢) معجم البلدان ٢: ٣٠٠.

وثوابه لذلك المنذور له سواء عين وجهاً من وجوه الانتفاع أو أطلق القول فيه ويكون هناك ما يطرد الصرف فيه في عرف الناس من مصالح الفقراء أو أهل بلده أو مجاوريه أو الفقراء عامة وأقرباء الميت أو نحو ذلك، ففي هذه الصورة يجب الوفاء بالنذور.

وحكى ما ذكره عن كثير من علماء عصره ومن قاربه، ومنهم، الأذرعي، والزركشي، وابن حجر الهيثمي، والرملي الشافعي والقباني البصري،والرافعي،والنووي، والرملي الحنفي، والغزي، والشيخ قاسم الحنفي[1].

وقال بعد ذكر حديثي أبي داود: وأما استدلال الخوارج بهذا الحديث على عدم جواز النذر في أماكن الأنبياء والصالحين زاعمين أن الأنبياء والصالحين أوثان والعياذ بالله أعياد من أعياد الجاهلية، فهو من ضلالهم وخرافاتهم وتجاسرهم على أنبياء الله وأوليائه، حتى سموهم أوثاناً وهذا غاية التحقير لهم خصوصاً الأنبياء، فان من انتقصهم ولو بالكناية يكفر ولا تقبل توبته ـ في بعض الأقوال ـ وهؤلاء المخذولون بجهلهم يسمون التوسل بهم عبادة ويسمونهم أوثاناً، فلا عبرة بجهالة هؤلاء وضلالتهم والله أعلم... [2].

وقال العزامي في الرد على ابن تيمية بعد ذكر كلامه المتقدم (من نذر شيئاً للنبي أو غيره...كان كالمشركين): ويُطيل في ذلك الكلام، واغتر بكلامه بعض من تأخر عنه من العلماء ممن ابتلى بصحبته أو صحبة تلاميذه، وهو منه تلبيس في الدين وصرف إلى معنى لا يريده مسلم من المسلمين.

ومن خبُر حال من فعل ذلك من المسلمين وجدهم لا يقصدون بذبائحهم ونذورهم للميتين من الأنبياء والأولياء إلا الصدقة عنهم،

---

(١) صلح الإخوان للخالدي: ١٠٢ ـ ١٠٩.

(٢) صلح الإخوان للخالدي: ١٠٩.

وجعل ثوابها إليهم، وقد علموا أن إجماع أهل السنة منعقد على أن صدقة الأحياء نافعة للأموات واصلة إليهم، والأحاديث في ذلك صحيحة مشهورة.

فمنها ما صح عن سعد: أنه سأل النبي ﷺ: أن أمي قد أفتلتت وأعلم أنها لو عاشت لتصدقت، فإن تصدقت عنها أينفعها ذلك؟ قال: «**نعم**»، فسأل النبي ﷺ: أيّ الصدقة أنفع يا رسول الله؟ قال: «**الماء**». فحفر بئراً وقال: هذه لأم سعد.

فهذه اللام هي الداخلة على الجهة التي وجهت إليها الصدقة لا على المعبود المتقرب إليه، وهي كذلك في كلام المسلمين، فهم سعديون لا وثنيون، وهي كاللام في قوله: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ﴾، لا كاللام التي في قول القائل: صليت لله ونذرت لله، فإذا ذبح للنبي أو نذر الشيء له فهو لا يقصد إلا أن يتصدق بذلك عنه، ويجعل ثوابه إليه فيكون من هدايا الأحياء للأموات المشروعة المثابة على إهدائها، والمسألة مبسوطة في كتب الفقه وفي كتب الرد على هذا الرجل ومن شايعه[1]...

فثبت أن النذر بالذبح وغيره للأنبياء والأولياء أمر مشروع سائغ وقدجرت عليه سيرة المسلمين عامة من دون أي اختصاص بفرقة دون أخرى، والناذر يثاب به إن كان نذره لله وذبح المنذور باسم الله، بمعنى أن الثواب لهم والمذبوح منذور لوجه الله،كقول الناس: ذبحت لميتي بمعنى تصدقت عنه ومثل قول القائل: ذبحت للضيف بمعنى أنه كان السبب في حصول الذبح، وليس هناك أي مانع من جواز نذر الذبح ولزوم الوفاء به إن كان على الوجه الذي ذكرناه، ولا يتصور من مسلم غيره.

ومع هذه التفاصيل وثبوت مشروعية النذور، فلو اتفق أن أحداً

---

(١) فرقان القرآن للعزامي: ١٣٣.

من العوام الذين لا معرفة لهم بالأحكام، نذر لهم ولم تكن نيته لله، فلا يتحقق نذره ولابد أن يرشد إلى الصواب، ولا يضر عمل العوام بأصل الأحكام، وإلا لعطلت كثير من العبادات لاشتباه بعض الجهال.

ثم إنه لابد من التنبيه على الفوائد والآثار الاجتماعية التي تحصل بسبب هذه الأعمال الخيرية، فان الناذر مضافاً إلى قضاء حاجته فهو بسبب نذره لله وتقديم الهدية والثواب للمنذور له قد أعان طائفة من المسلمين المحتاجين والفقراء الجائعين عند تقسيمها عليهم، حيث إن الله سبحانه غني عن العالمين لا يحتاج إلى نذورنا، وهكذا النبي أو الإمام أو أبناء الإمام ولا يصل من ذلك إليهم إلا الثواب، سوى ما يصرف منها في شؤونات المشاهد الموجبة لترفيع شأنها وتوفير إمكاناتها من أجل الزائرين فيكثّر وقوفهم ويفرّغ بالهم لذكر الله وعبادته فيها، وبها تتقوى كلمة التوحيد ودعائمها، ففي الحقيقة: الذي ينتفع بها هم هؤلاء المستحقون المحتفون بهذه الأماكن ونفس الزائرين أيضاً.

فظهر أن هذه الهدايا والنذورات تترتب عليها آثار اجتماعية وإنسانية كثيرة،وترتفع بها كثير من المشاكل العائلية، وقد حث الشارع المقدس عليها بأنحاء مختلفة وحذر عن تركها فقال صلى الله عليه وآله: «**من أصبح لا يهتم بأمور المسلمين فليس منهم ومن سمع رجلاً ينادي يا للمسلمين فلم يجبه فليس بمسلم**»[1].

وقال صلى الله عليه وآله: «**أيها الناس اعلموا أن كلكم راع وكلكم مسؤل عن رعيته**»[2]. وأمثال هذه.

وعلى أي حال نقول: إن النذور والهدايا لأهل القبور هي في الحقيقة

---

(١) الكافي ٢: ١٦٤ ح ٥ وتراه في أبواب أُخرى من هذا الكتاب، الجامع الصغير للسيوطي ٦: ٦٧ ط سنة ١٣٥٧.

(٢) صحيح مسلم كتاب الامارة ٣: ١٤٥٩ ط دار إحياء التراث.

نذور لله وهي من العبادات الراجحة وفيها من الفوائد الاجتماعية والتربوية ما لا يخفى على أحد حصولها، ومع وضوح الأمر لا يعتنى بمخالفة الحاسدين المعاندين.

والأصل الذي ارتكزت عليه مسألة التبرك والطواف والنذر، هو أن الملاك في تمييز ما كان عبادة لله ولغيره والشرك به هو القصد، لا صرف الشباهة الظاهرية بعمل المشركين، وإلا لصارت جملة من الأعمال التي أمر الله بها وحث عليها ـ وقد ذكرنا بعض أمثلتها ـ شركاً بالله وعبادة لغيره.

وعلى هذا الأصل الاصيل تترتب كثير من المسائل التي جعلها الخصم ذريعة للمنع من زيارة القبور والتبرك بها، ومنشأها الخلط والاشتباه في الملاك.

ومن تلك المسائل هي مسألة بناء المساجد حول القبور، والصلاة فيها والدعاء عندها، وتعمير القبور والمشاهد، وسيوافيك الكلام عنها إن شاء الله.

تعمير قبور الأنبياء
والأولياء والصلاة عندها

تعمير قبور الأنبياء والأولياء والصلاة عندها

لقد وقع النكير الأكيد والتكفير الشديد من جانب المانعين لزيارة القبور في تعمير القبور والمشاهد وبناء القبب والأضرحة عليها والمساجد حولها، وأفتوا بتخريبها وتسويتها وسعوا في درس آثارها وإهانتها بعبور الحيوانات عليها وتوسيخها، بنحو يبكي المؤمنون عند رؤية تلك القبور المخروبة والحرمات المهتوكة، وإلى حد يتعجب غير المسلمين من جفاء هؤلاء المنحرفين عن أئمة الدين، وشذوذهم عن المسلمين وحتى عن سائر الأمم في تعظيم أوليائهم، وكبرائهم وحفظ آثارهم وصيانتها من الإندراس.

فإن في تعظيمهم وحفظ آثارهم تذكراً لهم ولما دعوا الناس إليه من كلمة التوحيد وعبادة الله سبحانه وحده، والبعد عن الجهل والشرك.

والتذكر وحفظ الآثار يوجب عدم اندراس تلك الكلمة، بل تقويتها وتجذيرها في صفوف المسلمين وعلو أمر الدين المبين وأن لا يعلى عليه.

وهذا الأثر المهم هو الذي يخاف منه أعداء الدين، ولهذا بذلوا كل جهودهم في الصدّ عنه والمنع عن انتشار هذا النور العظيم، فقد خططوا كل المخططات في قلع جذور الدين وانحطاط المسلمين، ومن مخططاتهم التوغل في صفوف المسلمين واستخدام المنحرفين لأجل إيجاد التفرقة بين الموحدين وزرع المذاهب والعقائد الفاسدة بينهم وإلقاء الشبهات المدلسة في أذهانهم ونشر الفساد والفحشاء في بلادهم وتشجيع الناس وبالأخص الشباب في مخالفة أوامر ربهم.

ونتيجة هذه الأمور هو التسلط عليهم والقدرة على محو آثار أوليائهم وانطماس أعلامها وقد حققوا كثيراً من هذه الأهداف على أيدي عملائهم.

ويؤيد ما ذكرناه ما ورد في مذكرات الهمفري الجاسوس البريطاني وغيره من الجواسيس. وإليك بعضها:

من نقاط القوة التي يجب تضعيفها: يجب صرف المسلمين عن العبادات والتشكيك في وجوبها وتلقينهم بأن الله غني عن إطاعة الناس، ويلزم المنع الشديد عن الحج وعن كل اجتماع بين المسلمين مثل (صلاة الجماعة) وحضور مجالس الحسين والمسيرات الحزينة له، كما يلزم المنع الشديد عن بناء المساجد والمشاهد والكعبة والحسينيات والمدارس.

ومنها: المقابر، فاللازم هدمها بدليل أنها لم تكن في عصر النبي وإنها بدعة،كما أن اللازم صرف الناس عن الزيارات بالتشكيك في كون هذه المقابر للنبي والأئمة والصالحين...

والبقيع يجب تسويتها مع الأرض كما يجب هدم كل القباب والأضرحة الموجودة للمسلمين في كل بلادهم[1].

وقد شاهد التاريخ تحقيق هذه الامور على يد هؤلاء المنتسبين إلى الاسلام ـ وبدعوى حفظ الاسلام ـ، وكان تحققها في ضمن استخدام المال والسلاح، والتهديد والإرعاب وسفك الدماء وهتك الأعراض.

ومنها: تكفير كل المسلمين وإباحة قتلهم وسلب أموالهم وهتك أعراضهم وبيعهم في أسواق النخاسة وتجويز جعلهم عبيداً ونسائهم جواري.

ومنها: هدم الكعبة باسم أنها آثار الوثنية إن أمكن ومنع الناس عن الحج وإغراء القبائل بسلب الحجاج وقتلهم.

---

(١) راجع مذكرات الهمفري: ٥٧ ـ ٥٨.

ومنها: هدم القباب والأضرحة والأماكن المقدسة عند المسلمين في مكة والمدينة وسائر البلاد التي يمكنه ذلك فيها، باسم أنها وثنية وشرك، والاستهانة بشخصية النبي محمد وخلفائه رجال الإسلام بما تيسر[1].

فقد تحققت كثير من تلك الأُمنيات على يد بعض المنحرفين وشاهد العالم الإسلامي فجايعهم وسجّل التاريخ جناياتهم وجسارتهم على أعلام الدين وأركان المؤمنين في تخريب قبورهم وهدم مشاهدهم والإغارة على الأموال والمجوهرات التي كانت فيها وسفك دماء المؤمنين الأبرياء وهتك نواميسهم.

فإنهم لما تمكنوا من بسط سلطتهم على مكة المكرمة والمدينة المنورة وأطرافها، أخذوا في إجراء أفكارهم بلباس ديني مزوّر، بأن أرسلوا سليمان بن بلهيد قاضي قضاة نجد للاستفتاء من علماء المدينة للحصول على مبرر شرعي لعملهم الشنيع الذي لم يكن يوافق عليه أهل الإسلام فضلاً عن علمائهم.

وكان من تدليسهم، أن الأسئلة التي طرحها ابن بلهيد كانت تحتوي على الأجوبة في ضمنها، وكان المفروض على علماء المدينة الجواب طبق ما حوت الأسئلة لا طبقاً لنظرهم وإلا لاتُهموا بالكفر والشرك ولحُكِم بقتلهم وهتك أعراضهم، لأن تلك الجماعة كان دخولهم المدينة وسيطرتهم عليها بالرعب والإرهاب وسفك الدماء وهتك النواميس، فما كان لأحد الجرأة على مخالفتهم.

وأما متن أسئلتهم التي نشرته جريدة أم القرى في شوال ١٣٤٤هـ وأدى إلى إثارة ضجة كبيرة بين المسلمين شيعة وسنة، لأن المسلمين كانوا يعلمون بأن هذا الاستفتاء وإن كان قد حصل بالتهديد والإرعاب لكنه

---

(١) راجع مذكرات الهمفري: ٦٧.

سيؤدي إلى هدم مشاهد أئمة المسلمين وقبورهم سريعاً لما رأوا من القساوة والجلادة في هذه العصابة، فعندما تمّ الاستفتاء من جمع من العلماء هجموا على بقيع الغرقد وخرّبوا تلك القبور الطاهرة والقباب المنورة لأهل بيت الوحي وأئمة الهدى ونهبوا جميع الآثار النفيسة التي كانت فيها وحولوا تلك المشاهد الشريفة إلى مزبلة تثير الرعب والوحشة في قلب كل من يشاهدها من الزائرين بدل ما يهيئوا الامكانات الرفاهية لزائري تلك القبور المقدسة.

وإليك متن الأسئلة، ولا تغفل عن الجواب الذي لُقّن في ضمنها.

الأسئلة الموجهّة إلى علماء المدينة

قال ابن بلهيد في سؤاله: ما قول علماء المدينة زادهم الله فهماً وعلماً في البناء على القبور واتخاذها مساجد، هل هو جائز أم لا؟ وإذا كان غير جائز، بل ممنوع منهي عنه نهياً شديداً، فهل يجب هدمها ومنع الصلاة عندها أم لا؟ وإذا كان البناء في مسبلة كالبقيع وهو مانع من الانتفاع بالمقدار المبني عليه، فهل هو غصب يجب رفعه لما فيه من ظلم المستحقين ومنعهم استحقاقهم أم لا؟

وما يفعله الجهال عند هذه الضرائح من التمسح بها ودعائها مع الله والتقرب بالذبح والنذر لها وإيقاد السُرُج عليها هل هو جائز أم لا؟

وما يفعل عند حجرة النبي ﷺ من التوجه إليها عند الدعاء وغيره والطواف بها وتقبيله والتمسح بها، وكذلك ما يفعل في المسجد من الترحيم والتذكير بين الأذان والإقامة وقبل الفجر ويوم الجمعة هل هو مشروع أم لا؟ أفتونا مأجورين وبينوا لنا الأدلة المستند إليها لازلتم ملجأ

للمستفيدين؟[١]

نص الجواب المنسوب إلى علماء المدينة

أما البناء على القبور فهو ممنوع إجماعاً لصحة الأحاديث الواردة في منعه ولهذا أفتى كثير من العلماء بوجوب هدمه مستندين إلى ذلك بحديث علي عليه السلام أنه قال لأبي الهياج: (ألا أبعثك على ما بعثني رسول الله ﷺ: أن لا تدع تمثالاً إلا طمسته ولا قبراً مشرفاً إلا سويته). رواه مسلم.

وأما اتخاذ القبور مساجد والصلاة فيها وإيقاد السرج عليها، فممنوع لحديث ابن عباس: «**لعن الله زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج**»، رواه أهل السنن والصحاح.

وأما ما يفعله الجهال عند الضرائح من التمسح بها والتقرب إليها بالذبائح والنذور ودعاء أهلها مع الله، فهو حرام ممنوع شرعاً لا يجوز فعله أصلاً.

وأما التوجه إلى حجرة النبي ﷺ عند الدعاء، فالأولى منعه كما هو معروف من معتبرات كتب المذاهب، ولأن أفضل الجهات جهة القبلة.

وأما الطواف والتمسح بها وتقبيلها، فهو ممنوع مطلقاً.

وأما ما يفعل من التذكير والترحيم والتسليم في الأوقات المذكورة فهو محدث، هذا ما وصل إليه علمنا. انتهى[٢].

---

(١) جريدة أم القرى العدد ٦٩ بتاريخ ١٧ شوال ١٣٤٤، وقد علقت على هذه الفتوى بمقالة افتتاحية قائلة: إن الحكومة ستسير في تنفيذ أحكام الدين رضي الناس أم كرهوا.

(٢) لاحظ كشف الارتياب: ٣٥٩.

ونحن نتعرض للجواب عن هذه الفتوى المنسوبة بما يرتبط ببحثنا، وقد تعرضنا للجواب عن قسم منها سابقاً في موضوع التبرك والطواف حول القبور إذا شئت فراجع حتى تتضح لك سفاهة هذه الكلمات.

نظرة في الفتوى المنسوبة

فأنت أيها القارئ الكريم لما تنظر إلى متن السؤال وتلقين الجواب ضمنه تعلم جيداً بأن الهدف من السؤال ليس هو كسب التكليف الشرعي، بل الهدف هو الحصول على مستمسك يضل به الرأي العام حتى لا يُثار عليهم وبالنتيجة تدمير آثار الدعوة النبوية ومعالمها، وإلا فما الداعي لهم لتلقين الجواب في ضمن السؤال، ومن خلال القرائن الموجودة من الخوف والإرهاب وتلقين الجواب وادعاء الإجماع على التحريم ومطابقة الجواب مع الألفاظ الملقنة في السؤال ومطابقته أيضاً مع سائر كلمات المانعين في رسائلهم وكتبهم، يمكننا القول بأن تلك الأسئلة والأجوبة مجعونة مزورة.

ولو سُلّم وجودها وإمضاء العلماء لها، فإنها قد أُعدّت مع أجوبتها أولاً، ثم قُدّمت للعلماء لجهة الإمضاء فقط لا إظهار النظر، بدليل أنه ليس من المعقول أن يكون نظرهم وفتواهم هكذا في مدة طويلة من الزمن ولم يظهروه لأي أحد من الناس، فإن وظيفة العالم أن يظهر علمه وينهى الناس عما يراه بدعة وشركاً بالله، وهل هناك أهم من هذه المسائل التوحيدية؟

وكيف يعقل أن يتغير نظرهم تجاه هذه المسألة فجأة، وكان عليها عملهم وعمل العلماء الماضين والصحابة والتابعين وسيرة الصالحين المسلمين ولم يوجد لها أي مخالف ونكير، بل قد أمضاها النبي الكريم وأصحابه الصالحون والأئمة الميامين.

وكيف تصدر منهم فتوى بتحريم البناء على القبور ولزوم تخريبها،

والحال أنهم كانوا وآبائهم من المروجين لآثار النبوة وحماتها وزوارها خلال سنين متمادية.

فهل يبقى لك تردد في القول بأنها مزورة، أو صدرت خوفاً من الجلادين وليس لها أي اعتبار عند المسلمين.

وأما الجواب عن الفتوى فضلاً عن تزويرها:

فهو يرتكز على أمور:

الأول: الإجماع المدعى.

والجواب عنه: أنه أين كان هذا الإجماع الذي لم يعلم به أحد من المسلمين،علماؤهم وعوامهم،فلو كان هذا الإجماع موجوداً في مثل هذه المسالة المهمة لبان ولنقله علماء المسلمين في كتبهم.

والحال أن السيرة قامت على خلاف ذلك حيث نرى المسلمين في كل زمان على مدى التاريخ ـ عدا ابن عبد الوهاب ـ قد أجمعوا وتوافقوا ولم يعترض أحد منهم على مسألة البناء على قبور الأنبياء والأولياء والصلحاء وتعظيمهم وزيارتهم في جميع البلدان والأمصار.

فإن هذه السيرة كانت ثابتة في زمن النبي ﷺ بالنسبة إلى قبور بعض الأنبياء والأولياء ولم يردع عنها،بل أمضاها وسيأتي الكلام عنها.

كما أنها كانت ثابتة في زمن الأئمة الأطهار أوصياء النبي المختار ولم يردعوا عنها،بل كانوا يعملون بها،فلو كان البناء على القبور كفراً وشركاً لماذا لم ينكروا عليه؟

فنفس قيام السيرة المستمرة من المسلمين إجماع عملي يشملها دليل حجية الإجماع لكشفها كشفاً قطعياً لا يعتريه ريب عن نظر الشارع المقدس، وبها يعلم عدم وجود أي مخالف فضلاً عن الإجماع.

نعم يمكن أن يكون هذا الإجماع مخفياً ومضموماً عند الأجانب الكفار فأظهروه لعملائهم الفجار، ثم لقنوه لهؤلاء العلماء مع الخوف والإجبار!!

واعلم أنه لا يضر بتلك السيرة العظيمة التي سنفصل لك الكلام حولها إن شاء الله، ما قد يوجد في بعض الكتب من المنع عن البناء على القبور استناداً إلى بعض الروايات المخدوشة من حيث السند والدلالة والشذوذ وعدم عمل الأصحاب والمسلمين بها، فإن تلك الأقوال مردودة حتماً.

والعجب من غفلة هذه العصابة من أنه لو كانت الروايات المانعة عن البناء معتبرة عند علماء المسلمين لالتفتوا إليها وعملوا بها، ولما تحققت تلك السيرة المتبعة عند جميع الأجيال، ولأمر النبي ﷺ بهدم قبور الأنبياء المرسلين والأولياء في أنحاء العالم الإسلامي حيث كانت قبورهم مشيدة في زمانه ﷺ وبقيت مشيّدة إلى زماننا هذا.

والأعجب من ذلك أنهم قد اعترفوا بتلك السيرة المتحققة، فهذا الصنعاني المؤيد لهم قد اعترف في رسالته الموسومة بتطهير الاعتقاد، حيث أورد على نفسه سؤالاً بأن هذا أمر عم البلاد وطبق الأرض شرقاً وغرباً بحيث لا بلدة من بلاد الإسلام إلا وفيها قبور ومشاهد.

بل مساجد المسلمين غالبها لا تخلو عن قبر أو مشهد ولا يسع عقل عاقل بأن يكون هذا منكراً يبلغ إلى ما ذُكر من الشناعة ويسكت عليها علماء الإسلام الذين ثبتت لهم الوطأة في جميع جهات الدنيا.

ولكنه ما أنصف في الجواب وغض نظره عن أن هذه السيرة كانت من زمن النبي ﷺ والخلفاء وكانوا قادرين على المنع والإرشاد ومع ذلك لم يمنعوا عنها، بل كانوا عاملين بها، وأحسن دليل عليه دفن نفس النبي ﷺ في حجرته واتخاذ البناء حول قبره الشريف.

فتراه قد تكلم بكلمات تضحك ذوي الألباب ومحصلها حيث لا طائل في نقل تمامها هو: أن سكوت العلماء عن وقوع منكر ليس دليلاً على الجواز، وقاس مسألة البناء بالمكوس التي أخذ بها الحكام والملوك، المعلوم حرمتها بالضرورة من الدين، وقاس أيضاً هذه المسألة بالمقامات الأربعة التي وضعت لعلماء المذاهب في بيت الله الحرام، وأن هذه الأمور قد سكت عنها العلماء، واستنتج من هذا القياس الفارق أن سكوت العلماء عن أمر بدعي ليس دليلاً على الجواز.

وغفل عن أن قياسه تلك الأمور بالبناء على القبور، قياسٌ مع الفارق.

أما الفارق في **الأول**: هو أن الآخذين للمكوس هم الحكام وأعوانهم فقط لكن البانين للقبور والمشاهد والمعظمين لها والمتبركين بها هم الزوار الموحدون وجميع طبقات المسلمين هذا أولاً.

وثانياً: إن المكوس أُمور حكومية تعارض فيها الحكام الذين تخاف سطوتهم لمنافاة تركها لمصلحتهم وإخلاله بأُمور دولتهم، بخلاف بناء القبور وتعظيمها والتبرك بها فإنها أُمور دينية صرفة يؤول أمرها إلى العلماء والمتدينين، فسكوت العلماء عن المكوس لا يدل على رضاهم لأنه بالقهر والغلبة، بخلاف البناء والتعظيم، فإنه يدل على رضاهم،لأن أمره بيدهم، ولا محذور ولا خوف في مخالفتهم إذا كان مخالفاً للشرع.

وثالثاً: كيف يقال إن العلماء كانوا ساكتين عن المخالفة في مسألة المكوس، والحال أن جميعهم قد أعلنوا بتحريم المكوس وذم قابضها وأفتوا بالتجنب عنها بحيث أجابوا بذلك كل من سألهم عنها وأثبتوه في كتبهم ومجتمعاتهم والناس يعرفون حكمه ولا يخاف أحد منهم من الحكام الآخذين للمكوس.

وحتى أن نفس الصنعاني قد صرح بحكمه في كتابه مع أنه كان في زمانهم، ولو أنهم لم يكونوا قادرين على المنع منه حيث إنه أمر حكومي،

فثبت أنهم لم يكونوا ساكتين عن التحريم.

فتحصل أن القياس باطل من جميع الجهات، وأن سكوت العلماء، بل عملهم دليلٌ قاطعٌ على الجواز،بل الرجحان وليس ناشئاً عن الخوف والخذلان خصوصاً أنه كان في صدر الإسلام ولم يمنع منه الخلفاء ولا علماء الإسلام.

وأما المقامات الأربعة التي وضعت للأئمة الأربعة فتمثيله بها أظهر فساداً من مسألة المكوس، لأن المكوس معلوم حرمتها وأنكرها جميع العلماء بخلاف المقامات الأربعة حيث لم يسمع من أحد إنكارها قبل ابن عبد الوهاب، مع أنها مسألة دينية ولا خوف في مخالفتها أصلاً، وليس كل مالم يكن في زمن النبي ﷺ ولا كل ما لم يرد بخصوصه نص، بدعة بعد دخوله في عمومات أدلة الشرع وإطلاقاتها، وعدم مخالفته لأحكام الدين.

هذا مضافاً إلى أن قياس البناء على القبور بالمقامات الأربعة باطل أيضاً لأن البناء على القبور قد اتفق على فعله جميع طوائف المسلمين إلا الوهابية، وأما المقامات الأربعة فاختص فعلها بأهل المذاهب الأربعة لا كل المسلمين.

ولا نطيل بالجواب عنه، لأن كلامه واضح الفساد ولا طائل في جوابه أكثر من هذا، وإذا شئت فراجع كتاب كشف الارتياب.

ولنرجع إلى جواب الفتوى المنسوبة، ونقول: إن الإجماع الذي ادعوه قد عللوه بصحة الأحاديث المنقولة فيكون متوقفاً على صحتها.

والجواب عنه مضافاً إلى ما قلنا سابقاً من عدم تحقق هذا الإجماع وأنه كذب مفترى على علماء الإسلام ومعارض بسيرة المسلمين التي هي أقوى من الإجماع اللفظي، أن هذه العلة عليلة جداً لا يعتمد عليها ولا يستند بها، فإن صرف صحة الحديث بنظرهم وادعائهم ليس معناه صحته عند الآخرين أيضاً، فلابد من البحث عنه، وعليه فكيف يدعون الإجماع ويركزونه على أساس متزلزل ويعللونه به.

فسوف تعلم إن شاء الله أن الأحاديث التي يستندون بها مخدوشة سنداً ومتناً ودلالة.

فإذا خرب الأساس خرب كل البناء وهو ادعائهم الإجماع على تحريم البناء، ويستفاد من نفس كلامهم أيضاً تكذيب الإجماع ففي قولهم: (ولهذا أفتى كثير من العلماء بوجوب هدمه) دلالة على عدم إفتائهم جميعاً، وإلا فلماذا لم يقولوا أفتى جميع العلماء.

الأحاديث التي استدل بها الخصم

فهي كما قلنا سابقاً مخدوشة سنداً ومتناً ودلالة ولا يمكن الاستناد بها أصلاً، وهي:

الأول: حديث أبي الهياج عن علي عليه الصلاة والسلام أنه قال لأبي الهياج: ألا أبعثك على ما بعثني رسول الله ﷺ: أن لا تدع تمثالاً إلا طمسته ولا قبراً إلا سويته.

الثاني: حديث جابر، قال: نهى رسول الله ﷺ أن يجصص القبر، وأن يقعد عليه وأن يبنى عليه.

الثالث: حديث أبي سعيد وأم سلمة: نهى رسول الله ﷺ أن يبنى على القبر أو يجصص.

هذه هي الأحاديث التي استخدمتها أعداء الدين لتكون ذريعة لتدمير الآثار الإسلامية وعلامات التوحيد، لكنهم فشلوا هذه المرة أيضاً في ذريعتهم وما ربحت تجارتهم.

فلنشرع في دراستها حتى يتضح للقارئ العزيز ثمن بضاعة الخصم وحالها.

نظرة في الأحاديث
المانعة عن البناء على القبور

الحديث الأول:

فقد رواه مسلم في صحيحه عن وكيع، عن سفيان الثوري، عن حبيب ابن أبي ثابت، عن أبي وائل الأسدي، عن أبي الهياج الأسدي، قال: قال لي علي بن أبي طالب: (ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ أن لا تدع تمثالاً إلا طمسته ولا قبراً مشرفاً إلا سويته) [1].

وورد هذا الحديث بنحو أتم من الأول، وتمامه أنه قال عليه السلام قبل النبي تقدم: (كان رسول الله ﷺ في جنازة، فقال:«**أيكم ينطلق إلى المدينة فلا يدع بها وثناً إلا كسره ولا قبراً إلا سواه ولا صورة إلا لطخها؟**» فقال علي عليه السلام: أنا أنطلق يا رسول الله، قال فانطلق، ثم رجع، فقال: يا رسول الله لم أدع بها وثناً إلا كسرته، ولا قبراً إلا سويته ولا صورة إلا لطختها) [2].

وقد تكرر ذكر هذا الحديث في الكتب واكتفينا بهذين اللفظين حيث إن أحدهما متمم للآخر.

أما الكلام في سنده:

فقد وقع في سنده من لا يعتمد عليه وهم:

١ـ وكيع ٢ـ سفيان الثوري ٣ـ حبيب بن أبي ثابت ٤ـ أبو وائل

---

(١) صحيح مسلم: ٣، كتاب الجنائز: ٦٠، وسنن الترمذي ٢: ٢٥٦، باب ما جاء في تسوية القبور.

(٢) مسند أحمد ١: ٧٨، ٨٩، ٩٦، ١١٠، ١٢٨، ١٣٨، ١٤٥، ١٥٠، ومسند الطيالسي: ٩٦، ١٥٥.

الأسدي.

الأول: وكيع بن الجراح بن مليح، الرواسي الكوفي، روى عن عدة،منهم سفيان الثوري، وروى عنه جماعة منهم يحيى، وهو مع ما مدحوه قد نقلوا فيه قدحاً كثيراً يغلب على المدح.

فقد قال في حقه أحمد بن حنبل: أنه أخطأ في خمسمائة حديث، وحكاه عنه الحافظ ابن حجر العسقلاني عن عبد الله بن أحمد عن أبيه.

وقال عبد الله بن حنبل في موضع آخر: ابن مهدي أكثر تصحيفاً من وكيع ووكيع أكثر خطأ منه.

وقال أيضاً: قال آخر في ترجمته: قال محمد بن نصر المروزي: كان يحدث بآخره من حفظه فيغير ألفاظ الحديث، كأنه كان يحدث بالمعنى ولم يكن من أهل اللسان[١].

وقال العسقلاني أيضاً: قال ابن عماد: قلت لوكيع: عدوا عليك بالبصرة أربعة أحاديث غلطت فيها؟

فقال: حدثتهم بعبادان بنحو من ألف وخمسمائة، وأربعة ليس بكثير في ألف وخمسمائة.

وقال علي بن المديني: كان وكيع يلحن ولو حدث بألفاظه لكان عجباً[٢].

وقال الذهبي بعدما مدحه: قال ابن المديني: كان وكيع يلحن ولو حدث بألفاظه كان عجباً[٣].

---

(١) تهذيب التهذيب للعسقلاني ١: ١٢٥.

(٢) تهذيب التهذيب للعسقلاني ١١: ١٢٥ ـ ١٣١.

(٣) ميزان الاعتدال للذهبي ٤: ٣٣٦.

فمن وصف بالخطأ والتصحيف تارة، واللحن والنقل بالمعنى تارة أخرى والأتعس من ذلك استهانته بالخطأ كما نقل عنه ابن عماد، فهل يبقى له اعتبار وفي مروياته اعتماد؟ فإن هذه الصفات تجعل هذا الرجل في زمرة الضعفاء وتسقطه عن الوثاقة.

الثاني: سفيان الثوري، وهو سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري الكوفي، وقد كثر مادحوه.

وقال الذهبي فيه: مع أنه كان يدلس عن الضعفاء، ولكن كان له نقد وذوق ولا عبرة لقول من قال: يدلس ويكتب عن الكذابين[1].

وقال ابن حجر العسقلاني: قال ابن مبارك حدث سفيان بحديث فجئته وهو يدلس فلما رآني استحيى، وقال: نرويه عنك[2].

وقال ابن حجر أيضاً في ترجمة يحيى بن سعيد بن فروخ، قال أبو بكر: وسمعت يحيى يقول: جهد الثوري أن يدلس علي رجلاً ضعيفاً فما أمكنه، قال مرة: حدثنا أبو سهل عن الشعبي، فقلت له أبو سهل محمد بن سالم، فقال: يا يحيى ما رأيت مثلك لا يذهب عليك شيء.

وقال أيضاً في ترجمة سفيان: قال ابن المديني عن يحيى بن سعيد: لم يلق سفيان أبا بكر بن حفص ولا حيان بن أياس ولم يسمع من سعيد بن أبي بردة[3].

ثم قال: وقال البغوي: لم يسمع من يزيد الرقاشي.

وحكى عن أحمد أنه قال: لم يسمع من سلمة بن كهيل حديث «**السائبة**

---

(١) ميزان الاعتدال للذهبي ٤: ٣٣٦.

(٢) تهذيب التهذيب ٤: ١١٥.

(٣) تهذيب التهذيب ٤: ١١٥ و١١: ٢١٨.

يضع ماله حيث يشاء» ولم يسمع من خالد بن سلمة حديث «**المعروف بألفاً**» ولا من ابن عون إلا حديثاً واحداً[١].

فمن صرح أكثر العلماء بتدليسه وتكذيبه في النقل، فهو فاقد لملكة العدالة وساقط عن الاعتبار، حيث كان يصور غير الواقع واقعاً.

والعجب من الذهبي حيث إنه أذعن بتدليسه ونقله عن الكذابين، لكن غض نظره عن هذا الوهن وأعجب بذوقه ونقده الذي يحصل عند كثير من المدلسين الذين يتسلط عليهم الشيطان الرجيم.

وروى الذهبي بسنده عن سفيان أنه قال: دخلت على جعفر بن محمد وعليه جبة خز وكساء خزّ دخاني فقلت: يا بن رسول الله ليس هذا من لباس آبائك.

قال: (كانوا على قدر إقتار الزمان، وهذا زمان قد أسبل عزاليه)[٢].

ثم حسر عن جبة صوف تحت، وقال: (يا ثوري! لبسنا هذا لله وهذا لكم، فما كان لله أخفيناه وما كان لكم أبديناه)[٣].

وهذا وهن آخر في سفيان، حيث اعترض على الإمام المعصوم جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، لعدم فهمه للأمور وعدم معرفته بها كما هي، فإن سفيان كان من المتصوفة وقد أخطأ في معنى الزهد وكيفيته ولهذا اعترض على الإمام الصادق عليه السلام، فقد ورد عن الإمام علي عليه السلام في معنى الزهد أنه قال: الزهد كلمة بين كلمتين من القرآن قال الله تعالى: ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا

---

(١) نفس المصدر السابق ٤: ١١٥.

(٢) العزالي: جمع عزلاء وهي مصب الراوية، فقوله: قد أسبل كل شيء عزاليه، يريد به وفور الخير وانتشار البركة وكثرة الغنم وتفشي الرخاء.

(٣) تذكرة الحفاظ للذهبي ١: ١٦٧.

﴿عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ فمن لم يأس على الماضي، ولم يفرح بالآتي فقد أخذ الزهد بطرفيه[١].

وقال النبي ﷺ: «**الزهادة في الدنيا ليست بتحريم الحلال ولا إضاعة المال، ولكن الزهادة في الدنيا أن لا تكون بما في يديك أوثق منك بما في يد الله، وأن تكون في ثواب المصيبة إذا أنت أصبت بها أرغب منك فيها لو أنها أبقيت لك**»[٢].

الثالث: حبيب بن أبي ثابت قيس بن دينار تابعي.

فقد وثقه البعض، لكن قال ابن حبان في الثقات: كان مدلساً.

وقال العقيلي غمزه ابن عون، وقال القطان: له غير حديث عن عطاء لا يتابع عليه، وليست محفوظة.

وقال ابن خزيمة في صحيحه: كان مدلساً، وقال العقيلي أيضاً: له عن عطاء أحاديث لا يتابع عليها[٣].

وقال ابن حجر في تقريب التهذيب: حبيب بن ثابت: قيس، ويقال: هند بن دينار الأسدي، مولاهم: أبو يحيى الكوفي، ثقة فقيه جليل، وكان كثير الإرسال والتدليس من الثالثة، مات سنة تسع عشرة ومائة[٤].

فتحصل أن الرجل الثالث في هذا الحديث أيضاً من المدلسين.

---

(١) البحار ٧٨: ٧٠ ح ٢٧ و٧٠: ٣٢٠ ح ٣٥.

(٢) كنز العمال للمتقي الهندي ٣: ١٨١ ح ٦٠٥٩، ورواه عن الترمذي باب ما جاء في الزهادة في الدنيا ح ٢٣٤١.

(٣) تهذيب التهذيب لابن حجر ٢: ١٧٩.

(٤) تقريب التهذيب ١: ١٤٨ ط دار الكتب العلمية ـ بيروت.

الرابع: أبو وائل الأسدي، وهو شقيق بن سلمة الكوفي[١].

كان منحرفاً عن علي بن أبي طالب عليه السلام ومبغضاً له، ويؤيد انحرافه عن علي عليه السلام ما قاله ابن حجر: أنه قال عاصم بن بهدلة: قيل لأبي وائل أيهما أحب إليك علي أو عثمان؟ قال: كان علي أحب إلي ثم صار عثمان[٢].

وليس المراد هنا من أحب التفضيل في الحب، بل المراد أنه كان يحب علياً أولاً ثم أعرض عنه وصار يحب عثمان، لأن الحزبين في ذلك الوقت كان يبغض أحدهما الآخر ولا يجتمعان في الحب.

ويؤيده كلام ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة، فإنه قال: ومنهم أبو وائل شقيق بن سلمة كان عثمانياً يقع في علي عليه السلام ويقال إنه كان يرى رأي الخوارج، ولم يختلف في أنه خرج معهم، وأنه عاد إلى علي عليه السلام منيباً مقلعاً.

روى خلف بن خليفة قال: قال أبو وائل: خرجنا أربعة آلاف فخرج إلينا علي فما زال يكلمنا حتى رجع منا ألفان.

وروى صاحب كتاب (الغارات) عن عثمان بن أبي شيبة عن الفضل بن دكين، عن سفيان الثوري، قال: سمعت أبا وائل يقول: شهدت صفين وبئس الصفوف كانت، قال: وقد روى أبو بكر بن عياش عن عاصم ابن أبي النجود قال: كان أبو وائل عثمانياً[٣].

---

(١) وليس هو القاضي عبد الله بن بحير، بدليل رواية حبيب بن أبي ثابت عنه، فقد ذكر ابن حجر في تهذيب التهذيب أنه ممن يروي عنه وليس هو القاضي عبد الله بن بحير.

(٢) تهذيب التهذيب ٤: ٣٦٢.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي ٤: ٩٩.

وأضاف ابن أبي الحديد فقال: وقال أبو وائل استعملني ابن زياد على بيت المال بالكوفة[١].

فلاحظ أيها المحقق المنصف، أي وهن أعظم من عداوة وصي رسول رب العالمين وزوج ابنته ووارث علمه ومن قال النبي ﷺ في حقه يوم الغدير في منظر المسلمين: «**من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاده وانصر من نصره واخذل من خذله**»، وقد تواتر هذا الحديث واعترف به أكثر المحققين من العامة بحيث لا يبقى عليه أي ظلام وأي مجال للإنكار.

وقد صح عنه ﷺ وتواتر أنه قال: «**ياعلي! لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق**»[٢] فهل يبقى تأمل في رد وسقوط حديثٍ رواه ثلاثة من المدلسين ورابعهم من المنافقين بنص رسول الله ﷺ.

إن قلت: إنه قد ورد المدح فيهم.

قلت: على فرض ورود مدح فيهم، فهو معارض بما ورد من الجرح الكثير، وعند التعارض يقدّم الجارح على المادح، فيسقط به الحديث عن الاعتبار.

وعليه فلابد أن نلاحظ باقي الأدلة إن كانت، وإلا فالأصل في المقام هو الجواز.

هذا مضافاً إلى أنه شاذ انفرد به أبو الهياج، بل قال السيوطي: إنه ليس لأبي الهياج في الكتب إلا هذا الحديث الواحد[٣]

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي ١٢: ٢٢٣.

(٢) المناقب لابن المغازلي: ١٣٧ رواه بطرق متعددة، وتجده في أكثر كتبهم.

(٣) شرح سنن النسائي للسيوطي: ٢٨٦.

ثم إنك لو ضممت وهن رجال هذا الحديث وانفراد أبي الهياج به مع القرائن الموجودة في متن الحديث تتيقن بكذبه ووضعه من جهة أولئك المدلسين والمائلين عن علي عليه السلام.

القرائن الدالة على كذب الحديث:

أما القرائن فهي أولاً: أن هذا الأمر متى صدر من رسول الله صلى الله عليه وآله؟ وذلك التشييع أين كان؟ هل كان في مكة وقبل استقرار حكومته على المدينة؟، فبعث من يكسّر الأصنام ويطم القبور ويلطخ الصور،فرجع خائباً،وذهب أمير المؤمنين عليه السلام ونفذ ذلك الأمر ورجع وهم لا يزالون في ذلك التشييع، فأخبر رسول الله بتنفيذ الأمر، فهل من الممكن هذا الأمر وهل يعقله ذو لب سليم؟!

أو أن التشييع كان في أطراف المدينة وبعد استقرار دولة الإسلام على المدينة،فإذا كان كذلك، هل كان أصحاب تلك الأوثان والصور مسلمين؟ إذن فكيف احتفظوا بها؟

أو كانوا مشركين وقبل استقرار حكومة الإسلام، فكيف استسلموا للأمر بمجرد ذهاب أمير المؤمنين، فدمرها سريعاً ورجع بحيث أدرك ذلك التشييع المستمر طيلة ذهاب ذلك الرجل ورجوعه ثم ذهاب أمير المؤمنين وتنفيذه الأمر ورجوعه!!! عجباً من هذا التشييع المستغرق لوقت طويل وشخصية ذلك الميت الذي لا يعلم اسمه وعجباً من هذه الأكاذيب.؟

وثانياً: إن أمير المؤمنين متى بعث أبا الهياج إلى هذه المهمة؟ هل كان في عصر خلافته وبعد الفتوحات الإسلامية؟ ففي ذلك الوقت لم يكن مورد لهذا الأمر لانتفاء موضوعه،حيث لم تكن في ذلك الوقت أوثان ولا أصنام.

أو كان في عصر الخلفاء الثلاثة؟ فهو في ذلك الوقت لم يكن مبسوط اليد ولم يكن حاكماً حتى يأمر بمثل هذه الأمور التي هي من اختيارات الحاكم.

فالمتحصل من البحث عن هذا الحديث سنداً ومتناً هو أنه مكذوب موضوع لا يخفى كذبه على كل باحث لبيب.

ولو تنزلنا عن صحة الحديث وفرضنا أنّ أمر النبي وأمر أمير المؤمنين كان مرتبطاً بقبور المشركين في بلاد الكفر، فإذن كيف يصح تسرية هذا الحكم إلى قبور المسلمين والحكم بوجوب تخريبها وإهانتها؟

مع هذا كله لم تكن هناك ضرورة للبحث عن سند هذا الحديث، حيث إنه لم يدل على ما يدعيه الخصم حتى يكون لهم ذريعة. وإليك البحث عن دلالته:

دلالة الحديث:

قلنا أنه ليس فيه دلالة على ما يدعيه الخصم من عدم جواز البناء على القبور، بل هو وارد في الأمر بالتسطيح والنهي عن التسنيم، وبيان ذلك يتوقف على توضيح كلمتين وردتا في الحديث وهما:

١ـ «مشرفاً»: ففي قاموس اللغة، المشرف محركة: العلو، ومن البعير سنامه فتبين أن التسنيم نوع من العلو، أو أحد معانيه، وعلى هذا المعنى، المشرف بإطلاقه أو بوضعه يشمل العالي بنحو التسنيم وبغيره، فتعيين أحدهما يحتاج إلى قرينة، وكلمة سويته قرينة على أن المراد هو الإشراف بنحو التسنيم، فلاحظ معنى الكلمة الثانية وهي:

٢ـ «سويته»: ففي المصباح المنير: إستوى المكان: إعتدل، وسويته: عدّلته وفي القاموس: سوّاه: جعله سوياً، فقوله: إلا سوّيته قرينة على أن المراد من الإشراف هو العلو بالتسنيم لا مطلق العلو، لأن مطلق العلو لا

يقابل التسوية، لاحتمال أن يكون عالياً مستوياً، فلا يناسب مقابلة العالي بالمستوي، بل كان اللازم أن يقابله بكلمة لاطئاً وأمثالها بأن يقول: ولا قبراً مشرفاً إلا لطئته.

فتحصل مما ذكرنا أن إرادة الهدم من التسوية غير صحيحة ولا يساعد عليها العرف ولا اللغة، لأن التسوية ليس معناها الهدم ولا تستعمل فيه، نعم لو عُدّيت إلى المفعول الثاني بحرف التعدية بأن يقال سويته بالأرض، لأمكن إرادة الهدم، لكن يردّ هذا الاستعمال أن التسوية بالأرض ليست من السنة قطعاً، للاتفاق على استحباب رفع القبر عن الأرض بالجملة، وفي بعض الروايات بمقدار شبر.

ويؤيد ما ذكرنا من الاستعمال ما ورد في القرآن الكريم من قوله تعالى: ﴿الَّذي خَلَقَ فَسَوَّى﴾ (١) وقوله: ﴿بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ﴾ (٢) وقوله: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فيه مِنْ رُوحي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ (٣) ففي هذه الآيات قد استعملت هذه الكلمة بحسب اختلاف الموارد تارة في كمال الخلقة واستقامته في مقابل نقصه واعوجاجه وتارة في التعديل مقابل العوج، والبسط مقابل التسنيم.

وهذا الاستعمال هو المراد من سويته في الحديث، كما أنه قد ورد في القرآن أيضاً متعدياً إلى المفعول الثاني بحرف التعدي مثل قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الأَرْضُ وَلا يَكْتُمُونَ اللهَ حَدِيثًا﴾ (٤) أي يودون أن يكونوا تراباً متساوين مع التراب أو ميتين مدفونين

---

(١) الأعلى: ٢.

(٢) القيامة: ٤.

(٣) الحجر: ٢٩.

(٤) النساء: ٤٢.

تحت الأرض، وقوله: ﴿إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[1] أي نعد الآلهة المكذوبة متساوين مع رب العالمين فنضيفَ إليكم ما نضيف إلى رب العالمين.

وعليه لو كان المراد من التسوية هو المساواة مع الأرض لعُدّيت كلمة سويته إلى المفعول الثاني بالباء كما في هاتين الآيتين.

وما ذكرناه من المراد ـ وبعد الغض عن كذب الحديث ـ هو الذي فهمه شراح الحديث، فقد روى مسلم بسنده عن ثمامة، قال كنا مع فضالة بن عبيد برودس من أرض الروم، فتوفى صاحب لنا فأمر فضالة بقبره فسُوّي، ثم قال سمعت رسول الله ﷺ يأمر بتسويتها ثم عقبه بحديث أبي الهياج[2].

فمن المعلوم أن أمر فضالة بأن يسوى القبر معناه أن يسطح ولم يجعل مسنماً، وليس المراد أنه أمر بهدم القبر لأنه لم يكن مبنياً قبل ذلك الوقت حتى يُهدم، وليس المراد أنه أمر به فسُوّي مع الأرض لأنه خلاف السنة المتفق عليها في استحباب تعلية القبر عن الأرض في الجملة.

وهكذا خبر أبي الهياج الذي عقبه فضالة بكلامه وجعله دليلاً على أمره، ورواه مسلم وأبو داود أيضاً في ذيل كلام فضالة، ومن المعلوم أن تمسك فضالة به ورواية مسلم له دليل على أنه حمل قوله« **ولا قبراً مشرفاً إلا سويته**» على معنى ولا قبراً مسنّماً إلا سطّحته.

وقال النووي: قوله يأمر بتسويتها وفي الرواية الأُخرى ولا قبراً

---

(١) الشعراء: ٩٨.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الجنائز ٢: ٦٦٦ ط دار إحياء التراث العربي، برودس: جزيرة بأرض الروم، سنن أبي داود السجستاني ٢: ٨٣ ط دار الفكر.

مشرفاً إلا سويته، فيه أن السنة أن القبر لا يرفع عن الأرض رفعاً كثيراً ولا يسنم، بل يرفع نحو شبر ويسطح وهذا مذهب الشافعي ومن وافقه[١].

وقد خص الترمذي هذه المسألة بباب، وجعل عنوانه (باب ما جاء في تسوية القبور) فلاحظت أنه لم يقل في هدم القبور ولو كان معناه هو الهدم لجعله عنواناً للباب، ثم أورد حديث أبي الهياج، ومن المعلوم أنه قد حمل التسوية على التسطيح لأنه المعنى اللغوي والعرفي للتسوية ولا ربط له بعدم جواز البناء على القبور الذي أفتى به المانعون تمسكاً بهذا الحديث.

ويؤيده أيضاً ما رواه أبو داود والحاكم من طريق القاسم بن محمد بن أبي بكر قال: دخلت على عائشة وقلت لها:يا أم اكشفي لي عن قبر النبي ﷺ وصاحبيه فكشفت لي عن ثلاثة قبور لا مشرفة ولا لاطئة، مبطوحة ببطحاء العرصة الحمراء[٢]. أي لا مرتفعة ولا لاصقة بالأرض.

ولا يعارض رواية القاسم بن محمد الدالة على التسطيح، ماروي عن سفيان التمار أنه رأى قبر النبي مسنماً، لأن سفيان ولد في زمان معاوية، فلم ير القبر الشريف إلا في آخر الأمر فيحتمل ـ كما قال البيهقي ـ أن القبر كان مسطحاً ولم يكن في الأول مسنماً،بل سُنّم عندما سقط الجدار في زمن وليد بن عبد الملك وقيل في زمن عمر بن عبد العزيز وأُصلح[٣].

وإنما صار التسنيم بدعة والتسطيح سنة لأن النبي لما دفن ابنه إبراهيم سطح قبره ولم يسنمه[٤].

---

(١) هامش صحيح مسلم ٢: ٦٦٦.

(٢) سنن أبي داود ٢: ٨٤، المستدرك للحاكم النيسابوري ١: ٣٦٩ ط دار المعرفة ـ بيروت، وفاء الوفا ٢: ٥٥١ ـ ٥٥٦.

(٣) السنن الكبرى للبيهقي ٤: ٤ ط دار الفكر ـ بيروت.

(٤) إرشاد الساري للقسطلاني ٢: ٤٦٨.

وقال القرطبي: قال علمائنا: ظاهر حديث أبي الهياج منع تسنيم القبور ورفعها، وأن تكون لاطئة... [١].

لكن ما ذكره القرطبي من استفادة عدم كون القبر مرتفعاً مردود بما اتفق عليه كلمة فقهاء المذاهب الأربعة والإمامية[٢]، فإنهم أجمعوا على استحباب رفع القبر بقدر شبر.

وفي ما ذكرناه من التحقيق في الحديث كفاية لأهل التدقيق، وإذا شئت التكثير فراجع إرشاد الساري لابن حجر القسطلاني[٣].

وفي خاتمة الكلام وبعد فرض التنزل عن كذب الحديث نقول: هناك احتمال آخر للحديث وهو: أن السنة المتداولة في القبور كانت هي التسطيح، ولما طرأ بعدها التسنيم أمر علي عليه السلام بأن تكافح هذه البدعة ويسطح كل قبر مسنم، ولم تجد أي دليل على مشروعية هدم القبور وهتك حرمة أهلها وزائريها أبداً.

الحديث الثاني:

وقد استدل على حرمة البناء على القبور وجواز هدمها بحديث آخر، فقد روى مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة، عن حفص بن غياث عن ابن جريج، عن ابن الزبير، عن جابر بن عبد الله، قال: نهى رسول الله ﷺ أن يجصص القبر، وأن يقعد عليه، وأن يبنى عليه[٤].

---

(١) تفسير القرطبي ١٠: ٣٨٠ ط مؤسسة التاريخ العربي.

(٢) الفقه على المذاهب الأربعة ١: ٤٢٠.

(٣) إرشاد الساري ٢: ٤٦٨.

(٤) صحيح مسلم كتاب الجنائز ٣: ٦٢، وسنن الترمذي ٢: ٢٠٨ وصحيح ابن ماجة كتاب الجنائز: ٤٧٦، وصحيح النسائي ٤: ٨٧، وسنن أبي داود ٣: ٢١٦، ومسند أحمد ٣: ٢٩٥ و٣٣٥.

وهذا الحديث موهون كسابقه سنداً ومتناً.

أما سنداً:

لأن فيه رجلين قد ضعفهما علماء الرجال إلى غاية الضعف وهما:

١ـ ابن جريج، (عبد الملك بن عبد العزيز).

٢ـ أبو الزبير، (محمد بن مسلم الأسدي) [١].

مضافاً إلى أن بعض طرق الحديث مشتمل على عبد الرحمن بن أسود المتهم بالكذب والوضع[٢].

أما سرد كلام الرجال فيهما، فنعتذر منه، حذراً من التطويل الممل، فإنا قد أطلنا الكلام في سند الحديث الأول للاعتبار، ولا يسع المجال للإطالة في كل الأحاديث،فإذا كنت راغباً فراجع تهذيب التهذيب لابن حجر وكشف الارتياب للسيد الأمين.

وأما متناً:

فقد روي هذا الحديث بصور شتى وألفاظ مختلفة، ففي بعضها ورد لفظ البناء وفي بعضها لم يرد، وهكذا سائر الألفاظ، وهذا الاختلاف يرشدنا إلى أن الرواة قد تصرفوا ولعبوا فيه مع غض النظر عن أصل صدوره، وإذا شئت الوقوف على متونه المختلفة فراجع مصادره المذكورة في الهامش.

إذن فكيف يصح الاستدلال على حديث هذا حاله سنداً ومتناً،مع هذا الاضطراب الشديد إضافة على كون الراوي واحداً.

---

(١) لاحظ تهذيب التهذيب ٦ / ٢ ـ ٤، ٦٠٥.

(٢) لاحظ تهذيب التهذيب ترجمة أبو الزبير: ٤٤٢.

وأما دلالةً:

لو سُلِّم صدور الحديث من النبي ﷺ، لكن النهي الذي ورد في هذا الحديث وفي كثير من الأحاديث قد استعمل في الكراهة لا الحرمة، وهذا لا يشك أحد فيه.

مضافاً إلى أنه قد أعرض المسلمون عن بعض صور هذا الحديث والأحاديث التي مثله، لأن البناء علىالقبور كان متعارفاً قبل الإسلام وبعده ولم يشاهد أي منع وردع عنه وقد استمرت هذه السيرة إلى يومنا هذا.

فإن قبور الأنبياء التي حول بيت المقدس كقبر داود عليه السلام وقبور إبراهيم وإسحاق ويعقوب ويوسف الذي نقله موسى من مصر إلى بيت المقدس كلها مبنية مشيدة قبل الإسلام وبقيت مشيدة أيضاً بعد الفتوحات الإسلامية إلى يومنا هذا،وقد اعترف ابن تيمية بهذا الأمر بقوله: إن البناء الذي على قبر إبراهيم الخليل عليه السلام كان موجوداً في زمن الفتوح وزمن الصحابة.

ولا يضر قوله الآخر ـ على فرض صحته ـ (إلا أنه كان باب ذلك البناء مسدوداً إلى سنة الأربعمائة »لأن الغرض إثبات وجود البناء وقد اعترف به ابن تيمية، ولأن الكتابة على القبور كانت متداولة من عصر الصحابة إلى الآن، كما نبّه عليه الحاكم في مستدركه، وهو ينبئ عن الإعراض عن أصل الحديث وسائر الأحاديث التي مثله، وإلا لما صح الإعراض عن جملة منه والعمل بجملة أخرى،ومن لم يعرض عنها وعمل بها أو ببعضها فإنه لم يحملها إلا على الكراهة، أو خصها بما لا يكون تعميره من إقامة شعائر الدين كقبور الأنبياء والأولياء والصالحين.

ثم إن الكراهة التي وردت في الأحاديث على فرض تسليمها، قد ترتفع بسبب طرو مصالح مهمة، ففيما نحن فيه، إذا كان البناء على قبور

الأنبياء والأولياء والصالحين وإيجاد الظل وسائر الإمكانات الرفاهية فيها سبباً لعبادة رب العالمين وكثرة ذكره وتلاوة القرآن وإتيان الأعمال والأذكار المستحبة وسيما اجتماع المسلمين على كلمة التوحيد ووحدة قلوبهم وتحكيم عقائدهم.

وفي النهاية صار سبباً لتعظيم شعائر الله، وحفظ الآثار الإسلامية وصيانتها من الاندراس ومن هتك حرمتها، وإرغام أنف المخالفين الحاسدين.

فأي مصلحة وأي فائدة أهم منها وأكثر أثر منها، وقد عرفت أن خوف عدو الدين من هذه الأمور، ولهذا أصبح تخريب القبور أمراً سياسياً ولأجل المنع من زيارة القبور والاجتماع حولها وذكر الله وعبادته عندها.

هذا مضافاً إلى أن بناء المشاهد وتعميرها ليس له أي منافاة مع تلك الأحاديث، لأن نفس القبر لم يرفع أكثر من شبر.

ولم يجلس عليه ولا يمشي أحد عليه، بل إنما يوضع عليه صندوق وضريحٌ صوناً من الإندراس ورعاية من أن يمشي عليه أحد، أو يجلس عليه ورعاية للأدب والاحترام.

وقد يستدل أيضاً على التحريم بأحاديث أُخر،مثل حديث أبي سعيد، وأم سلمة، فقد روى أبو سعيد أن النبي نهى أن يبنى على القبر[1].

وروي عن أم سلمه أنها قالت: نهى رسول الله ﷺ أن يبنى على القبر أو يجصص، أو أنها قالت: نهى أن يُجصص قبر أو يُبنى عليه أو يجلس عليه[2].

وهذه الأحاديث كما ترى مثل الحديث الثاني من حيث المضمون

---

(١) صحيح ابن ماجة ١: ٤٧٤.

(٢) مسند أحمد ٦: ٢٢٩.

والدلالة والجواب نفس الجواب ولا نعيد الكلام فيها.

وأما من حيث السند، فهي أيضاً مخدوشة لما فيها من الوضاعين والضعاف،فإن الأول يشتمل على وهب، وهو مردد بين سبعة عشر رجلاً وفيهم الوضاعون والكذابون[١].

وأما الثاني والثالث، ففيهما عبد الله بن لهيعة الذي ضعّفه العلماء ولا يمكن الاحتجاج به[٢].

وإذا شئت كثرة التحقيق في سندها فراجع ميزان الاعتدال للذهبي.

والحاصل أن هذه الأحاديث هي ذريعة الخصم لمحو الآثار الإسلامية، وقد عرفت حالها ودلالتها، ومع وجود أدلة محكمة على الجواز لا يبقى لتلك الضعاف مجال للاعتماد.

والخصم لأجل التفاته إلى وهن ذريعته، التجأ إلى ذريعة أخرى أخس من الأُولى، لعله يأمن من اعتراض المسلمين عليه في تخريب قبور أهل بيت الوحي عليهم السلام، وهي:

كون البقيع مسبلة موقوفة والبناء على القبور يمنع الانتفاع بأرضها.

ادعاء الخصم على كون البقيع مسبلة

فقد لقن القاضي ابن بلهيد هذا الإدعاء عند طرح أسئلته لعلماء المدينة، وأقروا ادعاءه في الجواب.

والجواب عنه: أن هذه الدعوى مثل سائر دعاويهم الخاوية،**هي دعوى** بلا دليل، إذ لم ينقل أحد، أن شخصاً وقفها، بل هي باقية على الإباحة وليست مسبلة.

---

(١) مسند أحمد ٦: ٢٢٩.

(٢) ميزان الاعتدال ٣: ٣٥٠ ـ ٣٥٥.

وإليك تاريخها وكلام العلماء فيها:

قال السمهودي: روى ابن زبالة عن قدامة بن موسى: أن أول من دفن رسول الله ﷺ بالبقيع عثمان بن مظعون، وقال أيضاً: روى أبو داود بإسناد حسن عن المطلب بن عبد الله بن حنطب،عن بعض الصحابة:

لما مات عثمان بن مظعون ودفن، أمر النبي ﷺ رجلاً أن يأتي بحجر فلم يستطع حمله، فقام إليه رسول الله ﷺ وحسر عن ذراعيه (قال الراوي) كأني أنظر إلى بياض ذراعي رسول الله ﷺ حين حسر عنهما، ثم حمله فوضعه عند رأسه وقال: «**أتّعلم به قبر أخي وأدفن إليه من مات من أهلي**».

ورواه ابن شبة وابن ماجة وابن عدي عن أنس، والحاكم عن أبي نافع.

وقال أيضاً: عن محمد بن قدامة، عن أبيه،عن جده قال:

لما دفن النبي ﷺ عثمان بن مظعون أمر بحجر فوضع عند رأسه، قال ابن قدامة: فلما صفق البقيع وجدنا ذلك الحجر، فعرفنا أنه قبر عثمان بن مظعون.

وعن شيخ من بني مخزوم يُدعى عمر، قال: كان عثمان بن مظعون أول من مات من المهاجرين، فلحد له رسول الله ﷺ وفضل حجر من حجارة لحده فحمله رسول الله فوضعه عند رجليه، فلما ولي مروان بن الحكم المدينة مرّ على ذلك الحجر فأمر به فرمي به، وقال: والله لا يكون على قبر عثمان بن مظعون حجر يعرف به، فأتته بنو أمية فقالوا: بئس ما صنعت، عمدت إلى حجر وضعه النبي ﷺ فرميت به، بئس ما عملت، فمُر به فليرد، فقال! أما والله إذ رميت به فلا يرد، وفي رواية أنه جعل

ذلك الحجر على قبر عثمان بن عفان[١].

ثم قال السمهودي: وروى أبو غسان عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبيه لما توفي إبراهيم ابن رسول الله ﷺ أمر أن يدفن عند عثمان بن مظعون، فرغب الناس في البقيع وقطعوا الشجر، فاختارت كل قبيلة ناحية، فمن هنالك عرفت كل قبيلة مقابرها.

ثم قال: وروى ابن أبي شيبة عن قدامة بن موسى: كان البقيع غرقداً، فلما هلك عثمان بن مظعون دفن بالبقيع وقطع الغرقد عنه[٢].

فقد تبين مما قدمناه أن البقيع كانت مواتاً مملوة من شجر الغرقد، واتخذه المسلمون مقابر حينما دفن النبي ﷺ فيه عثمان بن مظعون وولده إبراهيم، رغبة فيه، فقد دفنت كل قبيلة موتاهم في قسم منها إما بالحيازة فصار ملكهم، أو أنه بقي على ما كان عليه من أصالة الإباحة.

ويستفاد من الروايات جواز فعل كل ما كان علامة ومناراً للقبر مثل وضع الحجر عليه والكتابة عليه أو غيرهما، وعلم منها ماهية مروان بن الحكم وعناده للرسول الأعظم ﷺ واستهانته بالدين وأهله، وأن من خرب قبور المؤمنين سيما الأئمة المعصومين واستهان بها وبزائريها قد حذا حذوه.

ويأتي السؤال هنا: بأنهم من أين استخرجوا كون البقيع أرضاً حية فوقفها صاحبها لدفن الأموات؟!

والحال أنه دل الدليل على أن قبور العباس وأهل البيت عليهم السلام كانت

---

(١) وفاء الوفا للسمهودي ٣: ٨٩٢ ـ ٨٩٤ طبع دار إحياء التراث العربي بيروت.
الغرقد اسم شجر كانت في أرض البقيع على كثرة ولهذا سمي البقيع بالغرقد.

(٢) وفا الوفا للسمهودي ٣: ٨٩٢، طبع دار إحياء التراث العربي في بيروت.

من دار عقيل، فأين هذا من الوقف والتسبيل؟، هذا ابن شبة قال ـ فيما نقله عن غسان ـ قال عبد العزيز: دفن العباس بن عبد المطلب عند قبر فاطمة بنت أسد بن هاشم في أول مقابر بني هاشم التي في دار عقيل[١].

فبعد ما ثبت أن قبور أهل البيت كانت في دار عقيل، ما هو المجوز لتخريبها وهتك حرمتها وحرمان الزائرين من الحضور عندها والاستظلال تحت قبابها وتلاوة القرآن والدعاء فيها وعبادة الله وكثرة الصلاة عندها؟! وهل تبقى قيمة لتلك الفتوى المدلسة المجعولة من جانب سائلها؟ وهل يبقى لك شك في كفر وضلالة من هدمها وهتك حرمتها وأنه منفذ لأوامر أعداء الدين؟

ويؤيد ما ذكرنا من عدم كونها مسبلة ما نقله السمهودي عن ابن شبة،عن عبد العزيز: أن سعد بن معاذ دفنه رسول الله ﷺ من طرف الزقاق الذي بلزق دار المقداد بن الأسود وهو المقداد بن عمر، وإنما تبنّاه الأسود بن عبد يغوث الزهري، وهي الدار التي يقال لها دار ابن أفلح في أقصى البقيع عليها جنبذة[٢].

وهذا صريح في أنها كانت داراً مملوكة ولم تكن أرضاً مسبلة، وكان عليها قبة وبناء.

ويؤيده أيضاً: ما روي أن عقيلاً لما حفر في داره بئراً وجد حجراً منقوشاً مكتوباً فيه هذا قبر أم حبيبة بنت صخر بن حرب، فدفن عقيل البئر، وبنى عليه بيتاً، قال ابن السائب: فدخلت ذلك البيت فرأيت فيه ذلك القبر[٣].

---

(١) وفاء الوفا ٣: ٩١٠ طبع دار إحياء التراث العربي بيروت.

(٢) وفاء الوفا ٣: ٩١٥.

(٣) وفاء الوفا ٣: ٩١٢.

وفي رواية أنه وجد في دار علي بن أبي طالب، فدل على أن محل قبرها كان مملوكاً.

والحاصل أن هذه الأخبار مضافاً إلى دلالتها على الملك وعدم التسبيل تدل على جواز البناء حول القبور والدفن في محل البناء والكتابة عليها وأن سيرة المسلمين عليها.

وأُضيفك شاهداً يوصلك إلى القطع بأن أعمال هذه العصابة ناشئة من العداوة لأهل بيت النبوة ومعالم التوحيد، وأن الاستدلال بالروايات تارة وبكون البقيع مسبلة تارة أخرى ذرائع ظاهرية هدفها إغواء الجاهلين وإغفالهم عن الحقائق.

والشاهد: أنه لو كان حجتهم في تخريب القبور هو تسبيل البقيع فهي خاصة بالبقيع والقبور الموجودة فيه على فرض التنزل.

فما بالهم في تخريب سائر القبور التي ليست في البقيع مثل قبر عم النبي ﷺ حمزة سيد الشهداء الذي كان عليه مشهد عظيم وقبة مجللة، ومن أهم القبور التي خربوها وتجاسروا عليها هو قبر الحسين بضعة الرسول وفلذة كبده سيد شباب أهل الجنة الذي قال رسول الله ﷺ في حقه وحق أخيه الحسن المسموم: «**الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة**»[1] وقال «**من أحبني وأحب هذين وأباهما وأمهما كان معي في درجتي يوم القيامة**»[2].

فقد شاهد التاريخ من هذه العصابة جرائم وجنايات لا تنمحي آثارها، فإنهم لما علموا بذهاب كثير من أهالي كربلاء إلى زيارة أمير المؤمنين عليه السلام وبقى فيها من لا قدرة له على الدفاع استغلوا الفرصة وهجموا عليها وسفكوا دماء العجزة والنساء والأطفال وهم يتصارخون، وسلبوا أموالهم

---

(١) أخرجه الترمذي ،كتاب المناقب باب ٣١، ولاحظ نور الابصار للشبلنجي: ١٧٥

(٢) نفس المصادر السابقة

وهتكوا نواميسهم فقتلوا ما يبلغ خمسة آلاف منهم، وهدموا قبر الحسين الشهيد عليه السلام ومشهده الشريف وسلبوا كل ما كان فيه من المجوهرات والأشياء الثمينة[1] وفعلوا ما فعلوا في كربلا وسائر البلدان وتجاسروا على شعائر الله بدل تعظيمها. وحاولوا في تخريب قبر أمير المؤمنين، ولولا خوفهم من المسلمين لهدموا حتى قبر الرسول ومشهده وقبته الشريفة.

فهذه الجرائم أحسن شاهد على عداوتهم للدين وأهله، وليس غرضهم الدفاع عن الدين وحقوق المسلمين وإن هذه الكلمات كلها كلمات حق يراد بها باطل.

والباطل هو تحقيق آمال أعداء الدين اليهود المشركين.

ونتيجة البحث إلى هنا:

هو أنه لم يوجد أي مانع للبناء على القبور خاصة قبور الأنبياء والأولياء حيث إنها من تعظيم شعائر الله وأعلام توحيده، ومع فقد المانع فالأصل هو الإباحة.

وهذا مع فرض عدم الدليل على الجواز. ولكن إليك أدلة الجواز.

---

(١) وكان هجومهم على كربلا في سنة ١٢١٦ وفي يوم الغدير، قال الدكتور منير العجلاني: دخل اثنا عشر ألف جندي ولم يكن في البلدة إلا عدد قليل من الرجال المستضعفين لأن رجال كربلاء كانوا قد خرجوا يوم ذاك إلى النجف الأشرف لزيارة قبر الإمام أمير المؤمنين يوم الغدير، فقتل الوهابيون كل من وجدوهم، فقدر عدد الضحايا في يوم واحد بثلاثة آلاف، وأما السلب فكان فوق الوصف، ويقال أن مأتي بعير حملت فوق طاقتها بالمنهوبات الثمينة. تاريخ العربية السعودية: ١٢٦ ـ ١٢٧.

أدلة جواز البناء على القبور

الاستدلال على جواز البناء على قبور الأنبياء والأولياء والصالحين، وتعميرها ووضع القُبَب عليها والحث على تعظيمها، من وجوه:

الأول: من الكتاب: فقد ورد في القرآن آيات يستنبط منها جواز البناء على قبور الأنبياء والأولياء.

الآية الأولى:

في سورة الكهف

قد تعرض القرآن الكريم لبيان قصص كثيرة حول الأمم السابقة وبيان أحوالهم وعاقبة أمرهم لأجل الاعتبار والإتعاض فبعض قد ذمهم وبعض مدحهم وأجلّهم.

ومن الذين مدحهم أصحاب الكهف الفتية الذين آمنوا بربهم فزادهم الله هدى، ولما اعتزلوا قومهم ومما كانوا يعبدون من دون الله والتجؤا إلى كهفهم أماتهم الله مع كلبهم مدة من الدهر وأحياهم وأماتهم مرة أخرى ليكونوا آية للناس والقصة طويلة إلى أن عثر الناس عليهم فاختلفوا بينهم بعدما رأوا من آيات الله، فقال بعضهم: ﴿ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا﴾، و ﴿قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا﴾[1].

فقد نقل القرآن الكريم كلا القولين من دون أن يذمهم على تلك الفكرة بل الظاهر منه هو تحسين كلام القوم، لأن أصحاب الكهف قد بلغ أمرهم إلى حد من الكرامة بحيث صاروا آية من آيات الله العظمى وعلائم توحيده وعظمته وقدرته، وقد اتفق الناس على تكريمهم وتعظيم شأنهم والتبرك بهم، وكان الاختلاف في كيفية التكريم، فبعض قال بلزوم

---

(١) الكهف: ٢١.

اتخاذ البناء على قبورهم والبعض باتخاذ المسجد وعبادة الله فيه.

وحيث إن كلمات القرآن وقصصه قد وضعت لأجل الاعتبار والانتباه وإرشاد الناس وتربيتهم وليس كتاب قصة، فلو كان في عملهم وفكرتهم خطأ وضلال وشرك، لذمهم وعاب عليهم، كما هو شأنه عند التعرض للمشركين وأهل العناد والتضليل، فبعنوان المثال في قصة فرعون، يقول الله عز وجل:

﴿حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ فذمه وعاب عليه بقوله: ﴿آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾[1].

فمن هذه الجهة أصبح القرآن وآياته أكبر دليل وبرهان لعمل المسلمين ومشيهم بضميمة ما يرد من الرسول الأمين وعترته الميامين صلوات الله عليهم أجمعين من التفسير والتبيين.

فالمتحصل منه هو إن البناء على قبور الصالحين وتعظيمها، بل بناء المسجد عليها وعبادة الله فيها كان جائزاً في الأمم المؤمنة الماضية، وقد أمضاه وحسنه الشارع المقدس من غير منع وذم.

الآية الثانية:

آية الترفيع

فقد أذن الله الحكيم لخصوص بعض البيوت أن ترفع وتعظم ويذكر فيها اسمه ويسبح له بالغدو والآصال فقال: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ * رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ

---

(١) يونس: ٩١.

﴿ولا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وإِقَامِ الصلاةِ وإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ والأَبْصَارُ﴾[1].

ومن المعلوم أن المراد من البيوت في هذه الآية هي بيوت الأنبياء وأوصيائهم.

فقد ورد في تفسير الآية عن أنس بن مالك وبريدة: قرأ رسول الله هذه الآية، فقام إليه رجل فقال: أي بيوت هذه يا رسول الله؟ فقال: «**بيوت الأنبياء**».

فقام إليه أبو بكر فقال: يا رسول الله هذا منها؟ مشيراً إلى بيت علي وفاطمة، قال:«**نعم من أفاضلها**»[2]. وعليه فلا يكون المراد من البيوت في هذه الآية هو المساجد، لأن البيوت في القرآن جاءت في مقابل المساجد.

ثم إن المراد من ترفيع البيوت فيه احتمالين:

الأول: الترفيع: بمعنى الرفع الظاهري وتشييد البناء وإقامة الجدران والقواعد وتعميرها،كما ورد بهذا المعنى: ﴿وإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وإِسْمَاعِيلُ﴾[3].

الثاني: بمعنى الرفع المعنوي، أي بمعنى احترام تلك البيوت وتعظيمها وإعطاء المكانة العالية لها وحراستها من الاندثار وحفظها من التخريب والتوهين، كما ورد بهذا المعنى أيضاً في قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾[4].

---

(١) النور: ٣٦ ـ ٣٧.

(٢) تفسير الدر المنثور للسيوطي ٥: ٥٠.

(٣) البقرة: ١٢٧.

(٤) مريم: ٥٧.

وعلى أي حال: إن كان المراد هو المعنى الأول فيدل على جواز تشييد بيوت الأنبياء وتعميرها وصيانتها من الخراب في حياتهم وبعد مماتهم وقد تبين أنه لا فرق بين الحياة والممات من هذه الجهة، أي جهة الترفيع وقد ثبتت الحياة لهم ولا فرق في أن يكون بيته قبل الدفن أو صار بيته بعد الدفن.

وإن كان المراد هو المعنى الثاني، فقد أذن الله سبحانه في تكريمها وتعظيمها والمحافظة عليها مما لا يليق بشأنها، وهذا المعنى من الترفيع المعنوي له مصاديق ومظاهر ومن مظاهر رفعة البيوت، هو توجّه القلوب إليها وزيارتها وبذل المال وجميع الإمكانات لحفظها من الإنهيار وأيدي الأعداء واستخدام الخدم لأجل نظافتها وتطهيرها من الأوساخ وبسط جميع وسائل الرفاه للناس من قبيل فرشها وإشعال المصابيح فيها وإيقاد المدفئات والمبردات فيها وإيجاد الظل عليها من أجل صيانة الزائرين من الحر والبرد والمطر.

وكل هذه الأمور تكون من جهة رفعتها وتوجه الناس إليها، وبالنتيجة تصير مكاناً لأن يذكر فيها الله ويسبح له في الغدو والآصال، وبهذا النحو ينتشر الدين وتثبت قواعده ويصان من الاندثار والانهيار وتصبح شريعة الإسلام شريعة خالدة مدى الدهور والأعوام، ولو كره المشركون والكفار.

وليعلم الأعداء بأن نور الله لا يُطفأ بمخالفتهم ومحاربتهم مع تلك البيوت الرفيعة، وتخريبها وإهانتها ـ كما فعل عملائهم في البلدان الإسلامية ـ.

وبعنوان المثال يمكنك ملاحظة قبور أئمة الهدى وأبناء رسول الله في البقيع التي قد هدمتها أيدي الأعداء وسعت في إهانتها وحاولت منع الناس عن زيارتهم، فقد فشلت جميع محاولاتهم وانعكست عليهم، لأن القلوب صارت تهوي وتحنّ إليهم وترق لمظلوميتهم أكثر فأكثر ولم يمنعهم

برد ولاحرّ ولا مطر ولا مدر ولم تأخذهم في الله لومة لائم، بل ازدادت قلوبهم حباً لهم وبغضاً ونفرة من أعدائهم وظالميهم ومخربي قبورهم وهذا هو معنى إذن الله في رفعها.

وهذا قبر ريحانة رسول الله الحسين الشهيد عليه السلام صار علماً لدين الله ومصباحاً للهداية، ولم يتمكن أي شخص لحد الآن من أن يطفئ نوره ويمحو اسمه وآثاره مع تلك المحاولات المشؤمة، وكما أن قتله عليه السلام أدى إلى انتشار الدين المبين وتثبيت قواعده وأمنها من الانهيار فهكذا تخريب قبره ومنع الناس من زيارته قد انعكس معه الأمر وعظم أمره وازداد زائروه وكثر محبوه ومبغضوا أعداءه، وهكذا الأمر في سائر المشاهد المشرفة لأهل بيت الوحي.

فالنصيحة: لكل من صد عن هذا الأمر العظيم وصار في خدمة أعداء الدين أن ينتبه ويخرج من غفلته ويعلم بأن الله إذا أراد أن يرفع أحداً ويعظمه لا يمنعه مانع منه أبداً.

بل تراه ينفذ إرادته ولو كره المشركون ولو كان بعضٌ لبعض ظهيراً، وعلى العكس من ذلك، فإذا أراد الله أن يذل أحداً فلا معز له أبداً، فالأولى أن نقرّ له جميعاً كما ورد في الدعاء: (فأنا أشهد بأنك أنت الله لا إله إلا أنت لا رافع لما وضعت ولا واضع لما رفعت ولا معز لمن أذللت ولا مذل لمن أعززت ولا مانع لمن أعطيت ولا معطي لما منعت بيدك الخير إنك على كل شيء قدير) ونقول: (لا تسئل عما تفعل وهم يسألون).

والأولى لمخالفي زيارة القبور أن يسلموا لله ولا يخالفوا أمره وأن يعظموا من عظمه الله ورفعه وأن يبذلوا جهدهم في رفع بيوت الرسول وبنائها والمحافظة عليها وترغيب الناس في زيارتها واحترامها والتبرك بها، ويكون لهم الأجر والثواب.

ولا يبذلوا جهدهم في تحقيق أوامر الأعداء ويصيروا لعبة في أيديهم

بتكفير المسلمين واستباحة دمائهم وصدهم عن سبيل الله وتعظيم شعائره، فتكون عاقبتهم الخزي في الدنيا والآخرة ويكون لهم سوء العقاب.

الآية الثالثة:

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾.

تلاحظ في هذه الآية: إن الله سبحانه رغب الناس وحثهم على تعظيم شعائره وجعله دليلاً على تقوى القلوب[1].

ومن المعلوم أن المراد من شعائر الله التي يجب تعظيمها هي علائم دين الله ودلائل توحيده.

لأن الشعائر جمع شعيرة وهي بمعنى الدليل والعلامة، وليس المقصود منها العلائم والدلائل التي تثبت وجود الله، لأن العالم وما فيه كله دليل على وجود الله، ولا ترى أحداً يقول بأن تعظيم كل ما في الكون دليل على تقوى القلوب، ولهذا قال المفسرون بأن المراد من ﴿شَعَائِرَ اللهِ﴾ معالم دين الله[2].

فإذا كان الصفا والمروة والهدي الذي يذبح في منى، من شعائر الله لأنه من معالم ودلائل الدين الحنيف دين إبراهيم الخليل، وإذا سميت المزدلفة بالمشعر الحرام لأنها علامة من علائم دين الله وأن الوقوف فيه دليل على العمل بدين الله وطاعته، وإذا أُطلقت كلمة الشعائر على مجموع مناسك الحج، فهو بدليل أن تلك الأعمال دلائل وعلائم توحيد الله وعبادته وطاعته.

---

(١) الحج: ٣٢.

(٢) مجمع البيان ٥: ٨٣.

والحاصل أن تعظيم كل ما يكون شعيرة وعلامة لدين الله فهو يؤدي إلى التقرب إلى الله،ومن الواضح أن أنبياء الله ورسله وأوليائه من أعظم وأبرز علائم دين الله، لأنهم السبب في نشر دينه وترويجه وتثبيت دعائمه بين الناس، وهذا مما لا ينكره أي منصف.

بل الحق هو أن النبي والأئمة عليهم السلام من علامات الدين وأركانه وأنه لابد من تعظيمهم وحمايتهم وحماية آثارهم وقبورهم من المحو والاندراس حتى تبقى أسمائهم وآثارهم وقبورهم رمزاً للدين الخالد وعلامة لبقائه وعلو شأنه، لأن تلك الآثار التاريخية في الواقع معالم الأصالة الإسلامية ودليل على واقعية الرسالة المحمدية وجذورها التاريخية.

وهذا الأصل لا يخص المسلمين فقط، بل جرى عليه عمل سائر الشعوب والأُمم المؤمنة والراقية في العالم، فهم يدفنون كبارهم وشخصياتهم ومن له دورٌ وأثر في حضارتهم وترقيهم في مقابر وأماكن خاصة ويسعون في المحافظة عليها وصيانتها من الخراب والإندثار، ويحافظون على كل أثر تاريخي وتراث ثقافي منهم، ويعلنون بهذا العمل على أنهم باقين ومتمسكين بفكرتهم وطريقتهم وقد جعلوهم رمزاً لتخليد أفكارهم وعقائدهم.

ويستنبط من هذه الآية حكم جلي وهو جواز تعظيم وتكريم كل ما ينطبق عليه أنه من شعائر الله، ومن أعظمها وأتمها هو تعظيم وتعمير قبور النبي وأهل بيته المعصومين وزيارتها والسعي في حفظ سائر آثارهم.

ولا شك أن في هدم تلك المعالم والآثار الإسلامية في المدن الإسلامية وخاصة في مهد الإسلام مكة ومدينة الرسول ﷺ آثاراً سيئة على الأجيال الآتية التي لا ترى أثراً منها ولا عيناً فيقعوا في الشك والترديد في أصالة تلك الفكرة وربما يحصل لهم الاعتقاد بأن الإسلام قضية مفتعلة وليس لها

أساس واقعي، وأنه لا خبر جاء ولا وحي نزل[1].

كما حصل هذا الأثر المخرّب في أذهان واعتقاد كثير من أتباع السيد المسيح عليه السلام بأنه ليس إلا قضية أُسطورية حاكتها أيدي القساوسة، والسبب في هذا الاعتقاد هو عدم وجود أثر ملموس يدل على أصالة هذا الدين ووجود هذه الشخصية.

ولذلك حث الله سبحانه على تعظيم شعائر دينه ومعالمه والسعي في حفظ آثار النبوة ونشرها والمواظبة عليها من أن تنالها يد الأعداء، لأن هذا الأمر سبب لبقاء الدين وخلوده، وهو الذي يسعى الأعداء في الحيلولة دون تحققه بكل وسيلة.

الآية الرابعة:

قوله تعالى: ﴿قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾

فقد أمر الله تعالى جميع المسلمين بالحب والمودة لقرابات النبي صلى الله عليه وآله وجعله أجر الرسالة وتلك الجهود العظيمة التي بذلها النبي صلى الله عليه وآله من أجل أمته ومن أجل إخراجهم من الظلمات إلى النور فأصبحوا مسلمين.

فإن إعطاء الأجر والمكافئة أصل عقلائي قد أمضاه وأكد عليه الشارع المقدس لكل من قدّم صُنعاً حسناً وخدمة لأهل بلد أو وطن بحيث صار

---

(١) هذا البيت تمثّل به يزيد بن معاوية عندما وضع رأس الحسين الشهيد عليه السلام أمامه، فكانت أحد كفرياته أن قال:

لعبت هاشم بالملك فلا ... خبر جاء ولا وحي نزل

وهي كما ترى صريحة في إنكار النبوة ونزول الوحي والقرآن الكريم وهذه الفكرة هي التي يتابعها أعداء الدين. ألا لعنة الله على القوم الكافرين.

سبباً لحل مشاكلهم وتقدمهم وصار فخراً تاريخياً وتراثاً وطنياً لهم ولحضارتهم، فتقديم الأجر أمر عقلائي قد جرت على العمل به جميع الأمم المتحضرة، ونماذجه في التاريخ كثيرة.

ثم إن إعطاء الأجر يختلف باختلاف مراتب الخدمة فأجر البعض هو المال أوالشكر اللفظي فقط، والبعض الآخر لا يقابل عملهم بالمال، بل يقابل بالتكريم والتعظيم والتجليل لهم ولأهل بيتهم وحتى لقومهم لأنهم من قوم الشخص الفلاني الذي بنى وطنهم أو أنقذهم من سلطة المتجاوزين أو اخترع لهم الأمر الفلاني.

وترى أن اسمه يسجّل في صفحة التاريخ وفي كل أنحاء الوطن، ويذكر بالتمجيد والتجليل، فإذا مات شيعوه أعظم التشييع ودفنوه في أحسن مكان وبنوا على قبره أحسن بناء وجعلوا قبره رمزاً تاريخياً لحضارتهم، وأقاموا الذكرى السنوية عنده وحافظوا على قبره من أن يخرب حتى يبقى رفيعاً ومجللاً مدى الزمان.

وهكذا حالهم بالنسبة إلى أهل بيته وعائلته، خاصة إذا كان في أهل بيته نفس الخصوصيات والخصال الكريمة وكانوا ورثة علمه وخلقه وصفاته وجعلهم خلفائه وأوصيائه.

وهذا الأصل ينطبق على النبي الأمين وأهل بيته المعصومين أحسن الإنطباق وأكمله، بل لا يقاس شخص به ولا يقاس عمل وأثر على ما أتى به الرسول الكريم ولا يقاس أهل بيت على أهل بيته، فإنه وأهل بيته أفضل من الأنبياء والمرسلين والملائكة المقربين وشريعته أفضل الشرائع والأديان.

ولهذا السبب لما اجتمع كبار المسلمين وصمموا على أن يجاوزوه ويعطوه

ويعطونه الأجر مقابل تلك الزحمات الكثيرة والرسالة العظيمة[١] لم يجبهم النبي ﷺ من عند نفسه حتى نزل الوحي بهذا الأمر العظيم وقال: ﴿قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا﴾[٢]، ثم نزل بعده ﴿مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلاّ عَلَى اللهِ﴾[٣].

فترى أن النبي ﷺ ليس له أي توقع منهم ولا طمع في أموالهم ودنياهم، بل قال لهم كما في الآية ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلاّ عَلَى اللهِ﴾، لكن الله سبحانه فرض عليهم ذلك الأمر العقلاني الذي يقبله كل من له وجدان وكان بعيداً عن التعصب والعناد ولو كان غير مسلم، خصوصاً أن امتثال هذا الأمر كله من صلاحهم وفيه منفعتهم وسعادة الدنيا والآخرة، كما دل عليه في قوله: ﴿مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلاّ عَلَى اللهِ﴾[٤].

وقد ثبت في الروايات عنه ﷺ عندما سألوه: من قرابتك الذين وجبت علينا مودتهم؟ أن المراد من القربى هو علي وفاطمة وابناهما

---

(١) فقد ورد من طرق العامة أن سبب نزول الآية ﴿قل لا أسألكم...﴾ أنّه ﷺ لما قدم المدينة كانت تنويه نوائب وليس في يده شيء فجمع له الأنصار مالاً، فقالوا يا رسول الله إنّك ابن أُختنا وقد هدانا الله بك وتنويك نوائب وحقوق وليس معك سعة ،فجمعنا لك من أموالنا ما تستعين به عليها، فنزلت الآية ﴿قل لا أسألكم...﴾، الصواعق المحرقة: ٢٢٧.

(٢) الشورى: ٢٣.

(٣) سبأ: ٤٧.

(٤) سبأ: ٤٧.

الحسن والحسين عليهما السلام[١]، وفي بعض الروايات عندما سألوه ﷺ قال: «**هم أهل بيتي**». وقد ورد عن الباقر عليه السلام أنه سئل عن هذه الآية فقال: (هي فريضة من الله على العباد لمحمد ﷺ في أهل بيته)[٢].

وفي كفاية الطالب عن أمامة الباهلي عن رسول الله ﷺ قال: «**إن الله خلق الأنبياء من أشجار شتّى وخلقني وعلياً من شجرة واحدة، فأنا أصلها وعلي فرعها وفاطمة لقاحها والحسن والحسين ثمرها، فمن تعلق بغصن من أغصانها نجى، ومن زاغ عنها هوى، ولو أن عبداً عبد الله بين الصفا والمروة ألف عام ثم ألف عام ثم لم يدرك محبتنا أكبه الله على منخريه في النار**»، ثم تلا هذه الآية: ﴿قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ قال الگنجي: هذا حديث حسن عال رواه الطبري في معجمه كما أخرجناه سواء، ورواه محدث الشام في كتابه بطرق شتّى[٣].

والمودة: من الود والتودد وهي أمر فوق المحبة، والمحبة هو الحب القلبي، لكن المودة هي الحب الذي يتجاوز عن القلب واللسان ويصل إلى الإبراز بالأركان المودة إظهار وإبراز الحب بأي نحو كان.

وهذا النوع من الحب له مظاهر ومصاديق في الخارج وبحسب مقتضيات الزمان والأجيال ولا يمكن تحديده؛ اختلاف هذه المقتضيات حسب اختلاف

---

(١) ذخائر العقبى: ٢٥ نقله عن أحمد في المناقب وروى أيضاً عن النبي أنّه قال: «**إن الله جعل أجري عليكم المودة في أهل بيتي وإني سائلكم غداً عنهم**» ولاحظ الصواعق لابن حجر: ٢٢٧.

(٢) تفسير الصافي ٤: ٣٧٣ ـ نقله عن المحاسن.

(٣) كفاية الطالب للگنجي الشافعي: ٣١٧ الطبعة الثالثة سنة ١٤٠٤، وحكاه عن مستدرك الصحيحين ٣: ١٦٠، كنوز الحقائق: ١٥٥، كنز العمال ٦: ١٥٤، ذخائر العقبى: ١٦ وتجده في كثير من كتب القوم باختلاف في اللفظ.

الظروف وتطور العصور، فإن الشارع دعا إلى أصل مودة النبي وأهل بيته وترك المصاديق والكيفيات إلى عرف الناس واختلاف ظروف الأجيال.

فإذا ثبت أن المودة أصل من أصول الإسلام وفريضة على العباد، كما قاله ﷺ فلابد للمسلم أن يأتي بكل ما يُعدّ مظهراً ومصداقاً لحب النبي وعترته الطاهرة، بشرط أن يكون عملاً مشروعاً بالذات ولم يكن منهياً عنه.

والحب له مصاديق كثيرة بين الناس منها: أن يؤثر الإنسان محبوبه بماله ونفسه وأهله وأن يدافع عنه وعن أهله وماله وعرضه بتمام وجوده فإذا افتقر أعانه وواساه وإذا مرض عاده وتفقده وإذا حُبس سعى في خلاصه بأي شكل كان وقام بأمر عائلته وأولاده وإذا مات شهد تشييعه وتجهيزه واغتم على موته وساهم في جميع مراسمه وعزّى أهله وأولاده وساعدهم وواساهم في المصيبة والبكاء وذهب إلى قبر صديقه لزيارته وقراءة القرآن والدعاء له وإعطاء الصدقات له وسعى في نشر آثار محبوبه والاحتفاظ بها وقام بأنواع الذكريات له وعمّر قبره وحفظه من أن يخرب و... ويهتم بكل ما يعد في العرف مظهر المحبة.

وما ذكرته من المصاديق ترتبط بالمحبة العرفية بين الناس، وأما محبة أهل البيت فلا تقاس على محبة الناس بعضهم بعضاً، لأنها من الواجبات والأصول الإسلامية، بل من أهم الواجبات وعلامة الإيمان وشرط قبول الأعمال، كما ورد في الروايات الصحيحة ويستفاد من نفس الآية الشريفة أيضاً.

إذن لا بد على كل مسلم أن يظهر محبته ووده لهم ويسعى في تحقق تلك المصاديق بنحو أحسن وأكمل، وأن يقصد بها التقرب إلى الله وعبادته وأداء الوظيفة.

فتحصل أن إقامة الذكريات السنوية والإحتفالات وإقامة العزاء

والبكاء ونشر الفضائل والكرامات وزيارة القبور وتعميرها والبناء عليها وتعظيمها وبذل الأموال في هذه المجالات وكل ما يعدّ وُداً ومحبة لهم جائز شرعاً، بل واجب ووظيفة كل مسلم ومسلمة بنص القرآن وبما صح وتواتر من الأحاديث النبوية.

وينبغي التنبيه على أن زيارة قبور الأئمة والعترة الطاهرة بما أنها أحد مصاديق المحبة والود فالآية تثبت مشروعيتها ورجحانها أيضاً.

هذا وقد ورد في الروايات الصحيحة ما يحث على تحقيق هذه الأمور ويرغب في إتيانها، ويحذر من المنع عنها وهي:

السنة والبناء على القبور وتعميرها

فقد ورد وصح عن رسول الله ﷺ ذكر فضيلة تعميرقبور أهل البيت وزيارتها وكثرة ثوابها وذم المخالفين لها.

منها: ما رواه البناني واعظ الحجاز عن جعفر بن محمد، عن أبيه عن جده الحسين، عن أبيه علي عليه السلام أن رسول الله ﷺ قال له: «**والله لتقتلن في أرض العراق، وتدفن بها**» قلت يا رسول الله ما لمن زار قبورنا وعمرها وتعاهدها؟

فقال: يا أبا الحسن: «**إن الله جعل قبرك وقبر ولديك بقاعاً من بقاع الجنة وعرصة من عرصاتها، وإن الله جعل قلوب نجباء من خلقه وصفوة من عباده تحن إليكم وتحتمل المذلة والأذى فيكم فيعمرون قبوركم ويكثرون زيارتها، تقرباً منهم إلى الله، ومودة منهم لرسوله أولئك يا علي المخصوصون بشفاعتي والواردون حوضي، وهم زواري غداً في الجنة.**

يا علي! من عمر قبوركم وتعاهدها فكأنما أعان سليمان بن داود

على بناء بيت المقدس، ومن زار قبوركم عدل ذلك ثواب سبعين حجة بعد حجة الإسلام وخرج من ذنوبه حتى يرجع من زيارتكم كيوم ولدته أمه، فابشر وبشر أوليائك ومحبيك من النعيم وقرة العين بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، ولكن حثالة من الناس يعيرون زوار قبوركم بزيارتكم كما تعير الزانية بزناها، أولئك شرار أمتي لا أنالهم الله شفاعتي ولا يردون حوضي».

وأول الحديث كما في الوسائل، عن أبي عامر واعظ أهل الحجاز بسنده،قال: أتيت أبا عبد الله عليه السلام فقلت له يا بن رسول الله ما لمن زار قبره ـ يعني أمير المؤمنين عليه السلام ـ وعمر تربته؟ فقال: يا أبا عامر حدثني أبي، عن أبيه،عن جده الحسين بن علي، عن علي عليه السلام أن النبي صلى الله عليه وآله قال له: **«والله لتقتلن...»**[1].

سيرة المسلمين والبناء على القبور

فقد جرت سيرة المسلمين من عصر الصحابة إلى يومنا هذا على بناء القبور وتعميرها والمحافظة عليها خاصة قبور الأنبياء والأئمة عليهم السلام والصلحاء والعلماء، وهي أقوى دليل على الجواز لأن اتفاق العلماء في عصر على حكم يعود حجة شرعية، فما تقول باتفاقهم عليه على مرّ الزمان بالأخص في عصر الصحابة.

فقد دفن النبي صلى الله عليه وآله في حجرته المبنية ودفن بعده أبو بكر وعمر في نفس الحجرة ولم يسمع ولا خطر ببال أحد مخالفة هذا العمل والقول بأن

---

(١) الوسائل ١٤: ٣٨٢، في أبواب المزار نقلاً عن التهذيب ٦: ٢٢ / ٥٠، وقد روي هذا الحديث عن أبي عامر بسندين آخرين معتبرين وباختلاف بسير في متن الحديث، وقد تقدم ذكره في أدلة الزيارة.

البناء على القبور محرم وأنه من الوثنية ولم ير أحد فرقاً بين البناء السابق على القبر أو اللاحق لأنه يعد تعظيماً لصاحب القبر واحتراماً له، ولو فرض على زعم البعض أن تواجد قبر تحت بناء من الشرك بالله وتعظيماً لغيره لما صح أن يدفن النبي في الحجرة المبنية وكان اللازم تخريب الحجرة الشريفة ثم دفنه فيه، وما صح دفن أبي بكر وعمر تحت ذلك البناء، لأن ما ورد في شأن رسول الله من الدفن حيث يموت لم يشملهما ولم تكن ضرورة تستوجب دفنهما هناك وارتكاب الحرام على زعم المخالف، لكنه ما خطر ببال أحد من المسلمين والصحابة الأخيار ما ألقى الشيطان ببال المخالفين الأشرار.

تاريخ بناء الحجرة النبوية

على أن الحجرة الشريفة قد رممت كراراً وبنيت لاحقاً، فقد بنى فيها عمر بن الخطاب حائطاً وبنت عائشة حائطاً بينها وبين القبور وكانت تسكنها وتصلي فيها قبل الحائط وبعده وبناها عبد الله بن الزبير، ثم سقط حائطها فبناه عمر بن عبد العزيز ولما وسع المسجد بنى الوليد حصاراً محيطاً بالقبر.

وفي رواية: هدم البيت ثم بناه وتولى ذلك عمر بن عبد العزيز وآزر الحجرة بالرخام ثم أعيد تأزيرها في زمن المتوكل العباسي ثم جدد في زمن المستضي ثم عمل في زمنه للحجرة مشبك من خشب الصندل والأبنوس على رأس جدار عمر بن عبد العزيز.

ثم لما سقط حائط الحجرة في دولة المستضي أعيد بناؤه، ثم لما احترق الحرم الشريف سنة ٦٥٤هـ شرعوا في تجديد الحجرة الشريفة في دولة المستعصم وأكمل تعميرها من آلات وصلت من مصر في عهد الملك المنصور أيبك الصالحي، وأخشاب من صاحب اليمن الملك المظفر، ثم أكمل تعميرها في أيام الملك المنصور قلاوون الصالحي صاحب مصر، فعملت أول قبة على الحجرة

وهي القبة الزرقاء بناها أحمد بن عبد القوي ناظر قوص سنة ٦٧٨هـ، ثم جددت في أيام الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون، ثم في أيام الملك الأشرف سنة ٧٦٥هـ، ثم جددت في دولة الظاهر جقمق سنة ٨٥٢، ثم جدد بناء الحجرة سنة ٨٨١هـ في دولة الملك الأشرف قايتباي صاحب مصر وعمل عليها قبة سفلية تحت القبة الزرقاء.

ثم لما احترق الحرم الشريف ثانياً سنة ٨٨٦هـ أعيد بناء الحجرة الشريفة وعمل عليها قبة عظيمة بدل القبة الزرقاء وذلك في دولة الملك أشرف قايتباي، ثم جدد بناؤها سنة ٨٩١هـ في دولة الملك الأشرف، ولم يزل ملوك بني العباس يجددون ما انهدم منها وكذلك ملوك بني عثمان، وقد جددت في عهد السلطان عبد المجيد منهم[1].

تاريخ بناء قبور الأئمة الأطهار عليهم السلام

وقد بنى الرشيد قبة على قبر أمير المؤمنين عليه السلام وكان الرشيد في المائة الثانية وقد تتابع البانون في بنائها إلى العصر الحاضر.

وقال فيها الحسين بن الحجاج الشاعر المشهور المتوفى ٢٩١هـ في مطلع قصيدة:

يا صاحب القبة البيضا على النجف من زار قبرك واستشفى لديك شفي[2]

وقال الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد: إن الكاظم عليه السلام دفن في مقابر الشونيزية خارج القبة وقبره هناك مشهور يزار وعليه مشهد عظيم فيه القناديل وأنواع الآلات والفرش ما لا يُحدّ.

---

(١) راجع كشف الارتياب: ٣١٤ ـ ٣٢٢، وقد نقل هذا التاريخ من السمهودي في وفاء الوفا: ٢ تاريخ بناء الحجرة النبوية.

(٢) لاحظ كشف الارتياب: ٣٠٨، فقد نقله عن عمدة الطالب وغيره.

ومن كلام الخطيب يستفاد أنه كانت قبة قبل دفن الكاظم عليه السلام في سنة ١٨٢هـ[1].

وهذه قبور أئمة الهدى أبناء رسول الله صلى الله عليه وآله الإمام زين العابدين والباقر والصادق عليهم السلام في البقيع، فإنهم دفنوا في قبة الحسن بن علي عليهما السلام والعباس بن عبد المطلب، وكانت وفاة الإمام زين العابدين في سنة ٥٩ والباقر عليه السلام في سنة ١١٤هـ على الأقوى والصادق عليه السلام في سنة ١٤٨هـ.

وهذا قبر الإمام الرضا عليه السلام الذي وقع في القبة التي دفن فيها هارون الرشيد في دار حميد بن قحطبة وقد بنى المأمون تلك القبة على قبر أبيه وكان في ذلك الزمان كثير من العلماء وأئمة الدين وفي صدرهم الإمام الرضا ووارث علم الرسول المصطفى صلوات الله عليه الذي كان المأمون يعترف بعلمه وكماله، فلو كان البناء حراماً وشركاً لنهت الصحابة والتابعون وتابعوا التابعين وأئمة المسلمين ولنهى الإمام علي بن موسى المأمون من بناء القبة على قبر الرشيد ولما أوصى أن يدفن في تلك البقعة، ولا أقل من الإشارة على المأمون بعدم البناء.

وما ذكرته بعض ما ذكره قاطبة المؤرخين والرجاليين في كتب التراجم والتاريخ حول المباني التي بنيت على القبور من زمن الصحابة إلى العصر الحاضر، واستقصائها لا يناسب هذا المجال.

ومن جميعها يظهر كذب ما زعمه المخالفون من أن البناء على القبور حدث بعد المائة الخامسة.

وهذا قبر بضعة الرسول الحسين بن علي عليه السلام في كربلاء الذي هدموه وسرقوا ما فيه من الجواهر والتحف، واقتدوا في تخريبه بالمتوكل اللعين المعروف بالنصب لأهل البيت، حيث أمر بهدم قبر الحسين عليه السلام في

---

(١) راجع كشف الارتياب: ٣٠٩.

سنة ٢٣٦هـ وإزالة أثره وأن يعاقب من وجد عنده، فقد بذل الجوائز لمن يقدم على تخريبه ولكن لم يجترء أحد عليه، وخشي عقوبة الله فأحجم، ولما رأى الديزج إحجامهم تناول مسحاة وهدّم أعالي قبر الحسين، فعند ذاك قدم الفعلة على العمل ولم يزل قبر الحسين مخروباً وزيارته ممنوعة حتى استخلف المنتصر[1].

ومنه يظهر أن قبر الحسين عليه السلام كان مبنياً بناء عالياً مشيداً بدليل قوله: فهدم أعالي القبر.

ولهذا تألم المسلمون من عمله وكتب أهل بغداد شتمه على الحيطان والمساجد وهجاه الشعراء فقال بعضهم:

تالله إن كانت أمية قد أتت ... قتل ابن بنت نبيها مظلوما
فلقد أتاه بنو أبيه بمثله ... هذا لعمري قبره مهدوما
أسفوا على أن لا يكونوا شاركوا ... في قتله فتتبعوه رميما[2]

ويظهر أيضاً من تألم المسلمين وشتمهم للمتوكل والإمتناع من هدم القبر أن هدم قبور الأولياء وأئمة الدين كان معلوماً قبحه عند المسلمين، لكن بعض النجديين اقتدوا في تخريب القبور بشخص منفور عند جميع المسلمين وأصبحوا كمقتداهم منفورين عند المسلمين بسبب هذه الأعمال الشنيعة والجرائم القبيحة التي يقبحها كل من له ضمير حي وعقل سليم، وينبغي أن يعتبروا من عاقبة المتوكل حيث أخذه الله أخذ عزيز مقتدر فسلط عليه الأتراك وقتلوه بأتعس وجه وبرأي ولده المنتصر، وهكذا تكون عاقبة كل جبار عنيد.

ولا يخفى أن مسألة البناء على قبور الأئمة والصلحاء لا تخص

---

(١) لاحظ كشف الارتياب: ٣١٠ وقد نقله عن المسعودي.

(٢) تاريخ الخلفاء للسيوطي: ٣٤٧ تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد.

المسلمين فقط،بل كانت سيرة جارية بين الأمم وأهل الأديان الماضية، حتى إذا انتصر المسلمون وفتحوا بلاد الشام في خلافة عمر بن الخطاب، وقفوا على قبور الأنبياء وأبنيتها الشامخة ولم يتعرضوا لها بسوء ولم يخطر ببال أحد منهم ـ وفي رأسهم عمر ـ بأن البناء على القبور أمر محرم يجب هدمه.

وهكذا سائر القبور المشيدة المتعلقة بالأنبياء في سائر البلدان بقيت محفوظة مقدسة ولم يأمر أحد بتخريبها ولم يعتقد أحد حرمة تعميرها، إلا العصابة المارقة عن الدين.

وإذا شئت التحقيق والاستقصاء فراجع كتب التاريخ.

ونحن ننقل لك ثمة منها، ففي دائرة المعارف الإسلامية:

إن المسلمين عند فتحهم فلسطين وجدوا جماعة في قبيلة (لخم) النصرانية يقومون على حرم إبراهيم (حبرون) ولعلهم استغلوا ذلك ففرضوا أتاوة على حجاج هذا الحرم... .

وربما يكون توصيف تميم بالداري أن يكون نسبة إلى الدار أي الحرم، وربما كان دخول هؤلاء اللخميين في الإسلام، لأنه قد مكنهم من القيام على حرم إبراهيم الذي قدسه المسلمون تقديس اليهود والنصارى من قبلهم[1].

وجاء أيضاً في مادة الخليل: ويقول المقدسي وهو أول من أسهب في وصف الخليل: إن قبر إبراهيم كانت تعلوه قبة بنيت في العهد الإسلامي.

ويقول مجير الدين: إنها شيدت في عهد الأمويين وكان قبر إسحاق مغطّى بعضه، وقبر يعقوب قباله، وكان المقدسي أول من ذكر تلك الهبات الثمينة التي قدمها الأمراء الورعون من أقاصي البلاد إلى هذا الضريح وذلك الاستقبال الكريم الذي يلقاه الحجاج من جانب التميميين[2].

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية ٥: ٤٨٤، مادة تميم الداري.

(٢) دائرة المعارف الإسلامية ٥: ٤٢٠، مادة خليل.

وفي معجم البلدان في مادة الخليل: الخليل اسم موضع وبلدة فيها حصن وعمارة وسوق يقرب البيت المقدس بينهما مسيرة يوم، فيه قبر الخليل إبراهيم عليه السلام في مغارة تحت الأرض وهناك مشهد وزوار وقوام في الموضع وضيافة للزوار، وبالخليل سمي الموضع واسمه الأصلي حبرون وقيل حبرى.

وفي التوراة: إن الخليل اشترى من عفرون بن صوحار الحثي موضعاً بأربعمائة درهم فضة ودفن فيه سارة، وقد نسب إليه قوم من أصحاب الحديث وهو موضع طيب نزه روح أثر البركة ظاهر عليه، ويقال إن حصنه من عمارة سليمان بن داود عليه السلام.

وقال الهروي: دخلت القدس في سنة ٥٦٧هـ واجتمعت فيه، وفي مدينة الخليل مشايخ حدثوني: إن في سنة ٥١٣هـ في أيام الملك بردويل انخسف موضع في مغارة الخليل فدخل إليها جماعة من الفرنج بإذن الملك فوجدوا فيها إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم السلام وقد بليت أكفانهم وهم مستندون إلى حائط وعلى رؤوسهم قناديل ورؤوسهم مكشوفة، فجدد الملك أكفانهم ثم سد الموضع.

قال: وقرأت على السلفي أن رجلاً يقال له الأرمني قصد زيارة الخليل وأهدى لقيّم الموضع هدايا جمة وسأله أن يمكنه من النزول إلى جثة إبراهيم عليه السلام فقال له: أمّا الآن فلا يمكن، لكن إذا أقمت إلى أن ينقطع الزوار فعلت، فلما انقطعوا قلع بلاطة هناك وأخذ معه مصباحاً ونزلا في نحو سبعين درجة إلى مغارة واسعة، الهواء يجري فيها، وبها دكة عليها إبراهيم عليه السلام ملقى وعليه ثوب أخضر والهواء يلعب بشيبته وإلى جانبه إسحاق ويعقوب، ثم أتى به إلى حايط المغارة فقال له أن سارة خلف هذا الحائط، فهمّ أن ينظر إلى ما وراء الحائط فإذا بصوت يقول: إياك والحرم

فغدوت من حيث نزلت[١].

وفي تاريخ ابن عساكر ما ملخصه: عندما كانوا يحفرون بعد سنة ٨٦هـ جامع دمشق بأمر الوليد بن عبد الملك (ت: ٩٦هـ) وجدوا رأس يحيى بن زكريا في سفط في صندوق تحت ركن من أركان القبة فجعلوه تحت عمود من الأعمدة مسفط الرأس[٢].

وترى لهذا القبر ضريحاً مجللاً تزوره الناس كما زرته كراراً.

وفي النجف قبر هود وصالح وفي قرب الحلة قبر ذي الكفل وعلى هذه القبور مشاهد وقباب تزورها الناس مع أنها كانت في زمن النبي ﷺ وزمن الخلفاء خاصة خلافة أمير المؤمنين التي كان مركزها الكوفة، ولم يتعرض لها أبداً، وهكذا قبر النبي دانيال عليه السلام في شوش له مشهد عظيم يزوره الناس وفي إصفهان قبر نبي الله شعيا وله مشهد وقبة وزوار وقد زرت المشهدين أيضاً كراراً، وهناك قبور ومشاهد أخرى في سائر البلدان.

ولو أردنا أن نحصي ونستقصي الأبنية والمشاهد الرفيعة التي كانت مشيدة على قبور الأنبياء والصالحين قبل الإسلام وما بناه المسلمون في عصر الصحابة والتابعين من العلماء وأئمة الدين إلى يومنا هذا في جميع البلدان، لأصبح كتاباً ضخماً مستقلاً في هذا الباب، ومن ذلك نتوصل إلى هذا الحكم الشرعي الأصيل وهو:

مشروعية البناء على القبور وتعميرها والتحفظ عليها، وهو حكم جار في السنة الشريفة في عصر الرسول ﷺ والصحابة والتابعين وتابعي التابعين إلى يومنا هذا، ولم يسمع له أي مخالف ومعترض.

---

(١) معجم البلدان ـ مادة الخليل، وراجع كتاب البناء على قبور الأنبياء والأولياء للسيد مرتضى العسكري: ١٣ ـ ١٤.

(٢) تاريخ ابن عساكر الجزء الأول، ولاحظ البداية والنهاية لابن كثير ٢: ٦٥ و٩: ١٧٨.

بل إن الجميع يرونه إظهاراً للمحبة وتعظيماً لشعائر الله واحتراماً لمعالم دين الله، ومكافئة للأنبياء والمرسلين والأئمة الهداة المهديين والعلماء الصالحين عما تحملوه من الجهد والإضطهاد من أجل نشر كلمة التوحيد وعبادة الرب المجيد.

ومن خالف تلك السنة الحسنة وعدها شركاً بالله ومن قبيل عبادة الأصنام وخربها وهتك حرمتها، فقد اتبع غير سبيل المؤمنين وصار في صفوف المخالفين المشركين، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً﴾[1].

وفي ختام البحث عن مسألة البناء على القبور وتعميرها، وبعدما بيّنا كلمات الخصم وأدلته التي فنّدناها بالدليل والبرهان والنقض والإبرام بحيث لم يبق أي مانع لمشروعية البناء.

وبعد ما قدمنا أدلة الجواز والرجحان من الكتاب والسنة والسيرة وقد حاولنا الاختصار بنحو لا يخل بالاستدلال، يمكن أن يكون قد بقي عندك ـ أخي القارئ ـ هذا السؤال وهو:

سلمنا رجحان البناء على قبور الأنبياء والأئمة والأولياء وتعميرها وأنها من تعظيم شعائر الله ومن أداء حقوق أولياء الله وسبباً لبقاء كلمتهم وفكرتهم.

لكن ما هذا التعدي عن الحد في ترفيع البنايات وتزيينها وبذل الأموال وتوفير وسائل الراحة فيها التي يمكن أن تؤدي إلى التجمل والإسراف والتضييع؟ مع أن القبور التي كانت في صدر الإسلام وكان

---

(١) النساء: ١١٥.

متداولاً بناؤها ما كانت بهذا الحد من بناء القباب المذهبة والأضرحة المزيّنة وغيرها من المصابيح والأفرشة النفيسة الكثيرة.

الجواب:

إن الحسن والقبح العرفيّين يختلفان باختلاف الأزمنة وأحوال الناس وشؤناتهم، فرب شيء كان في زمن حسناً عند العرف ومزيةً وفي الزمن اللاحق إنعكس أمره وهكذا العكس فالمعيار في الحسن والقبح العرفيّين هو تناسب الحال والزمان.

وفي ابتداء أمر الإسلام حيث إن المسلمين كانوا في حالة الفقر والعسر وضيق المعيشة،وفي هذا الحال لو وُجد مال لكان الأولى أن يصرفوه على تأمين معاشهم أو في أمرٍ أهم مثل الجهاد.

وحتى أن النبي ﷺ بما أنه قدوتهم ونبيهم كان يواسيهم في المأكل والملبس والمسكن،فترى أنه يأكل الجشب ويلبس الخشن أو الخلق،ومسكنه البيت اللاطئ المبني باللبن والسعف ومسجده عريش كعريش موسى، وكانت خطبته في الجمعه أو العيد باتكائه إلى جذع النخل، ثم عملوا له منبراً ونفس المنبر لم يكن يمتاز كثيراً عن الجذع إلا في هيئته.

وهذا كله لئلا تنكسر قلوب الفقراء وأطفالهم، ولأجل أن تطمئن أنفسهم، لأن الناس إذا رأوا سيدهم قانعاً بأدنى اللباس وأدنى الأكل وأقله إطمأنوا به وقويت قلوبهم واتحدت كلمتهم، ولهذا ما كان الالتفات في ذلك الوقت إلى كثرة البناء على القبور وتشييدها وتزيينها.

لكن هذا الأمر قد انعكس في الأزمنة اللاحقة، فإن الإسلام لما توسع أمره وقويت شوكته وحسن حال المسلمين واستولوا على كنوز كسرى وقيصر تغير حالهم في الملبس والمأكل والمسكن،فوسعوا المسجدين المكي

والنبوي وحسنوا بنائهما، وحسنوا بناء الحجرة الشريفة أيضاً ووسعوا سائر المساجد وحسنوا أمرها وما زال أمر التوسعة والتعمير والترفيع مستمراً ومناسباً لتوسعة الأحوال وتطور الأزمان وكثرة الأجيال ولم يكونوا بذلك عاصين ومشركين ولا مبدعين.

بل هذا أمر لابد منه، لازدياد المسلمين يوماً فيوماً وكثرة استقبالهم وتوجهم لتلك المساجد والمشاهد والبيوت الرفيعة التي يذكر فيها الله ويسبح له بالغدو والآصال، فإن المسلمين طبق فهمهم من أحكام الشريعة تصريحاً أو تلويحاً، يرون البناء على قبور أئمة الدين وعظماء المسلمين وتشييدها وتعظيمها، تعظيماً لشأنهم واحتراماً لهم وإحياءً لأمر الدين ويرون فيه شوكة المسلمين وإرغاماً للمخالفين الملحدين.

وعلى فرض تسليم الكراهة في البناء على سائر القبور فإنها محدودة بالقبور التي لم يكن في البناء عليها تعظيماً لشعائر الدين وتقوية لأركانه، فلا تشمل مثل قبور الأنبياء والأئمة الهداة وخيار الصحابة وعظماء الشهداء والعلماء، فإن حفظ حرمتهم وتعظيمهم وتعظيم قبورهم ورفعها تعظيمٌ لأمر الله وتحذيرٌ لدينه وإرغامٌ لأنوف مخالفيه.

وأما كيفيتها وحدّها فيتبع شؤونات الزمان وتطور الاحوال، ففي مثل هذا الزمان وهو زمان التطور والترقي عندما نرى بيوت سائر الناس مرتفعة مزينة وقصور الأشراف مجللة، فلا وجه لجعل بيوت الله وبيوت الأنبياء والأولياء أنزل منها، ولا يرضى أي عاقل بتعلية بيوت سائر الناس على بيوت الله التي أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه، البيوت التي في رفعها وتعظيمها تعظيمٌ لشعائر الله وترويجٌ لدينه.

فالمفروض علينا أن نسعى في زيادة بنائها وتعليتها وزيادة الرواقات والمساجد في أطرافها ونصب القباب الرفيعة عليها وبذل جميع الإمكانات فيها من الفرش والزينة والمصابيح حتى يعظم شأنها وتكون علامة لدين

الله وسبباً لجذب سائر الناس وترغيباً لكثرة عبادة الله فيها.

فإن الإمكانات إذا توفرت وارتاح الزائر عندها توجب كثرة بقائه في تلك المشاهد وكثرة اشتغاله بالدعاء وقراءة القرآن وإقامة الصلاة وأداء الفرائض فيها وهذا هو الذي يخاف العدو منه ويكره تحققه، ولهذا تراه يسعى إلى الحيلولة بإلقاء الشبهات والأفكار السخيفة بألفاظ ظاهرها حسن وباطنها سم مهلك.

فلابد للمسلمين ـ وخاصة شبابهم ـ الحذر من الوقوع في مصائد العدو والاعتماد على كلماته المظلة.

ولا يخفى عليك أنه ليس في بناء القباب وترفيعها وتزيينها، تجديداً لنفس القبور وتعلية لها،فإنها باقية على حالها، بل إنما وُضع أساس القبة بعيداً عنها ليكون فيها علامة للمزار الذي ندب إلى زيارته العزيز الجبار، وهكذا الصندوق الذي على القبر والأضرحة التي حولها فإنها لا ربط لها بالقبر وإنما وضعت لأجل رعاية حرمته وعدم المشي والجلوس عليه.

والحاصل أن أصل البناء من أجل تلك المقاصد المهمة ولبقاء الآثار، وأن تكون علامة للناس خاصة للزائرين مما لا بأس به ولا منع عنه في الشريعة المقدسة.

على أن لازم التوصل إلى زيارة كثير من الاموات وضع العلائم على القبور على اختلاف مراتب المقبورين، فوضع هذه العلائم لأجل التمكن من إدراك فضيلة زيارة القبور.

وفي خصوص الزينة نضيف لك كلمة تزيد في يقينك بأنه لا مانع من الزينة وهي: أنه روي عن علي عليه السلام أن بعض الصحابة أشاروا على عمر أن يأخذ زينة الكعبة ليقوي بها جيوش المسلمين،فقال له علي عليه السلام: إن الأموال قسمها النبي ﷺ على الفقراء وكانت في ذلك اليوم الحُلي

موجودة ولم يقسمها، فلا تخالف وضع رسول الله ﷺ، فقال عمر: لولاك افتضحنا، وأبقى الحلي على حالها[1].

فإذا كانت الكعبة التي هي من شعائر دين الله وعلامة عبادته تُحلى بأنواع الحلي وتزين بأنواع الزينة ولم يمنع منها النبي ﷺ مع كونها في ابتداء الإسلام وضعف أهله، فهكذا في سائر شعائر دين الله، لأن الملاك موجود في الجميع،بل إن النبي وأهل بيته صلوات الله عليهم أجمعين من أعظم وأفضل شعائر دين الله وعلائمه فالملاك في تعظيم بيوتهم وتجليلها وتزيينها أقوى وأتم.

وهذا مضافاً إلى تطور الزمان وتغير الأحوال.

فالمتحصل من جميع ما ذكرنا أن الشبهات التي أوردها أعداء الدين بين المسلمين في زيارتهم لقبور أئمة الدين وبنائها وتعميرها ورفع شأنها بكل نحو ممكن وبحسب اختلاف الأزمان وتطور الأحوال،كلها مردودة وأن هذه الأمور مما لا مانع لها في الشرع المبين، بل هي ممدوحة وتعدّ من عبادة الله وتعظيم شعائره وأداء حقوق أوليائه.

وأما جواب سائر شبهاتهم مثل اتخاذ الخدم والسدنة لتلك المشاهد، فخذه ممافصلناه لك سابقاً ولا نكرر.

بقي الكلام حول اتخاذ المساجد عند القبور والصلاة والدعاء فيها.

وهذه الشبهة قد ظهر جوابها مما تقدم لكن نزيدك جواباً ودليلاً وبرهاناً فيها حتى لا يبقى حجة لمن في قلبه مرض ولا يغر الجاهلين.

---

(١) إحقاق الحق ٨: ٢٠٣ نقلاً عن ربيع الأبرار للزمخشري.

الصلاة عند القبور
وبناء المساجد عليها أو حولها

فالأدلة على جوازها مضافاً إلى ما اتضح في ضمن ما تقدم في البناء على القبور هي:

أولاً:

ما ورد في القرآن الكريم

فقد أمر الله سبحانه المسلمين أن يتخذوا من مقام إبراهيم مصلى فقال: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾، والحال أن المقام كان حجراً قد وضع إبراهيم عليه السلام قدمه حين بناء الكعبة عليه، فقد تشرف بقدم إبراهيم الخليل وصار معظماً وبلغت عظمته أن أمر الله أن يعبد عند هذا المقام ولم يراه من الشرك وعبادة الأوثان وجعله شعاراً من شعائر دينه وعبادته وطاعته.

إذن فما تقول في قبر تشرف وتبرك بضم جسد أعظم أنبياء الله وأشرفهم طيلة الزمان مع العلم بأن جسده لا يبلى وأنه حي عند ربه مرزوق، ولا تقلّ الصلاة عند القبر من الصلاة عند المقام في الفضيلة والبركة، وهكذا الأمر في مشاهد وقبور سائر الأنبياء والأئمة الهداة،فإن الصلاة عندها تمتاز عن غيرها لتشرفها بمن سكن فيها.

وقال سبحانه حاكياً عن المسلمين الذين اطلعوا على أمر أصحاب

الكهف بأنهم رأوا أن يبنوا على مضاجعهم مسجداً يصلون فيه ويعبدون ربهم تبركاً بهم لكن اختلفوا في كيفيته. فقال بعضهم بإيجاد البناء عليهم وبعضهم باتخاذ مضجعهم مسجداً يعبدون الله فيه، ولم يذمهم الله على ذلك.

بل الظاهر من الآية هو المدح والتقرير لفكرتهم، وما حكاه الله من قصص الماضين ليس إلا لأجل اعتبار المسلمين واقتدائهم بالممدوح واجتنابهم القبيح.

فلو كان اتخاذ المسجد على القبور والصلاة عندها حراماً ومنهياً عنه لذمهم الله على فعلهم كما ذم الكفار والمشركين في كثير من الآيات ولحذر المسلمين منه.

لكن من المهازل أن البعض جعلوا هذه الآية دليلاً على مدعاهم وفرضوا رأيهم في تفسير الآية ـ خلافاً لما أطبق عليه المفسرون ـ وكفروا أولئك المؤمنين الذين غلبوا على أمر أصحاب الكهف.

فقالوا بعد ذكر الآية: هذا دليل على أن الذين غلبوا هم الكفار إذ لو كانوا مؤمنين ما اتخذوا على قبور الصاحين مسجداً،لأن النبي ﷺ لعن فاعل ذلك.

فانظر واضحك لكلماتهم التي يرونها كالوحي المنزل وناسخة للقرآن بحيث يجب حمل القرآن على ما يقولون ولا يحق للقرآن مخالفة نظرياتهم، وكأن النبي ﷺ كان موجوداً في زمان أصحاب الكهف ولعن فاعل ذلك ولأجل مخالفتهم لكلام النبي ﷺ صاروا كافرين.

فاستنتجوا من هذه المزاعم أن أصحاب الكهف كانوا كافرين فذمهم الله على فكرتهم، ومنه يستفاد حرمة اتخاذ المساجد على القبور!!!

ولا تعجب كثيراً لأن سائر كلماتهم واجتهاداتهم أمام القرآن والسنة وعلماء المسلمين من هذا القبيل.

ثانياً:

من سنة الرسول

ألف: إن قبور نبي الله إسماعيل وأمه هاجر وسائر الأنبياء الذين دفنوا في حجر إسماعيل وغيره في المسجد الحرام وحتى أن بعضها كان ظاهراً إلى قرون بعد عصر الرسول الأكرم ﷺ، وقد صلى الرسول والأئمة وسائر المسلمين هناك وطافوا حول الحجر إلى يومنا هذا، كل ذلك دليل قاطع وبرهان ساطع على صحة اتخاذ المساجد عليها وصحة الصلاة عندها.

بل ترى أن الصلاة في المسجد الحرام وخاصة في الحجر وتحت الميزاب والدعاء عنده صار أفضل من الصلاة في سائر المساجد والبقاع بمراتب كثيرة، ولو كان شركاً بالله وعبادة للقبور لورد النهي عن الصلاة عندها والطواف حولها ولخُرّبت تلك القبور في عهد الرسول ومن بعده، والحال أنه لم نر أحداً يتفوه بهذا الكلام ولم يخطر ببال أحد أن اتخاذ المساجد والصلاة عندها حرام.

ب: ومن أقوى الأدلة على صحة اتخاذ المسجد حول القبر وقوع قبر النبي ﷺ جنب المسجد الشريف وفي حجرته المسقفة، وصلاة عائشة عنده مدة طويلة ولما دُفن أبو بكر وعمر في جنبه ضُرب الحائط لها.

ولما أزداد عدد المسلمين في عهد الصحابة وأرادوا توسيع المسجد صار قبره الشريف وحجرته المنيفة في وسط المسجد، وذلك في خلافة الوليد بن عبد الملك، وما زال كذلك إلى يومنا هذا وهو بمرأى أهل بيت النبوة والصحابة والتابعين وعلماء الأمة وصلحائها في كل فترة من الزمان، وقد تولى توسعته عمر بن عبد العزيز من بني أمية الذي اعترف به وبفضله قاطبة أئمة المذاهب وهو الذي منع من سب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ورد فدكاً لأولاد فاطمة سلام الله عليها.

ومع هذه التفاصيل لم يسمع من عالم من علماء الأمة في جميع القرون، أنه أفتى بتحريم اتخاذ المساجد على القبور وجعله شركاً وعبادة للقبر، إلا في عصر ابن عبد الوهاب.

فقد قال ابن القيم: إنه لا يجتمع في دين الإسلام مسجد وقبر.

وهو بقوله هذا قد أنكر على وقوع قبر الرسول المصطفى ﷺ في المسجد الشريف، وأنكر على وقوع قبور الأنبياء العظام في المسجد الحرام، وخالف صريح القرآن في حكايته اقتراح اتخاذ المسجد على مضجع أصحاب الكهف، وقد أنكر على أجلاء الصحابة الذين هم أعلم بسنة رسول الله ﷺ منه ومن قدوته،الصحابة الذين ادعى هو وقدوته الاقتداء بهم وأنهم كالنجوم بأيهم اقتدى اهتدى.

فقد أنكروا عليهم جعلهم قبر النبي في وسط المسجد،بل على جميع المسلمين إلى يومنا حيث رضوا بذلك وأقروه، فقد لزم من إنكارهم تخطئة جميع الأمة الإسلامية.

ثم إنه لو كان ما يدعونه من التحريم حقاً وما يستندون إليه من الراويات صحيحاً وكان فيه دلالة على مدعاهم، فلا يبقى لهم وجه في التأمل في تخريب المسجد الشريف أو القبر الشريف أو المسجد الحرام والقبور التي فيه، ولا يجوز لهم الصلاة والدعاء فيهما.

فقد صاروا أيضاً مشركين وعُبّاداً للقبور، لعدم العمل على طبق نظرهم، لأنهم كما خربوا المسجد العظيم الذي كان على قبر حمزة سيد الشهداء في أحد وكما خربوا قبره الشريف وسووه مع التراب،كان المفروض عليهم طبق عقيدتهم الباطلة تخريب المسجد الحرام وما فيه من القبور العظام وقبر النبي ﷺ ومسجده الشريف.

لكنهم اكتفوا من هذا التحريم بوضع الشرطة حول الضريح الشريف

من أجل إيذاء الزائرين وضربهم وشتمهم ومنعهم من الدنو إلى القبر الشريف وتقبيله والتبرك به، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون.

ج: ومن الأدلة على جواز البناء حول القبور أيضاً المسجد المجلل الذي كان فيه قبر حمزة سيد الشهداء، وكان معموراً مجللاً إلى زمان ابن عبد الوهاب، فخربوه مع القبر الشريف ظلماً وعدوانا لشهداء الإسلام وعم الرسول المصطفى ﷺ.

قال السمهودي: قال عبد العزيز الغالب: عندنا أن مصعب ابن عمير وعبد الله بن جحش دفنا تحت المسجد الذي بني على قبر حمزة.

وقال قبل ذلك سيأتي عن عبد العزيز بن عمران: أنه كان على قبر حمزة قديماً مسجد وذلك في المائة الثانية[1]، انتهى.

وقال أيضاً: وأما قبر حمزة فإنه اليوم مبني مجصص بالفضة لا خشب عليه، وفي أعلاه من ناحية رأسه حجر فيه بعد البسملة: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾، هذا مصرع حمزة بن عبد المطلب عليه السلام ومصلى النبي ﷺ عمَّره الفقير إلى رحمة ربه حسين بن أبي الهيجاء غفر الله له ولوالديه سنة ثمانين وخمسمائة[2].

ويؤيد ما نقلناه: أن فاطمة سلام الله عليها كانت تأتي إلى قبر حمزة عليه السلام وتبكي عنده وتصلي عنده وترمّ القبر.

ولو كان اتخاذ المسجد على القبر حراماً والصلاة فيه شركاً لما دفن حمزة في ذلك الموضع ولما صلى النبي ﷺ وابنته الصديقة الكبرى فاطمة الزهراء سلام الله عليها عنده ولمنع منه ونهى عنه علماء الإسلام وأئمتهم

---

(١) وفاء الوفا للسمهودي ٣: ٨٩٧.

(٢) وفاء الوفا للسمهودي ٣: ٩٢٢.

في طيلة هذه القرون المتمادية، ولم نسمع هذا المنع من أحد من المسلمين مطلقاً.

د: ومنها ما رواه السمهودي عن ابن شبة، عن عبد العزيز بن عمران بسنده إلى محمد بن علي بن أبي طالب في حديث ذكر فيه وفاة فاطمة بنت أسد أم علي بن أبي طالب عليه السلام، إلى أن قال: فلما توفيت خرج رسول الله صلى الله عليه وآله فأمر بقبرها فحفر في موضع المسجد الذي يقال له اليوم قبر فاطمة.....

قال السمهودي: وقوله في موضع المسجد.... يقتضي أنه كان على قبرها مسجد يعرف به في ذلك الزمان. انتهى كلام السمهودي[1].

أما قوله: في موضع المسجد..... الظاهر أنه من كلام محمد ابن الحنفية المتوفى سنة ٨١هـ، فيعلم منه أن المسجد كان معموراً قبل ذلك ودفنها رسول الله صلى الله عليه وآله فيه، وهذا العمل من النبي دليل على أنه ليس منهياً عنه.

وما نسب إليه صلى الله عليه وآله من الروايات على فرض صحتها لا دلالة فيها على مدعى الخصم وإنها غريبة عنه.

هذا وقد قدمنا لك ما عثرنا عليه من دليل من الكتاب والسنة وأيدناه بسيرة المسلمين حول صحة الصلاة عند القبور والدعاء عندها وبناء المساجد حولها، ومن هذه الأدلة يعلم حال ما استدل به الخصم من الروايات لتحريم الصلاة والدعاء عند القبور وبناء المساجد عليها، ولجعلها ذريعة لمنع المسلمين من زيارة تلك المشاهد المشرفة وتخريبها.

وتلك الروايات وإن تعرضنا لها سابقاً وفندناها وأثبتنا عدم إمكان استفادة الخصم منها وإنه جعلها ذريعة لمدعاه، لكن نذكرها مرة أخرى من

---

(١) وفاء الوفا للسمهودي ٣: ٨٩٧.

غير تفصيل وهي:

ما نسب إليه ﷺ من قوله: «**لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**».

وقوله ﷺ: «**ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، إني أنهاكم عن ذلك**».

وقوله ﷺ: «**إن أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة**».

وقوله ﷺ: «**لعن الله زائرات ـ أو ـ زوارات القبور والمتخذين عليها مساجد والسروج**».

وأول من استند بهذه الأحاديث وجعلها ذريعة لتحريم الزيارة والبناء على القبور والصلاة والدعاء عندها هو ابن تيمية وقد اقتدى به تلامذته ومن مال إلى فكرتهم المنحرفة، لكنهم اغتروا بها ووقعوا في الاشتباه الفاحش المضحك وقد غفلوا عن الخصوصيات الموجودة في نفسها والقرائن المحفوفة بها فضلاً عن المعارضات الخارجية المسبوق ذكر بعضها في ضمن الأدلة.

وعلى فرض تسليم صحة الأحاديث ومع الغض عن ضعف سندها واضطراب متنها[1]، فإن الطالب للحقيقة والمبتعد عن الطائفية إذا أمعن النظر فيها يصل بسهولة إلى ما سنذكره، وهو: أن كلام النبي ﷺ ناظر إلى اليهود والنصارى الذين اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد وقبلة وعبدوهم.

والدليل عليه ما رواه مسلم من أن أم حبيبة وأم سلمة أخبرن رسول الله ما رأتا من عمل اليهود والنصارى في كنيسة في الحبشة، حيث كانوا

---

(١) فقد تكلم في سندها السيد محسن الامين في كشف الارتياب وضعفها سنداً ومتناً من حيث الاضطراب فراجع الفصل الحادي عشر.

ينصبون الصور على قبور صلحائهم ويجعلون تلك القبور قبلة أين ما اتجهوا ويعبدونها من دون الله.

فكان كلام رسول الله ﷺ ناظراً إليهم، حيث قال: «**لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**». وقال: «**إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيه تلك الصور أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة**».

فإن هذه العبارة «**إن أولئك...**» صريحة في الإشارة إلى ما ذكرته أم حبيبة وأم سلمة بالنسبة لليهود والنصارى لا غيرهم،فلا ربط لها بالمسلمين أبداً.

وعلى نفس هذا المراد يحمل ما في رواية لعن الله زوارات القبور والمتخذين عليها المساجد، فإنه كما فسرت رواية كنيسة الحبشة تلك الروايات التي أطلق فيها لعن اليهود والنصارى الذين اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، فهكذا تفسر هذه الرواية أيضاً لأن الروايات تفسر بعضها بعضاً.

مضافاً إلى ما في جملة «**المتخذين عليها المساجد**» من لام العهد فإنها إشارة إلى أولئك اليهود المذكورين.

وأما اتخاذ السرج فإنه لا مانع منه إذا كان لغرض مهم وفيه فائدة كثيرة كتلاوة القرآن والدعاء،بل إنه معاونة على البر والتقوى كما في الآية، وأنه لا إسراف في الضياء، وعليه فإذا سلمت الكراهة فتخصص بغير تلك الموارد[1].

والدليل الثاني على أن كلامه ﷺ ناظر إلى اليهود والنصارى لا

---

(١) ولا يخفى أن البحث عن صدر الرواية «لعن الله زوارات القبور» قد تقدم في زيارة النساء للقبور مفصلاً ولا نعيده هنا.

غيرهم: قوله ﷺ في رواية مسلم أيضاً: «**إن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد**». فما أصرح منه؟

والدليل الثالث: قوله ﷺ: «**اللّهم لا تجعل قبري وثنا يعبد**».

فإن فيه تحذيراً للأمة عن أن يجعل قبره وثناً يعبد مثل ما فعله اليهود والنصارى، فهذا الكلام قرينة مفسرة لما نهى عنه من اتخاذ القبور مساجد.

والدليل الرابع: قول عائشة التي صلت عند قبره الشريف مدة خمسين عاماً: ولولا ذلك لأبرزوا قبره غير أني أخشى أن يتخذ مسجداً.

فإن خوفها من السجود إلى القبر لا اتخاذ المسجد حوله، ولأجل ذلك بني الحائط وجعل حاجزاً بين القبر والمصلين في المسجد، وإلا فالصلاة عند القبر لله سبحانه واتخاذ الكعبة قبلة أمر ممكن لا مانع منه سواء كان حاجزاً أو لم يكن، أُبرز قبره أو لم يبرز، والدليل عليه أنها صلت هناك مدة طويلة من عمرها.

فقد ثبت بما تقدم من الأدلة والقرائن بطلان ما استدل به الخصم من الروايات على تحريم الصلاة عند القبور وبناء المساجد حولها.

وثبت أن الظاهر من جميع تلك الروايات هو النهي عما كان يفعله السابقون من اتخاذ قبور أنبيائهم والصور التي كانت عليها قبلة والصلاة والسجود إليها كما يسجد للوثن.

ومن الواضح والمعلوم عند الجميع أن هذا لا يفعله أحد من المسلمين حتى عوامهم ولا يؤيده أحد منهم وهم بريؤن من هذا العمل، فالروايات لا تشملهم.

حيث إن كل من يحضر تلك المشاهد ويزورها تراه يتجه إلى الكعبة المعظمة ويصلي لله عند تلك القبور المنورة المشرفة بسبب تضمنها ولي

الله وحجته أو صالحاً من عباده تبركاً بها وطلباً لزيادة الثواب، لشرف المكان الذي ثبت شرفه وحرمته عند الله بسبب ضمه الجسد الشريف.

فإنه قد أصبح ممتازاً عن سائر الأمكنة العادية، والصلاة وعبادة الله عنده لو لم يكن راجحاً لا يكون محرماً قطعاً، ولا تشمله تلك الأخبار.

وحتى لو اتفق كون القبر أمام المصلي وفي قبلته، من دون قصد الصلاة إليه،بل كان قصده الاتجاه إلى الكعبة المعظمة والصلاة إليها لله تعالى، فأيضاً لا تشمله تلك الروايات.

نعم الصلاة على القبر مكروه،كما أن الجلوس عليه كذلك، وهذا أمر لا يتفق في المشاهد، لما على القبور من الأضرحة المانعة من السجود والصلاة عليها.

هذا ويمكن حمل جعل المساجد على القبور التي ورد في الروايات بعد التنزل عن الخدشة في سندها، على السجود والصلاة عليها، فإنه مكروه كما عرفت، ولا ينافيه اللعن الوارد فيها فإنه لتشديد الكراهة،لأن اللعن لغة بمعنى الطرد، وفاعل المكروه مطرود عن الثواب والقرب الإلهي.

ويؤيده ما ورد من اللعن الذي ورد في من يسافر وحده أو يأكل الطعام وحده أو ينام في البيت وحده أو ينام بين الطلوعين وأمثاله، ومن المعلوم أنه لم يقل أحد بالحرمة فيها، بل كلها تدل على الكراهة.

ومن حسن الاتفاق عدم وقوع هذا الأمر المكروه في المشاهد المشرفة لما عليها من الأضرحة وعدم إمكان الصلاة عندها لوجود الإزدحام الناشئ من كثرة الزوار، فلم يبق أي حجة للخصم على المنع والتحريم وإيذاء الزائرين وتخريب تلك القبور المطهرة وهتك حرمتها.

وأما إذا كان حول القبر مسجد كما في الحرم النبوي وبعض المشاهد المشرفة فتكون صلاتهم وعبادتهم لله في المسجد، خاصة مع وجود كثرة

الزائرين وازدحامهم، ففي ذلك الحال لا يمكن الصلاة عند القبور وهو أمر منتف، كما هو مشاهد بالعيان.

وآخر جواب عن تلك الروايات: هو أنه لو سلمنا صحة سندها ودلالتها على ما يدعيه الخصم، فهي مطروحة لمعارضتها مع ما قدمناه من الكتاب والسنة وسيرة المسلمين التي لا يقف أمامها أي دليل فضلاً عن الضعيف الذي لا دلالة فيه.

ولا يخفى عليك أن تشدد المانعين تبعاً لقدوتهم ابن تيمية في أمر المشاهد ناشئ من العداوة والحنق للرسول المصطفى وأهل بيته والغيض على شيعة أهل البيت وقد بلغ عداوة ابن تيمية إلى حد أنكر جملة من فضائل أهل البيت خاصة أمير المؤمنين فقد أنكر فضل ضربته يوم الخندق التي هي أفضل من عبادة الثقلين وأمثالها التي تواتر نقلها حتى من أهل السنة، ولم يجعل حداً في عداوته بالنسبة إلى شيعة أهل البيت بحيث رماهم بأنواع التهم والافتراءات الواهية.

ومما قاله بشأنهم:

الرافضة يعمرون المشاهد التي حرم الله ورسوله بناءها يجعلونها بمنزلة دور الاوثان[1]، وتقدم عنه: يعطلون المساجد التي أمر الله ان ترفع...[2].

وأمثال هذه الكلمات الوقيحة التي يعلم بكذبها كل إنسان منصف، لأن أعمال الشيعة وبلدانها ليست مخفية على أحد من الناس، فإن كل من يحضر في بلدانهم واجتماعاتهم يقطع بكذب المفترين، حيث يجدون مساجدهم معمورة ومملوة من المصلين وإنهم يهتمون بانعقاد الجماعات فيها، ولم تكن محلة أو قرية إلا وفيها مسجد مجلل تقام فيه الجماعات.

---

(١) و (٢) منهاج السنة لابن تيمية: ٢: ٣٩ و ١٠: ١٣١.

وأما تعمير المشاهد فهو أمر لا يخص الشيعة فقط، فقد شاركهم جميع المسلمين حتى أمثال من يدعي الخصم الاقتداء بهم وبمذهبهم في هذا الأمر العظيم الذي هو من تعظيم شعائر الدين والمحافظة عليها، وهو امتثالٌ لأمر رب العالمين وأداء لحق أئمة الدين، وفيه إرغام للمخالفين.

فتحصل من جميع ما قدمناه من الأدلة والجواب عن كلمات الخصم أنه لا مانع من الصلاة عند القبور وتلاوة القرآن والدعاء فيها، وجواز بناء المساجد حولها، بل إنه أمر ممدوح ومن تعظيم شعائر الله وطاعته.

وفي نهاية المطاف نختم الكلام في الجواب عن الشبهات حول الزيارة والمزار، ونتمنى أن نكون قد أبدينا الصواب وأتقنا الجواب طالبين بذلك رضا العزيز الوهاب.

ونعتذر من إطالة الكلام وسوء التعبير والنقيصة في الخطاب وصلى الله على سيدنا محمد وآله الاطياب واللعنة الدائمة على أعدائم أعداء الله الذين لعنهم الله في كتابه فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللهُ فِي الدُّنْيَا والآخِرَةِ وأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾[1] وقال: ﴿والَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[2].

ومن المعلوم أن من آذى أهل بيت رسول الله ﷺ بقتلهم وغصب حقوقهم وتخريب قبورهم ومنع الناس من زيارتهم فقد آذى رسول الله ﷺ لما ورد عنه ﷺ في حديث الكساء:

«اللهم إن هؤلاء أهل بيتي وخاصتي وحامتي اللهم أذهب عنهم

---

(١) الأحزاب: ٣٣.

(٢) التوبة: ٩.

الرجس وطهرهم تطهيراً، أنا حرب لمن حاربهم سلم لمن سالمهم عدو لمن عاداهم...» [١].

وقال ﷺ: **«اشتد غضب الله على من آذاني في عترتي»** [٢].

وقال: «الويل لظالمي أهل بيتي عذابهم مع المنافقين في الدرك الأسفل من النار» [٣].

والحمد لله رب العالمين

سيد عبد المجيد ميردامادي

١٤ ربيع الثاني ١٤٢٤ هـ ش

مشهد المقدسة

---

(١) ذخائر العقبى: ٢٣.

(٢) المناقب لابن المغازلي: ١٨٣.

(٣) المناقب لابن المغازلي: ٦١.

فهرس المصادر

ـ القرآن الكريم

حرف الألف

ـ **الابانة عن أصول الديانة** لابن بطة العكبري الحنبلي المتوفى سنة ٣٨٧ هـ، نقلته بالواسطة.

ـ **الاتحاف بحب الاشراف**، الشيخ عبد الله الشبراوي الشافعي شيخ جامع الأزهر، المتوفى سنة ١١٧٢هـ، طبع في مطبعة مصطفى الحلبي، والادبية بمصر

ـ **إتحاف الزائر**، عبد الصمد ابن عساكر المتوفى سنة ٦٨٦ هـ، طبع شركة دار الأرقم ـ بيروت.

ـ **إتحاف السادة المتقين**، محمد بن محمد الحسيني الزبيدي الحنفي المتوفى سنة ١٢٠٥هـ، طبع في الميمنية بمصر.

ـ **الاحتجاج**، للشيخ أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي من علماء القرن السادس، طبع نشر المرتضى.

ـ **احقاق الحق وازهاق الباطل**، السيد نور الله الحسيني المرعشي التستري الشهيد في بلاد الهند سنة ١٠١٩ هـ، طبع مكتبة المرعشي النجفي ـ قم.

ـ **الأحكام السلطانية**، أبو الحسن علي بن محمد البصري البغدادي

الماوردي المتوفى سنة ٤٥٠ هـ، طبع دار الكتاب العربي ـ بيروت.

ـ **إحياء علوم الدين**،أبو حامد محمد بن محمد الغزالي المتوفى سنة ٥٠٥هـ،طبع دار الكتب العلمية ـ بيروت.

ـ **أخبار إصبهان**، لابي نعيم الاصبهاني المتوفى سنة ٤٣٠هـ، طبع مؤسسة النصر بطهران.

ـ **أخبار القضاة**، لابن حبان الاندلسي المتوفى سنة ٣٣٠هـ، طبع في مطبعة الاستقامة بالقاهرة.

ـ **الاربعين**، للحافظ ابن أبي الفوارس،نقلته بالواسطة.

ـ **أرجح المطالب**، الشيخ عبيد الله الآمرتسري الحنفي المتوفى سنة ١٩٦ هـ، طبع في لاهور والقاهرة.

ـ **إرشاد الساري** في شرح صحيح البخاري، للقسطلاني المتوفى سنة ٩٢٣هـ، طبع دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

ـ **الارشادات السنية**، الشيخ عبد المعطي السقا الشافعي المتوفى سنة ١٢٨٩هـ، نقلته مع الواسطة.

ـ **الاستبصار**، للشيخ محمد بن الحسن الطوسي المتوفى ٤٠٦ هـ، طبع دار الكتب الإسلامية ـ قم.

ـ **الاستيعاب**، لابن عبد البر القرطبي المتوفى سنة ٤٦٣هـ،طبع دار الكتب العلمية ـ بيروت.

ـ **أُسد الغابة** في معرفة الصحابة، لعز الدين علي بن محمد المعروف بابن الأثير المتوفى سنة ٦٣٠ هـ، طبع المدرسة الإسلامية بمصر.

ـ **الاصابة في تمييز الصحابة**، لابن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢ هـ،طبع دار الكتب العلمية ـ بيروت.

ـ **أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام**، عمر رضا كحاله، طبع مؤسسة الرسالة ـ بيروت.

ـ **إقبال الاعمال**، السيد رضي الدين علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن طاووس، المتوفى سنة ٦٦٤ هـ، طبع مكتب الاعلام الاسلامي.

ـ **إكمال الرجال** للخطيب العمري التبريزي المتوفى سنة ٧٣٧هـ طبع في دار الفكر ـ بيروت.

ـ **أمالي الصدوق**، لمحمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي المتوفى ٣٨١هـ، طبع مؤسسة البعثة ـ قم.

ـ **أمالي الطوسي**، للشيخ محمد بن الحسن الطوسي المتوفى سنة ٤٦٠ هـ، طبع مكتبة الداوري ـ قم.

ـ **الامام الحسين** عليه السلام، للدكتور محمد بيومي مهران، طبع دار النهضة العربية ـ بيروت.

ـ **إمتاع الأسماع** بما للنبي صلى الله عليه وآله من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، تقي الدين أحمد بن علي المقريزي المتوفى سنة ٨٤٥ هـ، طبع منشورات محمد علي بيضون ـ دار الكتب العلمية بيروت.

ـ **أنساب الاشراف**، أحمد بن يحيى البلاذري المتوفى سنة ٢٧٩ هـ، طبع دار الفكر ـ بيروت.

ـ **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، لناصر الدين البيضاوي المتوفى سنة ٦٩١ هـ، طبع ونشر دار الجيل.

ـ **أهوال القبور وأحوال أهلها إلى النشور**، للحافظ أحمد بن رجب الحنبلي البغدادي الدمشقي المتوفى سنة ٧٩٥هـ، طبع انتشارات الشريف الرضي.

ـ **الإيضاح في المناسك** محي الدين النووي الشافعي، المتوفى سنة ٦٧٦هـ نقلته عن الواسطة.

حرف الباء

ـ **البداية والنهاية**، لابن كثير المتوفى سنة ٧٧٤هـ، طبع دار الفكر ـ بيروت.

ـ **بحار الأنوار** الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، للعلامة محمد باقر المجلسي المتوفى سنة ١١١١هـ، طبع مؤسسة الوفاء ـ بيروت.

ـ **بشارة المصطفى**، لمحمد بن علي الطبري المتوفى سنة ٥٢٥ هـ، طبع مؤسسة النشر الإسلامي.

ـ **البناء على قبور الأنبياء والأولياء**، للسيد مرتضى العسكري نقلته بالواسطة

ـ **بيان القرآن والعترة في أسرار الحج والعمرة** السيد حسين الفالي، الطبعة الثانية نگين ـ قم.

حرف التاء

ـ **التاج الجامع للاصول**، للشيخ منصور علي ناصف من علماء الأزهر، طبع دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، الطبعة الخامسة.

ـ **تاج العروس**، لمحمد بن مرتضى الزبيدي المتوفى سنة ١٢٠٥هـ، طبع مكتبة الحياة ـ بيروت.

ـ **تاريخ الاسلام والرجال**، سراج الدين عثمان ددة الحنفي، نقلته بالواسطة.

ـ **تاريخ بغداد**، للحافظ الخطيب البغدادي المتوفى سنة ٤٦٣هـ، طبع

دار الكتاب العربي ـ بيروت.

ـ **تاريخ الخلفاء**، للحافظ جلال الدين السيوطي المتوفى سنة ٩١١ هـ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد.

ـ **تاريخ الكامل**، لابن الأثير مبارك بن محمد الشافعي المتوفى سنة ٦٠٦هـ، طبع المنيرية مصر سنة ١٣٥٦هـ.

ـ **تاريخ مدينة دمشق**،لأبي القاسم علي بن الحسن الشافعي المعروف بابن عساكر المتوفى سنة ٥٧١هـ، طبع دار الفكر ـ بيروت.

ـ **تاريخ مكة المكرمة**، لقطب الدين الحنفي، طبع بهامش خلاصة الكلام بمصر.

ـ **التبرك**، للشيخ الأحمدي الميانجي، طبع في قسم الدراسات الإسلامية ـ مؤسسة البعثة ـ طهران.

ـ **تبرك الصحابة**، للمحقق محمد طاهر بن عبد القادر الكردي المكي من علماء مكة المكرمة المتوفى سنة ١٩٨٠م، طبع بالقاهرة سنة ١٩٧٤م

ـ **تبيين المسالك في شرح تدريب السالك إلى أقرب المسالك**، للشيخ عبد العزيز حمد آل مبارك الاحسائي المالكي، طبع دار الغرب الإسلامي ـ بيروت.

ـ **تحقيق النصرة في تاريخ دار الهرة**، زين الدين أبو بكر القريشي العثماني تأليف المصري المراغي المتوفى سنة ٨١٦هـ، طبع بمصر

ـ **تدريب الراوي، في شرح تقريب النووي**، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي الشافعي المتوفى سنة ٩١١ هـ، طبع المكتبة العلمية ـ المدينة المنورة.

ـ **تذكرة الحفاظ**، لشمس الدين محمد بن أحمد عثمان الذهبي المتوفى

سنة ١٣٤٨هـ، طبع دار الكتب العلمية ـ بيروت.

ـ **تذكرة الخواص**، سبط ابن الجوزي ـ يوسف البغدادي ـ المتوفى سنة ٦٧١هـ، طبع دار الكتب العلمية ـ بيروت.

ـ **التعليقة على حسن الأثر**، الشيخ محمد الحوت البيروتي الشافعي المتوفى سنة ١٢٧٦ هـ، نقلته بالواسطة

ـ **تفسير الجلالين**، للإمامين جلال الدين محمد بن أحمد المحلي، وجلال الدين عبد الرحمن السيوطي، المتوفى سنة ٩٠٠هـ، طبع دار المعرفة ـ بيروت.

ـ **تفسير الخطيب الشربيني** الشافعي المتوفى سنة ٩٧٧ هـ، طبع دار المعرفة ـ بيروت.

ـ **تفسير روح البيان**، للبروسي، طبع ونشر دار إحياء التراث العربي ـ بيروت

ـ **تفسير روح المعاني**، شهاب الدين محمود الآلوسي البغدادي المتوفى سنة ١٢٧٠هـ، طبع دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

ـ **تفسير علي بن إبراهيم القمي**، المتوفى سنة ٣٢٩هـ، طبع مؤسسة دار الكتاب ـ قم.

ـ **تفسير القرآن العظيم**، أبو الفداء إسماعيل بن كثير القريشي الدمشقي المتوفى سنة ٧٧٤هـ، طبع دار المعرفة ـ بيروت.

ـ **التفسير الكبير**، للفخر الرازي المتوفى سنة ٦٠٦هـ، طبع دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

ـ **تفسير مجمع البيان**، للشيخ أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي المتوفى سنة ٥٦٠هـ، طبع مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ـ بيروت.

ـ **تفسير محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي** المتوفى سنة ٦٧١هـ، طبع مؤسسة التاريخ العربي ـ بيروت.

ـ **تفسير النسفي**، عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، طبع دار الكتب العلمية ـ بيروت.

ـ **تفسير نور الثقلين**، للشيخ العروسي الحويزي المتوفى ١١١٢هـ، طبع في مطبعة العلمية ـ قم.

ـ **تقريب التهذيب**، للحافظ ابن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢هـ، طبع ونشر دار الكتب العلمية ـ بيروت.

ـ **تلخيص الحبير** لابن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢ هـ،طبع دار الفكر ـ بيروت.

ـ **تنبيه زائر المدينة على الممنوع والمشروع في الزيارة**، صالح غانم السدلان، طبع دار بلنسية للنشر والتوزيع ـ الرياض.

ـ **تهذيب الأحكام**، للشيخ محمد بن الحسن الطوسي المتوفى سنة ٤٦٠هـ، طبع دار الكتب الإسلامية ـ إيران.

ـ **تهذيب التهذيب**، لابن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢ هـ، طبع في مطبعة العثمانية ـ حيدر آباد

ـ **تهذيب الطالب**، لعبد الحق بن محمد الصقلي المالكي المتوفى سنة ٤٦٦هـ، نقلته بالواسطة.

ـ **تهذيب اللغة**، لمحمد بن أحمد الأزهري المتوفى سنة ٣٧٠هـ طبع الدار المصرية للتأليف والنشر.

ـ **التوسل والوسيلة**، للشيخ تقي الدين ابن تيميه الحراني المتوفى سنة ٧٢٨هـ، طبع دار الكتاب الإسلام، لبنان.

حرف الثاء

ـ **ثواب الأعمال وعقاب الأعمال**: للشيخ الصدوق محمد بن علي بن الحسين المتوفى سنة ٣٨١هـ، طبع منشورات الشريف الرضي ـ قم.

ـ **الثقات**، لمحمد بن حبان البستي المتوفى سنة ٣٥٤ هـ، طبع دار المعارف العثمانية ـ حيدر آباد.

حرف الجيم

ـ **جامع الأخبار**، للشيخ محمد السبزواري من أعلام القرن السابع الهري، طبع مؤسسة آل البيت لإحياء التراث ـ قم.

ـ **الجامع الصغير**، لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي المتوفى ٩١١هـ، طبع دار الفكر ـ بيروت.

ـ **جامع كرامات الأولياء**، للشيخ يوسف بن اسماعيل النبهاني المتوفى سنة ١٣٥٠هـ، طبع دار الفكر بيروت.

ـ **جامع مسانيد أبي حنيفة**، محمد بن محمود أبو مؤيد الخوارزمي المتوفى سنة ٦٥٥هـ،طبع في حيدر آباد.

ـ **جريدة ام القُرى السعودية**، العدد ٦٩ بتاريخ ١٧ شوال سنة ١٣٤٤.

ـ **الجواهر المضية في طبقات الحنفية**، لابن أبي الوفاء عبد القادر القرشي الحنفي المتوفى سنة ٧٧٥هـ، طبع في حيدر آباد ـ هند.

ـ **جواهر المطالب**، شمس الدين محمد بن أحمد الدمشقي الباعوني الشافعي المتوفى سنة ٨٧١ هـ، طبع مجمع إحياء الثقافة الاسلامية ـ قم

ـ **الجوهر المنظم في زيارة القبر المكرم**، ابن حجر الهيثمي المكي الشافعي المتوفى سنة ٩٧٣هـ، طبع سنة ١٢٧٩بمصر.

حرف الحاء

ـ **حاشية الإيضاح**، لابن حجر الهيثمي المتوفى سنة ٩٧٣هـ نقلته بالواسطة.

ـ **حاشية غرر الأحكام**، المطبوعة بهامش درر الأحكام، للشيخ أبي البركات حسن بن عمار الوفائي الشرنبلالي الحنفي المتوفى سنة ١٠٦٩هـ، نفلته بالواسطة.

ـ **الحج والعمرة والزيارة على ضوء الكتاب والسنة**، لعبد العزيز بن باز، نقلته بالواسطة.

ـ **حلية الأولياء**، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الإصبهاني المتوفى سنة ٤٣٠هـ، طبع دار الفكر- بيروت.

ـ **حياة الامام علي** عليه السلام، محمود شلبي، معاصر، طبع دار الجيل – بيروت.

ـ **حياة الأنبياء في قبورهم**، أبو بكر أحمد بن البيهقي المتوفى سنة ٤٥٨هـ، نقلته بالواسطة.

حرف الخاء

ـ **الخصائص الكبرى**، أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن أبي بكر السيوطي الشافعي المتوفى سنة ٩١١هـ، طبع دار الكتاب العربي بيروت.

ـ **الخصال**، للشيخ الصدوق محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، المتوفى ٣٨١هـ، طبع مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ـ قم.

ـ **خلاصة الكلام في أُمراء البلد الحرام**، لمؤلفه المفتي أحمد زيني دحلان المكي الشافعي المتوفى سنة ١٣٠٤ هـ،طبع بمصر سنة ١٣٠٥هـ.

ـ **الخيرات الحسان**، لابن حجر الهيثمي المكي المتوفى سنة ٩٧٤هـ، طبع في مصر.

ـ **دائرة المعارف الإسلامية**، حسن الأمين، طبع في دار التعارف للمطبوعات ـ الطبعة الرابعة.

ـ **دُر بحر المناقب**، جمال الدين محمد بن أحمد الحنفي الموصلي الشهير بابن حسنويه المتوفى سنة ٦٨٠ هـ، نقلته بالواسطة.

ـ **الدرة الثمينة في أخبار المدينة**، للحافظ أبو عبدالله ابن النجار البغدادي المتوفى سنة ٦٤٣هـ، مطبوع بآخر شفاء الغرام.

ـ **الدروس الشرعية في فقه الإمامية**، للشهيد الأول شمس الدين محمد بن مكي العاملي المستشهد سنة ٧٨٦هـ،طبع مؤسسة النشر الإسلامي ـ قم.

ـ **دفع الشبه عن الرسول ﷺ والرسالة**، تأليف تقي الدين الحصني الدمشقي الشافعي المتوفى سنة ٨٢٩هـ، طبع دار إحياء الكتاب العربي ـ القاهرة.

ـ **دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة**، لابي بكر أحمد بن الحسين البيهقي المتوفى سنة ٤٥٨هـ، طبع دار الكتب العلمية ـ بيروت.

ـ **دول الإسلام**، للحافظ شمس الدين أبي عبد الله الذهبي المتوفى سنة ٧٤٦هـ، طبع مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ـ بيروت.

حرف الذال

ـ **ذخائر العقبى**، للحافظ محب الدين أحمد بن عبد الله الطبري المتوفى سنة ٤٥٨هـ، طبع مؤسسة الوفاء ـ بيروت.

حرف الراء

- **ربيع الابرار**، محمود بن عمر الزمخشري المعتزلي المتوفى سنة ٥٣٨ هـ، طبع منشورات الرضي - قم.

- **رحلة ابن بطوطة**، محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي المتوفى سنة ٧٧٩هـ، طبع دار الكتب العلمية - بيروت.

- **رحلة ابن جُبير** الكناني الاندلسي المتوفى سنة ٦١٤هـ، طبع دار الكتاب اللبناني - بيروت.

- **رشفة الصادي في فضل النبي الهادي**، أبو بكر بن عبد الرحمن الحضرمي الشافعي المتوفى سنة ١٣٤١ هـ، طبع بمصر سنة ١٣١٦ هـ.

- **رفع الاستار عن محيا محدرات طلعة الأنوار**، لعبد الله بن الحاج ابراهيم الشنقيطي، نقلته بالواسطة.

- **رفع المنارة في أحاديث الزيارة**، للشيخ محمود سعيد ممدوح طبع دار الإمام النووي - عمان.

- **الروض الفائق في المواعظ والرقائق**، شعيب عبد الله بن سعد المصري المكي المشهور بالحريفش المتوفى سنة ٨٠١هـ، طبع في المطبعة الخيرية بمصر، منشورات محمد علي بيضون - دار الكتب العلمية - بيروت.

- **روضة المتقين**، في شرح من لا يحضره الفقيه، للمولى محمد تقي المجلسي المتوفى سنة ١٠١٧هـ، طبع بنياد فرهنگ إسلامي - مشهد.

- **الروضة الندية**، للشيخ مصطفى رُشدي الدمشقي المتوفى سنة ١٣٠٩هـ، طبع في مطبعة الخيرية بمصر.

- **الرياض النضرة في مناقب العشرة**، محب الدين الطبري المتوفى

سنة ٦٩٤هـ، طبع دار الكتب العلمية ـ بيروت.

حرف الزاء

ـ **زهر الادب** المطبوع بهامش عقد الفريد، أبو إسحاق إبراهيم الحصري القيرواني المالكي المتوفى سنة ٤٥٣ هـ، طبع في مطبعة الشرفية بمصر.

حرف السين

ـ **سُبُل السلام**، لابن حجر العسقلاني المتوفى سنة ١١٨٢ هـ، طبع مكتبة ومطبعة مصطفى الباني الحلبي وأولاده بمصر.

ـ **سبل الهدى والرشاد**، للصالحي الشامي المتوفى سنة ٩٤٢هـ،طبع دار الكتب العلمية ـ بيروت.

ـ **السلفية بين أهل السنة والامامية**، السيد محمد الكثيري، طبع في مركز الغدير للدراسات الإسلامية

ـ **سنن ابن ماجة**، لمحمد بن يزيد القزويني المتوفى سينة ٢٧٥هـ، طبع دار الفكر- بيروت.

ـ **سنن الترمذي (الجامع للصحيح)** لمحمد بن عيسى الترمذي المتوفى سنة ٢٩٧هـ، طبع دار الفكر ـ بيروت.

ـ **سنن الدار قطني**، لعلي بن عمرالدارقطني المتوفى سنة ٣٨٥هـ، طبع دار الكتب العلمية ـ بيروت.

ـ **السنن الكبرى**، لاحمد بن الحسين البيهقي المتوفى سنة ٤٥٨هـ، طبع دار الفكر ـ بيروت.

ـ **السيرة الحلبية**، علي بن برهان الدين الحلبي الشافعي المتوفى

١٠٤٤هـ، طبع في مطبعة الاستقامة بالقاهرة، دار المعرفة ـ بيروت.

ـ **السيرة النبوية**، لابن هشام المتوفى سنة ٢١٣ أو ٢٨١هـ، طبع دار الكتاب العربي ـ بيروت.

ـ **السيرة النبوية**، للسيد أحمد زيني دحلان مفتي الحرمين الشريفين، طبع بهامش السيرة الحلبية في مطبعة الاستقامة بمصر.

ـ **السيرة النبوية الشريفة**، الدكتور محمد بيومي مهران استاد كلية الأدب بالقاهرة،طبع دار النهضة العربية ـ بيروت.

ـ **السيف الصقيل في الرد على ابن زفيّل**، للسبكي مع تكملة الرد على نونية ابن القيّم للشيخ محمد زاهد الكوثري، طبع لجنة علماء الأزهر ـ مكتبة زهران.

حرف الشين

ـ **شذرات الذهب**، لعبد الحي بن العماد الحنبلي المتوفى سنة ١٠٨٩ هـ، طبع دار الفكر ـ بيروت.

ـ **شرح الشمائل**، للشيخ علي القاري الحنفي المتوفى ١٠١٤هـ، نقلته بالواسطة.

ـ **شرح السنة**، الحسين بن مسعود البغوي المتوفى سنة ٥١٦هـ، نقلته بالواسطة.

ـ **شرح سنن ابن ماجة القزويني**، أبو الحسن السندي ـمحمد بن عبد الهادي الحنفي ـ المتوفى سنة ١١٣٨هـ، طبع دار الجيل ـ بيروت.

ـ **شرح سنن النسائي** المتوفى ٣٠٣هـ، للسيوطي المتوفى ٩١١هـ، طبع دار الفكر ـ بيروت.

ـ **شرح الشفا**، شهاب الدين الخفاجي الحنفي المصري المتوفى سنة

١٠٦٩ هـ،طبع في المطبعة العثمانية سنة ١٣١٥ هـ.

ـ **شرح الشفا**، الملا علي القاريء الهروي الحنفي المتوفى سنة ١٠١٤ هـ، طبع دار الكتب العلمية ـ بيروت.

ـ **شرح صحيح مسلم**، للحافظ أبو زكريا النووي الشافعي المتوفى سنة ٦٧٦هـ، طبع دار الكتاب العربي ـ بيروت.

ـ **شرح المواهب اللدنية**، للعلامة الزرقاني المتوفى سنة ٩٢٣هـ، طبع دار الكتب العلمية ـ بيروت.

ـ **شرح نهج البلاغة**، لابن أبي الحديد المعتزلي المتوفى سنة ٦٥٦هـ، طبع دار الكتب العربية ـ بيروت.

ـ **شعب الايمان**، للحافظ أحمد بن الحسين بن علي البيهقي المتوفى سنة ٤٥٨هـ، طبع دار الكتب العلمية ـ بيروت.

ـ **الشفا بتعريف حقوق المصطفى**، القاضي أبو الفضل العياض اليحصبي المتوفى سنة ٥٤٤هـ، طبع دار الكتب العلمية ـ بيروت.

ـ **شفاء السقام في زيارة خير الأنام**، للحافظ تقي الدين السبكي الشافعي المتوفى سنة ٧٥٦هـ، الطبعة الرابعة.

ـ **الشمائل المحمدية**، لمحمد بن عيسى بن سورة الترمذي المتوفى سنة ٢٧٩هـ، طبع ونشر مؤسسة الكتب الثقافية ـ بيروت.

ـ **شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق**، يوسف بن اسماعيل النبهاني المتوفى سنة ١٣٥٠هـ، طبع في مصر في مطبعة الميمنية.

حرف الصاد

ـ **الصارم المنكي في الرد على السبكي**، لمحمد بن أحمد عبد الهادي السندي المتوفى سنة ١١٣٨هـ، طبع في مطابع الفرقان في القاهرة ـ توزيع

الرئاسة العامة للافتاء بالسعودية.

ـ **صحيح البخاري**، لمحمد بن إسماعيل البخاري المتوفى ٢٥٦هـ، طبع ونشر دار الفكر ـ بيروت.

ـ **صحيح سنن المصطفى المعروف بسنن أبي داود**، لأبي داود سليمان بن الاشعث السجستاني المتوفى سنة ٢٧٥هـ، طبع دار الكتاب العربية ـ بيروت.

ـ **صحيح مسلم**، لمسلم بن الحجاج النيسابوري المتوفى سنة ٢٦١هـ، طبع دار الفكر ـ بيروت.

ـ **الصراع بين الوثنية والإسلام**، عبد الله علي القصيمي نزيل القاهرة، نقلته عن كتاب الغدير.

ـ **صفة الصفوة**، لابن الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧هـ، طبع دار الحديث ـ القاهرة.

ـ **صلح الاخوان في الرد على من قال على المسلمين بالشرك والكفران**، الشيخ داوود بن سليمان النقشبندي الخالدي البغدادي المتوفى سنة ١٢٩٩هـ، نقلته بالواسطة.

ـ **الصواعق الالهية في الرد على الوهابيه**، الشيخ سليمان بن عبد الوهاب من أعلام القرن الثالث عشر، طبع مكتبة حراء ـ دمشق ـ تحقيق بسام عمقية.

حرف الضاد

ـ **الضعفاء**، محمد بن عمر العقيلي المكي المتوفى سنة ٣٢٢ هـ، طبع دار الكتب العلمية ـ بيروت.

حرف الطاء

ـ **طبقات القراء**، محمد بن محمد ابن الجزري الشافعي المتوفى سنة ٨٣٣هـ، طبع في مطبعة السعادة بمصر.

ـ **الطبقات الكبرى**، لابن سعد المتوفى سنة ٢٣٠هـ،طبع دار صادر ـ بيروت.

ـ **طرح التثريب في شرح التقريب**، للحافظ العراقي المتوفى سنة ٨٢٦هـ، طبع في مطبعة جمعية النشر بمصر.

حرف العين

ـ **العروة الوثقى**، للسيد كاظم الطباطبائي اليزدي طبع انتشارات دارالتفسير ـ قم.

ـ **العقد الفريد**، لابن عبد ربه الاندلسي المتوفى سنة ٣٢٨هـ طبع شركة دار الأرقم ـ بيروت.

ـ **علل الحديث** للحافظ عبد الرحمن الرازي ابن أبي حاتم المتوفى سنة ٣٢٧هـ طبع دار المعرفة ـ بيروت.

ـ **علل الشرائع**، للشيخ الصدوق محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي المتوفى سنة ٣٨١هـ، طبع مؤسسة النشر الإسلامي ـ قم.

ـ **العلل المتناهية في الاحاديث الواهية**، أبو الفرج بن الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧ هـ، طبع دار الكتب العلمية ـ بيروت.

ـ **العلل والسؤالات** العزّ بن جماعة الحموي الشافعي المتوفى سنة ٨١٩ هـ، نقلته بالواسطة.

ـ **عون المعبود** شرح سنن أبي داود، لمحمد شمس الحق العظيم آبادي المتوفى سنة ١٣٢٩هـ، طبع دار الكتب العلمية ـ بيروت.

ـ **عمدة القاريء شرح صحيح البخاري**، لمحمد بن محمود العيني المتوفى سنة ٨٥٥ هـ، طبع دار الكتب العلمية ـ بيروت.

ـ **عيون أخبار الرضا**، محمد بن علي بن الحسين ابن بابويه القمي ـ الصدوق ـ المتوفى سنة ٣٨١هـ، طبع مؤسسة الأعلمي ـ بيروت.

ـ **عوالم العلوم والمعارف**، الشيخ عبد الله البحراني المتوفى سنة ١١٣٠ هـ، طبع مؤسسة الامام المهدي ـ قم

حرف الغين

ـ **الغدير في الكتاب والسنة والأدب**، عبد الحسين أحمد الأميني النجفي طبع دار الكتب العربية ـ بيروت: ١٦٨.

حرف الفاء

ـ **الفتاوى الحديثة**، لأبن حجر الهيثمي المكي المتوفى سنة ٩٧٣هـ، طبع دار المعرفة ـ بيروت،الميمنية بالقاهرة ١٠٣٧هـ.

ـ **الفتاوى الكبرى**، للشيخ تقي الدين ابن تيمية الحراني المتوفى سنة ٧٢٨ هـ، طبع شركة دار الأرقم ـ بيروت.

ـ **فتح الباري في شرح صحيح البخاري**، لابن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢ هـ، طبع دار الريان للتراث بمصر.

ـ **فتح العزيز شرح الوجيز**، عبد الكريم الرافعي المتوفى سنة ٦٢٣ هـ، طبع دار الفكر ـ بيروت.

ـ **فتح المجيد شرح كتاب التوحيد**، لعبد الرحمن بن حسن آل الشيخ المتوفى ١٢٨٥هـ، طبع مكتبة السلفية ـ المدينة.

ـ **فتوحات الشام**، أبو عبدالله محمد بن عمر بن واقد الواقدي

المتوفى سنة ٢٠٧هـ طبع دار الجيل ـ بيروت.

ـ **فرائد السمطين**، إبراهيم بن محمد بن المؤيد الجويني المتوفى سنة ٧٣٠هـ، طبع مؤسسة المحمودي للطباعة والنشر ـ بيروت.

ـ **الفردوس بمأثور الخطاب**، أبو منصور شهردار بن شيرويه الديلمي المتوفى سنة ٥٠٩ هـ طبع دار الكتب العلمية بيروت.

ـ **فصل الخطاب**، محمد بن محمود الحافظي المعروف بخواجه بارساي البخاري المتوفى سنة ٨٢٢ هـ، نقلته بالواسطة.

ـ **الفصول المهمة**، لابن الصباغ المالكي المكي المتوفى سنة ٨٥٥هـ، طبع دار الأضواء.

ـ **فضائل التسمية بأحمد ومحمد**، للحسين بن أحمد بن بكير المتوفى سنة ٣٨٨هـ، طبع دار الصحابة للتراث ـ طنطا.

ـ **فضل الصلاة على النبي ﷺ**، للقاضي إسماعيل بن اسحاق الجهضمي المالكي المتوفى سنة ٢٨٢هـ، طبع المكتب الإسلامي ـ بيروت.

ـ **في ظل أصول الإسلام**، الشيخ جعفر السبحاني طبع مؤسسة الامام الصادق ـ لجنة ادارة الحوزة العلمية ـ قم.

ـ **الفقه على مذاهب الأربعة**، جمع من العلماء المذاهب الأربعة في مصر، نقلته بالواسطة.

ـ **الفقه على المذاهب الخمسة**، محمد جواد مغنية،طبع دار التعارف للمطبوعات.

ـ **فيض القدير شرح الجامع الصغير**، محمد المناوي المتوفى سنة ١٠٣٠هـ طبع دار الفكر ـ بيروت.

ـ **فرقان القرآن**، الشيخ سلامة القضاعي الشافعي المتوفى سنة

١٣٧٩ هـ، طبع في بيروت.

حرف القاف

ـ **القاموس المحيط**، لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي المتوفى سنة ٧١١هـ، طبع ونشر دار الجيل ـ بيروت.

ـ **قرب الإسناد**، لعبد الله بن جعفر الحميري المتوفى سنة ٣١٠هـ، طبع المكتبة الحيدرية في النجف، وطبع وتحقيق مؤسسة آل البيت.

حرف الكاف

ـ **الكافي**، للشيخ محمد بن يعقوب الكليني المتوفى سنة ٣٢٩هـ، طبع دار الكتب الإسلامية ـ إيران.

ـ **كامل الزيارات**، لابن قولويه القمي المتوفى سنة ٣٦٨هـ، طبع المكتبة المرتضوية ـ النجف.

ـ **كشف الارتياب في أتباع محمد بن عبد الوهاب**، للسيد محسن أمين العاملي، طبع مؤسسة أنصاريان ـ قم.

ـ **كشف الأستار عن زوائد البزار**، لنور الدين الهيثمي المتوفى سنة ٨٠٧هـ، طبع مؤسسة الرسالة ـ بيروت.

ـ **كفاية الطالب**، الحافظ محمد بن يوسف الگنجي الشافعي المتوفى ٦٠٨هـ، طبع دار إحياء تراث أهل البيت ـ طهران.

ـ **الكفاية لذوي العناية**، الشيخ عبد الباسط ابن الشيخ علي الفاخوري الحنفي المفتي بيروت، نقلته بالواسطة.

ـ **كنز العمال**، للمتقي الهندي المتوفى سنة ٩٧٥هـ، طبع مؤسسة الرسالة ـ بيروت.

ـ **كنز المطالب**، تأليف الشيخ حسن العدوي الحمزاوي الشافعي المتوفى سنة ١٣٠٣هـ، الطبعة الحجرية.

ـ **كنوز الحقائق**، الشيخ زين الدين عبد الرؤف المناوي المتوفى سنة ١٠٣١هـ، طبع في مطبعة بولاق بمصر.

حرف اللام

ـ **لسان العرب**، لابن منظور الأفريقي المصري المتوفى سنة ٧١١هـ، طبع دار صادر ـ بيروت.

- م -

ـ **المبسوط في فقه الحنفية**، لشمس الدين السرخسي المتوفى سنة ٤٨٣ هـ، طبع دار المعرفة ـ بيروت.

ـ **مثير الغرام الساكن إلى أشرف المساكن**، أبو الفرج عبد الرحمن الجوزي الحنبلي المتوفى سنة ٥٩٧هـ، نقلته بالواسطة.

ـ **مجمع الأنهر في شرح ملتقى الأبحر**، الشيخ عبد الرحمن شيخ زاده الحنفي المتوفى سنة ١٠٨٧هـ، طبع في المطبعة العثمانية بلآستانة.

ـ **مجمع البحرين**، لفخر الدين الطريحي المتوفى سنة ١٠٨٥هـ، تحقيق أحمد الحسيني،طبع مؤسسة الوفاء ـ بيروت.

ـ **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، للحافظ علي بن أبي بكر الهيثمي المتوفى سنة ٨٠٧ هـ، طبع دار الكتاب العربي ـ بيروت.

ـ **المجموع في شرح المهذب**، أبو زكريا محي الدين بن شرف الدين النووي ـ المتوفى سنة ٦٧٦هـ، طبع دار الفكر ـ بيروت.

ـ **محاضرات الأدباء**، للراغب الاصفهاني المتوفى سنة ٤٢٥ هـ، طبع

إنتشارات مكتبة الحيدرية ـ قم.

ـ **مختصر تاريخ دمشق** ـ لابن عساكر ـ تهذيب ابن منظور المتوفى ٧١١هـ، طبع دار الفكر ـ دمشق.

ـ **المدخل**، أبو عبد الله محمد بن محمد العبدري القيرواني التلمساني المالكي المتوفى ٧٣٧هـ، طبع في مطبعة معوض فريد بالاسكندرية.

ـ **مذكرات مستر همفر** الجاسوس الإنكليزي في الشرق الأوسط ترجمه إلى العربية الدكتور ج. خ.، طبع في سنة ١٩٧٣م.

ـ **مرآة الكمال**، للشيخ محمد حسن المامقاني النجفي المتوفى ١٣٥١ هـ، طبع في النجف سنة ١٣٤٢.

ـ **مراقي الفلاح بإمداد الفتاح**، الشيخ حسن بن عمار الشرنبلالي المصري الحنفي، طبع منشورات محمد علي صبيح ـ مصر.

ـ **مرقاة المفاتيح شرح المشكاة**، للشيخ علي القاري المتوفى سنة ١٠١٤هـ طبع في المطبعة الميمنية بمصر.

ـ **المستدرك على الصحيحين**، للحاكم النيسابوري من أعلام القرن الرابع، طبع دار المعرفة ـ بيروت.

ـ **مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل**، الحاج ميرزا حسين النوري الطبرسي المتوفى سنة ١٣٢٠هـ، طبع مؤسسة آل البيت لإحياء التراث ـ ايران.

ـ **مستند الشيعة في أحكام الشريعة**، للمولى أحمد بن محمد مهدي النراقي المتوفى سنة ١٢٤٥هـ، طبع مؤسسة آل البيت لإحياء التراث.

ـ **مسند أبو داود الطيالسي**، لسليمان الفارسي البصري المتوفى سنة ٢٠٤ه هـ، طبع دار الحديث ـ بيروت.

ـ **مسند أبي يعلي**، لأحمد بن علي بن المثنى التميمي المتوفى سنة ٣٠٧هـ ، طبع دار المأمون ـ دمشق.

ـ **مسند أحمد بن حنبل** المتوفى سنة ٢٤١ هـ، طبع دار الكتب العلمية ـ ودار صادر ـ بيروت.

ـ **مسند البزار**، أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار المتوفى سنة ٢٩٢هـ، طبع مؤسسة علوم القرآن ـ بيروت، مكتبة العلوم ـ المدينة المنورة ط الأول (١٤٠٩)هـ.

ـ **مشارق الأنوار في فوز أهل الاعتبار**، للشيخ حسن العدوي الحمزاوي المتوفى سنة ١٣٠٣هـ، طبع في المطبعة العثمانية بمصر.

ـ **مصابيح الأنوار في حل مشكلات الأخبار**، للسيد عبد الله شبّر المتوفى سنة ١٣٤٢هـ، طبع مكتبة البصيرتي ـ قم.

ـ **مصباح الظلام**، تأليف محمد بن عبد الله الجرداني الدمياطي الشافعي المتوفى سنة ١٣٠٧هـ، طبع بمصر سنة ١٣٤٧هـ.

ـ **مصباح الظلام في المستغيثين بخير الأنام**، لمحمد بن النعمان المالكي المتوفى سنة ٦٨٣هـ، نقلته مع الواسطة.

ـ **مصباح الكفعمي** الشيخ تقي الدين بن أبراهيم العاملي الكفعمي، طبع منشورات الرضي ومنشورات زاهدي ـ قم.

ـ **المصنف**، لأبن شيبة الكوفي المتوفى سنة ٢٣٥هـ، طبع دارالفكر ـ بيروت.

ـ **المصنف**، للحافظ عبد الرزاق بن همام الصنعاني المتوفى سنة ٢١١هـ، طبع توزيع المكتب الإسلامي.

ـ **مطالب السؤول في مناقب آل الرسول**، لابن طلحة العدوي الشافعي

المتوفى سنة ٦٥٢هـ، طبع مؤسسة البلاغ ـ بيروت.

ـ **معالم التنزيل في التفسير والتأويل**، للبغوي أبي محمد الحسين بن مسعود الفراء المتوفى سنة ٥١٠ هـ، طبع دار الفكر ـ بيروت.

ـ **مع الوهابيين في خططهم وعقائدهم**، للشيخ جعفر السبحاني، طبع الإرشاد الإسلامي سنة ١٩٨٦م ـ طهران.

ـ **معجم الأدباء**، لياقوت بن عبد الله الرومي الحموي المتوفى سنة ٥٧٤هـ، طبع دار الفكر ـ بيروت.

ـ **المعجم الأوسط**، لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني المتوفى سنة ٣٦٠هـ، طبع دار الكتب العلمية ـ بيروت.

ـ **معجم البلدان**، للحموي الرومي البغدادي المتوفى سنة ٦٢٦هـ طبع دار الكتب العلمية ـ بيروت.

ـ **المعجم الكبير**، لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني المتوفى سنة ٣٦٠هـ، طبع في مكتبة ابن تيمية في القاهره، ودار إحياء التراث العربي.

ـ **المغني**، لابن قدامة المقدسي المتوفى سنة ٦٢٠هـ، طبع دار الكتاب العربي ـ بيروت.

ـ **مغني المحتاج**، للخطيب الشربيني المتوفى سنة ٩٧٧هـ، طبع دار إحياء التراث العربي، ودار الفكر ـ بيروت.

ـ **مفتاح السعادة**، عصام الدين أحمد طاش كبرى زاده المتوفى سنة ٩٦٨هـ، طبع في حيدر آباد الهند.

ـ **مقتل الحسين**، للخوارزمي ـ الموفق بن أحمد المكي أخطب خوارزم ـ المتوفى سنة ٥٦٨هـ، طبع دار أنوار الهدى.

ـ **المقنعة**، للشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان البغدادي المتوفى سنة ٤١٣هـ، طبع مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجامعة المدرسين ـ قم.

ـ **من لايحضره الفقيه**، لمحمد بن علي بن الحسين الصدوق المتوفى سنة ٣٨١ هـ، طبع دار الكتب الإسلامية ـ إيران.

ـ **المناقب**، أحمد بن محمد الكردري المعروف بالبزازي المتوفى سنة ٨٢٧هـ، طبع بحيدرآباد الدكن.

ـ **مناقب آل أبي طالب**، لابن شهر آشوب السروي المتوفى سنة ٥٨٨ هـ، طبع دار الاضواء ـ بيروت.

ـ **مناقب أحمد**، أبو الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي الحنبلي المتوفى ٥٩٧هـ، طبع بمصر.

ـ **مناقب علي بن أبي طالب**، لابن المغازي الشافعي المتوفى سنة ٤٨٣هـ، طبع مكتبة الحياة ـ بيروت.

ـ **المنتخب في جمع المرائي والخطب**، فخر الدين الطريحي المتوفى سنة ١٠٨٥هـ، طبع في طهران والنجف.

ـ **المنتظم**، لجمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧هـ، طبع دار الفكر ـ بيروت.

ـ **المنخول من تعليقات الأصول**، أبو حامد الغزالي المتوفى سنة ٥٠٥ هـ، طبع دار الفكر ـ بيروت.

ـ **منهاج السنة**، لابن تيمية الحنبلي المتوفى سنة ٧٢٨ هـ، طبع منشورات محمد علي بيضون ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.

ـ **مهذب الأحكام**، للسيد عبد الأعلى السبزواري، طبع مؤسسة المنار.

ـ **المواهب اللدنية بالمنح المحمدية**، للشيخ أحمد بن محمد القسطلاني المتوفى سنة ٩٢٣هـ، طبع دار الكتب العلمية ـ بيروت.

ـ **مودة القربى**، السيد علي بن شهاب الدين الهمداني المتوفى سنة ٧٨٦ هـ، طبع في لاهور.

ـ **الموطأ**، لمالك بن أنس المتوفى سنة ١٧٩هـ، طبع دار الكتب العلمية ـ بيروت.

ـ **ميزان الاعتدال في نقد الرجال**، لمحمد بن أحمد الذهبي المتوفى سنة ٧٤٨هـ، طبع دار المعرفة ـ بيروت.

حرف النون

ـ **نظم درر السبطين**، محمد بن يوسف الزرندي الحنفي المدني المتوفى سنة ٧٥٠ هـ، طبع في مطبعة القضاء.

ـ **النقض**، لأبي الرشيد الرازي، نقلته عن الغدير

ـ **النهاية في غريب الحديث والأثر**، مجد الدين المبارك بن محمد ابن الأثير الأجزري المتوفى سنة ٦٠٦هـ، طبع المكتبة العلمية ـ بيروت.

ـ **نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج**، لشيخ الشافعية محمد بن أحمد الرملي المتوفى سنة ١٠٠٤ هـ، طبع في مصر.

ـ **نور الأبصار في مناقب آل بيت النبي المختار** ﷺ، للشيخ مؤمن بن حسن الشبلنجي من أعلام القرن الثالث عشر، طبع دار الكتب العلمية ـ بيروت.

ـ **نور العين في مشهد الحسين**، أبو اسحاق الاسفراييني من أعلام القرن العاشر، طبع مكتبة المنار ـ تونس.

ـ **نيل الابتهاج بتطريز الديباج**، محمد بن محمود التنبكتي المالكي من أعلام القرن الحاديعشر، طبع في مطبعة السعادة بمصر.

ـ **نيل الأوطار**، محمد بن علي بن محمد الشوكاني المتوفى سنة ١٢٥٥هـ، طبع دار الجيل ـ بيروت.

حرف الهاء

ـ **الهدية السنية**، محمد بن عبد الوهاب النجدي المتوفى سنة ١٢٠٧ هـ، طبع في مطبعة المنار بمصر.

حرف الواو

ـ **وسائل الشيعة**، للشيخ حرّ العاملي المتوفى ١١٠٤هـ، طبع مؤسسة آل البيت عليهم السلام ـ قم.

ـ **وسيلة النجاة**، للمولوي محمد مبين الهندي الحنفي المتوفى سنة ١٢٢٥ هـ، طبع في مطبعة كلشن فيض في لكنهو.

ـ **وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى**، لنور الدين علي بن أحمد المصري السمهودي، نزيل دار الهجرة، المتوفى سنة ٩١١هـ، طبع دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ ، دار الكتب العلمية ـ بيروت.

ـ **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، لابن خُلكّان المتوفى سنة ٦٨١هـ، طبع دار الثقافة ـ بيروت.

حرف الياء

ـ **ينابيع المودة**، للشيخ سليمان البلخي القندوزي المتوفى سنة ١٢٩٤ هـ، طبع مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ـ بيروت.

المحتويات

كلمة الموسوعة ٧
تمهيد ١١
منهجنا ١٦

الفصل الأول

الأدلة على مشروعية زيارة القبور

الأدلة على مشروعية زيارة القبور ٢١
الفطرة ٢٢
الكتاب ٢٥
السنة ٢٨
الإجماع ٣٠
السيرة ٣٤
زيارة النبي صلى الله عليه وآله للقبور ٣٤
زيارة وصي الرسول للقبور ٣٧
زيارة بضعة الرسول فاطمة عليها السلام للقبور ٣٩
زيارة الحسين بن علي عليه السلام للقبور ٣٩
زيارة عائشة للقبور ٣٩

زيارة ابن عمر للقبور ٣٩
الكلام في النهي الوارد عنه صلى الله عليه وآله في الزيارة ٤٠
أثر الزيارة دليل على صحتها ٤١
الكلام في زيارة النساء للقبور ٤٣
دليل القائلين بالكراهة للنساء ٤٤
أقوال علماء الجمهور في زيارة النساء للقبور ٤٨
آداب الزيارة ٥٠
كيفيّة الزيارة ٥١

الفصل الثاني

الأدلة على جواز زيارة قبر النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام وسائر الأولياء

الأدلة على مشروعية زيارة قبر النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام وسائر الأولياء ٥٥

الأدلة على مشروعية زيارة الرسول صلى الله عليه وآله

الدليل الأول: القرآن الكريم

الدليل الأول: القرآن الكريم ٦١
مفهوم الزيارة ٦١
كلام المامقاني في معنى الزيارة ٦٣
قصة الأعرابي ٦٥

الدليل الثاني: السنة
اولاً: الأحاديث الواردة من طرق العامّة

اولاً: الأحاديث الواردة من طرق العامة ٧٧
الرسول المصطفى صلى الله عليه وآله يشفع لزواره ٧٨
كلام لابن تيمية ١٠٢

ثانياً: الأحاديث الواردة من طرق الشيعة

ثانياً: الأحاديث الواردة من طرق الشيعة ١١٩
احاديث فضل زيارة الأئمة عليهم السلام ١٣٣
الحث على زيارة امير المؤمنين علي عليه السلام ١٣٥
التحذير من ترك زيارة امير المؤمنين علي عليه السلام ١٣٦
استحباب زيارته ماشياً ١٣٦
الحث على زيارة الصديقة الكبرى الزهراء عليها السلام ١٣٧
الحث على زيارة السبط الأكبر الحسن المجتبى عليه السلام ١٣٨
الحث على زيارة الإمام المظلوم أبي عبد الله الحسين عليه السلام ١٤١
ترك زيارة الإمام الحسين عليه السلام جفاء ١٤١
تأكد زيارته عليه السلام حتى مع الخوف ١٤٢
ثواب من جهز الآخرين لزيارته عليه السلام ١٤٣
عظم ما في زيارة الحسين عليه السلام ١٤٣
بيان حول روايات الزيارة ١٤٥
زيارة الأنبياء والمرسلين والملائكة المقربين للحسين عليه السلام ١٤٧
ما روته العامة في فضل زيارة الحسين عليه السلام ١٤٧
حديث جابر وزيارته لقبر الحسين عليه السلام ١٦٠
سطوع نور من رأس الحسين عليه السلام حينما كان في بيت يزيد ١٦١
رؤية بعض الزوار اياه جالساً على ضريح قبره ١٦٦
الحث على زيارة الإمام علي بن الحسين والباقر والصادق ١٦٦
الحث على زيارة الكاظمين موسى بن جعفر ومحمد بن علي عليهم السلام ١٦٧
الحث على زيارة الإمام الضامن علي بن موسى الرضا عليه السلام ١٦٩
فضل زيارة الإمامين محمد الهادي والحسن العسكري عليهما السلام ١٧٣
زيارة امام العصر الحجة عليه السلام ١٧٣
فضل زيارة أولاد الأئمة وذراريهم الصالحين ١٧٤

فضل زيارة السيدة فاطمة المعصومة عليها السلام ١٧٤
فضل زيارة السيد عبد العظيم الحسني عليه السلام في ري ١٧٥

الدليل الثالث: الإجماع

الدليل الثالث: الإجماع ١٧٩
أقوال علماء المسلمين في زيارة خير المرسلين ﷺ ١٨١

الدليل الرابع: العقل

الدليل الرابع: العقل ٢١٩

الدليل الخامس: سيرة المسلمين

الدليل الخامس: سيرة المسلمين ٢٢٧
بعض من زار النبي ﷺ ٢٣٢
كراهة مالك ٢٥٤
كلام بعض الأعلام حول كراهة مالك ٢٥٤
نسبة المنع من الزيارة الى أهل البيت عليهم السلام ٢٥٧
الزيارة ليست من مختصّات الشيعة ٢٦١
رأس الحسين عليه السلام في مجلس يزيد ٢٦٥
نبذة من تعظيم المسلمين علمائهم ٢٦٧
مزارات المسلمين ٢٧٢
مزار بلال الحبشي ٢٧٢
مزار سلمان الفارسي ٢٧٣
مزار طلحة بن عبيد الله ٢٧٥
مزار الزبير بن العوام ٢٧٥
مزار الصحابي أبي أيوب الأنصاري ٢٧٦
مزار أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في النجف ٢٧٧

كلام ابن بطوطة في فضل زيارته ٢٧٩
مزار ابراهيم بن أدهم ٢٨٠
مزار الشهيد حجر بن عدي ٢٨٠
مزار رأس الحسين عليه السلام في مصر ٢٨١
كرامات قبور الأولياء ٢٨٤
الأقوال في مدفن رأس الحسين عليه السلام ٢٨٨
مزار نبي الله جرجيس عليه السلام في الموصل ٢٨٩
مزار عمر بن عبد العزيز الخليفة الأموي ٢٨٩
مزار ابو حنيفة النعمان بن ثابت ٢٩٠
مزار مصعب بن الزبير في مسكن ٢٩٢
مزار ليث بن سعد الحنفي ٢٩٣
مزار مالك بن أنس إمام المالكية ٢٩٣
مزار الإمام الطاهر موسى بن جعفر عليهما السلام ٢٩٣
قصة عجيبة ظهرت من قبره عليه السلام ٢٩٤
مزار الإمام علي بن موسى الرضا عليهما السلام في مشهد ٢٩٦
مزار الإمام محمد بن علي الجواد عليهما السلام ٢٩٧
مزار معروف الكرخي ٢٩٧
مزار أحمد بن موسى بن جعفر في شيراز ٢٩٩
عبيد الله بن محمد بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب ٣٠٠
مزار ابي عبد الله محمد بن ادريس الشافعي ٣٠٢
مزار ابي سليمان الداراني العنسي ٣٠٢
مزار السيدة نفيسة بنت الحسن بن زيد بن علي ٣٠٣
مزار أحمد بن حنبل امام الحنابلة ٣٠٦
مزار ذي النون المصري ٣٠٦
مزار بكار بن قتيبة بن اسد الثقفي ٣٠٧

مزار القطب ابي عبد الله حفيف المعروف بالشيخ في شيراز ٣٠٧
مزار يعقوب بن اسحاق ٣٠٧
مزار ابن طبا طبا ٣٠٨
مزار الوزير اسماعيل بن عباد الملقب بالصاحب ٣٠٩
مزار ابراهيم الحربي ٣١٠
مزار ابي الحسن علي بن ابراهيم المصري ٣١٠
مزار الفقيه نصر بن ابراهيم ٣١٠
مزار أحمد بن جعفر الخزرجي ابو العباس السبتي ٣١١
مزار الشيخ عبد القادر أبي رباح الدجاني اليافعي ٣١١
مزار الحافظ عبد الله الحاملي ٣١٢
ختام الكلام في سيرة المسلمين ٣١٤
الأمم وتعظيم الأنبياء والأولياء وتشييد قبورهم ٣١٦

الدليل السادس: ما يستفاد من الفروع والآداب المذكورة للزيارة

مسائل الزيارة دليل على مشروعيتها

مسائل الزيارة دليل على مشروعيتها ٣٢٥
المسألة الأولى: تقديم زيارة النبي على الحج افضل ام العكس؟ ٣٢٥
نظر الإمامية في المسألة ٣٢٨
المسألة الثانية: جواز الاستنابة في الزيارة ٣٣٢
المسألة الثالثة: جواز النذر للزيارة ٣٣٦

آداب الزيارة عند العامة والإمامية

اولاً: آداب الزيارة عند العامة

اولاً: آداب الزيارة عند العامة ٣٤١
متن زيارة الرسول المصطفى ﷺ ٣٤٨
الصلاة على النبي وآله صلوات الله عليهم أجمعين ٣٥٢

التوسل والتشفع بالنبي ﷺ ٣٥٨
زيارة الشيخين ٣٦٣
زيارة أهل البقيع ٣٦٥
زيارة شهداء أُحد ٣٦٧
زيارة مسجد قبا ٣٧٠

ثانياً: آداب الزيارة عند الإمامية

ثانياً: آداب الزيارة عند الإمامية ٣٧٥
زيارة فاطمة الزهراء عليها السلام ٣٧٩
زيارة ائمة البقيع عليهم السلام ٣٨١
زيارة سيد الشهداء حمزة عم النبي ﷺ ٣٨٤
زيارة قبور سائر الشهداء بأُحد ٣٨٦
زيارة مسجد قبا والفضيخ والفتح وسائر آثار النبوة ٣٨٦
زيارة الوداع ٣٩٨
تنبيه ينبغي الالتفات اليه ٣٨٩

ذرائع المانعين من الزيارة

ذرائع المانعين من الزيارة ٣٩٥
الكلام في حديث: «لا تشد الرحال» ٣٩٦
كلام المانعين للزيارة ٣٩٧
النهي عن تكفير المسلمين ٤٠٤
كلمات الأعلام حول أحاديث شد الرحال ٤٠٥
كلام النووي ٤٠٦
كلام الفيروز آبادي ٤٠٧
كلام ابن حجر ٤٠٩
كلام السبكي ٤١٠

كلام السمهودي ٤١٠
كلام الغزالي ٤١٢
ذريعة أخرى للمانعين: إن شد الرحال يفضي إلى اتخاذه عيداً ٤١٤
الكلام في حديث لا تتخذوا قبري عيداً ٤١٦
سائر الاحتمالات في الحديث ٤٢٠

التبرك بآثار النبي ﷺ والأئمة عليهم السلام والأولياء

التبرك بآثار النبي ﷺ والأئمة عليهم السلام والأولياء ٤٢٩
حقيقة التبرك ٤٣٠
أدلة التبرك ٤٣٦
نماذج التبرك بالنبي ﷺ في حياته ٤٣٨
تبرك كثير من الصحابة به بالمسح والمس ٤٣٩
التبرك بماء وضوءه وغسله ٤٤٠
التبرك بسؤر شراب النبي ﷺ وطعامه ٤٤١
التبرك بشعره ٤٤٢
التبرك به وبآثاره بعد حياته ٤٤٥
التبرك بأصحاب النبي ﷺ فضلاً عنه ٤٤٨
أراء أئمة المذاهب في التبرك ٤٥١
تياؤل ٤٥٩
الكلمات الموهمة للمنع من التبرك ٤٦٢
طائفة أخرى من الكلمات الموهمة للمنع ٤٦٥
الجواب عن الأقوال الموهمة للمنع ٤٦٧
تنبيه: لا ينبغي الإشكال في التبرك بما يصدر من العوام ٤٧٣

طواف القبور

طواف القبور ٤٨١

النذور لأهل القبور

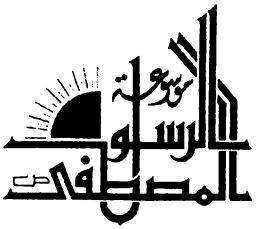
النذور لأهل القبور ٤٩١

تعمير قبور الأولياء والصلاة عندها

تعمير قبور الأولياء والصلاة عندها ٥٠١
الأسئلة الموجهة الى علماء المدينة ٥٠٤
نص الجواب المنسوب الى علماء المدينة ٥٠٥
نظرة في الفتوى المنسوبة ٥٠٦
الجواب عن الفتوى فضلاً عن تزويرها ٥٠٧
الأحاديث التي استدل بها الخصم ٥١١
نظرة في الأحاديث المانعة من البناء على القبور ٥١٢
ادعاء الخصم على كون البقيع مسبلة ٥٢٨
تاريخها وكلام العلماء فيها ٥٢٩
أدلة جواز البناء على القبور ٥٣٤
الآية الأُولى: ﴿. . . لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِداً﴾ ٥٣٤
الآية الثانية: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللهُ أَنْ تُرْفَعَ. . .﴾ ٥٣٥
الآية الثالثة: ﴿وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللهِ. . .﴾ ٥٣٩
الآية الرابعة: ﴿قل لا أسئلكم عليه أجراً. . .﴾ ٥٤١
السنة والبناء على القبور وتعميرها ٥٤٦
سيرة المسلمين والبناء على القبور ٥٤٧
تاريخ بناء الحجرة النبوية ٥٤٨

تاريخ بناء قبور الأئمة الأطهار ٥٤٩
الصلاة عند القبور وبناء المساجد عليها أو حولها ٥٦٠
اولاً: ما ورد في القرآن الكريم ٥٥٦٠
ثانياً: من سنة الرسول ٥٦٢
فهرس المصادر ٥٧٣
المحتويات ٥٩٩

THE RITUAL VISIT OF PROPHET MOHAMMAD AND HIS FAMILY IS IT AN INNOVATION OR A DIVINE LAW?



Mawsouat Al-rasool

Al-Mostafa

(17)

Address in Lebanon:
P.O.Box 25/138
Al-Ghobairi -Beirut

Address in Iran:
P.O.Box 91375/4436
Mashhad
Fax:(0098-511) 2222483

Email: almawsouah@yahoo.com
Website: www.almawsouah.org

Published in Lebanon by: Dar-Alathar
Shahrur building - Dakkash St. Bir Al-Abed
Beirut - Lebanon
Tel: (00961-1) 270574, (00961-3) 349237

Published in Iran by: Almawsouah Publisher
Mashhad - Iran
All rights reserved
First print: 1424 – 2004
Second print in Qom: 1424 - 2004

MAWSOUAT AL-RASOOL AL-MOSTAFA

A highly informative encyclopedia of Prophet Mohammad's life

Administered by: Mohsen Ahmad Al-Khatami

THE RITUAL VISIT OF PROPHET MOHAMMAD, IS IT AN INNOVATION OR A DIVINE LAW?

By: Abdul Majeed Mirdamadi